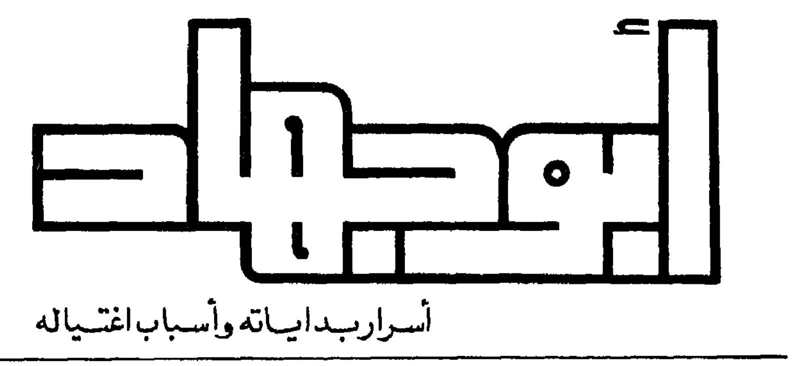
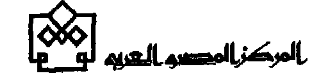


د. محمد حمزة

تقديم: د. سمير يوسف

رقم الإيداع ٨٩/٤٣٢٠
الايداع القانوني : نيسان -ابريل ١٩٨٩
الترقيم الدولى: 7- 03- 727- 9973 ISBN
الطبعة الثانية



٧ ش النهضة - حسن محمد - فيصل ت : ٥٣٥٦٠٧


ابو جهاد
أسرار بداياته وأسباب اغتياله

الغلاف للفنان / محمد بغدادى

المحتويات

مقدمة

لانه ابو جهاد بالذات.. والان تحديدا

.. الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه لا يحتاج في الحقيقة الى اي تقديم، من هنا كان طموحنا الاضافة اليه وليس مجرد تقديم عمل يقدم هو نفسه كوثيقة سياسية مهمة سوف تثير بكل التاكيد جدلا واسعا معها وضدها ومن حولها.

ومن دون ان نستبق الاحداث، علينا ان نعترف بداية بان الكتابة عن الشهداء هي على نحو عام واحدة من اعقد المهام، واكثرها دقة وحساسية.. بل وخطورة. اذ تخضع هذه الكتابة اكثر من غيرها لعديد من المؤثرات والتاثيرات السيكولوجية والمادية والسياسية التي قد تنبعث من الكاتب نفسه او تعكسها عليه وتيرة الاحداث السياسية المتسارعة او ظل الحضور الاحياء، وثقلهم المعنوي ووزنهم السياسي.

والكتابة عن ابو جهاد بالذات.. والآن تحديدا تخضع لكل هذه المحاذير وما قد يتجاوزها ويضاعف من خطورتها ومخاطرها. ومع ذلك يبدو الامر بالنسبة لنا اكثر جدة من كل تبعاته وعواقبه، وليس هناك من تعليل لذلك سوى التاكيد مجددا على ان الأمر هنا يخص ابو جهاد بالذات.. والآن تحديدا، وهي مسوغات تكفي في تقديرنا لكي تمنح هذه الكتابة مشروعيتها.. ومبرراتها.

في وصف ابو جهاد.. وصفاته

ربما كان علينا في البداية التعريف بموضوعنا الذي هو ابو جهاد نفسه، اذ ان الاغلبية ممن عاصروا الثورة الفلسطينية وممن شاركوا في الحياة السياسية العربية خلال العقود الاربعة الماضية تعتقد، ونحن معها، ان ابو جهاد معرف بذاته، وان اسمه دال عليه وعلى صفاته، وهو لا يحتاج الى توصيف او تعريف.

لكن الامر يبدو هنا ضروريا لانه يخص شرائح وقطاعات بشرية اوسع واكثر عددا وتنوعا، ويخص كذلك اجيالا جديدة طالعة ستبحث بالضرورة عن ابو جهاد في ما هو ابعد من المناسبات الاحتفالية الموسمية، وستفتش عن فكره ومنهجه، في ما هو اعمق من صورته المعلقة على الجدران او المسكوكة في الميداليات التذكارية.

وفي تقديرنا ان موضوع ابو جهاد بكل ابعاده المتعددة يحتاج بالضرورة الى

جهد جماعي متكاتف ومتكامل، والى عمل مؤسسي موضوعي وممنهج.

من هنا وجدنا انه من الملائم اجراء جردة موجزة وسريعة لكتابات العديد من المفكرين، فلسطينيين وعربا واجانب لما يمكن ان يندرج تحت بند التعريف بابو جهاد ووصفه وصفاته. وسوف نلاحظ اولا ان العديد من الملصقات التي صورت عنه قد اغفلت عن عمد ذكر اسمه، واكتفت عوضا عن ذلك بتثبيت الالقاب التي خلعتها عليه الجماهير فهو: «القائد المعلم الرمز»، و«القائد المؤسس»، و«اول الرصاص اول الحجارة»، و«قائد الانتفاضة وروحها الباقية».

وابو جهاد كما جاء في نداءات القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة هو: «ابن فلسطين البار رمز التحدي والنضال والعطاء. منذ اشراقات العمل الثوري المقدس وحتى زرع رصاصات الحقد المسموم في جسده الطاهر. وكانت هذه النداءات قد خاطبته بقولها: «ستبقى المعلم والملهم لاجيال شعبنا المتجددة المناضلة حتى النصر، وستبقى حيا شامخا فوق ربى فلسطين وفي قلوب وعقول اطفال وشيوخ ونساء وفتيات شعبنا العظيم وعهدا لك يا شهيدنا الرمز، ويا معلم الاجيال ان نبقى على العهد والقسم».

اما الكلمات التي ابنت ابو جهاد شهيدا فكانت قد قالت فيه: «القائد الرمز القائد الفلسطيني القائد الشعب». و«امير الجهاد»، و«الفدائي النبيل»، «وابو الجهاد». وهو «ابو الاجيال الثورية المتصاعدة وشهيد الشهداء «اخ للجميع اب للجميع وعيد بلا ميعاد». وهو «الشهيد الاجمل من الموت الصامت الابلغ من كلام»، وقيل ايضا: «ابو جهاد ليس اسما انه كلمة السر»، وانه «كان في حياته شعبا في فرد»، واعتبر البعض انه «العقل المنفذ والمفكر والصانع لكثير من منجزات الثورة الفلسطينية» وانه «قائد عسكري فذ يمكن ان يحتل مكانا لائقا في تاريخ القادة العسكريين العالميين».

وان الامة العربية خسرت فيه قائدا عربيا متواضعا وهو «قائد صانعي الانتفاضة»، وانه لا يوجد ثقب ابرة في الثورة الفلسطينية ليس فيه ابو جهاد وانه «رمز الوحدة الوطنية»، «وأحد البنائين العظام للثورة»، وانه «باختصار جياب الثورة الفلسطينية»، و«قلعة الكفاح المسلح»، وانه «كان قائدا عبقريا خلاقا».

وقيل ايضا في صفاته ومناقبه:

«انه متحد كليا في موضوعه»، و«بطلا مناضلا ثوريا عشق الشهادة فنالها».

وقيل فيه «خافه العدو ورهبته جيوشه وقادته فكان كابوسا يقض مضاجعهم في كل لحظة ودقيقة». وانه «كان خير معين لكل حركة تحرر وطني في هذا العالم المترامي ولكل شعب ثائر على وجه الارض». وقيل في ابو جهاد كذلك، كان «مدرسة للكفاح»، و«أفقا في رجل.. وفيه موسوعة للبلاد».

وقيل ايضا: «ان كل الخيوط كانت تنتهي عند ابو جهاد وانه «ترك خلفه مدرسة الانجاز والعمل»، وانه «الرجل الذي كان يربط الداخل بالخارج».

وقيل ايضا: «تميز ابو جهاد بقدرته الفائقة وبدأبه وبصفاء ذهنه وبهدوئه وتميز ايضا بانه كان دائما واضعا نصب عينيه هدف تحرير الارض ومدركا اولويات النضال وتكامل جوانبه»، وانه «استطاع ان يؤلف قلوبا كثيرة ويجند طاقات كثيرة»، وان «الاجراء الابو جهادي كان دائما بسيطا ونموذجيا للغاية»، وانه «جسد في فكره وعمله احسن ما لدى هذا الشعب من صفات» وانه «رمز من

رموز الحقيقة الشعبية الحية». وقيل: «ابو جهاد كان المحرك الاول والمنسق الاول والمتابع الاول لكل ما يجري منذ بداية اشتعال الانتفاضة». «وعندما جاءت الانتفاضة الباسلة تبين ان ابو جهاد كان في صفها الاول ان لم يكن هو الاول مطلقا».

«هو واحد من اكثر المسؤولين العرب عموما والفلسطينيين خصوصا الذين يحظون بتقدير واحترام كبيرين لدى الجزائريين».

«كان يجسد حسن التضحية والوحدة والاخلاص للوطن والشعب الامة».

«وطنيته النادرة ومقدرته على تنظيم الافراد وقيادتهم ودفعهم الى العمل والمبادرة، عبقريته السياسية، رباطه جأشه وصبره وتصميمه، ثباته على الهدف وعدم انحرافه، ارتباطه الاعمق بشعبه واخلاصه لاصله ولتراثه وتاريخه، عزوفه عن الدنيا، هدوءه ومحافظته على سره، حسه التاريخي، مثابرته وصبره وايمانه بالعمل الطويل النفس».

وقيل ايضا: «متواضع الى اقصى الحدود، نادرا ما تحدث عن نفسه، يلقي دائما باضواء جديدة متعددة الابعاد على المشاكل بترتيب ذهني مقتدر، جاهز دائما للمعركة في اي وقت».

وكتب عنه «كان ابو جهاد يتابع حتى نسمة الهواء في فلسطين المحتلة»، «كان ابو جهاد رجل حوار من الطراز الاول واسع الافق يرفض الرأي المسبق او القرار غير المدروس على ارض الواقع».

«لم يكن ينسب اي كسب او انتصار الى نفسه على الاطلاق وانما كان ينسبه الى الثورة».

«كان رجل وحدة وطنية بلا حسابات صغيرة او شخصية» وقيل عنه ايضا: «مميزاته القيادية الفذة، الدقة، الانضباط، برودة الاعصاب.. والفعالية».

«ابو جهاد يعتبر ان النضال هو الذي يخلق معادلات لمصلحة القضية».

«رسم الرجل طريقا في التعامل مع العدو الصهيوني ثبت بالادلة القاطعة والملموسة انه الطريق الاكثر نجاعة».

«كان التواضع والبساطة من اهم صفاته الشخصية جنبا الى جنب القدرة المتمكنة من النفاذ الى جوهر الاشياء والعمق والدقة».

وكتب عنه كذلك: «تميز ابو جهاد بحكمة سياسية ورؤية مستقبلية نافذة». «كان قريب الشبه بغيفارا الثوري الانسان المتواضع»... الخ.

في موقعه.. واهميته التاريخية

من جهتنا حرصنا الا نتدخل ولو بحرف واحد، وقد اردنا تثبيت هذه النصوص المقتبسة حرفيا من شهادات وكتابات الصفوة من قادة ومفكرين فلسطينيين وعرب واجانب، لما تتضمنه هذه الشهادات من اجماع على تقدير ابو جهاد ودوره ومكانته التاريخية، وعلى ان الكتابة عنه بالذات.. والآن تحديدا تبدو مشروعة ومبررة، وان كان ابو جهاد في تقديرنا بحاجة الى ما هو اعمق من الكتابة.. وابلغ من الكلمات.

.. كل الصفات التي حازها ابو جهاد حيا وشهيدا لم يهبها له احد، هي

استحقاقه الذي لا يبارى فيه، واحقيته التي لا ينازع عليها.

ومع ذلك ففي تقديرنا ان ذلك كله لم ينصف الرجل بالقدر الضروري لحاجتنا نحن اليه، وليس لحاجته هو له لا حيا.. ولا شهيدا.

لان ابو جهاد لعب على مدار اكثر من ربع قرن كامل من الزمن دورا مركزيا وفاعلا في مسيرة الثورة العالمية بل وفي الصراع العالمي، ربما بما يفوق بكثير الدور المنسوب لعشرات من اقرانه من القادة التاريخيين في ارجاء المعمورة، دون ان ينتقص ذلك من اهمية دور اي منهم ومكانته.

هذا الدور المركزي لابو جهاد لا يعزى فحسب الى مساهمته الحيوية في دعم ومساندة وتطوير اغلب حركات التحرر العالمية سواء كانت في اطراف العالم التابع والنامي والمتخلف، او كانت في قلب مراكزه التوسعية والمهيمنة. لان مساهمة ابو جهاد هنا، على اهميتها وحيوتها، كانت نتيجة لا سببا، اذ ان رؤية ابو جهاد الكلية لمعادلة الثورة العالمية والصراع العالمي كانت هي التي املت عليه مجمل اختيارات حياته، بما في ذلك اسهاماته الحيوية تجاه حركات التحرر العالمية.

وحسب اجتهادنا، فان رؤية ابو جهاد هذه كانت قد تشكلت على نحو تاريخي مع تطور وعيه وادراكه، حتى استقرت على الفرضية التي تقول: بان الصراع على فلسطين هو نقطة الارتكاز المحورية في الصراع العالمي. لان مصير «الاطراف» او «الجنوب» او «الشرق» سيتوقف الى حد بعيد على مصير الصراع الناشب في فلسطين وحولها.

ومن المؤكد ان مصير «الشمال» او «المغرب» او «المراكز» سيتوقف بدوره على مصير الاطراف او الجنوب.

الصراع على فلسطين اذن هو نقطة الارتكاز المحورية، وهذه المقولة تجد ما يعزز صحتها في استقراء التاريخ وفي معطيات الجغرافيا السياسية.

وابو جهاد رغم تعصبه الوطني الواضح للقضية الفلسطينية فانه لم يغفل ولو للحظة عن البعد العالمي لقضيته وترابطها العضوي مع قضايا التحرر والثورة العالمية. واختار ابو جهاد ان تكون مساهمته الواعية في حركة التاريخ مساهمة عملية بالدرجة الاولى بكل ما يندرج تحت افق هذه الروح العملية وتطبيقاتها من سبل ومجالات.

وكان التحليل الذي تبناه ابو جهاد للصراع العالمي قد سمح له باقامة اوسع العلاقات مع حركات التحرر العالمي والمنظمات المتطلعة للانعتاق من ربقة التبعية ومن اسر حلقات التخلف والالحاق.

وما ميز تجربة ابو جهاد هنا هو رؤيته الشمولية للوحة الصراع والتناقض العالمي بما اتاح له فرصة تجاوز التنميط الايديولوجي (اي اقامة علاقات متبادلة بين لون او اتجاه سياسي واحد) فاتسعت تجربته الى افق لم يدرك من قبل، وتمكنت هذه التجربة من كسر رهبة الاحتكار وسطوة الارهاب الفكري الذي يمد مظلته فوق حلبة هذه العلاقات.

وليس غريبا ان يتنبه مناضل اممي مثل الجنرال «جياب» لدور ابو جهاد واهميته التاريخية، فنراه يذهب على راس القيادة العسكرية للثورة الفيتنامية الى مقر سفارة منظمة التحرير الفلسطينية في هانوي ليؤدي بكل تواضع القادة الكبار التحية العسكرية لابو جهاد، وليكتب في سجل التعازي ما نصه: «قدم

الرفيق ابو جهاد دائما الدعم النشيط للشعب الفيتنامي واكن له المشاعر الاخوية الحميمة.. لقد ترك لي الرفيق ابو جهاد الذكريات العميقة. لقد كان قائدا عبقريا خلاقا وله ثقة كبيرة بالانتصار النهائي للثورة الفلسطينية».

ومن المؤكد اننا لسنا بصدد عقد مقارنة بين الرجلين، او التعسف في قياس احدهما على نموذج الآخر، لكن ما تجدر الاشارة اليه في سياق اطروحتنا، هو ان ابو جهاد وان لم يخض بالتاكيد معارك في حدة واتساع معارك «جياب» الشهيرة بدءا من معركته الاولى في فاي - خات، ومرورا بقيادته للانتصار على الفرنسيين في معركة «ديان بيان فو»، وانتهاء بالانتصار العسكري الحاسم على الالة العسكرية الامريكية في معركة سايغون، فانه من المؤكد في الوقت ذاته ان تاثير المعارك الصغيرة والمحدودة، التي قادها ابو جهاد في فلسطين وحولها، على مسار الثورة العالمية وتطور الصراع العالمي يفوق من الوجهة الاستراتيجية التاثيرات التي احرزتها المعارك الفيتنامية الكبرى.

ومن المؤكد ان فحوى هذه الاطروحة سوف يتسبب في كثير من الالتباس لدى الكثيرين، ومع ذلك يبقى للجيوبولتيك او الجغرافيا السياسية، ولحسابات المصالح الحيوية والصراع على مناطق النفوذ والثروة وعقد الحركة والمواصلات العالمية، الحكم الفصل في صحة هذه الاطروحة من عدمه. وزيادة في الايضاح وتبديد هذه الالتباسات، يمكن متابعة سيناريو نظري افتراضي يقيس بكل موضوعية تاثير ومضاعفات وقوع هزيمة نهائية وحاسمة لاسرائيل على لوحة الصراع العالمي مقارنة بما حدث في فيتنام، او ما يمكن حدوثه بشكل مشابه من حيث القيمة في مناطق اخرى من العالم.

وسواء حسم هذا الجدل مع ما نطرحه او ضده، فان ذلك لا ينتقص على الاطلاق من قيمة ابو جهاد واهميته التاريخية.

ورغم اقرار الكثيرين بهذه الاهمية فان ابو جهاد لم يحتل، اعلاميا ودعائيا، نفس المكانة التي حظي بها العديد من القيادات التاريخية العالمية.

وفي تقديرنا ان السبب في ذلك لا يكمن فقط في ان ابو جهاد، وهو يتحمل نصيبه في ذلك، لم يخض تجربة الكتابة المعمقة، ولم يقدم صياغات تنظيرية لرؤياه السياسية وتجربته النضالية.

ولكن السبب الحقيقي يكمن في ان الخطاب السياسي الذي ميز تجربة ابو جهاد كان متعارضا الى حد كبير مع الوعي السائد لدى قطاعات واسعة من الجمهور، فبينما كان الصراع واضحا وبشكل «نقي» في تجارب ثورية مثل كوبا وفيتنام والجزائر ونيكاراجوا والارجواي وانغولا وناميبيا وجنوب افريقيا وغيرها من التجارب، فان الصراع في فلسطين ساده الى حد كبير قدر من التداخل والالتباس وعدم النقاء حتى ان البعض اعتبر الحركة الصهيونية بمثابة حركة تحرر وطني!! فضلا عن موضوع الحق التاريخي الذي يبدو متنازعا عليه في وقت تلعب الخلفية التوارتية في البنى التربوية لقطاعات واسعة من الجمهور دورا مهما في خلط الاوراق حول موضوع الحق التاريخي في فلسطين.

وغني عن القول ان قطاعات اخرى من الجمهور منحازة «لاسرائيل» وضد الخطاب السياسي الفلسطيني بشكل عام، وخطاب ابو جهاد على نحو خاص وذلك تحت ثقل والحاح الدعاية للنموذج الليبرالي الحر المزعوم في التجربة الاسرائيلية، ولا يمكن ان ننسى هنا الدعاية الاممية التي راجت في حينها بين

قطاعات اخرى من الجمهور حول الابعاد اليسارية والاشتراكية للتجربة الاسرائيلية!!

كل هذه الاعتبارات خلقت العديد من الحواجز بين ابو جهاد وجمهوره الطبيعي بما يخلق صعوبات موضوعية لتعميم ابو جهاد كتجربة تاريخية وظاهرة ثورية عالمية.

وقد ضاعف من هذه الصعوبات ان تجربة ابو جهاد قد جرت في ظل المناخ الدولي المعاصر وظروفه الراهنة بكل ما يتضمنه ذلك من تماه في الخطوط وتداخل في الحدود الى حد الدعوة «المشتركة» لوأد البؤر المشتعلة، وفرض حالة الاسترخاء العسكري، ونبذ الكفاح المسلح باعتباره ارهابا من جهة، او ضربا من الطفولة اليسارية من الجهة المقابلة.

ورغم ذلك ينبغي القول بان الانتفاضة قد وفرت مناخا مواتيا يحمل الريح الى الاشرعة التي ترغب في السباحة ضد التيار، ولم يفت الوقت ابدا لرد الاعتبار لابو جهاد، ولجوهر الفكرة التي بذل دمه من اجل تثبيتها.. وانتصارها.

وان كان من كلمة اخيرة تقال في هذا المجال فانه يجب ان يسجل لابو جهاد ايمانه الكبير بقدرة القوى الصغيرة على التأثير في مسارات التاريخ، كما يجب ان يسجل له عدم تراجعه او تخليه او تخلفه عن فكرة الثورة العالمية ودعم حركات التحرر تحت وطأة الدعاية الجارفة والاجراءات المضادة للثورة التي تعمدوا خلط اوراقها بلعبة مواجهة الارهاب حتى تشيأت اصناما في وعينا.

رجل الحرب.. وتجربته العسكرية

يقول نيكولو ماكيافيلي في «الامير»: لا يخلق بالامير ان يشغل نفسه الا بالتخطيط للحرب والتفكير بها، ودراسة فنونها وانظمتها، فتلك في الحقيقة هي الحرفة الوحيدة التي تليق بالامير، وانها لامر لا تقتصر اهميته على تخليد الامراء، وانما يعلي الرجال من ذوي الظروف الخاصة حتى تلك المرتبة النبيلة.. والامر الرئيسي الذي يمكن المرء من كسب السلطة او خسرانها هو احتراف فن الحرب او اهماله. وهكذا فليس للامير ان يصرف ذهنه عن دراسة فن الحرب حتى في اوقات السلم بل الواقع انه يجب ان يعمل فكره فيها آن السلم بجدية اكبر من جدية زمن الحرب».

.. كان ابو جهاد رجل حرب، ولا يجب ان يخالجنا اي شك في ذلك، كما يجب الا يخجلنا ذلك نفسه ابدا. فهكذا كان شأن اغلب القادة التاريخيين العظام في العالم كله.. رجالات حرب.. وقيادات مقاتلة.

وليس هناك من تحفظ نسوقه هنا سوى التأكيد على ان الوجه الرئيسي لابو جهاد كرجل حرب لم يكن هو الوجه الوحيد له، فتجربة ابو جهاد لها من السعة والشمولية ما يسمح بالتعلم من تجربته التنظيمية المهمة، وهي في ما نعتقد تجربة ريادية غير مسبوقة، وخاصة في مجال التنظيم في ظروف الاحتلال الاستيطاني الاحلالي، ولا شك في ان ابو جهاد ارتقى بمسائل التنظيم في هذا المجال الى ذرى عالية وآفاق طموحة، وهي تشكل اضافة نوعية مهمة الى علم وفن التنظيم.

كما ان رجل الحرب في ابو جهاد لا يلغي وجهه السياسي وتجربته في هذا المضمار، واكثر ما تطرحه علينا تجربته في هذا المجال هو ضرورة اعادة النظر بشكل نقدي في جعبة المعايير التي اعتمدها الخطاب السياسي العربي للتصنيف والتوصيف، بما درجت عليه العادة لحشر الناس وفق هذه المعايير بعضهم في خانة اليمين، والبعض في خانة اليسار بشكل لا علمي متعسف.

ولا يجب ان يتناهى الى ظن البعض ان هذه الدعوة تسعى لنقل ابو جهاد المصنف في خانة بعينها الى الخانة المقابلة لها، فهذا العمل الاخرق لا ينصف ابو جهاد بقدر ما يسيىء له.

وانما اردنا فقط من حالة مشخصة بافضل ما يكون، ان نطرح ضرورة اعادة النظر في المعايير من حيث هي معايير فحسب وهي خطوة لا بديل عنها لاستقامة الفكر وتصالحه مع المنطق والمنهج العلمي.

ابو جهاد اذن بوجهه الرئيسي رجل حرب، وقد اعتمد العنف المسلح بشكل اساسي في تجربته كقاعدة لا بديل عنها في الصراع الطويل مع العدو.

وابو جهاد في ذلك لم يكن رجل العسكرية الفلسطينية بل هو في تقديرنا جنرال العسكرية العربية، وتجربته في هذا الصدد تصلح لان تكون اللبنة الاساسية في تأسيس محور مركزي لنظرية عربية خاصة للصراع مع العدو.

وليس هناك من يزعم ان تجربة ابو جهاد لا تحتاج بشكل ضروري الى عملية دائمة من الملاءمة والتجديد، ليس فقط لان هذه هي الحقيقة ولكن ايضا لان هذه هي السمة الرئيسية لمنهج ابو جهاد نفسه.

وليس من الضروري ان نبحث بشكل اخلاقي عن المبررات التي دعت ابو جهاد لتبني منهج العنف واستراتيجية الكفاح المسلح، ربما كان من المفيد في هذا المجال الاحالة الى مرافعة المناضل المفكر «فرانز فانـون» عن ضرورة العنف في مؤلفه «معذبو الارض» وكذا المقدمة التي انجزها جان بول سارتر لهذا الكتاب، فضلا عن كتب اخرى عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر، «السلام والحرب» للبـروفسـور ريمـون أرون، «وفي الحـرب» لكـلاوزفيتـز وغيـرهـا من الكتب والدراسات المعنية بدراسة مسألة العنف وقضاياه.

نحن نعتقد ان ابو جهاد لم يشغله كثيرا التوقف للبحث عن مبرر للعنف الثوري كضرورة لا يمكن المساومة عليهـا او استبدالهـا والتنازل عنهـا لان استمرار الاحتلال باعتباره عنفا قمعيا قائما ومستمرا يكفي وحده لمشـروعية الكفاح المسلح ومواجهة هذا الاحتلال حتى نفيه والقضاء عليه. وتشكل تجربة ابو جهاد في هذا المجال رصيدا مهما للبحث والتحليـل والتقويم، والمسـاهمة الاولية في هذا السياق تبدأ بطرح الاسس التالية:

١ ـ ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي بـطبيعته مـوسوم بـالعنف، والظاهرة الاسرائيلية هي في جوهرها استمرار في فرض العنف القمعي على الفلسطينيين والامة العربية كلها.

٢ ـ ان للعنف والكفاح المسلح حسب ابو جهاد وظيفة سوسيولوجية تتعلق باعادة بنية المواطن وتفوقه المعنوي، وقدرته على تشكيل منظومة قيمه ومبادئه في الحياة.

٣ ـ انه لا يمكن مواجهة نظرية العنف الصهيوني الا بنظرية عنف عربية تكون متقدمة عليها وارقى منها حضاريا.

٤ ـ انه لا يوجد للصراع العربي ـ الاسرائيلي حل «وسط تاريخي» لان «اسرائيل» ظاهرة لا تاريخية في الاساس، ولان كل حل وسط هو في جوهره مؤقت ولا تاريخي
٥ ـ ان التجربة العسكرية لابو جهاد اتسمت بالخصائص الاستراتيجية التالية:
١ ـ اعتمدت مبدأ توازن الارادات وليس توازن القوى او توازن المصالح.
٢ ـ ادامة حالة الاشتباك والوضع القتالي وتحويل الاستنزاف من مجال التكتيك الى مجال الاستراتيجية.
٣ ـ الحفاظ على التماس المباشر مع العدو وعدم السماح له بقطع خط التماس.
٤ ـ مهاجمة استراتيجية الخصم والتركيز على نقل المعركة الى قلب العدو.
٥ ـ اخضاع كل قضايا العمل العسكري لمتطلبات العمل السياسي واستراتيجيته العليا.
٦ ـ الحفاظ على البندقية الفلسطينية في اتجاه العدو وتحريم وتجريم اي اقتتال داخلي او الاحتكام للسلاح لحل التعارضات في الراي والرؤية.
٧ ـ المزاوجة والتبادل بين كافة اشكال العنف الموجه ضد العدو.
٨ ـ خلق وتنمية قدرة مناسبة للرد «والردع».
٩ ـ المزاوجة بين العمل العسكري النظامي وشبه النظامي والعصابي باشكاله ومستوياته المتعددة.
١٠ ـ التركيز على البعد النفسي المعنوي للعمليات العسكرية.

هذه العناوين العامة تفتح المجال امام دراسات تحليلية معمقة لتجربة ابو جهاد العسكرية التي ما نزال نعتقد انها الاساس الاكثر معقولية لصياغة نظرية عربية حول استراتيجية للصراع مع العدو الصهيوني.

مدخل سياسي للتعامل مع مفهوم الرمز

ليست هناك من تقاليد عربية مستقرة ومرعاة بشان التعامل مع الشهداء، خاصة بعد التآكل الحاد في المفهوم العربي للثار، باعتبار ان مفهوم الثار حسب الزعم الحضاري مجرد «ارث بائد من العصور الجاهلية»؟!!

بل ان هناك من يعتقد ان الثار للشهداء عمل لا يتساوق وحقائق عصر الوفاق والسلم العالمي. وطبقا لمقتضيات هذا «السلوك الحضاري» فان دفن الشهيد وحده لا يكفي لاكرامه.. وانما دفن تجربته معه ايضا!

ويبدو ان وضع ابو جهاد سيكون مختلفا الى حد بعيد، فمنذ لحظة استشهاده، فرضت الجماهير ارادتها بالتعامل معه كرمز، وهو اختيار سياسي بالدرجة الاولى يعني الانضباط خلف هذا النهج ومع هذا النموذج الاستشهادي.

وهذا الاختيار بطابعه السياسي الصرف يتعارض كليا مع التوجهات التي تلح بحسن النية او بغيرها لتحويل ابو جهاد الى اسطورة.

لان الاسطورة تنطوي على تخليق لظاهرة «عبادة الشخصية» التي ناضل ابو جهاد في حياته بحزم ضدها، نظرا للاضرار الجسيمة التي تلحقها هذه الظاهرة المتاخرة وتجسيداتها بواقع الحياة السياسية وبمصير الجماهير وبقضاياها الاساسية.

وليس لابو جهاد ان يقبل في استشهاده ما ناضل ضده طوال حياته.

فابو جهاد القائد هو ابو جهاد الرمز، ايمان مطلق بالشعب القائد، وليس بقائد الشعب، بتفتح الديمقراطية، وبازدهار حق النقد، وبتكريس تقاليد النقد الذاتي، بحماية الديمقراطية من طغيان المركزية، وتصويب خط المركزية بتعميق الممارسة الديمقراطية.

كان ابو جهاد اخا للجميع، ويجب ان يبقى كذلك وهو رمز، لان «الاخوية» لم تكن بالنسبة له مجرد لقب للعلاكة ولا ترفا فكريا زائدا للاستهلاك المحلي. «الاخوية» عند ابو جهاد هي منهج لتنظيم علاقة متوازنة بين الجميع لا بابوية ولا وصاية فيها، وابو جهاد الاخ حيا هو الاخ ابو جهاد الرمز.

من هنا تبدو خطورة المنحى الذي يعمل لتحويل ابو جهاد الى اسطورة، لان الاسطورة هي عمل مفارق للطبيعة البشرية، معلق فوقها، ومحوم بعيدا عن واقعها.

وابو جهاد رغم مشهد استشهاده التراجيدي ليس له ان يكون «نبيا» علينا او اسطورة فينا، الجماهير تريده كما كان حاضرا معها في الشوارع والازقة في الكروم والبيارات، في زنازين السجن والمعتقل، في الكمين وخلف المتراس، في المدرسة والجامعة، في المنشور السري وفي الصحف والجرائد، في الخلية السرية، وفي العمل الجماهيري العلني، في انكار ذاته، وفي ثباته في المبادىء الكبرى وفي مرونته العالية في التكتيك، في حياته الخاصة فوق المثالب والشبهات، وفي تفانيه المطلق للشعب والثورة.

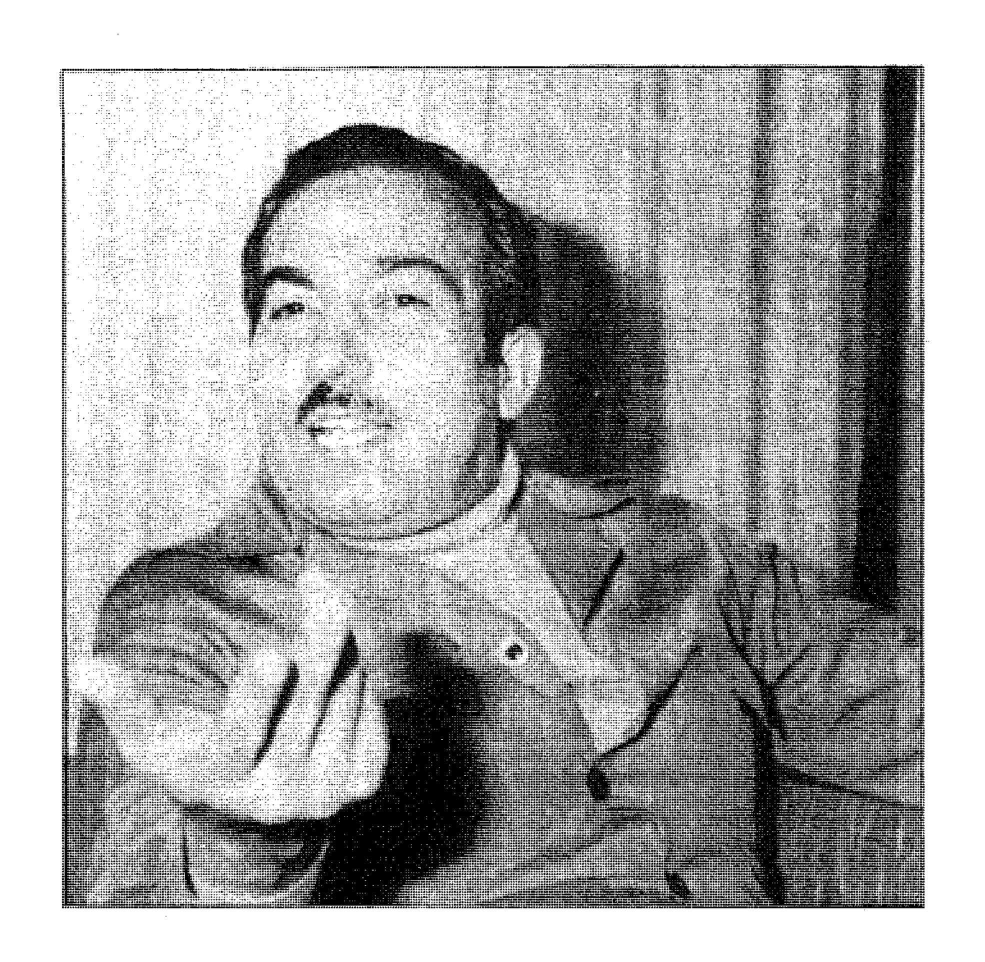
الجماهير تريد ابو جهاد معها حيا على الارض، وليس اسطورة معلقة في السماء، لان وجوده على الارض هو الذي يسمح للاجيال المتعاقبة بدراسته، وبنقده وتحليله ودرسه، بالاضافة اليه وبتطويره.

ابو جهاد في النهاية ليس اسما ولا صورة، وليس نبيا ولا اسطورة، ابو جهاد الرمز، هو منهج وخط سياسي وتجربة ثورية، وهو الان اكثر من اي وقت مضى ملك مشاعي خالص للجماهير.

والجماهير ليست ابدا مثل «ساترون» التي يقال انها تلتهم ابناءها.

لابو جهاد ولكل الشهداء البهاء والمجد.
وللشعب وحده الخلود.
وللثورة النصر.

د. سمير يوسف
القاهرة: ١٩٨٩



الفصل الأول

تحريات خاصة عن أسباب جريمة العصر

١ تحريات خاصة عن أسباب جريمة العصر

بعد انقضاء ثلاثة اشهر كاملة على جريمة العصر، اغتيال القائد الفلسطيني الكبير خليل الوزير ، ابو جهاد، يبدو ان التحقيقات التي اجرتها الهيئات المعنية لم تسفر عن شيء يذكر، او انها ارتطمت بنهايات الطرق المسدودة التي لا يُسمح عادة في قضايا الاغتيال السياسي باجتياز حدودها. وهكذا بدا وكأن التحقيق قد اغلق نهائيا، او ارجأ الى اجل غير مسمى، بعد ان عجز عن حل كثير من الالغاز التي احاطت بعملية اغتيال «ابو جهاد» في منزله في ضاحية «سيدي ابو سعيد» في تونس ليلة ١٦/ ٤/ ١٩٨٨.

والحقيقة ان التحقيق في هذه القضية بالذات لا يمكن له ان يُغلق، بل انه على الأرجح سيبقى مفتوحا كالجرح النازف في الصدور الى ان يعاقب القتلة على جريمتهم.. او تعاقب بعض الأنفس على التقصير. واذا كان من الصعب الاختيار بين واحد من هذين الاحتمالين، فان الاصعب منهما معا هو ان يجرؤ احد على متابعة التحقيق نفسه في هذه القضية الخطيرة والشائكة، نظرا لطابعها السياسي المعقد، وفي ظروف تكاد تجمع فيها اطراف عديدة على ضرورة اغلاق ملفات هذا التحقيق.. وليس اعادة فتحها. ويزداد الأمر صعوبة نظرا للتشابك والتداخل ما بين الجانب الأمني والجانب السياسي لقضية اغتيال القائد «ابو جهاد»، واستحالة الفصل ما بين الجانبين في أي محاولة جديدة للتوصل الى نتائج، او على الاقل لابقاء التحقيق حيا.. ومفتوحا.

● كان لا بد في البداية من التقاط خيط بارز من بين عشرات الخيوط التي نسجت شبكة عنكبوتية معقدة من الالغاز والطلاسم.

لم يكن الأمر سهلا في بدايته لأن اطرافا كثيرة عملت على الفور على بث موجات متتابعة من الاشاعات المثيرة لتعويم المعلومات القليلة الصحيحة في محيط متلاطم من

الاشاعات المغرضة، وبالتالي اغراق هذه المعلومات في القاع السحيق لهذا المحيط الذي لا تطفو على سطحه سوى الاشاعات المثيرة.. والمغرية بالتتبع. كان علينا ان نبتلع الطعم كالاسماك الصغيرة قليلة الخبرة، ونحن نهم بالتقاط الخيط الذي يبدأ طرفه باكثر الاشاعات اثارة وتشويقا.

فبعد ساعات قليلة فقط من استشهاد القائد الفلسطيني الكبير «ابو جهاد»، انتشرت فجأة اشاعة قوية عن فتاة حسناء قيل انها شاركت مع مجموعة الكوماندس الاسرائيلي في جريمة الاغتيال.

كان لهذه الاشاعة المثيرة قوة جارفة حتى ان احدا لم يعد يسأل عن اصل الاشاعة وصحتها، بل ان الكثيرين بدأوا على الفور في الادلاء «بمعلومات» مجانية وتفصيلات مذهلة عن الفتاة وملامحها وأوصافها وصفاتها ولون ملابسها، ونبرات صوتها، ولهجتها في الحديث.. وتفاصيل اخرى دقيقة ومدهشة. ورغم الاسهاب في هذه التفاصيل فان احدا من كل الذين تحدثوا عن الفتاة لم يتعرف على اسمها، وأفاضت الاشاعة في ذكر كل شيء تقريبا عن الفتاة لكنها سكتت عن ذكر اسمها، فهل كان اسم الفتاة «ديمونا».. ام ان لها اسما آخر او اسماء أخرى؟

الاشاعة التي نتتبعها قالت في البداية: ان الفتاة كانت معروفة جيدا «لابو جهاد»!!

● و«أكد» آخرون ان هذه الفتاة دخلت الى منزل «ابو جهاد» من قبل بدعوى انها صحفية او انها مراسلة لشبكة تليفزيونية اجنبية، لكن احدا مع ذلك لم يذكر اسمها.

● وفي تطور لاحق زاد اللغز تعقيدا عندما اعطى البعض «معلومات» أخرى عن علاقة الفتاة نفسها «بمصطفى» احد مرافقي الشهيد القائد «ابو جهاد» الذي جرى اغتياله على عتبة باب المنزل الخارجي قبل ان تقتحمه مجموعة الموساد الاسرائيلي ليلة الجريمة المروعة.

● «وقيل» ايامها ان الفتاة بلجيكية الجنسية، او انها ادعت ذلك للتمويه على اصلها الاسرائيلي، وانها كانت تقيم في تونس منذ فترة، وانها تمتلك سيارة حديثة تبرع البعض باعطاء اوصافها.. و«قيل» ايضا ان هذه الفتاة قد ذابت او تبخرت وأنها اختفت تماما غداة عملية الاغتيال.

لكن لغز الحسناء القاتلة اخذ منحى جديدا عندما سربت اجهزة «الموساد» الاسرائيلي معلومات صحفية عن حسناء أخرى، وقاتلة ايضا كانت قد شاركت في عملية فردان عام ١٩٧٢ التي نفذتها مجموعة للموساد في بيروت وقتها وجرى خلالها اغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة «كمال عدوان»، و«كمال ناصر»، و«ابو يوسف النجار».

«الفتاة» يهودا براك

والمفاجأة التي أعلن عنها «الموساد» في هذه المعلومات الصحفية المسربة هي ان هذه الفتاة الحسناء القاتلة لم تكن سوى الجنرال الاسرائيلي «يهودا براك» مساعد رئيس هيئة الاركان الاسرائيلي الحالي الذي كان قد تخفى ايامها في زي امرأة واخفى ملامح وجهه تحت طلاء المكياج الذي تستخدمه النساء.

وقد اجتذبت هذه المعلومات المسربة قطاعات واسعة من الجمهور، ربما من المحققين ورجال الأمن الذين يتابعون مسلسل لغز الحسناء القاتلة.

وهكذا عدّل الكثيرون رأيهم و«أكدوا» ان الفتاة الحسناء القاتلة لم تكن سوى الجنرال الاسرائيلي «يهودا براك» ولم يكن اسم الفتاة اذن هو «ديمونا» بل كان اسمها، حسب هذه الرواية هو «يهودا براك».

لكن المسلسل لم يكن قد انتهى بعد ففي فصل جديد عاد لغز الفتاة ليزداد تعقيدا، اذ انطلقت في تونس اشاعة جديدة جارفة تقول ان السلطات هناك اكتشفت ثلاث جثث لشابين وفتاة، وانهم على علاقة «مؤكدة» بعملية اغتيال القائد «ابو جهاد».

● وفي ملحق اضافي للاشاعة قيل ان الجثث لثلاثة من اليهود التونسيين، وقيل وقتها في تفسير هذا اللغز، أن مجموعة الكوماندس الاسرائيلية التي نفذت جريمة اغتيال «ابو جهاد»، كانت بعدما استعانت بالخدمات «الجليلة» للشابين والفتاة في تنفيذ الجريمة، قد قررت التخلي عن هؤلاء العملاء وتصفيتهم بما في ذلك الفتاة لاغلاق دائرة الصمت وفرض ستار كثيف من الغموض والاوهام على العملية كلها.

ورغم التفاصيل الدقيقة التي اعطاها البعض عن هذه الرواية الا أن احدا لم يذكر لا اسم الشابين ولا اسم الفتاة.

مسلسل ألغاز

●● نحن اذن امام مسلسل لا ينقطع من الألغاز المثيرة، والاثارة هنا مضاعفة لأن الأمر يتعلق بفتاة تجمع كل الاشاعات على انها حسناء:

ـ فهل كانت هذه الفتاة مجرد مجندة اسرائيلية في وحدات «الموساد» شاركت في العملية وانسحبت مع المجموعة كأي قاتل محترف؟

ـ أم أنها صحفية اجنبية عميلة لأجهزة الموساد الاسرائيلي، التي ارسلتها في مهمة سابقة لاستطلاع الهدف، وشاركت في العملية كدليل للمجموعة التي نفذت جريمة الاغتيال؟ أو ربما كانت هي تلك الفتاة البلجيكية التي قيل انها أقامت علاقة مع احد مرافقي «ابو جهاد» بهدف جمع المعلومات الدقيقة عنه من شخص قريب منه، وانها

ربما تقدمت المجموعة حتى لا تثير شكوك «مصطفى» الذي كان يحـرس البوابـة الخارجية لمنزل «ابو جهاد» في تلك الليلة المشؤومة؟

أم انه لا توجد فتاة أصلا في القصة كلها وان الجنرال «يهودا براك» هو الذي قاد الهجوم بنفسه وهو يتقمص شخصية فتاة ليضفي على العملية الهالة الاستعراضية التي تحرص اسرائيل على ابرازها في مثل هذه العمليات؟

او ربما كانت هي تلك اليهودية التونسية التي قيل ان جثتها وجدت مع رفيقيها بجوار السيارات المستأجرة والتي استخدمتها مجموعة الموساد في تنفيذ الجريمة وتركتها في الغابة التي تطل على ساحل البحر في منطقة ليست بعيدة كثيرا عن مسرح الجريمة نفسها.

الأوصاف التي اعطيت للفتاة كانت متضاربة ومثيرة هي الأخرى.

ورغم تضارب هذه الأوصاف التي قدمها كل راو من وجهة نظره «ومعلوماته» الخاصة الا أن كل الروايات كانت قد اجمعت على ان الفتاة تتمتع بقدر عال من الحسن والجمال فهي في مرة حنطية بلون الخبز، وعيناها عسليتان، وانفها ينحدر من اسفل الحاجبين في استقامة لكنه يتقوس فجأة عندما يكاد يصل الى نهايته فوق الشفة العليا المكتنزة قليلا، ولعل ابرز ما يميزها في هذه الرواية هو شعرها الأسود الفاحم المسدل على كتفيها في فوضى غجرية جامحة.

وهي في رواية اخرى شقراء، وجنتاها تميلان للاحمرار، وعيناها زرقاوان، وشعرها قصير الى ما فوق الاذن، ولونه اصفر مشرب بحمرة هي اقرب للون قشرة البرتقال اليافاوي الذي يباع في الاسواق الأوروبية وهو يحمل علامة الانتاج الاسرائيلية.. وهي في رواية ثالثة ممشوقة، بنيتها رياضية، اكتافها عريضة، قامتها طويلة، وقيل ان فمها كان رقيقا الى درجة لا تشعر فيها بوجوده اصلاً ولا بوجود انفها تحت حفرة عينيها الصقراوين اللتين يمكن تميزهما من بين الف عين وعين.

وهناك اوصاف اخرى.. وأخرى للفتاة نفسها التي تبدو وكأن لها الف وجه.. ووجه.

● هكذا اذن وجدنا انفسنا في النهاية ونحن نكاد نغرق مع الآخرين في بحـر الاشاعات المتلاطم، وها هو الخيط الذي اعتقدنا اننا التقطنا طرفه يكاد يفلت من بين ايدينا، وسط عاصفة من الشكوك وعدم اليقين من كل المعلومات التي تم بثها.. ولم يكن في مقدور احد ان ينفيها بشكل قاطع او يؤكدها بشكل حاسم.

ومع ذلك لم يكن امامنا الا أن نتابع التحري حول نفس الموضوع لأن هاجسا قويا ليس له من سند سوى الحدس وحده كان يلح على ضرورة متابعة طرف الخيط هذا.. وحتى نهايته مهما كانت العقبات والعواقب.

الرواية الحقيقية

● كيف يمكن للمرء بعد الاستماع الى كل هذه «المعلومات» المتضاربة ان يتمكن في النهاية من اقتناص الرواية الحقيقية؟ كان الأمر يشبه الى حد بعيد البحث عن ابرة صغيرة في كومة هائلة من القش والتبن، ومع ذلك تمكنا، بقدر قليل من الذكاء، وبقدر كبير من الجهود والاصرار عن اقتناص ما نعتقد انه الرواية الحقيقية. الاشخاص الذين يمكن ان يكونوا قد رأوا الفتاة بأم اعينهم كما يقال كانوا ضمن قائمة الاسماء التالية:

** «مصطفى» مرافق الشهيد القائد «ابو جهاد» الذي اغتالته مجموعة الاقتحام في اللحظة الأولى للعملية كلها، ولم يعد من الممكن سماع شهادته عن موضوع الفتاة، او اعادة استنطاقه مرة اخرى لأنه في النهاية اخذ سره معه حيث دفن في مقابر الشهداء في مخيم الرشيدية في جنوب لبنان.

** و«حبيب» البستاني التونسي، كان الضحية الثانية بعد مصطفى مباشرة، وقد وجد شهيدا في حديقة المنزل على بعد ١٥ مترا فقط من البوابة الخارجية.

** الشهيد الثالث كان «ابو سليمان» الذي اغتالته مجموعة الكوماندس في قبو المنزل، حيث كان راقدا بانتظار نوبة حراسته، واغلب الظن انه فتح عينيه لأقل من لحظة واحدة لم ير فيها ملامح القتلة الذين اطلقوا عليه الزخات الغزيرة من رصاص بنادق العوزي الاسرائيلية المزودة بكواتم للصوت رديئة الصنع، يبدو انها صناعة محلية اسرائيلية، الى درجة ان صوت الطلقات كان واضحا ويمكن تمييزه من المنازل المجاورة لمنزل الشهيد ابو جهاد.

●●●

بعد اغتيال «مصطفى» على البوابة الخارجية اندفعت واحدة من مجموعتي الاقتحام الى الباب الداخلي، ووضعت عتلة حديدية في الباب الخشبي ورفسته باقدامها الغليظة فانفتح الباب محدثا هذا الصرير المدغوم الذي تناهى صوته الى أذني القائد الفلسطيني ابو جهاد حيث كان في هذه اللحظة بالذات يجري محادثات هاتفية مع احد مكاتبه في احد العواصم الأوروبية.

كانت عقارب الساعة تشير الى الواحدة وعشر دقائق، ربما تجاوزتها بثواني قليلة كانت ثقيلة كالدهر، ومشحونة بالقلق الكامن والتوتر المكبوت.

على مكتب «ابو جهاد» كانت هناك رسالة يهم بتسطيرها للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، كان قد كتب منها اربعة وأربعين كلمة فقط احتوتها جميعا ستة اسطر

فحسب ولم يكمل «ابو جهاد» الرسالة، وكانما ليترك فيها وصيته الاخيرة: «اكملوا رسالتي من بعدي».

على الهاتف جرى الحوار التالي بين «ابو جهاد» ومحادثه على الخط الآخر في هذه العاصمة الأوروبية.

ـ «مرحبا».. قالها ابو جهاد كعادته وهو يفتتح محادثته مع الآخرين.. «أسفين على الازعاج، اتصلوا بي من روما وابلغوني ان «فايز ابو رحمة» قد اعتقل، ممكن بالله نتأكد من هذا الخبر».

ـ الساعة الآن تشير الى الواحدة وعشر دقائق يعني الثانية وعشر دقائق بعد منتصف الليل في غزة، مما كان من الصعب سؤال احد الآن عن صحة هذا الخبر.. في الصباح يمكن ان نتأكد».

هذا كل ما قاله محادث «ابو جهاد» على الخط الآخر وهنا بالذات انهى «ابو جهاد» محادثته، لم يكن مرتبكا رغم انه لحظتها كان قد سمع صوت خلع الباب، فعلى مدى ٣٥ عاما من العمل والنضال لم يشعر «ابو جهاد» احدا بالقلق او الارتباك، بل كان على العكس يضفي على الآخرين في احلك الساعات وأكثرها خطرا، هذا القدر العجيب من الطمأنينة والأمل اللتين كان يتميز بهما على الدوام.

لم يتردد «ابو جهاد» في حسم موقفه كعادته، ادرك على الفور ان الأمر جلل، فاستل مسدسه الذي كان يضعه فوق الخزانة المجاورة، ويصر على تغطيته بطاقية صغيرة بيضاء، ولم ينتظر ان تفاجئه المعركة التي سمع هديرها في انخلاع الباب، ووطأت البساطير العسكرية الغليظة لمجموعة الاغتيال وهي تنهب الدرج الداخلي للمنزل وتصعده بسرعة فائقة حيث كان ابو جهاد.

لم يتراجع ولم يختبىء بل خرج فورا للمواجهة قابضا على مسدسه ليبادر كعادته باطلاق الرصاصة الأولى على اعدائه.

كان القتلة اربعة، اطلق ابو جهاد الرصاصة الأولى فأصاب احدهم لكن سرعان ما اطلق الآخرون زخات كثيفة من الرصاص «الخاص» الذي انهمر بشكل غزير على كفه فانفجر المسدس في يمينه، ومن ثم تناوب القتلة على الضحية. اربعة وسبعون طلقة اخترقت رأسه وجسده الطاهر، ظهره كان للحائط وكأنما كان عليه وهو في لحظة استشهاده ان يلخص كل مأساة الفلسطيني المعاصر الذي يقاتل دائما وظهره للحائط.

لم يكمل «ابو جهاد» رسالته الأخيرة للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، ولم ينطق بكلمة واحدة، غير انه تمتم بالشهادة وهو يضغط بسبابته على زناد مسدسه، ولم نعرف ان كان قد لمح فتاة بين القتلة ام لا؟

لا، لم يكن هناك فتاة لا حسناء ولا ذميمة بين المجموعة التي صعدت الدرج واغتالت «ابو جهاد»، نحن نجزم بالنفي لأن الثلاثة الذين رأوا القتلة الأربعة تطابقت اقوالهم،

وأكدوا ثلاثتهم انه لم يكن هناك من امرأة بين مجموعة الاغتيال التي نفذت الجريمة.
ومع ذلك ما زلنا نصر على وجود امرأة، وربما اكثر، في العملية كلها وليس في الأمر من لغز جديد على الاطلاق.

● «ام جهاد» ـ انتصار الوزير، ابنة عم «ابو جهاد» ورفيقة عمره، واخته في نضاله وزوجته وام ابنائه الخمسة كانت قد آوت الى فراشها قبل اقل من ساعة، وفي كنفها كان «نضال» اصغر ابنائها ينام في أمان.
كانت «أم جهاد» أول من تنبه إلى حركة ابو جهاد وهو يخرج لمواجهة خصومه، ازاحها برفق الى الطرف الآخر لباب غرفتهم.
احد القتلة وضع فوهة رشاشه على رأسها، ومنعها من الحركة، ورغم الدخان الكثيف الذي ملأ هذه المساحة الصغيرة برائحة البارود النفاذ، الا أن «أم جهاد» كانت قد ميزت ملامح هذا القاتل الذي كان يضع كالآخرين كمامة صغيرة على انفه وفمه فقط، رأسه كان كبيرا، ومستديرا وشعره اشقر وملامحه اجنبية وعيناه زرقاوان. «ولم يكن هناك من امرأة» هذا ما أكدته ام جهاد بشكل قاطع.

● و«حنان» أقرب ابناء ابو جهاد الى قلبه كانت هي الأخرى نائمة في غرفتها الداخلية في الطابق نفسه، سمعت صوت ازيز الرصاص، لكنها اعتقدت ان كابوسا ما اخترق احلامها، ثم تنبهت وهرعت خارج غرفتها فاصطدمت على الفور بأحد القتلة، ربما كان قائد المجموعة، قصيرا وممتلئا اصلعا ورأسه كبير، قدرت حنان ان يكون قد تجاوز عقده الرابع، التجاعيد واضحة على طرفي عينه، يرتدي كالمجموعة نفس الزي الذي يرتديه رجال وحدة مكافحة الارهاب التونسية، يحمل في يده رشاشا عليه كاتم للصوت، ووسطه مزنر بحزام عريض مشكوك كله بطلقات الرصاص وعلى كل جانب من خصره كان هناك مسدس آخر.
بشكل غريزي سألته حنان «شوي في» ما الأمر؟ كررتها حنان فدفعها هذا المجرم باتجاه موقع المجزرة وهو يقول «روحي هناك حد امك».
لا يمكن ان يكون هذا القاتل امرأة، القتلة الثلاثة الآخرون رأتهم «حنان» من خلف الدخان الذي اطلقته حمم الرشاشات، كانوا ينسحبون لحظتها، وكان عليها هي في هذه اللحظة المستحيلة ان تُملي عيناها المتفجرتان بالحيرة والدموع من صورة ابيها وصديقها وقائدها «ابو جهاد».
لم تنته قائمة شهودنا بعد هناك فتاة اخرى ربما كانت هي مفتاح كل هذه القضية او ربما كانت أحد الغازها الجديدة.

● اسمها «راضية» تعمل كمربية للصغير «نضال» الذي تعلق بها، وتقيم مع الأسرة بصورة شبه دائمة، يعاملونها كابنة لهم، سمراء نحيفة، تميل الى القصر، أكثر ذكاء مما

يمكن ان تتوقعه ينتهي رأسها الصغير بشعر اسود معقود في ضفيرة صغيرة تتأرجح خلفها كذيل ناقة الجمل.

ـ كانت «راضية» في هذه الليلة بالذات ترقد في الغرفة المجاورة لغرفة نوم «ابو جهاد» التي تطل نافذتها على البوابة الخارجية للمنزل. غرفتها الأصلية تقع في آخر الممر وتطل على الحديقة الخلفية وعلى المنزل المجاور.

عندما سمعت راضية صوت الرصاصة الأولى التي اغتالت «مصطفى» على البوابة الخارجية تنبهت من نومها وكذا سمعت صوت الباب الخشبي وهو يُخلع وصوت اقدام القتلة وهي تصعد الدرج لم تصرخ او تستغيث، بل هبت من فراشها وفتحت باب غرفتها في حذر فارعبها ما رأت وأوصدت الباب وبقيت خلفه.

أحد القتلة من مجموعة الكوماندس دخل الى غرفة نوم «ابو جهاد» حيث كان نضال يبكي ويصرخ في لوعة، وهو لا يعي بعقله الصغير. هول ما يحدث على عتبة باب الغرفة، ربما كان قلبه قد ادرك المأساة فاطلق من صدره هذا البكاء الصارخ، وهذا الصراخ المبكي الحزين ويبدو ان صراخ نضال قد افزع القتلة فأطلق احدهم زخات عصبية من رشاشه فوق رأس الصغير ليسكته.

انسحب القتلة ولم يدخلوا غرفة «راضية»، ومن كوة نافذتها المطلة على البوابة الخارجية رأت وهي مفتوحة العينين تماما، وتحت ضوء مصباح الشارع، المفاجأة، امرأة، نعم امرأة شعرها اسود ينسدل حتى كتفها، ترتدي جاكيت صوف أحمر اللون من دون اكمام، تحته قميص اسود، فوق تنورة سوداء او كحلية، لم تعط «راضية» اوصافا لوجه الفتاة، قالت انها قصيرة بعض الشيء وأنها كانت تحمل ما يشبه الحقيبة او شيئاً آخر لم تميزه معلقاً من عنقها ومدلى على صدرها.

● نعم رأت «راضية» فتاة، بل وسمعتها ايضا وهي تقول بالفرنسية «ساييه» «ساييه»، أي «خلاص».. «خلاص» وهي تشير للمجموعة بالانسحاب.

لكن «راضية» التي يمكن ان تكون مفتاح القضية، او لغزاً جديداً لها، لم تعرف اسم الفتاة التي رأتها وسمعتها، وقالت انها لم ترها من قبل ولا تعرف ان كان اسمها «ديمونا» أو «يهودا براك»، او «عواطف علام» او «عائشة السريدي» او انها كنت تحمل اسماء أخرى.

اقوال اخرى

التحريات الخاصة لم تنته بعد، نحن نقلب الصفحة الأولى فحسب، ولدينا اقوال اخرى في التحقيق الذي يجب ان يبقى مفتوحا.. ولو كان كالجرح النازف في الصدر. نعم لدينا اقوال اخرى.. خطيرة.

هناك دبلوماسي هولندي يسكن في الفيلا الملاصقة تماما لمنزل «ابو جهاد» كان ليلة الحادثة يقيم حفلا في منزله، انفض الحفل وذهب آخر ضيوفه في حوالي الساعة الواحدة.

عندما كان يهم باغلاق انوار شرفة منزله واضواء الحديقة سمع صوت اطلاق الرصاص الغزير في منزل «ابو جهاد» ورأى المجموعة وهي تنسحب بعد الجريمة. ويقول انهم عسكريون انسحبوا بنظام كل اثنين معا وكان مع كل واحد منهم رشاش معلق على صدره، وكانت معهم حقيبة رياضية، ويقدر عددهم بثمانية ولم يقل انه شاهد فتاة بينهم، ولم يخرج لا هو ولا زوجته عندما كانت «ام جهاد» و«حنان» تستغيثان طلبا للنجدة بعد انسحاب القتلة.

المثير في الأمر ليس ما قاله الدبلوماسي الهولندي، ولكن ما سمعناه في اقوال زوجته «في شهر فبراير (شباط) أي قبل شهرين تقريبا من العملية ترددت على منزلنا فتاة حسناء بنيتها رياضية وان لم تكن طويلة، متوسطة القامة شعرها اسود تتحدث الفرنسية والانجليزية والالمانية فضلا عن العربية عمرها ما بين الثامنة عشرة والعشرين، ادعت انها ابنة الجيران، وانها تدرس بالجامعة الأمريكية في المانيا الغربية. حاولت بالحاح ان توطد علاقة من الصداقة في المرات الأربعة التي ترددت فيها على المنزل، ادعت اكثر من مرة ان هاتف منزلها كان معطلا، وأجرت مكالمة بلغة غير العربية او الانجليزية او الفرنسية، رغم انها كانت تجري حوارها عادة بالفرنسية».

ثم اختفت الفتاة الحسناء التي لم تكن ابدا ابنة «ابو جهاد».

رغم المعلومات المهمة التي بحوزة أسرة هذا الهولندي الدبلوماسي فان احدا غيرنا لم يسمع افادته ولم يحقق فيها، وها هي الخارجية الهولندية بدورها تقرر ان تسحب هذا الدبلوماسي وأسرته بالطبع ليأخذ كل اسراره معه بعيدا الى حيث سيذهب.

نعم لدينا اقوال أخرى، هناك ثلاثة آخرون من جيران «ابو جهاد» أكدوا ان هناك فتاة كانت قد ترددت قبل شهرين من حادثة الاغتيال على منازلهم، وطلبت استخدام الهاتف بدعوى ان هاتف منزلها كان معطلا، وادعت ايضا انها ابنة «ابو جهاد» او تعمل في منزله.

ولم تكن حنان ولا أي فتاة اخرى من منزل «ابو جهاد» قد فعلت ذلك في أي وقت سابق.

نعم لدينا اقوال اخرى.. واسئلة اخرى.

● ما الذي اسكن كل هذه الطمأنينة في قلب «ابو جهاد» وجعلته لا يأخذ الحد الأدنى من الاحتياطات الأمنية، رغم سيل المعلومات والانذارات التي لم تنقطع والتي كانت تؤكد جميعها أن المستهدف هو «ابو جهاد» نفسه؟

● ما الذي أجل سفر «ابو جهاد» من تونس لثلاث مرات متتالية، وعندما قرر السفر اخيرا جرى اغتياله ليلة سفره؟

● من الذي قطع التيار الكهربائي عن منزل ابو جهاد الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليلة التي سبقت عملية الاغتيال، وهل كانت العملية ستتم ليلة ١٥ / ٤، وليس ١٦ / ٤ كما حدث، ولماذا تأجلت، وما الذي جعل ابو جهاد يقول لحظة انقطاع التيار الكهربائي «انه «Test» انه اختبار».

● من الذي اتصل بأبو جهاد من روما في هذه الساعة المتأخرة من الليل ليبلغه بمعلومة ملفقة عن اعتقال «فايز ابو رحمة»، وهل كان الاتصال للتأكد من وجوده في المنزل قبل اقتحامه؟

● لماذا أصرت مجموعة الكوماندس الاسرائيلية على تحطيم آلة الهاتف الموجودة في الطابق السفلي من المنزل، وأخذ الجزء الصغير الذي يعمل كذاكرة تخزن فيها عادة ارقام الهواتف التي يستخدمها صاحب الجهاز؟

هل كان الهدف هو الحصول على هذا الجزء من الهاتف الذي لا قيمة سرية له، أو ان الهدف كان اكبر من ذلك، وهو استرجاع جزء آخر تم زرعه في الجهاز ويسميه رجال الامن والاستخبارات «باج» ويستخدم للتنصت على المكالمات الهاتفية ونقلها.

● هكذا اذن الاسئلة تفتح على اسئلة أخرى والاجابات تقود الى اجابات، والتحقيق يجب ان يظل مفتوحا حتى نجد لكل سؤال جوابا ولكل لغز حلا، ولكل جريمة عقابا وقصاصا.

● ● ●

ها هو اخيرا لغز الفتاة الذي التقطناه في اول التحريات يكاد يفلت من ايادينا ويصل بنا الى عقدة كبيرة بدون حل.

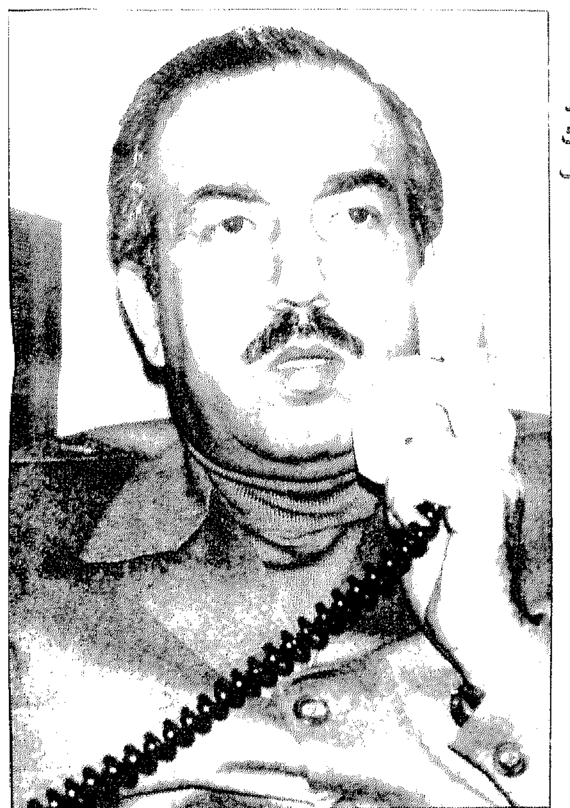
إذ لم يعد الأمر مقتصرا على فتاة واحدة، هناك اكثر من فتاة شاركن في العملية بمراحلها المختلفة.

بعض الأوصاف توافرت عن كل فتاة، لكن الاسماء بقيت حتى الآن سرا مجهولا، وحتى الفتاة التي استأجرت سيارة «الميكروباص» التي استخدمتها المجموعة، في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ١٤/ ٤/ ١٩٨٨ من مكتب وكالة خاص لكراء السيارات لم يكن اسمها ابدا «عواطف علام» كما كان ذلك مكتوبا ومسجلا في جواز السفر اللبناني الذي قدمته، والذي تبين على الفور انه كان مزورا، تماما مثل جواز سفر الفتاة الثانية التي استأجرت السيارة الأخرى من طراز «بيجو ٣٠٥» التي استخدمتها المجموعة، ولم يكن اسم هذه الفتاة ايضا «عائشة السريدي» ولم يكن

اسمها «يهودا براك» ولم يكن اسمها اخيرا «ديمونا». رغم ان كل القرائن تؤكد ان «ديمونا» هذه بالذات كانتواحد من الأسباب المهمة التي دفعت مجلس الوزراء الاسرائيلي المصغر ليأخذ قراره النهائي باغتيال «ابو جهاد» وازاحته عن المسرح السياسي للصراع في الشرق الاوسط.

لـ «ديمونا» هذه قصة اخرى، تحريات التحقيق في عملية اغتيال «ابو جهاد» ستتبعها منذ لحظة وجودها على مكتب «ابو جهاد» والى ما بعد استشهاده.



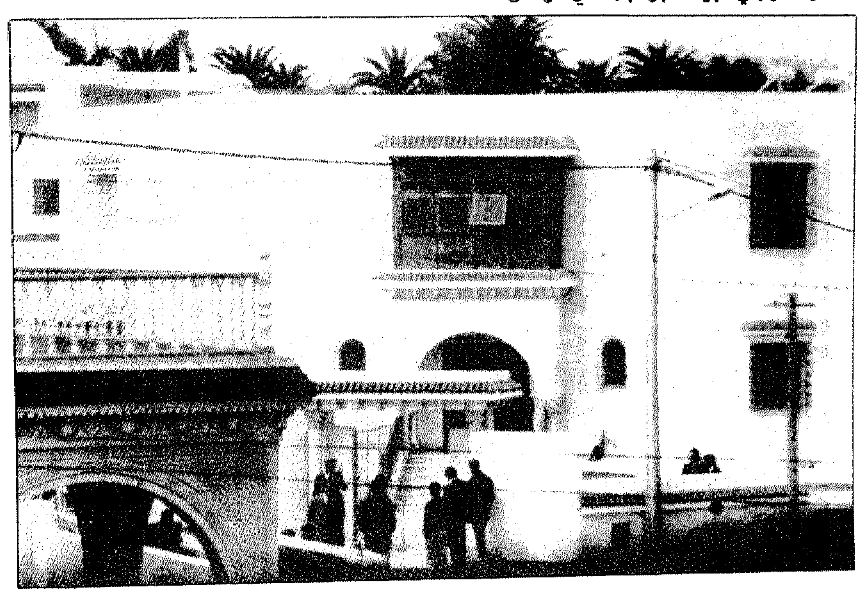


ابو جهاد
يتحدث
في الهاتف



الجنرال الصهيوني يهودا براك

منظر خارجي لبيت ابو جهاد في تونس

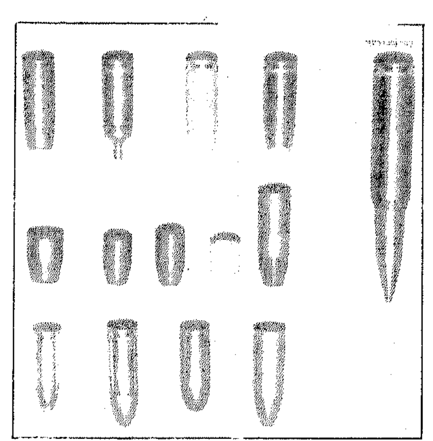




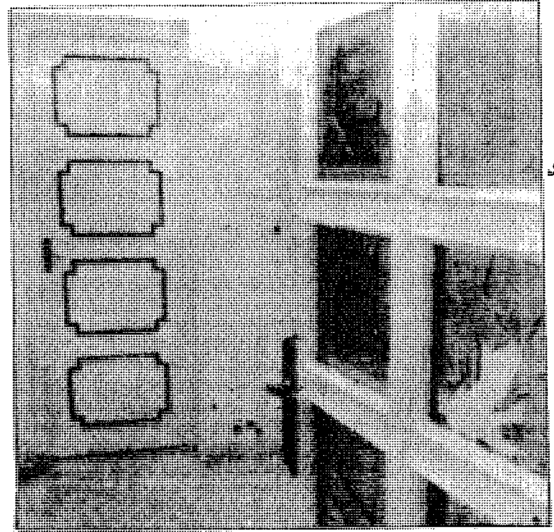
مجندات اسرائيليات في جيش العدو من مختلف صنوف الاسلحة

جندي من مجموعة الموساد
من وحدة SAYRET MATKAL
التي يعتقد انها شاركت في تنفيذ
جريمة اغتيال ابو جهاد





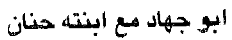
نماذج من طلقات الرصاص الخاص
Sub-Sonic الذي استخدمته قوات الموساد
الاسرائيلية في عملية اغتيال ابو جهاد وهي
ذات رأس خاص ازرق اللون.



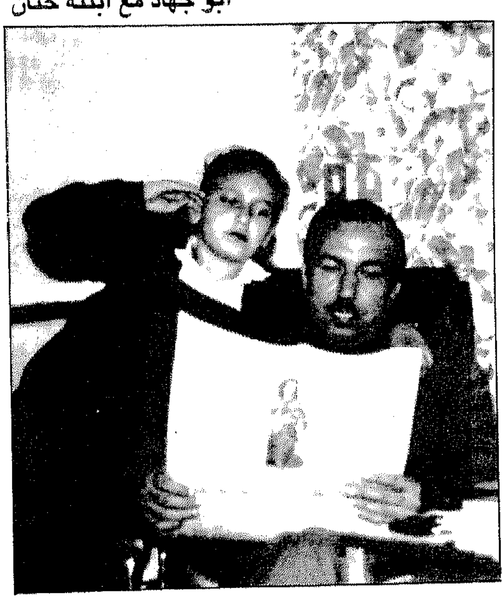
داخل البيت
حيث تم
اغتيال القائد
الشهيد ابو جهاد

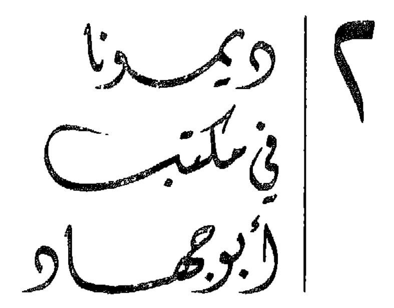
نضال اصغير
ابناء ابو جهاد،
بعد الجريمة
يلوح بشارة
النصر





ابو جهاد مع ابنته حنان





● الفتاة التي قيل انها شاركت في عملية اغتيال القائد الفلسطيني الكبير «ابو جهاد» ماتزال احد الالغاز الكبرى في هذه الجريمة المروعة. ومع ان احدا لا يملك حتى الآن اية معلومات مؤكدة عن هذه الفتاة، الا اننا منذ اللحظة الاولى التي قررنا فيها اعادة فتح ملفات التحقيق واجراء تحريات خاصة في هذه القضية الخطيرة طرحنا هذا السؤال الكبير: هل كان اسم الفتاة ديمونا؟

وبعد البحث والتحري والتدقيق ثبت لنا بشكل قاطع ان الفتاة التي شاركت في اغتيال «ابو جهاد» لم يكن اسمها «ديمونا»، ومع ذلك بقي لدينا هاجس قوي يؤكد ان لـ «ديمونا» هذه علاقة اساسية بجريمة اغتيال «ابو جهاد».

كانت هناك علاقة غريبة بين القائد الفلسطيني الكبير «ابو جهاد» وبين «ديمونا» الاسرائيلية. وحتى يوم ١٩٨٧/٣/٧ لم تكن «ديمونا» نفسها قد تعرفت على «ابو جهاد» بينما كان هو يعرفها حق المعرفة ويتابعها ويراقبها عن كثب بشكل مستمر ومتواصل، حتى انه بذل جهدا كبيرا لجمع ادق التفاصيل عنها بما في ذلك كل اخبارها.. وصورها الخاصة.

عندما ولد القائد الفلسطيني «ابو جهاد» في مدينة الرملة في ١٩٣٦/١٠/١٠ لم تكن «ديمونا» قد ولدت بعد، وكانت المعلومات التي لدى «ابو جهاد» تقول ان «ديمونا» ولدت في عام ١٩٥٣ في احدى مناطق جنوب فلسطين، في النقب على وجه التحديد، نتيجة علاقة سرية خاصة فرنسية اسرائيلية وقد اتفق الاثنان على ان يبقيا هذا الجانب الحميم من علاقتهما الخاصة سرا حتى على اقرب اصدقائهما، وهكذا لم يكشفا لأحد امر «ديمونا».

لكن بعد سبع سنوات لم يعد من الممكن الاستمرار في اخفاء هذا السر، خاصة وان كثيرين كانوا يشكون في الامر ويبحثون عن الحقيقة.

لم يكن «ابو جهاد» وحده يبحث عن سر «ديمونا» كان هناك آخرون يفتشون بدأب عن سرها. وبالفعل نجح هؤلاء في اكتشاف سر «ديمونا» قبل ابو جهاد.

سر ديمونا

● في مطلع الشهر الخامس من عام ١٩٦٠ كان العالم كله يقف على اطراف اصابعه وهو يتابع القصة المثيرة لطائرة التجسس الامريكية «يو/٢» التي اعلن الزعيم السوفياتي «خروتشوف» ان بلاده قد اسقطت واحدة منها وهي تحلق على ارتفاعات شاهقة، وتقوم بواسطة اجهزتها الدقيقة بتصوير المواقع العسكرية والحيوية في الاتحاد السوفياتي بما في ذلك المفاعلات النووية الموجودة هناك.

والحقيقة ان «خروتشوف» كان وقتها قد اعلن عن نصف الحقيقة فقط بينما احتفظ لنفسه بنصفها الاخر كمفاجأة غير سارة لامريكا التي اعتقدت ان طائرة التجسس قد تحطمت او ان طيارها المدعو «جراي باورز» قد نفذ التعليمات التي لديه بتدمير الاجهزة الالكترونية المعقدة التي تحملها الطائرة اذا حدث انها تعرضت للخطر.

انتظر «خروتشوف» عدة ايام ثم قذف بعدها بمفاجأته المدهشة، وكشف النقاب عن ان الطائرة والطيار قد وقعا معا في اسر السوفيات.

امام هذه المفاجأة لم يملك الرئيس الامريكي «ايزنهاور» ايامها سوى الاعلان عن الغاء برنامج الطيران المستقبلي لطائرة التجسس «يو/٢» فوق الاراضي السوفياتية، بينما رفض الاعتذار العلني لنظيره «خروتشوف» على هذه الحادثة.

لم تكن هذه هي القصة الاخيرة المثيرة التي كانت بطلتها طائرة التجسس الامريكية «يو/٢» ففي عام ١٩٦٠ نفسه، وبعد اقل من ستة اشهر على هذه الحادثة المثيرة عادت الطائرة «يو/٢» لتصبح محور رواية جديدة لا تقل اثارة عن الاولى، فاثناء تحليق واحدة من طائرات التجسس الامريكية من نفس الطراز «يو/٢» فوق اراضي فلسطين المحتلة اكتشفت بمحض الصدفة بواسطة اجهزتها الالكترونية وجود مفاعل نووي اسرائيلي لم يكن يعرف احد حقيقة وجوده من قبل وكان هذا المفاعل النووي هو نفسه المبنى الذي يبدو غريبا من الخارج، والذي اصرت القيادات الاسرائيلية طويلا على انه مجرد مصنع عادي للنسيج!!

مصنع ينتج قنابل ذرية

● عندما شاع خبر اكتشاف مفاعل ديمونا النووي في منطقة النقب كان على «ابو

جهاد» ايامها ان يعيد مرة اخرى قراءة المعلومات التي تجمعت لديه من طلائع تنظيمه في منطقة بئر السبع والنقب.

كان «ابو جهاد» عادة ما يكلف كل عضو جديد في التنظيم بعدة مهام بما في ذلك جمع اكبر قدر ممكن من المعلومات الدقيقة عن الاهداف الاسرائيلية في المحيط الذي يعيش فيه.

كانت المعلومات التي تجمعت لديه تقول ان مدينة صهيونية جديدة اقيمت في عام ١٩٥٥ في قضاء بئر السبع على اراضي قبيلة «العزازمة» في النقب الاوسط، وقد اطلق على هذه المدينة اسم «ديمونا» وهو اسم توراتي قديم، وان عدد سكانها لم يتجاوز في البداية ١٢٠٠ نسمة كان ٦٠ في المائة منهم من يهود شمال افريقيا، كما كان بينهم عدد من الاسر اليهودية من السود العبرانيين المهاجرين من امريكا.

لكن ما اثار فضول وارتياب واهتمام «ابو جهاد» وقتها المعلومات التي تقول ان المنطقة باسرها كانت مغلقة امنيا في وجه اي زائر غريب فلسطينيا كان ام يهوديا الى درجة ان اعضاء الكنيست (برلمان اسرائيل) لم يكن مسموحا لهم بزيارة «ديمونا» هذه.

كان «ابو جهاد» يعرف ان هذه المنطقة غنية بمناجم الفوسفات والنحاس والغاز الطبيعي، لكن ذلك كله ليس مبررا كافيا لاغلاق هذه المنطقة في وجه الجميع بما في ذلك صفوة الصفوة الاسرائيلية.

لكن بعد ان اشيعت اخبار الكشف عن مفاعل «ديمونا» النووي قرر ابو جهاد من ايامها ان يعيد ترتيب المعلومات التي بحوزته، وان يفتح لديمونا ملفا خاصا لم يفارق ابدا مكتبه.

كان «بن غوريون» حتى هذا التاريخ مايزال يصر على ان المباني التي اقيمت في ديمونا ليست الا مصنعا عاديا للنسيج. لكنه وبعد اكتشاف امر المفاعل النووي اضطر في ٢١/١٢/١٩٦٠ وللمرة الاولى للاعتراف بوجود «ديمونا»، لكنه مع ذلك زعم ان المفاعل النووي اقيم هناك فقط من اجل الاغراض السلمية.

وبمزيد من البحث والتحري اكتشف «ابو جهاد» ان فكرة انشاء مفاعل نووي في ديمونا هي فكرة قديمة كانت تلح على رأس الدكتور «حاييم وايزمان» حتى قبل اغتصاب فلسطين في عام ١٩٤٨.

كانت هذه الفكرة قد تبلورت مع الاعلان عن اكتشاف اليورانيوم بنسب صغيرة في رواسب الفوسفات الموجود بوفرة في منطقة النقب.

لكن نقطة البداية الحقيقية لمشروع «ديمونا» تحققت بسبب الاكتشاف العلمي الذي سجله عالم يهودي يدعى الدكتور «دوستروفسكي» وتوصل فيه الى عملية انتاج الماء الثقيل بطريقة جديدة ورخيصة كسرت احتكار بلاد النرويج لانتاج هذه المادة

الاستراتيجية الضرورية لصناعة القنابل الذرية.

وبسبب هذا الاكتشاف تحولت العلاقات الفرنسية ـ الاسرائيلية الى ما هو اكبر من الاعجاب واعمق من الصداقة.

وكان «شمعون بيريز» زعيم حزب العمل الحالي نفسه قد لعب في مطلع الخمسينات دورا اساسيا في عقد صفقة تاريخية مع فرنسا، حصلت بموجبها على براءة الاختراع الاسرائيلي لطريقة انتاج الماء الثقيل مقابل اتفاق سري للتعاون الفرنسي ـ الاسرائيلي في حقل الذرة، وجرى التوقيع على هذا الاتفاق الذي بقي سرا في عام ١٩٥٣. وكانت «ديمونا» هي الثمرة البكر لهذه العلاقة السرية.

كان احد قادة الثورة الجزائرية التاريخيين من اصدقاء «ابو جهاد» بوصفه خبيرا في الشؤون الفرنسية قد قال لـ «ابو جهاد»: ان المناخ السياسي في فرنسا في مطلع الخمسينات كان مهيأ تماما لاقامة هذه العلاقة الخاصة مع اسرائيل واقدامها على عقد هذه الصفقة الخطيرة، لأن اليسار الفرنسي كان ايامها معجبا بتجربة حزب العمل الاسرائيلي، بينما كان اليمين الفرنسي، الغارق حتى انفه في الحرب الجزائرية، يتطلع الى التعاون مع اسرائيل في مجال الحرب المضادة لحرب ثوار الجزائر.

ومن جهة اخرى لعبت احداث حرب ١٩٥٦، دور «القابلة» التي عجلت من جهتها بولادة «ديمونا»، لأن الموقف الامريكي والانذار السوفياتي الذي وجه ايامها لدول العدوان الثلاثي على مصر كان يعني في لغة الحرب تهديد هذه الدول بالصواريخ النووية مما ادى الى حسم رغبة فرنسا في بناء خيار نووي مستقل، ورغبة «اسرائيل» كذلك في امتلاك قدرة نووية خاصة بها.

وعلى خلفية هذه العلاقة بين الرغبتين الفرنسية، والاسرائيلية، ولدت «ديمونا» وتطورت كمفاعل نووي ذي طاقة عسكرية بعد تزويده سرا بجهاز معقد لفصل «البلوتونيوم» الخام الخاص بصناعة القنابل الذرية.

وهكذا اصبح بامكان «مصنع النسيج» ان ينتج قنابل ذرية.

يهود العالم
في خدمة ديمونا

لكن «ديمونا» مرت بمرحلة دقيقة وخطيرة في مستهل حياتها كادت تودي بمستقبلها كله، اذ عندما اكتشفت الولايات المتحدة سرها عام ١٩٦٠، اضطرت فرنسا في عهد رئاسة الجنرال «ديغول» لوقف المساعدات الفرنسية للمشروع الذي كاد ان يفشل في انجاز المهمات الخطيرة التي اقيم من اجلها.

لكن الحركة الصهيونية العالمية تداركت الامر بسرعة، واستنفرت كل يهود العالم

ودعت الى تجنيدهم لانقاذ «ديمونا» والاصرار على انجاح خطة تحويل المفاعل النووي هناك ليعمل بالفعل على انتاج القنابل النووية.

وبالفعل تم تحشيد كل القوى اليهودية في العالم لخدمة «ديمونا»، وقد نجحت الضغوطات الصهيونية في كسر قرار الجنرال «ديغول» والتحايل عليه عندما تمكنت اولا من منع سحب مئات من الخبراء الفرنسيين الذين واصلوا العمل في «ديمونا» كما نجحت ثانيا في تجنيد عدد من الشركات الفرنسية المتخصصة لاقامة جهاز فصل البلوتونيوم الخاص لانتاج الاغراض العسكرية، ونجحت ثالثا في الحصول من فرنسا على صواريخ ارض ـ ارض بعيدة المدى من طراز (م.د. ٦٦٠) التي كانت تنتجها شركة مارسيل داسو، والتي طورتها اسرائيل فيما بعد لتصبح اليوم الصواريخ المعروفة باسم «اريحا».

وفي خارج فرنسا نجحت الحركة الصهيونية في تجنيد شبكة كبيرة من يهود العالم جلبت بواسطتها كميات كبيرة من اليورانيوم الى «ديمونا»، منها على سبيل المثال عملية تهريب ٢٠٠ طن من اليورانيوم من اوروبا، وعملية تهريب ١٠٠ طن اخرى من مادة اليورانيوم المكثف من داخل الولايات المتحدة الامريكية نفسها ونقلها الى «ديمونا»، على الرغم من المعارضة الرسمية الامريكية للمشروع النووي الاسرائيلي.

وفي نفس الفترة نجحت الحركة الصهيونية العالمية في الحصول على ٢١ طنا من الماء الثقيل الضروري لانتاج الوقود النووي من النرويج، وقد كشف النقاب فيما بعد عن تزويد الولايات المتحدة نفسها لمفاعل «ديمونا» بالماء الثقيل، في نفس الفترة التي اثيرت فيها الضجة حول «ديمونا» وطالبت فيها امريكا بالتفتيش على المفاعل، وقرر ديغول وقف المساعدات الفرنسية له.

وحتى يتم تحويل انظار العالم عما يجري في اقبية «ديمونا»، حركت ماكينة الدعاية الصهيونية اداتها وافتعلت ضجة اعلامية صاخبة حول ما اسمته ايامها بالخطر الداهم من بناء مفاعل نووي مصري وخطر جلب مصر لعلماء من المانيا يعملون في مشروع لتطوير صواريخ ارض ـ ارض.

وبفضل كل هذه الجهود تمكنت «ديمونا» من تجاوز مرحلة الخطر، واكتمل تماما انجاز العمل في المفاعل النووي عام ١٩٦٣، ومن ثم بدأت حملة جديدة لتسريب التقارير الموجهة عن نجاح «ديمونا» في انتاج القنبلة النووية عام ١٩٦٦ في هذه المرحلة بالذات كان الصراع العربي ـ الاسرائيلي قد بدأ يأخذ منعرجا جديدا

الرصاصة الاولى..
والقنبلة الاولى

في عام ١٩٦٥ عندما كان «ابو جهاد» منهمكا بكل حواسه وقواه في الاعداد المكثف

لاطلاق الرصاصة الاولى للثورة الفلسطينية سأله احد اخوانه من تشكيل اللجنة المركزية الاولى لحركة «فتح» ممن كانوا يعارضون البدء بالكفاح المسلح في هذه المرحلة.

«ماذا ستفعل رصاصاتك هذه يا «ابو جهاد» في مواجهة الجيش الاسرائيلي وما يقال عن نجاحه في انتاج قنبلة ذرية؟».

كان السؤال قاسيا وجارحا ومحرجا ومع ذلك اجاب «ابو جهاد» بحماسته وتفاؤله المعهودين، لأن العدو يملك كل هذا الجيش ياأخي، ولأنه ربما نجح في صنع قنبلته النووية الاولى في «ديمونا» فاننا لا نملك الا ان نواجهه برصاصاتنا هذه الصغيرة.. وارادتنا الكبيرة».

كان مشروع «ديمونا» يكبر، ويكبر ملفه ايضا على مكتب «ابو جهاد».

● في ٥ يوليو (تموز) ١٩٦٦ صرح شمعون بيريز في الكنيست الاسرائيلي قائلا. «انني اعرف ان العرب يشكون فينا، واعرف ان هذا الشك هو قوة رادعة فلماذا ينبغي لنا تبديد تلك الشكوك ولماذا يجب حل رموزها».

● وفي ملف «ديمونا» ايضا خبر يقول «ان وفدا امريكا زار ديمونا في عام ١٩٦٦ ونشر تقريرا يقول ان الوفد لم يعثر في المفاعل النووي على المعمل الخاص بفصل البلوتونيوم».

بينما كانت هناك تقارير اخرى تؤكد ان اسرائيل نجحت في التمويه على هذا الوفد، واخفاء حقيقة توصلها، بمساعدة فرنسية، لاقامة هذا الجهاز الخطير.

●●●

كان ملف «ديمونا» على مكتب «ابو جهاد» يتضمن اوراقا مثيرة عن فترة عام ١٩٦٧.

قبل الحرب كان الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر قد هدد بان مصر قد تقدم على شن حرب وقائية ضد اسرائيل اذا ما ثبت ان «ديمونا» ستتحول لانتاج القنابل النووية.

وفي عشية هزيمة ١٩٦٧ العسكرية انطلقت من مصر اشاعة قوية تقول ان ضابطا مصريا كبيرا حاصر بقواته مفاعل «ديمونا» في النقب، وان القوات الاسرائيلية غير قادرة على تصفيته او التعامل معه لأنه سلط فوهات مدافعه على مفاعل «ديمونا»!!

● بحث «ابو جهاد» طويلا عن صحة هذه الاشاعة ومصدرها.

وبعد البحث والتقصي الطويل ثبت بشكل قاطع ان القوات المصرية لم تخترق الحدود الدولية في اي قاطع من قواطع العمليات العسكرية، وهي بالتالي لم تصل لا الى «ديمونا» ولا لغيرها، ومع ذلك اكتشف «ابو جهاد» ان احدى الخطط الهجومية التي

كانت معدة قبل حرب ١٩٦٧، كان هدفها يفترض ان يكون عزل منطقة النقب الجنوبي وميناء ايلات وكان «فجر» هو الاسم الرمزي الذي اطلق على هذه الخطة.

وكانت مصر قد حشدت قوات كبيرة لتنفيذ هذه الخطة قوامها فرقة مشاة، ولواء مشاة اخر مستقل، ولواء مدفعية، ولواء مدرع، ولواء مدفعية ميدان، وكتيبة هاون، وكتيبة مضادة للطائرات، وكتيبة مضادة للدبابات، وسرية مهندسين، وسرب من قاذفات اللهب، وسرية كيمائية، وقوات جوية مساندة تقدر بقوة ٩ طلعات سرب مقاتل قاذف، وطلعة سرب قاذف خفيف يوميا وتستمر لمدة ٣ ايام.

ولم تنس الخطة «فجر» القوات البحرية التي كان يفترض ان تقوم بقصف ساحل ايلات بلنشات الصواريخ وتدمير مدفعية العدو الساحلية، وقصف مستودعات الوقود ومنشآت الميناء.

● وكان «ابو جهاد» قد سجل في ملف «ديمونا» ايامها «ان خطة فجر هذه لم يكتب لها ابدا ان ترى النور، وانها بقيت كما هي مجرد حبر على ورق».

وقد تأكد «ابو جهاد» بطرقه الخاصة من انه لم يأت لا في هذه الخطة ولا في اي خطة اخرى اي ذكر لموضوع «ديمونا» باعتبارها هدفا يمكن الوصول اليه او التعامل معه.

وبعد هزيمة ١٩٦٧ بعدة سنوات تأكد «ابو جهاد» ان السجلات العسكرية المصرية لحرب عام ١٩٦٧ لم يرد بها اي ذكر لمفاعل «ديمونا» النووي، وانما وردت الاشارة الى مطار «ديمونا» العسكري فقط باعتباره احد المطارات المستهدفة في النقب ويبدو ان القيادة المصرية لم تكن ايامها متأكدة مما اذا كانت المباني المقامة في «ديمونا» هي لمفاعل نووي حقيقي كما تؤكد كافة التقارير الموثوقة ام انها مجرد مصنع عادي للنسيج كما كان يزعم العجوز «بن جوريون».

●●●

في كل الاحوال فان اوضاع «ديمونا» كانت قد شهدت ازدهارا حقيقيا بعد اقل من عام من هزيمة ١٩٦٧، حيث نجحت الشبكة اليهودية العالمية في عام ١٩٦٨ في تهريب ٢٠٠ طن يورانيوم من اوروبا الى ديمونا.

وادعى ليفي اشكول رئيس الدولة الاسرائيلية انه اكتشف في عام ١٩٦٨، ان وزير دفاعه «موشي ديان» قد اصدر اوامره سرا ومن دون الرجوع اليه للبدء في فصل البلوتنيوم داخل «ديمونا» للدخول عمليا في صناعة وانتاج القنبلة النووية.

وسجل «ابو جهاد» في ملف «ديمونا» ان فريقا امريكيا متخصصا كان قد قدم شكوى خطية بعد زيارته لديمونا جاء فيها انه لا يضمن الا يكون في ديمونا عمل متعلق بالاسلحة نظرا الى القيود التي فرضها الاسرائيليون على اجراءات التفتيش هناك».

وسجل «ابو جهاد» كذلك ما قاله «رابين» من ان الرقابة الامريكية على «ديمونا» قد جرى انهاؤها منذ عام ١٩٦٩».

وفي تطور دراماتيكي تسرب في امريكا تقرير نشر بشكل علني في شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٦ وجاء فيه ان وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية تؤكد ان اسرائيل تمتلك القنابل النووية منذ عام ١٩٧٤».

ولم ينف الناطق الرسمي بلسان الاستخبارات الامريكية ما جاء في التقرير لكنه قال: «ان التقرير نفسه قد نشر عن طريق الخطأ»!!

كان ملف «ديمونا» على مكتب «ابو جهاد» مكتظا بعشرات اخرى من الاوراق والتقارير والتواريخ والاحاديث والتصريحات لكن اخطر الاوراق التي حواها هذا الملف الكبير كانت تتعلق بسؤال خطير.. وخطير جدا.

«ديمونا» واستراتيجية العرب

● اغلب التقارير الموجودة في ملف «ديمونا» تشير الى القناعة التي توصلت اليها القيادات العربية بوجود قنابل نووية في «قبو» ديمونا، ويبدو ان هذه القناعة قد اثرت على الاستراتيجية العربية في الصراع مع اسرائيل.

هذا على الاقل ما يمكن استنتاجه من عدة تقارير، كان احدها قد نقل حوارا جرى بين الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» وبين العقيد معمر القذافي في عام ١٩٦٩.

واعرب عبد الناصر في هذا الحوار عن تراجعه عن فكرة الحرب الشاملة مع اسرائيل لأنها غير ممكنة ولأنها ستؤدي حسب رأيه، الى كارثة ذرية.

وبناء عليه تبنى عبد الناصر استراتيجية حرب الاستنزاف كمرحلة اولى ينتقل بعدها الى حرب محدودة فحسب مع اسرائيل.

وكان الرئيس الراحل انور السادات قد تبنى حربا اكثر محدودية من تلك التي خطط لها عبد الناصر قبل وفاته ربما كما قال الصحفي محمد حسنين هيكل بسبب شكوكه في اي ضمانة ذرية سوفياتية يمكن ان تعمل كغطاء لحرب شاملة مع اسرائيل.

وتشير تقارير اخرى ان تأثير «ديمونا» قد امتد الى جبهات القتال نفسها في حرب عام ١٩٧٣ وتعلل بعض هذه التقارير ما حدث من توقف على الجبهة المصرية بعد العبور العظيم، بالمعلومات التي سربت عن اخراج اسرائيل لثلاثة عشرة رأسا نووية من اقبية ديمونا، وتحميلها على صواريخ بعيدة المدى كانت جاهزة للعمل فيما اذا تطور الهجوم المصري باتجاه الممرات والحدود الدولية.

وبالمقابل هناك تقارير اخرى تساءلت عن مبرر توقف الدبابات السورية المتفوقة وهي على مشارف جسر «بنات يعقوب» على رمية حجر من قلب اسرائيل ومن ثم

استدارتها فجأة وانسحابها للخلف في الوقت الذي كان فيه اللواء السابع المدرع الاسرائيلي على وشك الانهيار الكامل بعد ان بقيت لديه سبعة دبابات فقط من اصل مائة دبابة، كما اعترف بذلك «حاييم هرتزوج» الرئيس الحالي لدولة اسرائيل. فهل كان السبب في ذلك ايضا عائد للتخوف من الكارثة التي كانت نائمة في قبو «ديمونا»، وحركتها الاوضاع العسكرية الاسرائيلية المتردية على الجبهتين المصرية.. والسورية؟

وايا كانت الاجابة فانه لا يمكن بحال تجاهل تأثير ما في قبو «ديمونا» حتى ولو كان وهما كبيرا او كذبة ضخمة على ما حدث من تحول في الاتجاهات العربية بشأن استراتيجية الصراع مع اسرائيل.

قنبلة واحدة
للأمن المطلق

● اغلب التقارير الاستراتيجية الاسرائيلية في السنوات الخمس الماضية تحدثت باسهاب وصراحة عن استنفاذ اسرائيل لطاقتها القصوى في سباق التسلح من اجل الحفاظ على تفوقها الاستراتيجي، واستنتجت هذه التقارير ان الزمن يتحرك ولو نظريا لمصلحة الطرف العربي في مجال تحقيق التوازن الاستراتيجي الكمي والنوعي.

وقد وصل الامر الى حد اعلان اريل شارون عندما تقلد منصب وزير الدفاع في عام ١٩٨١ عن وقف سباق التسلح من طرف واحد، واعلن ايامها ان الجيش الاسرائيلي لن يشتري طائرة اخرى او دبابة اخرى.

لكنه مع ذلك اضاف ان الجيش الاسرائيلي يمكنه حماية الامن بشكل افضل!!

ومع تطور النقاش وتصاعده بدا ان نظرية الامن الاسرائيلي تميل اكثر فاكثر للاعتماد على القنبلة الموجودة في قبو «ديمونا»، اكثر من اعتمادها على الجيش حتى ولو امتلك التفوق النوعي عن طريق ما يسمى بـ «اسلحة ساحة القتال المستقبلية».

لكن اسرائيل مع ذلك تعمدت ان تسرب تقارير عن نوع القنبلة الموجودة في قبو «ديمونا».

فهي اولا تدعي انها ليست قنبلة واحدة من حيث العدد، والتقارير المسربة تتحدث عن عدد يتراوح بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ قنبلة نووية.

وهي ثانيا تزعم انها ليست قنبلة واحدة من حيث النوع بل هي مخزون متنوع من ثلاثة انواع: قنابل ذرية، وقنابل هيدروجينية.. واخيرا قنابل نيوترون؟!

واذا كان النقاش قد حسم لصالح امتلاك اسرائيل فعلا لقنابل ذرية وهيدروجينية، فان امتلاكها لقنابل النيوترون مايزال موضع شك كبير.

ومع ذلك هناك تقارير تؤكد «ان اسرائيل تحولت في الفترة ما بين عامي ١٩٨٠ـ

١٩٨٢ من دولة نووية صغرى الى دولة نووية كبرى بل هي الدولة النووية الكبرى السادسة في العالم».

ويضيف التقرير «ان باستطاعتها ان تنتج قنابل ذرية بل وايضا هيدروجينية وقنابل نيوترون». وهناك من يؤكد ما جاء في هذا التقرير بناء على المعلومات التي تقول ان عدد من العلماء الامريكان الذين يقومون بتطوير قنبلة النيوترون في امريكا هم من اصل يهودي، ولا يستبعد قياسا على سوابق اخرى ان تكون نتائج الابحاث التي تم التوصل اليها هناك قد وصلت في نفس الوقت الى اقبية «ديمونا».

قنابل نووية من ورق

● حتى الان لم يتبلور رد عربي واحد موحد على الخيار النووي الاسرائيلي، ومع ذلك لا يملك احد ان ينكر تزايد تأثيرات «ديمونا» على القرار العربي في الصراع مع اسرائيل حتى الان هناك خمسة توجهات عربية مبعثرة، وغير مبلورة ولا يوجد اجماع عليها.

● هناك «اولا» توجه لممارسة ضغوطات دبلوماسية واعلامية وسياسية لدفع اسرائيل للتوقيع على معاهدة منع انتشار السلاح النووي، وبالتالي الموافقة على الاشراف الدولي للتفتيش على المفاعلات النووية الاسرائيلية.. وعلى ديمونا بشكل خاص.

● وهناك «ثانيا» اتجاه يدعو لاستعارة ضمان نووي من الاتحاد السوفياتي.

● وهناك «ثالثا» اتجاه يدعو لبناء خيار عربي نووي مستقل بذاته.

● وهناك «رابعا» اتجاه يدعو لاستعارة ضمان نووي من دولة اسلامية.

● وهناك اخيرا و«خامسا» من يدعو الى تطوير بدائل من الاسلحة الكيمائية والبيولوجية الرخيصة الكلفة وسهلة التجهيز والعالية التأثير حتى ان البعض اطلق عليها اسم «قنبلة الفقراء النووية».

وحده خليل الوزير الملقب بـ «أبو جهاد» كان يعتقد انه يمكن تحويل ما في قبو «ديمونا» سواء اكان قنابل نووية حقيقية اوكان مجرد اكاذيب صهيونية كبيرة الى قنبلة نووية من ورق.

كان «ابو جهاد» قد كتب في هوامش ملف «ديمونا» الموجود على مكتبه عبارات بسيطة جدا، ولكن بليغة للغاية. نعم يمكننا ان نحول ما في قبو «ديمونا» الى قنبلة نووية من ورق، اذا تمكنا من الوصول الى داخل هذا القبو قبل ان يصل اليه خصومنا، او اذا تمكنا من نقل الحرب مع اسرائيل الى قلب شوارع تل ابيب وميادين القدس، وحواري

حيفا ويافا واللد والرملة، عندئذ تصبح كل القنابل الموجودة في قبو «ديمونا» مجرد قنبلة نووية من ورق.

ديمونا والانتفاضة

بعد مخاض عسير ومؤلم وطويل اندلعت اخيرا الانتفاضة الفلسطينية، وانتقلت الحرب للمرة الاولى في كل تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي الى ارض العدو، وقررت الجماهير الفلسطينية منذ البداية ان تستخدم اسلحتها البدائية البسيطة في المواجهة والمقاومة اليومية مع قوات جيش الاحتلال الاسرائيلي.

كان استمرار الانتفاضة يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر يؤدي الى تصعيد المواجهة اليومية، ومضاعفة اعداد الشهداء والجرحى والمعتقلين، ومع ذلك لم تلق الجماهير الفلسطينية سلاحها البسيط.. ولم تغيره.

لأن الحجارة على صغرها تمكنت من كسب قطاعات كبيرة جدا من الرأي العام العالمي، ولأنها كانت قادرة حتى الآن على تحييد القسم الاكبر من جسم الالة العسكرية الاسرائيلية الضخمة، بما في ذلك ترسانتها النووية التي اصبحت «ديمونا» رمزا وعنوانا بارزا لها.

ورغم هذه النجاحات البارزة الا ان «ابو جهاد» كان مشغولا بالبحث عن صياغة جديدة لنظرية فلسطينية متلائمة مع تطورات الوضع في الانتفاضة. وكان قبل استشهاده قد اهتدى الى صياغة اولية لنظرية استخدام السلاح في الانتفاضة.

● هذه الصياغة كانت تعتمد على استخدام ثلاثة اشكال من المقاومة: الشكل الاول هو توسيع دائرة المقاومة الشعبية العفوية التي يستخدم فيها المواطنون كل ما يقع تحت ايديهم من وسائل تصلح للمقاومة من حجارة وزجاجات فارغة وزجاجات مولوتوف، وزيوت وشحوم، وكرات حديدية، ومسامير مثلثة، ومقاليع وسهام وسكاكين ومدى وخناجر.

● اما الشكل الثاني فانه يعتمد على المفارز المتقدمة من الشبان الاكثر جرأة وبسالة، والاقدر على المواجهة والتضحية. هؤلاء الذين شكلوا ما يسمى الآن بالقوات الضاربة للانتفاضة، وكان «ابو جهاد» يعول عليهم كثيرا في تشكيل نواة الجسم العسكري الذاتي للانتفاضة الذي يكتسب علومه ومعارفه الحربية في اتون المواجهة اليومية مع جيش الاحتلال الاسرائيلي.

● اما الشكل الثالث فكان يعتمد على تطوير الدوريات الفدائية لتعمل ضد الاهداف العسكرية الاسرائيلية التي تقع جغرافيا خارج مناطق الانتفاضة وتكون اهدافها عسكرية نوعية منتخبة ومنتقاة وتسعى الى تحطيم معنويات العدو وكسر جبروته

وضعضعة كبريانه وبالمقابل تعمل على تعزيز قدرات الصمود والمواجهة والاستمرار للانتفاضة نفسها.

وعندما استقر رأي «ابو جهاد» على هذه الصيغة بدأ على الفور في اعتمادها وتعميمها. كانت الانتفاضة ايامها تكاد تختتم شهرها الثاني.

ومن بين قائمة طويلة من الاهداف، ومن بين الفي ملف يحتويها ارشيف معلومات «ابو جهاد» التقط «ملف ديمونا» ووضعه امامه على مكتبه.

ومن بين عشرات الفدائيين والشبيبة والكوادر الذين يعملون معه، انتقى «ابو جهاد» «شرف الطيبي» ليعهد اليه بملف «ديمونا» .. ويكلفه بمهمتها.



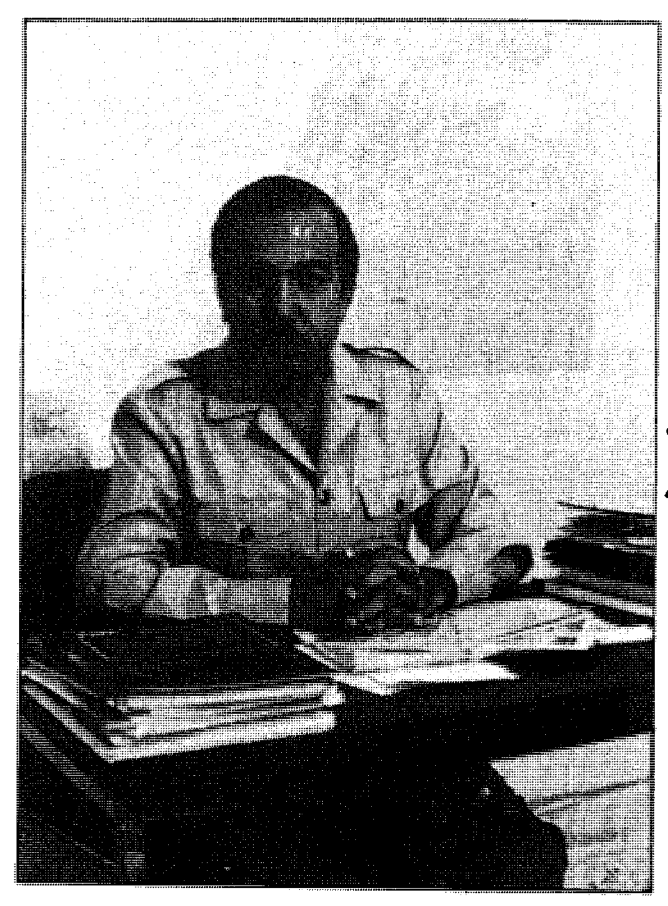
عندما سلم «ابو جهاد» ديمونا لـ «شر ف الطيبي» كان يعني ذلك ان «ديمونا» تحولت من ملف الى هدف، ومن معلومات وبيانات نظرية للاطلاع والقراءة الى خطة عملية عسكرية جاهزة للتطبيق والتنفيذ.

ان قرار «ابو جهاد» خطير للغاية فـ «ديمونا» ليست مجرد هدف عسكري، ولا هي مجرد مفاعل نووي، بقدر ما هي سر اسرار الدولة العبرية، وخطها الاحمر، ورمز حصنها الحصين الذي لم يخترق من قبل، والدرة التي يزهو بها تاج مملكة صهيون الجديدة.

.. ديمونا هي ذلك كله واكثر لهذا كان قرار ابو جهاد خطيرا للغاية وصعبا الى حد الاستحالة، لأنه لم يكن مسموحا حتى للعصافير باختراق هواء «ديمونا» المحروسة بشبكات الانذار الالكترونية ومنصات صواريخ «هوك» المعدلة، ورجال الامن والمخابرات المنثورين كالرمل حولها، والمزروعين خارجها وفي ارجائها.

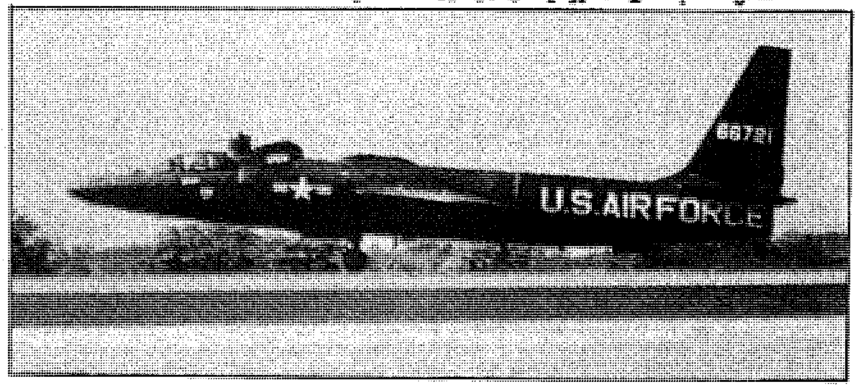
.. كان قرار «ابو جهاد» خطيرا للغاية صعبا الى حدود الاستحالة لكن «شرف الطيبي» ورجاله الثلاثة كانوا في النهاية.. لها.

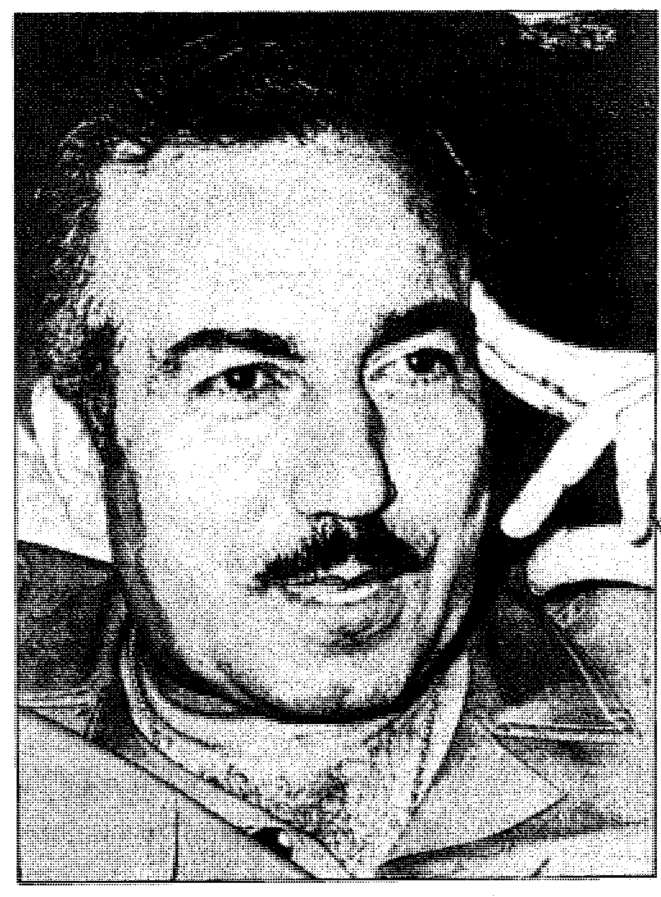




ابو جهاد
في مكتبه
مع ملفاته
واوراقه

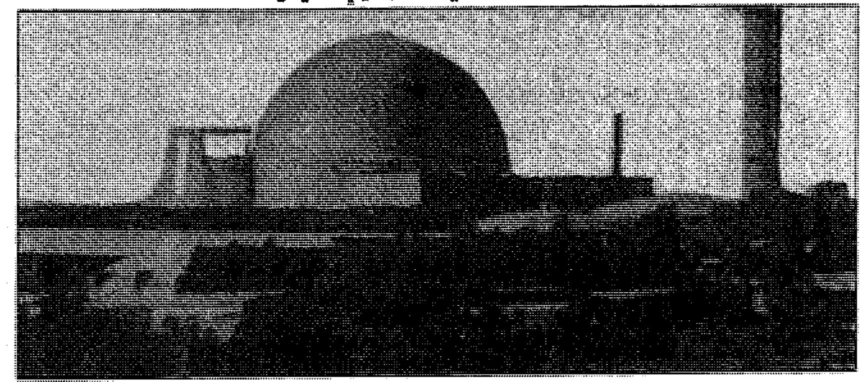
طائرة التجسس الامريكية لوكهيد يو ـ ٢ التي اكتشفت مفاعل ديمونا النووي

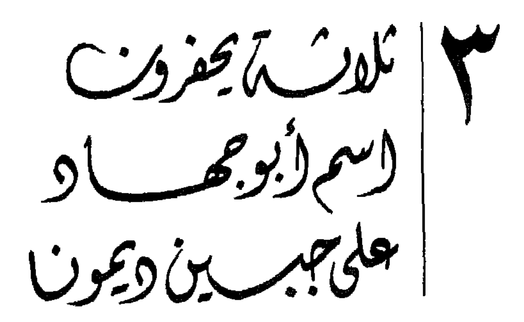




ابو جهاد والتفكير في الرد الاستراتيجي على ديمونا

مباني المفاعل النووي الاسرائيلي ـ ديمونا





.. في يوم ١٩٨٨/٢/٨ كانت الانتفاضة تتأهب لتجاوز عتبة اليوم الستين من عمرها، شهران من الانتفاضة الفلسطينية المتواصلة، مائة وسبعة وثلاثون شهيدا، سبعة آلاف معتقل، ١٥٠٠ جريح، الحصيلة الاولى لستين يوما من الانتفاضة.

في اليوم الستين بالذات سجل تطور جديد، المستوطنون اليهود يدخلون الحرب الى جانب قوات الجيش الاسرائيلي في عمليات اقتحام المدن والمخيمات الفلسطينية في هذا اليوم سجلت محاولة اقتحام في احد عشر مخيما فسطينيا دفعة واحدة.

● كانت «ديمونا» ماتزال ترقد بين ملفات القائد الفلسطيني «ابوجهاد» لكنه قرر اخيرا، وفي هذا اليوم بالذات ان يلتقطها ليضعها امامه على مكتبه.

«ديمونا هي الهدف» قالها ابوجهاد بحزم وهو يدفع بملفها الكبير الى يدي «شرف الطيبي».

● كان «ابوجهاد» يرى في «شرف الطيبي» جوانب كثيرة من مرحلة شبابه، حماسه المتفجر، روحه العملية التي تتملكه، والصلابة التي نحتتها سنوات الاعتقال والمطاردات على ملامح وجهه.

كان «شرف» عادة ما يمشي وهو يقفز على اطراف اصابعه كراقصي البالية، وكأنه يتحفز دائما للانقضاض على شيء ما.

كانت تجتمع في «شرف» بساطة البداوة وشراسة البادية لكنه في الحقيقة كان اميل الى الشراسة منه الى الالفة والبساطة.

ها هو الآن وجها لوجه امام الهدف الكبير والمهمة الصعبة.. «شرف الطيبي» في مواجهة «ديمونا».

العصفور المغربي
الذي طار من ديمونا

كانت مهمة «شرف الطيبي» صعبة الى حد الاستحالة، ومبهمة الى حد اليأس، لم يكن هناك من ذهب من قبل الى هذه المهمة.

كانت «ديمونا» محرمة على الجميع بما في ذلك امراء الجيش الاسرائيلي، وملوك السياسة، واباطرة الحاخامية اليهودية الذين كانت تنفتح امامهم كل الابواب، الا بوابات «ديمونا» الموصدة امام كل الوجوه.

لم يكن «شرف الطيبي» معنيا كثيرا بمطالعة المعلومات العلمية التي احتواها ملف «ديمونا» ولم يكن مهتما بالفرق بين البلوتونيوم واليورانيوم، وما اذا كانت القنابل التي في قبو «ديمونا» ذرية ام هيدرجينية، وما اذا كان عددها ٢٠٠ قنبلة ام اقل او اكثر.

كان «شرف» يفتش بين مئات الاوراق عن «مفتاح» لديمونا وعن معلومات وصور وخرائط، وفجأة وقعت عيناه على قصة العصفور المغربي الذي طار من «ديمونا»، وتوسم ان تكون هذه القصة هي مفتاح مهمته فتابعها وتتبعها منذ بدايتها.

● بطل القصة شاب يهودي من اصل مغربي اسمه «مردخاي فعنونو» كان قد نزح مع اسرته من مراكش الى «ارض الميعاد»، بينما ترك خلفه السيدان «دافيد عمار»، و«روبرت اسراف» رئيس الطائفة اليهودية المغربية وسكرتيرها للاهتمام بامور هذه الطائفة.. وترتيب اوضاعها والاشتغال بامور اخرى. لم يكن «فعنونو» المغاربي الوحيد في «ديمونا» فهناك ٦٠٪ من سكان مدنة ديمونا من اصل عربي من يهود بلاد المغرب العربي الكبير.

كما لم يكن «فعنونو» هو الوحيد الذي يتحدث العربية في اقبية مفاعل ديمونا النووي، كان هناك خبراء وتقنيون يهود من اصل تونسي ومغربي وخلافه.

●●●

ويبدو ان «فعنونو» رغم حيازته للجنسية الاسرائيلية، وحصوله على امتياز العمل في مفاعل ديمونا بالذات، لم يكن قد انخرط كليا في واقعه الجديد، كانت هناك جذوة ماتزال تختبىء في جوفه وتلسعه وتكويه.

كان «فعنونو» مايزال يطرب لاغاني والحان «ناس الغيوان» ويحن لمذاق «الكسكسي» ورشفة الشاي الاخضر، وطعم التمر واللبن، ويرتاح لنسق الحياة الفضفاض مثل عباءات مراكش.

ولأنه اشتغل بعلم الذرة، وانشطارها وانفجارها، كان اكثر ميلا لدراسة المجرد، والبحث في الماهيات وفي الجدل والمطلق، فاختار الفلسفة فرعا أخر للدراسة ربما تهربا من مسؤوليته في المشاركة في صناعة قنابل الموت النووية، او تقربا من جذوره العربية التي لم تكن قد ماتت تماما بعد.

كان «فعنونو» يشعر بالغربة وسط زملائه اليهود النازحين من اوروبا، لم يكن هناك سوى القليل من القواسم المشتركة التي تجمعه بهم، لم يكن مثلهم يعاني من اي عقدة بالاضطهاد، او شعور بالتمايز العنصري، او احساس بالعظمة القومية والتفرد. لذلك كان يكثر من تردده على «بئر سبع» حيث الجامعة، والطلاب الفلسطينيون الذين زاملهم واقترب منهم وتوطدت مع عدد منهم علاقات صداقة حميمة.

في ملف «ديمونا» المفتوح امام «شرف الطيبي» على مكتب «ابو جهاد» كان هناك ما يشير الى بدايات علاقة ذات طابع سياسي بين «فعنونو» وبعض نشطاء الطلبة الفلسطينيين الوطنيين من جامعة «بئر سبع» وكان واضحا ان «ابوجهاد» معني ومهتم للغاية بتنمية هذه العلاقة وتطويرها ولكن بشكل هادىء وحذر.

كانت الامور تتطور ببطىء شديد جدا في هذا المجال وفجأة طار العصفور المغربي من قفصه الذهبي في ديمونا.

ويبدو ان الشكوك المتراكمة لدى السلطات الاسرائيلية الامنية حول اراء «فعنونو» وعلاقاته قد ادت الى اخراجه من عمله في المفاعل النووي بديمونا في نوفمبر ١٩٨٥، وانقطع الخيط مع العصفور الذي طار في هذه المرة الى أخر الدنيا، حيث اختار استراليا وطنا جديدا له.

وبعد اقل من عام واحد، وبالتحديد في ٥ اكتوبر ١٩٨٦ انفجر موضوع «فعنونو» و«ديمونا» من على صفحات جريدة «صاندي تايمز»، احتل «فعنونو» صدارة الصحف والاخبار بعدما ادلى بشهادته المثيرة عن مفاعل ديمونا، ودعم شهادته بحوالي ٦٠ صورة كان قد التقطها بشكل سري للمفاعل ولطوابقه الستة الكبرى التي تختبىء تحت الارض.

اثارت قضية «فعنونو» الكثير من الجدل حولها، خاصة بعد ان توصل عدد من كبار علماء الذرة الى ان اقوال «فعنونو» «مقنعة جدا»، والتهبت القضية عندما اقدمت اجهزة الموساد الاسرائيلية على اختطاف «فعنونو» واعادته في هذة المرة الى السجن.

كانت الآراء قد انقسمت حول «فعنونو» وقضيته، وهل ما اقدم عليه كان بملء ارادته وقناعته الذاتية ام ان ذلك املي عليه ولم يكن سوى خدعة مخابراتية محبوكة من اجهزة الامن بهدف تضخيم صورة الردع النووي الاسرائيلي في عيون العرب.

وبعيدا عن الاجتهادات والاجابات التي ستحسم قضية «فعنونو» فان الثابت لدينا ان «شرف الطيبي» تمكن من التقاط خيط مهم للغاية عندما قرأ بطريقته الخاصة، وبعينيه الخبيرتين ما بين سطور رواية العصفور المغربي الذي طار من قفصه الذهبي في ديمونا واعيد بعدها الى قفص السجن.. والاتهام.

عندما كان «شرف الطيبي» يسجل المعلومات التي انتقاها بدقة في ملف «ديمونا» التمعت فجأة في ذهنه فكرة وارتسمت في مخيلته صورة.

● الخيط الذي التقطناه من العصفور المغربي لا يمكن لاحد ان يتابعه سوى «حمد»، نعم «حمد العزازمة» هذا البدوي الاسمر النحيف اليابس فارع الطول ذو الصوت الاجش، الذي كان يفاخر الجميع باصله البدوي العربي وبسرعته الفائقة في المشي والعدو.

ولد «حمد» في قرية صغيرة اسمها «كرنب» في مضارب قبيلة العزازمة في النقب، وفي عام ١٩٥٥ اضطر للنزوح مع اسرته من «كرنب» بعدما اجتاحتها الجرافات الاسرائيلية الضخمة ودهمت كل شيء في طريقها وهي تمهد الارض والتلال لاقامة مدينة ديمونا ارتحل «حمد» مع اسرته الى «بئر السبع» حيث نال هناك قسطا يسيرا من التعليم ثم هجره. تعرف «حمد الى «شرف الطيبي» مصادفة في قطاع غزة.

ومن ثم توطدت بينهما اواصر صداقة حميمة، في ليالي الصيف عادة ما كان يسهر «حمد» لدى صديقه «شرف» في غزة، وفجأة كان ينتصب ويضرب الارض بخيزرانته هاتفا «يا الله» وكان ذلك يعني انه قرر بشكل حاسم ان يعود ماشيا الى «بئر السبع» التى كان يصلها بعد مسير ليلة واحدة فحسب، كانت متعته الاساسية المشى ، ولا شيء آخر غيره.

كثيرا ما كانت قدماه تقودانه الى اشجار اللوز والزيتون المبعثرة في فوضى على التلال المشرفة على قريتهم القديمة حيث كانت تلتمع من هناك الاضواء الخافتة لمدينة ديمونا الحجرية.

لم يكن هناك من ينافس «حمد العزازمة» في معرفة الطرق والمسارب والاودية والمدقات والشعاب، وليس هناك بالطبع من يجاريه في المشي والهرولة والعدو.

بعد عام ١٩٦٧ انساحت جنوب فلسطين على سيناء فوسع «حمد» خارطة تحركه ومجال هوايته، واعتزل مهنة الرعي تحت اغراءات صناعة التهريب.

وفي مرة قال له «شرف الطيبي»: لكن هذا العمل «يا حمد» خطر.. وغير مشروع.

فانتصب «حمد العزازمة» مشيحا بظهره للحضور ميمما وجهه صوب الشرق، واشار بعصاه الخيزرانية باتجاه النقب، وصرخ كمن ينزف من جرح طري: «انا عملي غير مشروع؟، ومن اعطى اليهودي ابن الـ . شرعية ان يجرف بيتي ويحرمني من فيىء الزيتونة ساعة الظهيرة».

وكانت تلك فاتحة العلاقة السياسية بين «شرف الطيبي» و«حمد العزازمة».

نعم ليس هناك من هو افضل من «حمد» لمتابعة الخيط الذي التقطناه من العصفور المغربي، وبعد ايام قليلة كان الرسول قد وصل الى «حمد العزازمة» وابلغه تحيات صديقه «شرف الطيبي» واسر اليه بكلمتين فقط «الهدف ديمونا».

الطريق الى ديمونا

الطريق الى ديمونا شاق ووعر وشائك جدا وكل الذين راودتهم فكرة ارتياد هذا الطريق اما انهم احبطوا منذ البداية وتراجعوا عن مهمتهم عندما علموا بمشاق الطريق، وعرفوا اهواله ومخاطره، او انهم سقطوا في الامتار الخمسة الاولى قبل ان يجتازوا الحاجز الاول على هذا الطريق الطويل.

لذلك بقي الطريق الى ديمونا عذريا ومجهولا الى ان اتخذ قرار اكتشافه.. واقتحامه.

● كل الطرق التي تؤدي الى ديمونا وفي محيط دائرة قطرها ٥٠ كيلو توجد عليها حواجز عسكرية ثابتة ومتحركة، وكلما اقتربنا من حدود ديمونا نفسها ازدادت اجراءات الامن والحماية تحسبا من اي نوع من انواع الاختراقات المعادية. المفاعل النووي نفسه مستقل بذاته. ومحصن بنائيا بالبيتون المسلح ضد القصف الجوي، وجميع الاقسام الحيوية في المفاعل مغمورة تحت الارض ولمسافة ستة طوابق كاملة.

سماء «ديمونا» محروسة بشكل دائم بشبكة محكمة من الرادارات الحديثة والدفاعات الارضية الصاروخية والمدفعية هناك منصات صواريخ هوك المعدل، والمدافع المضادة للطائرات المقطورة طراز «بوفورز ل ـ ٧٠» عيار ٤٠ملم ومدافع الاورليكون عيار ٣٠ملم، فضلا عن اسراب الطائرات الاعتراضية الجاهزة دائما للعمل انطلاقا من مطار ديمونا المشرف على المفاعل، بالاضافة الى الحماية الجوية التي يمكن ان تتدخل بسرعة لحسم اي معركة انطلاقا من المطارات الثلاثة الاحدث التي بنتها الولايات المتحدة لاسرائيل في صحراء النقب تعويضا لها عن الانسحاب من سيناء، واخلاء المستوطنات الصهيونية منها.

كما ان «ديمونا» تدخل ضمن النقاط الاكثر حيوية التي تتوفر لها امكانيات الانذار المبكر بعيد المدى بواسطة الطائرة الرادارية المحلقة من طراز «اي ـ ٢ هوكاي» التي تطير في السماء لمدة اربعة ساعات كاملة، ويصل مدى كشف راداراها الى حوالي ٣٦٠كلم في مختلف الاتجاهات، وعلى كل الارتفاعات.

هذا في السماء اما في الارض فهناك نظام آخر من شبكات الحواجز الالكترونية

المعقدة والحساسة، وهذه الشبكات تضم منظومة من الرادرات التي تكشف حركة الافراد والآليات، وهي موزعة على نقاط ثابتة واخرى متحركة لتغلق كل الدائرة المحيطة بديمونا، وتكشف حركة الافراد والآليات المهاجمة.

وهناك كذلك اجهزة «الجيوفون» التي تعمل على التقاط الذبذبات الارضية الناشئة عن سير الافراد والآليات، الى جانب اجهزة «الشم» التي تسحب كمية كبيرة من الهواء الجوي المحيط بالمفاعل النووي وتقوم بتحليلها كيماويا بصورة مستمرة بهدف الكشف عن الروائح والافرازات العضوية لجسم الانسان.

ويضاف الى كل ذلك اجهزة الانذار التي تعمل بالاشعة تحت الحمراء وتلتقط التغييرات الحرارية من حول منطقة مفاعل ديمونا، الى درجة امكانية التقاط الطاقة الحرارية المنبعثة من جسم الانسان او من محركات السيارات كما يوجد حول المفاعل دائرة مغلقة من اجهزة الانذار المغناطيسية التي توضح لغرفة المراقبة المركزية في المفاعل وجود الاسلحة والمعدات المعدنية الاخرى او تنقلها. وهناك اخيرا شبكة الاسلاك الالكترونية الدقيقة جدا التي تنتجها شركة التا الاسرائيلية، والتي تقل سماكة الواحدة منها عن سماكة شعر الانسان، ويسري التيار الكهربائي فيها، ويؤدي قطع اي شعرة منها الى وقف سريان التيار الكهربائي، ودق ناقوس الخطر في اجهزة الانذار المبكر وكل هذه الشبكات المعقدة مرتبطة بغرفة مركزية للتحكم والمراقبة والتحليل والانذار.

كان هذا هو باختصار «الطريق الى ديمونا»، كان الامر اكثر تعقيدا مما تصور «شرف الطيبي»، الذي كلفه «ابوجهاد» بعملية ديمونا دون ان يعطيه لا صواريخ بعيدة المدى، ولا طائرات قاذفة، ولا اجراءات الكترونية مضادة لشبكات الدفاع الالكترونية المزروعة حول «ديمونا»، ولا شيئا آخر سوى فكرة بسيطة، وثلاثة من الفرسان الاحياء، وثلاثة آخرين.. شهداء.

فرسان ديمونا الثلاثة

● صادق «ابو جهاد» على خطة ديمونا، واعطى تعليماته الاخيرة بالتنفيذ، وبدأ «شرف الطيبي» عملية العد العكسي للانطلاق بالعملية. الخطة الاولى للعملية اجريت عليها تعديلات اساسية غيرت كثيرا من تفاصيلها، خاصة عندما عثر البدوي «حمد العزازمة» على حصان طراودة الذي سيدخل به الفرسان الثلاثة الى قلب ديمونا دون ان تكون كل الاجراءات الامنية والالكترونية الاسرائيلية قادرة على ايقاف هذا الحصان الجامح وهو يتخطى كل الحواجز في طريقه الى الهدف.. ديمونا. لم يكن هذا الحصان سوى الاتوبيس «الفولفو» الازرق اللون الذي يحمل على متنه

كل صباح الخبراء والفنيين العاملين في المفاعل في رحلتهم اليومية من «بئر السبع» الى ديمونا.

كان على ضابط امن كل اتوبيس ان يتأكد يوميا من ركابه، وكان على السائق الا يتحرك الا في مواكبة سيارة جيب عسكرية تفتح الطريق امامه، وتحمي اغلى ثروة تملكها اسرائيل بداخله.

● «حمد العزازمة» كان قد امضى اسبوعا كاملا، وهو ينتظر في كل صباح هذا الحصان الازرق الكبير، تابعه وهو يشق صحراء النقب في مواعيد ثابتة لا تتأخر ولا تتقدم لحظة وحدة حتى حفظ عن ظهر قلب كل شيء عن هذا الحصان الازرق الكبير.

كانت الخطة التي صادق عليها «ابو جهاد» بسيطة للغاية، مجموعة فدائية خاصة من ثلاثة مقاتلين، ودليل واحد خبير يقوم بتأمينهم الى اقرب نقطة يمكن منها السيطرة على اتوبيس المفاعل النووي.

كانت التعليمات صريحة بضرورة السيطرة على الاتوبيس وهو في حالة صالحة للحركة، والانطلاق به بالسرعة القصوى الى قلب ديمونا.

مباني المفاعل النووي كانت تنقسم الى قسمين القسم الاول ويضم الاقسام الفنية في المفاعل وهي تتألف من ستة طوابق مبنية تحت الارض، اما القسم الآخر فهو مكون من عدة مبان على سطح الارض وتضم مكاتب شؤون العاملين، ومطعما ومكتبة وقاعة دراسة ومحاضرات وموقفا خاصا بسيارات الاتوبيس التي يترجل منها الخبراء والفنيون كل صباح ليتجمعوا هناك بانتظار سيارات خاصة اخرى صغيرة تقود كل اربعة منهم الى داخل الاقسام الفنية الخاصة بهم، وهي تمر عادة على عدد آخر من حواجز الامن والتفتيش ويصل عددها الى ستة حواجز كان على الفدائيين الثلاثة الوصول بالاتوبيس الى منطقة موقف الاتوبيسات داخل المفاعل، حيث تبدأ هناك على الفور عملية طلب مندوبي الصليب الاحمر لتأمين الافراج عن تسعة آلاف معتقل فلسطيني، اعتقلتهم سلطات الاحتلال الاسرائيلي منذ بداية الانتفاضة.

كانت الخطة على بساطتها محفوفة بمخاطر عديدة، لكنها مع ذلك كانت الطريقة الوحيدة تقريبا لتناول «قهوة الصباح الساخنة» في قلب ديمونا دون دعوة سابقة لاشخاص ممنوعين اصلا من تخطي عتبة الوطن.

عندما كان «شرف الطيبي» يواصل عملية العد العكسي لاطلاق العملية حدثت المفاجأة الاولى التي كادت ان تلغي العملية كلها.



احد الفرسان الثلاثة الذين وقع الاختيار عليهم لتنفيذ العملية توتر فجأة،

وخذلته اعصابه، فعجز عن النوم لليال ثلاثة كاملة، فقد بعدها القدرة على التركيز والعمل، قاوم كثيرا وكابد وعاند لكن ذلك كله كان يزيده انفعالا وتوترا، وهكذا اوقف العد العكسي لمدة يومين فقط تم فيهما معالجة هذه المفاجأة، بمفاجأة اخرى.

ها هو مدرب المجموعة والمشرف عليها يتقدم كفارس عربي اصيل ليحل محل الفارس الذي ترجل، ويقود بنفسه العملية كلها.

انه (عبد الله عبد المجيد محمد كلاب) قائد مجموعة ديمونا، اسرته كانت تعيش في قرية «بشيت» قضاء الرملة بفلسطين المحتلة وبعد هزيمة ٦٧ نزح واسرته الى مخيم رفح، هو من مواليد ١٣/١٢/١٩٦٧، عايش حياة اللجوء في المخيم فتمرد عليها، وتحول بالفطرة من حامل «كارت الاعاشة» الذي ينتظر معونة الاونروا الى ثائر فلسطيني من جيل الانتفاضة.

تلقى عبد الله تعليمه حتى الثانوية العامة قسم ادبي، ورغم تفوقه الا ان ظروفه العائلية القاسية حالت بينه وبين الالتحاق بالجامعة، والده توفي وخلف لأمه «مريم» عشرة من الابناء، «قنبلة ديموغرافية متفجرة»، خمسة من الاناث، وخمسة من الذكور كان «عبد الله» الثاني بين الذكور، والسادس في الترتيب العام بين اخوته، لكنه الاول بين جميع اخوته واقرانه في الوعي والحماسة والجرأة.

لما توفي والده، تزوج اخوه الاكبر «نعيم» في سن مبكرة وانفصل عن الاسرة فخلفه «عبد الله» على الفور في تحمل مسؤوليات الاخ الاكبر ولم يكن قد جاوز بعد سن الثانية عشرة.

لا احد يمنح القائد صفاته، انها تولد معه كهبة، لكنها تكبر فيه، او تموت داخله بارادته هو.. وباختياره الحر هكذا كان «عبد الله» ولد وهو يحمل صفات القائد: شخصية قوية آسرة، محبوب لكنه مرهوب، تأمنه لكن كسيف في غمد، هو من صنف هؤلاء الذين يقولون للآخرين اتبعوني ويمضي بكل ثقة للامام.

لم يدعه احد الى الثورة، اذ لا يحتاج المرء عادة الى دعوة لدخول بيته، او فلاحة ارضه.

هذا هو «عبد الله عبد المجيد» الاسمر النحيل ذو الاكتاف العريضة وكأنها خلقت هكذا خصيصا لتحمل المسؤوليات الكبيرة التي تقدم لحملها صبيا وشابا وثائرا.

كان «عبد الله» هو الوحيد من بين المجموعة، الذي سافر الى قطر عربي، حيث التقى «شرف الطيبي»، وتلقى هناك دورة مكثفة اهلته ليكون مدربا عسكريا.

لمرة واحدة فقط التقى «ابو جهاد» فانطبعت صورته كالوشم في الذاكرة.

وعندما عاد للمخيم، كذب للمرة الاولى في حياته على «مريم» «لم اجد هناك عملا لائقا يا اماه» قالها «عبد الله»، واطرق برأسه خجلا كالعصفور الراجف المبتل، ثم

انطلق على الفور الى الارض، يفلح ويبذر ويحرث وينظم ويؤهل.. ويدرب.

من بين الحقل الواسع انتقى «عبد الله» ثلاثة من الفرسان، كانوا الاكثر اثمارا واقداما واقبالا على الموت الذي يهب للاوطان الحياة.

ولما ترجل احدهم من فرط انشداد اعصابه وتوترها لم يتوان «عبد الله» على الفور في اعتلاء صهوة المخاطرة.

اذ كيف ندعو الناس للموت حبا في الوطن، ونجفل نحن في لحظة الرحيل؟

ها هو «عبد الله» فارس «رفح» فلاح فلسطين وابن الارض الذي تمرد على المخيم يتقدم «المحمدين» اللذين احبهما، وتوأما روحه، ليغدوا الثلاثة اول الرواد الذين تطأ اقدامهم ارض «ديمونا» الحرام.

* ثاني الثلاثة هو «محمد عبد القادر محمد عيسى» من مواليد ١٩٦٦/١٠/٢٦، فلاح فلسطيني آخر ولد في قرية «حتا» بالقرب من الفالوجا التي كثيرا ما سمع من ابيه حكايات معاركها الطاحنة التي دارت رحاها بين المصريين واليهود في عام ١٩٤٧.

احب محمد «الفالوجا» التي لم يرها.. وحلم طويلا بالعودة اليها، بعد ان نزح مع اسرته الى مخيم رفح بعد هزيمة ١٩٦٧. كان لمحمد اسرة كبيرة «قنبلة ديموغرافية اخرى»: الابوان والثلاثة عشر من الابناء، سبعة من الاناث، وستة من الذكور، كان «محمد» الثاني بعد اخيه «راسم» في الذكور، والخامس في الترتيب بين جميع اخوته، تحصل على شهادة الثانوية العامة ولم تتح له فرصة اكمال تعليمه، فثمة طابور طويل من الابناء الآخرين ينبغي لهم ان يقتسموا كل شيء معا من رغيف الخبز، وحجرة النوم الى فرص التعليم.

لم يكن يميز محمد عن الآخرين الا صمته، ووجهه المكتمل الاستدارة، وشغفه البالغ بالملاحظة والتدقيق والمتابعة، كان بفطرته مشروع «رجل امن» رائعا.

كان مولعا بتعقب هؤلاء الذين زلت اقدامهم في التعامل مع قوات الاحتلال واجهزة مخابراته، في احدى المرات طعن احدهم «بشبرية» وكاد ان يقتله، وفي مرة ثانية اضرم النار في سيارة عميل آخر.

كان الساعد الايمن «لعبد الله» في تنفيذ المهمات الخاصة، وتخزين السلاح، وعندما ابلغ بالعملية كان اول المتقدمين لها، رشحه «عبد الله» لقيادة العملية قبل ترجل ثالث الفرسان فجأة لما توترت اعصابه.

حاول «محمد» جهده ان يثني من عزم رفيق عمره، وتوأم روحه «عبد الله» عن الانضمام للمجموعة الفدائية. احب ان يوفره للمستقبل، فقال له: ابق انت للزراعة ودعنا نحن للحصاد.

لكن عندما تقرر اخيرا ان ينطلق ثلاثتهم لتنفيذ عملية ديمونا غمرته مشاعر

الفرحة كعريس في ليلة الحناء محفوف باخوته.

* ثالث الفرسان الفدائيين هو اصغرهم سنا «محمد خليل صالح الحنفي»، او «محمد الحنفي» شاعر المدرسة والمخيم كما كان يحلو لاقرانه ان يلقبوه.

هو ابن اسرة فلسطينية بسيطة عاشت في «اسدود» على ساحل البحر المتوسط حتى عام ١٩٦٧ ثم اضطرت للنزوح الى مخيم «رفح»، توفي والده وترك خلفه اما وسبعة ابناء كان «محمد» هو الرابع في الترتيب بينهم، تحصل على الثانوية العامة ثم هجر الدراسة واحترف الثورة.

كان «محمد» كما لكل الشعراء الشبان قدوة، وكان «ابو الطيب عبد الرحيم محمود» شاعر الثورة الفلسطينية وشهيدها المقاتل في ثورة الـ ١٩٣٦ هو قدوة «محمد الحنفي»، ومالك روحه، ومثله الاعلى كان «محمد الحنفي» على حداثة سنه خزانة ثقافة متحركة، وطاقة متفجرة للدعاية والتحريض والتعبئة.

كبت الشعر في قرارة روحه، عندما قرر ان الكلمة وحدها لا تقاتل فاستبدل القلم ببندقية لينظم قصيدته الاخيرة الخالدة.

ها هم يكملون تدريبهم، واستعدادهم في مطلع شهر الربيع، بانتظار ساعة الصفر.

كل شيء كان معدا للانطلاق الاسلحة، والدليل الخبير والفدائيون الثلاثة «العبد الله عبد المجيد»، و«محمد عبد القادر»، و«محمد الحنفي» الذين توحدوا في الفكرة على قلب رجل واحد.

واخيرا اعطى «ابو جهاد» الامر بانطلاق عملية «ديمونا».

وفي يوم ١٩٨٨/٣/٢ وصل الرسول الى نقطة انطلاق العملية وابلغ الجميع تحيات اخيهم «شرف الطيبي» وتحيات قائدهم «ابو جهاد».

●●●

ساعة الصفر كانت منتصف الليلة تماما يوم ١٩٨٨/٣/٣ عندما هبت العاصفة، وانطلق الحصادون الى مروج الوطن كان على الفرسان الثلاثة :عبدالله والمحمدين: أن يقتفوا اثر الدليل الخبير «حمد العزازمة».

كانت المجموعة مسلحة بثلاث بنادق رشاشة، واحدة من نوع كارل غوستاف مصرية الصنع، والاخريان من نوع الكلاشنكوف، و٣٠ قنبلة يدوية، واربعة مخازن اضافية لبندقية كل فدائي بالاضافة الى حقيبة طلقات رصاص تحتوي على ٤٥٠ طلقة، واغنيات صامته تصدح في القلب وامنيات ثلاث: الحج الى «الرملة»، والصلاة في «حنا» واقامة العرس في «اسدود» بعد انقضاء المهمة في ديمونا.

كان من الصعب على المجموعة الفدائية ان تلحق بدليلها «حمد العزازمة» الذي ابتلعه ظلام الصحراء بعدما انفصل عن المجموعة بفعل الفارق الكبير بين السرعة العادية للبشر، وهبوب الزوبعة الصحراوية التي كان ينطلق بها «حمد».

رجاه «عبد الله» ان يتمهل قليلا، فاستجاب وابطأ كثيرا حتى يضبط وقع اقدامه على ايقاع خطو الفرسان الثلاثة.

قطعت المجموعة الحدود الدولية، والتفت على عشرات الحواجز الثابتة، وتفادت الاصطدام بسيارات الدورية الاسرائيلية رغم حالة التأهب والاستنفار والانتشار التي اعلنها الجيش الاسرائيلي واجهزة الشرطة والاستخبارات لمواجهة الانتفاضة.

سلام على نفحة

بعد مغيب الشمس في يوم ٦/٣/١٩٨٨ وصلت المجموعة الى «نفحة» فحطت رحالها استعدادا للوثبة الاولى المقررة في خطة العملية.

كان على المجموعة الفدائية ان تبقى في منطقة «نفحة» من مغيب الشمس وحتى مطلع الفجر.

فجأة وقف «عبد الله» قائد المجموعة والقى على نفحة السلام، وروى كالحكواتي العجوز قصة نفحة.

في ٢ مايو ١٩٨٠ كانت قوات الاحتلال الاسرائيلي قد دشنت سجنا جديدا في صحراء النقب، كان سجن نفحة الصحراوي بوابة جديدة للجحيم الذي يعيشه المعتقل الاسير الفلسطيني في سجون ومعتقلات الاحتلال الاسرائيلي.

في البداية نقلوا ٨٠ سجينا فلسطينيا الى «نفحة» ممن كانت سلطات الاحتلال تعتبرهم من القيادات المحرضة في السجون، وارادت منذ افتتاح بوابة جحيم «نفحة» ان تكسر ارادة هؤلاء المعتقلين وتسحق روحهم، فضاعفت من اساليب القمع والبطش والتنكيل في هذا السجن النائي المنعزل البعيد، وكان عليهم بالمقابل ان يعززوا ارادتهم ومقاومتهم ليواجهوا، ولو وحدهم، هذه المؤامرة الجديدة.

في يوم ١٤/٧/١٩٨٠ اعلن ٧٤ سجينا فلسطينيا في سجن نفحة الصحراوي الاضراب المفتوح عن الطعام رافعين شعار «ليس من اجل الجوع وانما ضد الركوع».

وتواصل هذا الاضراب البطولي حتى ١٤/٨/١٩٨٠ وعندما علمت السجون الثمانية عشر الاخرى بالاضراب، اعلنت هي الاخرى الاضراب المفتوح عن الطعام تضامنا مع ابطال «نفحة» ونجح الاضراب البطولي ولم تنكسر ارادة المعتقلين رغم

خسارتهم لشهيدين بطلين هما الشهيد «علي محمد الجعفري»، و«راسم حلاوة».
واعتبر يوم استشهادهما في ٢٢/٧/ ١٩٨٠ يوما لشهيد المعتقلات.

● واليوم وبعد ثلاثة اشهر من الانتفاضة ها هو سجن «نفحة» على بعد ثلاثة كيلو مترا فقط منا يعج بمئات جدد من المعتقلين والاسرى الفلسطينيين.

وختم «عبد الله»: «تسعة آلاف معتقل سنعمل على اطلاق سراحهم باذن الله».

كان صوت النباح يقطع سكون الليل، وصفير الرياح المحملة بالاتربة الناعمة لا ينقطع، و«عبد الله» يرنو بنظره تجاه السجن الصحراوي العتيد ويتمتم بما يشبه الترتيل: السلام عليكم «يا علي الجعفري» و«يا راسم حلاوة» السلام عليكم يا سجناء نفحة الشهداء والاحياء.

من خلف التلة التي اقيم عليها سجن «نفحة» بدأ قرص الشمس يبزغ خجولا في البداية وهو يبدد عتمة الليل الصحراوي الموحشة. عند الفجر تجمعت المجموعة كحزمة الحطب وقرأت فاتحة القرآن، وراجعت تفاصيل الخطة، ثم استعدوا للوثبة الاولى بعدما تعاهدوا ثلاثتهم على النصر.. او الشهادة.

كانت الساعة تمام السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين من صبيحة يوم الاثنين ٧/٣/١٩٨٨، عندما قفز «حمد العزازمة» كالجنّي الى الطريق الاسفلتي، فيما كمن الفدائيون الثلاثة على الجانب الايمن للطريق.

عندما رفع «حمد» عصاه الخيزرانية، القيت على الفور قنبلة يدوية امام سيارة (رينو ـ ٤) عسكرية، انسل «حمد العزازمة» فجأة كما ظهر قبل برهة واحدة، وابتلعته تلال الرمال في جوفها. بينما سيطر الفدائيون الثلاثة على السيارة في لحظات.

قال «عبد الله»، وهو يجلس خلف المقود، بصوت واثق:

موعدنا في «عرعر» يا حمد باذن الله.

تأكد فيما بعد ان ركاب السيارة الاربعة كانوا من الضباط العاملين في خدمة جيش الاحتلال الاسرائيلي. لكن مصيرهم نفسه لم يتأكد بسبب الروايات المتضاربة التي اطلقت حولهم.

□ وكالة «يونايتدبرس» للانباء: قالت في روايتها عن العملية ان الفدائيين لم يطلقوا النار على الضباط الفارين من السيارة لانهم كانوا يرتدون الملابس المدنية، بل تركوهم وشأنهم كبادرة تؤكد ان الفدائيين الثلاثة لم يكن في نيتهم التعرض للمدنيين بأي اذى.

□ الاذاعة الاسرائيلية: قالت في صباح يوم ٧/٣/١٩٨٨ «ان المسلحين الثلاثة سيطروا على سيارة عسكرية من نوع «رينو ـ ٤» وبداخلها ثلاثة ضباط عسكريين اسرائيليين»، وقالت الاذاعة نفسها: «ان احد الضباط قد قتل» لكنها عادت ونفت

ذلك ولم تف بأي معلومات جديدة حول مصير الضباط الثلاثة .

□ صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية نشرت مقالات تحت عنوان «تحليلات عسكرية علامات استفهام على هامش قضية سيارة الباص»، طرحت في المقال عدة اسئلة منها: كيف حصل ان اربعة من ضباط الجيش الاسرائيلي يستقلون سيارة عسكرية في مهمة باطار عسكري في منطقة النقب دون ان يكون بحوزتهم اسلحة».

□ صحيفة «دافار» من جهتها ادعت «ان الضباط الاربعة الذين فروا من سيارة الرينو سوف يقدمون للمحاكمة العسكرية»، وقالت المراسلة العسكرية للصحيفة ان امر الضباط الاربعة اثار الغضب والحنق الشديدين في اوساط القيادة العسكرية الاسرائيلية .

□ اما صحيفة «يديعوت احرنوت» فقالت على لسان محررها العسكري «رون بن يشاي»: «ان الضباط الاربعة لم يأخذوا مفاتيح السيارة معهم عندما فروا منها».

* وفي ليلة الاربعاء ١٩٨٨/٣/٩ اذاع صوت اسرائيل لمرة واحدة فقط خبرا يقول ان قاضي الشرطة العسكرية لم يوص بايقاع اي عقاب على الضباط الثلاثة (وليس الاربعة كما ورد في اغلب الروايات الاخرى) الذين كانوا يستقلون سيارة الرينو يوم امس بدون سلاح على الرغم من كونهم بدون سلاح هو نوع من الاهمال ولم ينسب اليهم اي نوع من التقصير بصدد العملية»!!

ورغم ان الرقابة العسكرية الاسرائيلية كانت هي المصدر الوحيد لتسريب الاخبار عن العملية الا ان الجميع قد لاحظ التناقض الحاد في رواية «الضباط الاربعة» ركاب الرينو العسكرية.. وهناك ما يؤكد ان احدهم على الاقل قد قتل اثناء نجاح المجموعة الفدائية في السيطرة على هذه السيارة العسكرية في وثبتها الاولى تجاه الهدف.. ديمونا .

جلس «عبد الله» خلف مقود السيارة الرينو العسكرية والى يمينه «محمد عبد القادر» وفي المقعد الخلفي جلس «محمد الحنفي» وكان على المجموعة ان تسرع قدر الامكان لتصل الى مفترق الطرق عند مثلث عرعر ـ ديمونا في الوقت المحدد لها.

آخر حاجز للشرطة الاسرائيلية كان موجودا عند هذا المثلث، وكل المعلومات كانت تؤكد ان سيارة الاتوبيس الفولفو الزرقاء التي تنقل الخبراء والفنيين العاملين في مفاعل ديمونا النووي، تتمهل قليلا عند هذا الحاجز عندما تصله في تمام الساعة السابعة والنصف من كل صباح، ربما بسبب حركة "السير البطيئة في الاتجاهين عند هذا الحاجز.

«حمد العزازمة» كان قد هبط الوادي عند نفحة واطلق ساقيه للريح ليصل الى نفس المنطقة عبر مسالك الوديان في نفس الوقت الذي يصل فيه اتوبيس ديمونا، وسيارة الفدائيين الثلاثة عند مثلث عرعر ـ ديمونا.

وسلام آخر على بئر رحمة

دخل «عبد الله» ومجموعته الفدائية بسيارتهم الرينو العسكرية في سباق مع الزمن، وحتى يصلوا الى مثلث عرعر ـ ديمونا في الوقت المحدد كان عليهم ان يخترقوا حاجزا للشرطة والجيش الاسرائيلي عند منطقة يطلق عليها اسم «يروحام» تقع الى الجنوب على بعد حوالي ٢٥ كيلومترا من مدينة بئر السبع.

كانت هذه المدينة الصهيونية قد اقيمت في عام ١٩٥١ على انقاض قرية فلسطينية اسمها «تل رحمة» بعد ان غزتها افواج المستوطنين اليهود القادمين من رومانيا.

تذكر «عبد الله» وهو يقترب من حاجز الشرطة الاسرائيلي عند «يروحام» ان بالبلدة القديمة بئر يدعى «بئر رحمة» وكان للفلسطينيين عادة ان يعرجوا على «تل رحمة» ليشربوا من ماء «بئر رحمة» احيانا للشرب بحد ذاته، وفي اغلب الاحيان حبا بالبئر ومائه والذين شربوا منه في غابر الاجيال.

وكما فعل «عبد الله» عندما اقترب من سجن نفحة الصحراوي، قرأ هنا ايضا السلام على بئر رحمة الذي لم يعد بمقدور الفلسطينيين ان يزوروه.. او يرتوا منه.

عندما فرغ عبد الله من قراءة السلام، اعطى الامر باطلاق الرصاص والقنابل اليدوية فور الاقتراب من عناصر الحاجز العسكري عند «يروحام»، واخترق الحاجز بالسرعة القصوى مخلفا وراءه الهلع والارتباك.. والدهشة. من بقي على قيد الحياة من جنود حاجز «يروحام» ابلغ قياداته بموكب الرعب الذي اخترقهم، فانطلقت سيارة شرطة في محاولة مرتبكة لمتابعة سيارة الفدائيين الثلاثة بينما دقت اجراس الانذار في منازل ومكاتب كل القيادات العسكرية الاسرائيلية، واعطيت الاوامر الفورية برفع درجة الاستنفار القصوى في القوات العاملة في المنطقة الجنوبية عندما شعر «عبد الله» بمتابعة سيارة الشرطة خلفه، امر «محمد الحنفي» بالقاء قنبلة يدوية من النافذة الخلفية باتجاه سيارة الشرطة التي لجم الخوف سرعتها فأبطأت واتسعت المسافة الفاصلة بينها وبين سيارة الفدائيين الثلاثة.

□□ كانت الساعة تقترب من السابعة والنصف، الشمس تحاول ان تغمر الارض بوهجها الذهبي لكن السماء المحملة بسحب ثقيلة داكنة كانت تحجز الشمس خلفها وتحجبها. اقتربت السيارة اخيرا من مفترق الطرق عند مثلث عرعر ـ ديمونا، ومن بين عشرات السيارات المتزاحمة لاحت اخيرا المهرة الزرقاء

اتوبيس الفولفو الذي يقل الخبراء والتقنيين العاملين في مفاعل ديمونا النووي.

اقتحم الفدائيون الثلاثة حاجز عرعر واطلقوا النار بغزارة على عناصره من الحركة، وباغتوا الجميع بترجلهم من السيارة واندفاعهم الى جانبي الطريق بانتظار

اللحظة الحاسمة لمرور المهرة الزرقاء الجامحة.

في لحظة خروج الفدائيين الثلاثة الى عرض الطريق لملاقة اتوبيس ديمونا ظهرت فجأة شاحنة اسرائيلية حجبت خلفها الاتوبيس الازرق، وحاول سائقها دهس الفدائيين الثلاثة بشاحنته الا ان «عبد الله» عالجه على الفور بصلية غزيرة من بندقيته مما اضطره على الفور للوقوف حاجزا حركة المرور وسيارة الاتوبيس الازرق خلفه وفي لحظات تمكن الفدائيون الثلاثة من السيطرة على جماح المهرة الزرقاء، وامتطوا صهوة الاتوبيس الازرق الثمين، وسمع «عبد الله» وسط صريخ الركاب وعويلهم صوت «ابو جهاد» الهادىء القاطع كحد السيف البتار وهو يقول له: «الهدف.. ديمونا».

الكليومترات السبعة الاخيرة

كان الطريق قد ازدحم بالسيارات وغص بالفوضى، فاضطرت المجموعة الفدائية لاطلاق عدد من القنابل اليدوية وزخات الرصاص لتفتح الطريق امام الاتوبيس الذي شق طريقه باتجاه المفاعل النووي ديمونا.

كان «حمد العزازمة» قد وصل لتوه الى التلة المشرفة على مسرح، العملية تأخر قليلا فلوح بعصاه الخيزرانية للاتوبيس الازرق الذي كان قد ابتعد أخذا في التلاشي شيئا فشيئا كأنما ابتلعه هذا التنين الاسفلتي الاسود المتعرج والمنحدر باتجاه بطن المنطقة الصحراوية المحرمة في ديمونا.

عندما اختفى الاتوبيس عن الانظار المبهوتة التي كانت تتابعه عند مفرق عرعر، ظهرت على الفور الطائرات المروحية في السماء، واخلي الطريق بسرعة لافواج متلاحقة من سيارات الجيش والشرطة وحرس الحدود وعربات الاسعاف التي كانت تتراكض جميعها كالخنازير البرية الهائجة خلف الاتوبيس الازرق الذي لم يكن يفصله عن الهدف ديمونا سوى اقل قليلا من سبعة كيلومترات فقط، عندها اطلق الجنود الذين انزلوا بواسطة الهليوكبترات رصاصهم الغزير على اطارات الاتوبيس فمزقوها قبل ان تقطع هذه السبعة كيلومترات الاخيرة.

ها هي المهرة الزرقاء الجامحة ترقد الان كفريسة كسيحة، تتحلق حولها قطعان الذئاب الشرسة، وتحوم فوقها الطائرات المروحية كطيور الغربان الكبيرة الناعقة في سماء النقب الصامت وفراغ الصحراء المترامية. سبعة كيلومترات فحسب كانت تفصلنا عن المشهد الكبير، مشهد القيامة في ساحة ديمونا، لكن لا بأس، لتكن المعركة التي فرضت علينا في هذه المنطقة النائية المعزولة.

الامور كانت تسير نحو ذروتها، والتصعيد يتسيد الموقف، ونعيق المروحيات يصم

الآذان بهذا الطنين الذي لا ينقطع. الرواية الاسرائيلية الوحيدة التي سمح الرقيب العسكري بنشرها قالت ان الفدائيين الثلاثة عندما سيطروا على الاتوبيس كان بداخله تسعة من الخبراء التقنيين العاملين بمفاعل ديمونا النووي لكن الدكتور «روبين» مدير مستشفى سوروكا في بئر السبع قال: «ان ثمانية اسرائيليين اصيبوا بجراح وادخلوا الى المستشفى واشار الى ان ستة آخرين تمت معالجتهم من جروح طفيفة وانه تم اخلاء سبيلهم»، واضاف: «ان الناس في حالة هلع وفزع» واضاف: «ان ما قاله هو ما سمحت به الرقابة العسكرية الاسرائيلية فقط، وغير مسموح له بالتصريح بغير ذلك»

في حين انه تأكد ان ثلاثة من الخبراء التقنيين من بين ركاب الاتوبيس، قد قتلوا، ولا يمكن في هذه الحالة ان يكون عدد الركاب تسعة فقط.

حسب الخطة كان من المفروض ان يتم تقسيم جميع ركاب الاتوبيس الى ثلاثة مجموعات، واحدة في المقدمة ويسيطر عليها «عبد الله عبد المجيد» قائد العملية، والاخرى في الوسط مع «محمد عبد القادر»، والمجموعة الثالثة في المؤخرة تحت سيطرة «محمد الحنفي».

واحدة من الجرحى من ركاب الاتوبيس قالت بعد العملية: «كان الفدائيون صغاراً في السن ووجوههم لم تكن مغطاة، وكان لاحدهم شارب، تمركز واحد منهم في الشباك الخلفي، حاولنا ان ننسق الامر بيننا، وطلبنا من الله ان يخلصنا، كانت هناك شابتان تتحدثان العربية لقد خفنا خوفا كبيرا، في البداية كانوا هادئين، وطلبوا الصليب الاحمر واستخدموا جهاز سماعة كان معنا في السيارة، كان احد الفدائيين هادىء الاعصاب ويعطي الاوامر بينما كان الآخران في حالة عصبية، سمعناهم في الخارج يتحدثون معهم فزادت عصبيتهم لانهم لم يسمعوهم بشكل جيد».

فتاة اخرى من ركاب الاتوبيس من العاملات في مفاعل ديمونا النووي اسمها «ستيلا داكار» قالت: «ان الفدائي قال بوضوح استلقوا على الارض ولن يحدث شيء».

وقالت: «ان الفدائيين طلبوا التحدث مع الصليب الاحمر بعد ان احاط الجنود بالباص».

● لم تنقطع حركة التعزيزات العسكرية من حول الاتوبيس الكسيح، الطائرات المروحية تزايد عددها وهي تحط على الارض واحدة تلو الاخرى تفرغ من مؤخراتها جنودا وضباطا جداً، المئات منهم حول الاتوبيس في حالة استعداد قصوى للقنص والرمي المباشر، بينما اخذ قائد القوة في المماطلة والتسويف كسبا للوقت بغية التأثير في عزائم الشباب وارادتهم.

خمس واربعون دقيقة ثقيلة من المفاوضات المتعثرة، وضبط النفس الى ان وصل

وزير الدفاع الاسرائيلي «اسحاق رابين» ورئيس هيئة الاركان «دان شومرون» وقائد المنطقة الجنوبية «يتسحاق مردخاي».

وزير الدفاع «رابين» كان قد صرح في اليوم التالي للعملية في جلسة خاصة عقدها الكنيست: «ان الفدائيين عرفوا على انفسهم بانهم من حركة فتح وتابعون لابو جهاد»، واضاف: «ان هدفهم اخذ رهائن والمساومة عليهم».

لم يكن صوت قائد العملية «عبد الله عبد المجيد» مسموعا من داخل الاتوبيس بسبب ضعف مكبر الصوت الخاص بالاتوبيس، وبسبب ضجيج الهليوكبترات التي لم تكف للحظة واحدة عن التحليق القريب فوق سطح الاتوبيس.

«نريد ان نفاوض مندوب الصليب الاحمر، ومطالبنا هي الافراج الفوري عن كل المعتقلين التسعة آلاف من اول الانتفاضة وحتى الان».

قائد الشرطة الاسرائيلية حاول المراوغة مجددا، وتعلل برداءة الطقس والمطر المتهاطل، وصعوبة جلب مندوب الصليب الاحمر من القدس الى النقب.

كان اتجاه المماطلة واضحا فقرر «عبد الله» ان يحسم الامر: «نحن لا نرغب في اهدار دم احد لا منا.. ولا منكم، ابعدوا الجنود الى الخلف بعيدا عن الاتوبيس، واحضروا مندوب الصليب الاحمر بواحدة من هذه الهليوكبترات، والا سنضطر الى تصفية احد الركاب كل نصف ساعة، نحن جادون تماما في ما نقول».

كانت التعليمات عند «عبد الله» صريحة وقاطعة، «ضبط النفس، ولكن لا تهاون».

قبل ان تنتهي المهلة انهمر رصاص القنص من خارج الاتوبيس من كل اتجاه، وانفجرت المعركة غير المتكافئة في هذه النقطة النائية المعزولة على بعد سبعة كيلومترات فقط من الهدف : ديمونا.

وسلام اخير
على عبد الله.. والمحمدين

مثلما اقرأ «عبد الله عبد المجيد» سجن نفحة الصحراوي، وبئر رحمة، السلام، كان علينا في تمام العاشرة والنصف من صباح ١٩٨٨/٣/٧ ان نقرأ «العبد الله عبد المجيد» و«المحمدين» «محمد عبد القادر عيسى» و«محمد خليل الحنفي» السلام والرحمة حين فاضت ارواحهم الطاهرة النبيلة كشهداء جسورين، وكرواد اقتحام سر اسرار الدولة العبرية.

سلام اخير لعبد الله وللمحمدين الذين وصلوا ابعد نقطة وصلها الصراع العربي - الاسرائيلي في كل تاريخه طوال الاربعين سنة الماضية بعد النكبة.

سلام اخير ورحمة الله على العبد الله والمحمدين الذين حفروا اسماءهم واسم

«ابو جهاد» على جبين ديمونا، الى ان يأتي آخرون بعدهم ليقتحموا السبعة كيلومترات الاخيرة الى الهدف ـ الوطن.

الدفن في «الطاليت».. والرد في تونس

فرضت السلطات العسكرية الاسرائيلية ستارا كثيفا من التكتيم والتعتيم على اخبار وتفاصيل عملية ديمونا.

وفرضت على الصحافة المحلية والعالمية التقيد بما يصدر فقط عن الناطق العسكري الاسرائيلي، وبما تفرضه الرقابة الاسرائيلية العسكرية من تعليمات.

وحسب كل المصادر تأكد ان هناك ثلاث قتلى اسرائيليين من الخبراء والتقنيين العاملين في المفاعل النووي ديمونا. وكان هؤلاء هم:

«فيكتور رام» ٣٩ عاما، مهندس متخصص في اشعة الليزر، حاصل على شهادة الدكتوراه في مجال تخصصه، يعمل في ديمونا منذ عدة سنوات متحصل على شهاداته من جامعة بن غوريون ومن جامعة فرنسية.

«برنيا شراتسكي» ٣٠ عاما تعمل كسكرتيرة فنية في مركز البحوث الذرية بديمونا وزوجها يعمل ايضا كخبير في ديمونا.

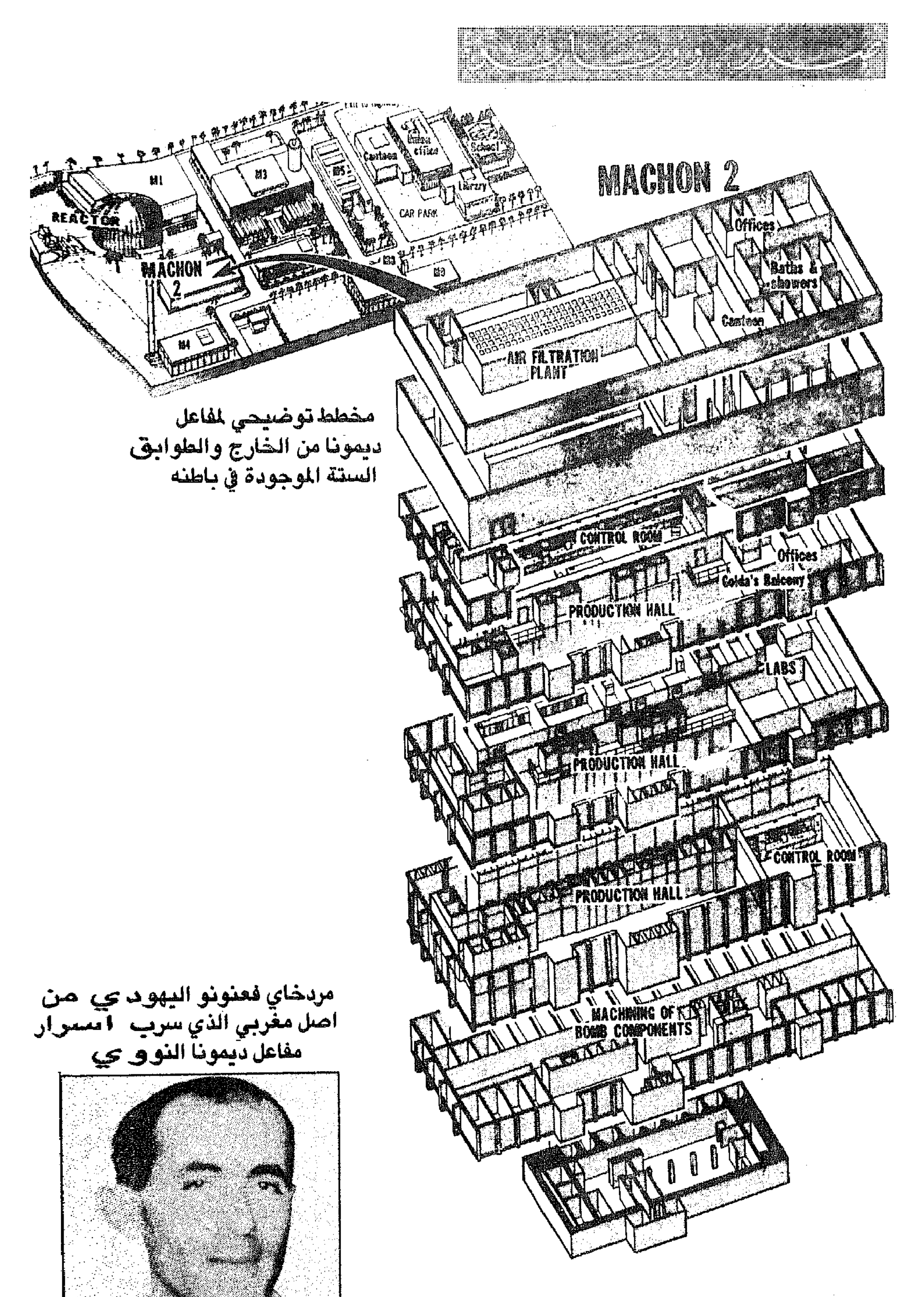
«مريم بن يئير» ٤٥ عاما تعمل كسكرتيرة فنية في مركز البحوث الذرية منذ ٢٨ عاما، وتعد من اولى العاملين في ديمونا، وهي يهودية من اصل تونسي.

في صباح يوم الاربعاء جلبت جثث القتلى الثلاث الى مدافن اليهود الواقعة على التخوم الخارجية لمدينة بئر السبع، وبعد ان اقيمت لهم مراسم جنازة عسكرية رسمية حضرها كبار قادة اسرائيل، اخذت جثث القتلى الثلاثة بنفس ملابسهم الملطخة بالدم بعد ان تم لف كل واحد منهم «بالطاليت» الخاص به الذي كان يضعه فوق رأسه اثناء الصلاة، وهو يشبه الشال الكبير وهو محلي في كل زاوية من زواياه الاربعة بثمانية خيوط تمثل لون العلم الاسرائيلي، اربعة بيضاء واربعة زرقاء وهكذا دفن القتلى الثلاثة حسب عادة الطقوس اليهودية، واغلق عليهم نهائيا «بيت الاحياء» او «بيت الازلية» حسب التعبير اليهودي الذي يطلق عادة على المقابر.

عندما انتهت مراسم الدفن في مقبرة اليهود على اطراف مدينة بئر السبع بالنقب الفلسطيني المحتل، كانت الانتفاضة تختم يومها التسعين وهي تزداد التهابا واشتعالا، وتخطو بقوة الى شهرها الرابع، بينما قال «شامير»: ان الذين يقفون وراء عملية ديمونا هم الجهة نفسها التي تثير التحريض في المناطق.

وقال «شمعون بيرس»: اننا نواجه عدواً لم يعد يفرق في الوسائل المتبعة، وهو مستعد لان يصيب كل هدف اسرائيلي.

كانت القراءة الاولية للعملية تؤكد ان الدلالات السياسية لديمونا اكبر بكثير من نتائجها العسكرية، لذلك عندما انتهت مراسم الدفن في مقبرة اليهود في بئر السبع، كانت قد بدأت للتو عملية التحضير للرد في تونس.



مخطط توضيحي لمفاعل ديمونا من الخارج والطوابق الستة الموجودة في باطنه

مردخاي فعنونو اليهودي من اصل مغربي الذي سرب اسرار مفاعل ديمونا النووي



الشهيد البطل عبد الله عبد المجيد كلاب
قائد عملية ديمونا

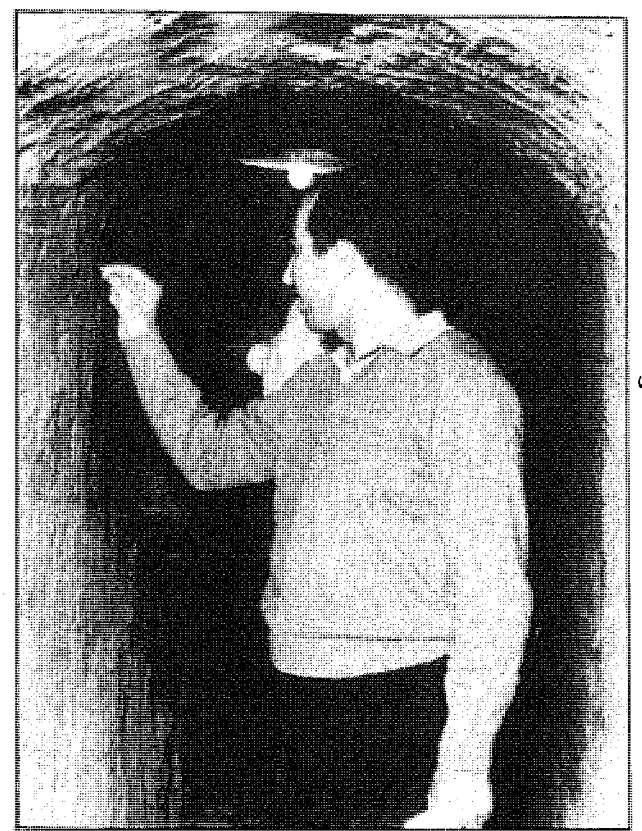


الشهيد البطل محمد خليل صالح الحنفي

الشهيد البطل محمد عبد القادر محمد عيسى

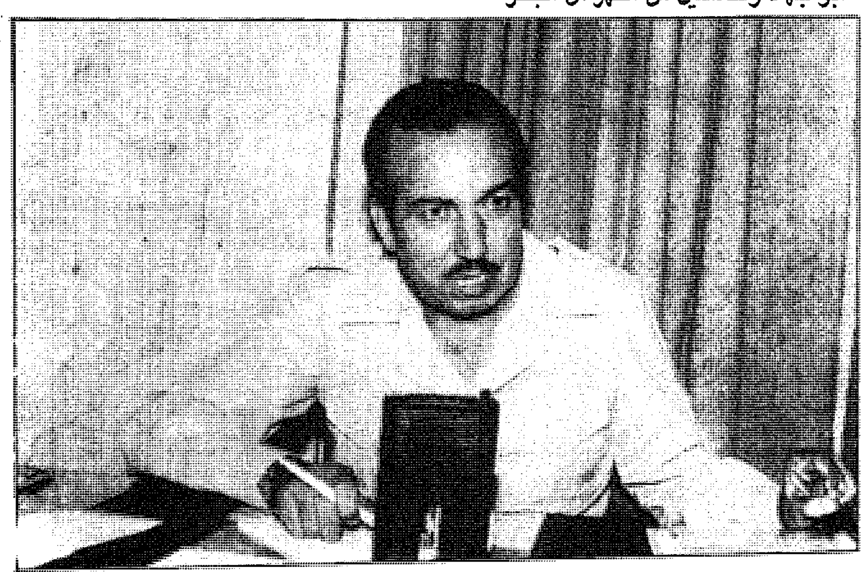
الشهيد على ارض الوطن وجيش
القتلة حول اتوبيس مفاعل
ديمونا النووي

المعركة الفاصلة على بعد
سبعة كيلومترات
من ديمونا غلاف
«هاعولام هازيه» ١٩٨٨/٣/٩



ابو جهاد يحفر
اسمه على جدران
خندق صيني
في قرية الانفاق
في بكين ١٩٦٤

ابو جهاد وفلسطين من النهر الى البحر



٤ الأسباب السياسية السبعة لاغتيال أبو جهاد

● رغم خطورة ما حدث على بعد سبعة كيلومترات فقط من المفاعل النووي ديمونا في صباح يوم ٧/٣/١٩٨٨، فان دوافع الرد والانتقام لديمونا لم تكن السبب الوحيد لاتخاذ مجلس الوزراء الاسرائيلي المصغر «قراره» باغتيال خليل الوزير ـ ابو جهاد في يوم ١٦/٤/١٩٨٨.

اذ ان قرارا بهذه الخطورة كان يتطلب ما هو اكبر من هذا الاجتماع، كان على المجتمعين ان ينتظروا طويلا اشعال الضوء الاخضر في اكثر من عاصمة عالمية واقليمية، ليس فقط لأن القرار استهدف شخصا تاريخيا له موقع وثقل ومكانة وعلاقات ابو جهاد.

وليس كذلك بسبب ما يمثله قرار الاغتيال من مس بسيادة دولة اخرى، واعتداء على كيانها وشخصيتها ووزنها وعلاقاتها الدولية والاقليمية وانما ايضا لأن قرار اغتيال «ابو جهاد» يعد خرقا واضحا للقواعد الضمنية التي حكمت الصراع العربي ـ الاسرائيلي طيلة الاربعين عاما الماضية من تاريخ هذا الصراع.

● اذ ليس صحيحا انه لا توجد قواعد وقوانين ضمنية لأي صراع، حتى ولو كان ذلك الصراع تناحريا اي لا يسوى الا بزوال احد اطرافه. بل على العكس من ذلك تماما ثبت، ومايزال يثبت يوما بعد يوم ان هناك قواعد ضمنية متبادلة لكل صراع، وان القوى العظمى عادة ما تضمن التقيد بهذه القواعد في ادارة الصراع بين الاطراف المتعارضة او المتنازعة او حتى المتناحرة.

● لكن ذلك لا يلغي بالطبع قدرة اي طرف من اطراف الصراع على القيام بين فترة واخرى بخرق هذه القواعد بما يؤدي الى رفع سقف المواجهة بينهما الى

مستوى اعلى، لكن ذلك لا يتم ايضا الا باشعال الضوء الاخضر من جهة، واطفاء كل الانوار من الجهة الاخرى، اي عبر التقاطع ما بين القبول الصريح من طرف دولي، وغض النظر من الطرف الاخر.

ولا يمكن إلا ان يكون هذا ما قد حدث بالفعل قبيل انعقاد جلسة مجلس الوزراء الاسرائيلي المصغرة التي اتخذت «قرارا» بتصفية واغتيال ابو جهاد.

والا فما الذي يفسر انتظار المخابرات الاسرائيلية طويلا كي تحصل على قرار بالموافقة باغتيال ابو جهاد بعد ان طلبت ذلك القرار من مجلس الوزراء الاسرائيلي نفسه لأربع مرات على الاقل في السنوات الخمس الماضية.

بل واكثر من ذلك يمكن القول بأن «ابو جهاد» بنفسه قد تجاوز القواعد الضمنية ورفع سقف المواجهة مع الخصم دون اعتبار منه لوزن الاضاءات الحمراء والخضراء وكل ما بينهما من الوان الطيف السياسية.

وكان ذلك في تقديرنا سبب اساسي في صدور «القرار» الاخير باغتياله في تونس ليلة ١٦/٤/١٩٨٨.

هل سرب وايزمان
قرار اغتيال ابو جهاد؟

● لم يكن الوزير بلا حقيبة «حاييم وايزمان» وحده الذي لم يوافق في جلسة المجلس المصغرة على قرار اغتيال ابو جهاد.

كانت هناك على الاقل قوة دولية معنية بالصراع الدائر في الشرق الاوسط غير موافقة هي الاخرى على هذا القرار، وكان لها اسبابها ومصالحها الخاصة في ذلك.

وليس هناك ما يؤكد حتى الان ما اذا كان «وايزمان» قد سرب القرار الاسرائيلي الى جهة ثالثة ام لا، ولكن المؤكد، وحتى الآن ايضا، انه لم يسربه الى منظمة التحرير الفلسطينية، على الرغم من وجود اتصالات سابقة غير مباشرة معه، كانت تحضر للقاء في موسكو يضم «وايزمان» من جهة، وشخصية قيادية من منظمة التحرير من الجهة الاخرى، ولأسباب عديدة تأجل هذا اللقاء مرة بعد اخرى حتى جمد وحتى اشعار آخر

● بالمقابل توافرت لدينا معلومات مؤكدة من مصادر سياسية موثوقة ومطلعة بأن فرنسا كانت قد ارسلت بصورة غير مباشرة عددا من الرسائل السياسية الى كل الجهات المعنية بعملية اغتيال «ابو جهاد» بمن فيهم ابو جهاد نفسه، تحذر فيها من القرار الاسرائيلي الذي اتخذ بالفعل لاغتيال ابو جهاد، وعلى الاراضي التونسية على وجه التحديد.

وليس معروفا على وجه الدقة ما اذا كانت فرنسا قد استقت معلوماتها هذه من «اويزمان» نفسه او من اوساطه، او عبر اجهزتها ووسائلها الامنية الخاصة.

● صحيفة فرنسية واسعة الانتشار كانت قد نسبت الى ما اسمته «احد المسؤولين الفلسطينيين» قوله: «كنا نعرف منذ ستة اسابيع ان شيئا ما هو في طور التحضير ضد القادة الفلسطينيين الاربعة: ياسر عرفات، ابو جهاد، ابو اياد وفاروق القدومي، وقد جاءنا هذا التحذير من المخابرات الفرنسية»

وبعيدا عن دقة المعلومات التي تتناقلها التقارير الصحفية نملك نحن ان نؤكد ان صديقا حميما «لأبو جهاد» من القيادات التاريخية العربية، كان دائما محل احترام وثقة «ابو جهاد» كان قد ابلغه قبل اقل من ٢٤ ساعة فقط من واقعة الاغتيال بتوافر معلومات امنية اكيدة تستهدفه شخصيا، وكان «ابو جهاد» يعرف ان مصدر هذه المعلومات جهات فرنسية رسمية.

واذا لم يكن بالامكان تحديد المصادر التي استقت منها فرنسا معلوماتها عن قرار اغتيال «ابو جهاد» فمن الممكن تحديد الدوافع الفرنسية لتسريب المعلومات التي حصلت عليها. وذلك على ضوء موقف القوى العظمى باستبعاد الدور الاوروبي بصورة عامة والفرنسي على نحو خاص من المشاركة في اجراءات البحث عن تسوية سياسية للصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ بينما فرنسا مهتمة من جهتها وبدوافع مصالحها وسياستها وعلاقاتها التاريخية بالمنطقة للحضور والمشاركة في كل ما يخص اوضاع هذه المنطقة الحيوية من العالم.

●●●

بالطبع لم تكن المعلومات الفرنسية المسربة هي التحذير الوحيد الذي تلقاه «ابو جهاد» بل اننا احصينا نحو من اثني عشر تحذيرا مباشرا وغير مباشر لـ «ابو جهاد» من احتمال قيام اسرائيل بتصفيته واغتياله وفي تونس بالذات.

ومع ذلك جرى ما جرى وبالسهولة التي لم يتوقعها حتى الذين اتخذوا القرار.. وخططوا له.. ونفذوه. لكن ذلك على كل حال مجال تحقيق آخر ربما يكون مختلفا او مكملا لمحاولة التحقيق في الاسباب السياسية التي وقفت وراء قرار اغتيال ابو جهاد.

٧ اسباب لقرار واحد

لم تكن قضية «ابو جهاد» تحتاج الى قائمة طويلة من الاسباب والذرائع والدوافع والمبررات لكي يتخذ القرار الاسرائيلي باغتياله.

ـ كان يكفي لذلك من وجهة النظر الاسرائيلية ما قاله المعلق العسكري الاسرائيلي «زئييف شيف» : ان اسرائيل لها حساب طويل مع «ابو جهاد».

ـ او ما قاله ارئيل شارون من «ان ابو جهاد قد اشاع الرهبة في نفوس بعض العناصر المعتدلة ومنعهم من الاشتراك في المسيرة السياسية».

ـ او ما قاله الجنرال ايتان رئيس الاركان السابق «هذا بالضبط ما كان ينبغي عمله منذ وقت طويل».

ـ او ما قاله «عوديد غرانوت» في صحيفة يديعوت احرنوت من ان ابو جهاد «عدو من الدرجة الاولى لاسرائيل».

ـ او ما قاله «ديفيد هاليفي» في صحيفة «ستيزن» الكندية من «ان ابو جهاد كاد ان يحول المناطق المحتلة الى مناطق لا يمكن حكمها من قبل اسرائيل».

والقائمة طويلة جدا، وكل بند فيها كان يمكن ان يكون بحد ذاته، من وجهة النظر الاسرائيلية، لائحة اتهام كافية لاتخاذ القرار بتصفية « ابو جهاد».

● ومع ذلك تأجل هذا الموضوع مرارا حتى نضجت حيثياته واسبابه السبعة، واشعل الضوء الاخضر فاتخذ وقتها فقط القرار.

على انه ينبغي التمييز هنا ما بين الدوافع والاهداف الاسرائيلية من وراء عملية اغتيال «ابو جهاد»، وبين الاسباب التي وفرت لمجلس الوزراء الاسرائيلي المصغر امكانية حسم امره، واتخاذ هذا القرار الخطير الذي لم تكن قادرة من قبل على اتخاذه.

ويكفي للتدليل على خطورة هذا القرار وطابعه السياسي، وابعاده الدولية ان نشير الى عدم قدرة اي قوة سياسية اسرائيلية على اتخاذ هذا القرار بشكل منفرد وعلى مسؤوليتها، كما حدث مثلا في القرار الذي اتخذه «الليكود» منفردا بتدمير المفاعل النووي العراقي في ١٩٨١/٦/٧.

وكان «مناحم بيجن» قد تحمل وقتها مسؤولية القرار على عاتقه الشخصي، وعلى عاتق حزبه ومجموعة الاحزاب الاخرى المؤتلفة معه، بينما انتقد «شمعون بيرس» ايامها العملية ووصفها بأنها مجرد «ثرثرة ذرية تضع اسرائيل على حافة الحرب».

● كان قرار اغتيال «خليل الوزير» اخطر من قرار تدمير مفاعل نووي عربي، وتطلب الامر توفير اجماع قومي اسرائيلي لهذا القرار، تماما مثلما يحدث عندما تقدم اسرائيل على اتخاذ قرارها باعلان حرب جديدة. لذلك اتخذ القرار في اجتماع مجلس وزراء مصغر، واشترك في التخطيط للعملية رئيس هيئة الاركان العامة للجيش «دان شومرون»، ونائبه رئيس فرع العمليات العسكرية «ايهودا براك»، والعقيد ايجال برسلر مستشار شامير لمكافحة الارهاب، وقائد المخابرات العسكرية اللواء «امنون شاحاك» ، ورئيس الموساد ونائبه. وصادق على العملية طاقم رؤساء الحكومات:

يتسحاق شامير، وشمعون بيرس، ويتسحاق رابين.

وبالعودة الى قائمة الاسباب التي وقفت وراء قرار اغتيال «ابو جهاد» امكن فرز سبعة منها حصلت على اجماع وموافقة عدد من كبار رجال الفكر، ومحترفي السياسة.. وخبراء الامن.

وبالطبع كانت ديمونا في صدارة هذه الاسباب السبعة.

العودة الى ديمونا

هناك ما يؤكد ان قرار اغتيال «ابو جهاد» قد تمت المصادقة عليه في مطلع النصف الثاني من شهر مارس ١٩٨٨ اي قبل شهر واحد تقريبا من تنفيذ القرار فعلا، وقد تم ذلك في اعقاب العملية الفدائية الجريئة التي وقعت يوم ١٩٨٨/٣/٧، وعرفت باسم عملية ديمونا.

ومع ذلك لا يمكن اعتبار قرار اغتيال «ابو جهاد» ردا انتقاميا اسرائيليا على هذه العملية الفدائية التي ادت الى مقتل ثلاثة من الخبراء التقنيين العاملين في المفاعل النووي ديمونا، بقدر ما كان القرار يمثل عملية هجوم استباقي لمنع ابو جهاد من التمادي في تجاوز الخط الاحمر والاستمرار في كسر القواعد التي لم يمسها احد من قبل، والتجرؤ على اقتحام المزيد من اسرار الدولة الصهيونية او المغامرة بالذهاب ابعد من ذلك.

كان موضوع «ابو جهاد» قد طرح عشية دفن قتلى ديمونا الثلاثة على مجموعة من كبار الخبراء الامنيين في اسرائيل امثال: «د. يوسف اولمرت»، «د. ارئييل مراري»، والعقيد «يغال برسلر»، «وامنون شاحاك».

واستخلص الجميع الدرس المطروح عليهم، لقد تجاوز «ابو جهاد» الخط الاحمر عسكريا وسياسيا، وكل ما في اسرائيل. بعد ديمونا قد اصبح هدفا محتملا لعمليات «ابو جهاد» ومعنى ذلك ان من يذهب الى ديمونا لن ينظر بعد ذلك خلفه ابدا.

على هذا الاساس لم تعتبر اسرائيل ان ديمونا عملية عسكرية عادية مثل باقي العمليات التي خطط لها ووجهها ابو جهاد على مدار العشرين سنة الماضية.

● اذ ليس اكتشافا بالنسبة لاجهزة الامن الاسرائيلي ان تقول عن «ابو جهاد» انه المخطط الاساسي للارهاب ضد اسرائيل وانه «يرمز للكفاح المسلح»، او انه المسؤول عن عملية نسف خزان زوهر. عام ١٩٥٥، وعن محاولة نسف خط انابيب المياه القطري عام ١٩٦٥، وعن عملية فندق «سافوي» في تل ابيب التي قتل فيها عشرة اسرائيليين عام ١٩٧٥، وعن عملية انفجار الثلاجة المفخخة في القدس عام ١٩٧٥، وعن عملية قتل البرت ليفي كبير خبراء المتفجرات ومساعده في نابلس عام

١٩٧٦، وعن عملية «دلال المغربي» التي قتل فيها ٣٧ اسرائيليا عام ١٩٧٨، وع محاولة قصف ميناء ايلات براجمات صواريخ ثقيلة محملة على ظهر سفينة تجار عام ١٩٧٩، وعن عملية «الدبويا» التي ادت الى سقوط ٦ قتلى، و١٦ جريحا عـ ١٩٨٠ في منطقة الخليل، او عن عمليات قصف المستوطنات الصهيونية في شما فلسطين المحتلة بصواريخ كاتيوشا في عام ١٩٨١، او عن عمليات اسر جنو اسرائيليين احتفظ بجثثهم لسنوات طويلة حتى بادلهم باسرى فلسطينيين مـ سجون ومعتقلات الاحتلال عام ١٩٨٢.

او عن عملية اسر ثمانية من جنود الجيش الاسرائيلي ايام غزو لبنان في منطق بحمدون في ٤/٩/١٩٨٢ والاحتفاظ بهم ومبادلتهم في طرابلس باطلاق سراح جميـ المعتقلين الفلسطينيين واللبنانيين الخمسة آلاف من معتقل انصار بالاضافة الى نحـ مائة من معتقلي الارض المحتلة.

او عن عملية اقتحام وتفجير مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي في مدينة صور يو ١٠/١١/١٩٨٢ التي اودت بحياة ٧٦ ضابطا وجنديا من قوات الجيش الاسرائيلي كان بينهم ١٢ ضابطا ممن يحملون رتبا عسكرية رفيعة. او عن مسؤوليته عن توجيـ وادارة حرب الاستنزاف والعمليات الفلسطينية ـ اللبنانية المشتركة ضد قوات الغزو الاسرائيلية من عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٤.

●●●

ويمكن ان يكون الاسرائيليون قد نظروا بكثير من الخطورة الى العملية التي خطط لها ووجهها ابو جهاد في يوم ٢١/٤/١٩٨٥، والتي انطلقت من الجزائر على ظهر سفينة شحن تجارية كبيرة كانت تحمل في جوفها عشرين فدائيا انتحاريا بالاضافة الى ثمانية من طاقم قيادة السفينة التي كان هدفها انزالهم امام شواطىء تل ابيب في منطقة «بيت يام» للتوجه من هناك الى قلب تل ابيب حيث مقر وزارة الدفاع الاسرائيلية في منطقة «الهاكرياه» والعمل على اسر اكبر عدد من كبار الضباط والعاملين في الوزارة.

وقد صدرت بعد العملية عدة تقارير اسرائيلية اشار بعضها الى ان العملية استهدفت ايضا اسر «رابين» او الاطاحة برأسه، وان ذلك كان بحد ذاته قد اعتبر وقتها خرقا خطيرا لقواعد اللعبة الوحشية المميتة في الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني التي تنص على تحاشي المس بالقادة من الصف الاول.

وكان الصحفي الاسرائيلي «امنون كابيلوك» الذي يعمل في وقت واحد في صحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية، و«اللوموند الفرنسية»، قد ابلغ «ابو جهاد» بعد

هذه العملية «انه قد اصبح هدفا محتملا جدا للاغتيال» لأن العملية، وان كانت لم تنجح بشكل كامل الا ان مجرد تصور سيناريو نزول عشرين فدائيا انتحاريا الى قلب تل ابيب، كان بحد ذاته قد اثار الرعب الشديد من جهة، والرغبة العارمة في الانتقام من الجهة الاخرى. ومع كل ذلك لم يتخذ ايامها القرار السياسي الحاسم باغتيال «ابو جهاد».

● كانت ديمونا اذن هي العملية الاخطر في دلالاتها السياسية والعسكرية، وفي تزامنها ايضا مع زلزال الانتفاضة. فديمونا اصبحت جزءا من معادلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بل انها تحولت بعد تطوير صواريخ «ياريحو» وامكانية تحميلها برؤوس نووية ووصولها الى حدود جنوب الاتحاد السوفياتي الى جزء من معادلة الصراع الدولي. فضلا عن تأثير ديمونا على العقل والقرار العربي الرسمي وعلى الاستراتيجية العربية في مواجهة اسرائيل.

● لكن «ابو جهاد» تجاوز كل تلك الاعتبارات، وتخطى الخطوط الحمراء، وكان واضحا انه بالاعتماد على زخم الانتفاضة نفسها وعلى تنفيذ عمليات سياسية ـ عسكرية مثل ديمونا يمكن ان يؤدي للاخلال بالمعادلة «المستقرة» للصراع العربي ـ الاسرائيلي. ولم يكن ذلك مقبولا من اطراف عديدة.

فلا الولايات المتحدة الامريكية التي تضمن استمرار التفوق النوعي والاستراتيجي الاسرائيلي، والتي تسعى لوقف الانتفاضة باي شكل، ولا الاتحاد السوفياتي الذي نصح اصدقاءه بالتخلي عن الحل العسكري للصراع العربي ـ الاسرائيلي، والذي بات يعتبر ان النضال المسلح «ضرب من التعصب اليساري»، ولا اسرائيل بالطبع، ولا اطراف اخرى، كان يمكن لها كلها ان تقبل بمغامرة «ابو جهاد» للاخلال بمعادلة الامر الواقع. لذلك رفع الكارت الاحمر في وجهه، واقصي نهائيا من الملعب حتى يستمر من بعده اللعب وفقا للقواعد والقوانين المستقرة التي تمرد هو عليها عن سبق الاصرار والتعمد فخسرناه نحن.. وخسر هو حياته.

والانتفاضة التي اطلقها..

ما من احد كان ينازع ابو جهاد في حياته على "القاب ثلاثة: جنرال الانتفاضة، وعقلها السياسي، ومهندسها التنظيمي.

وما ان استشهد حتى حاز على القاب ثلاثة اخرى: القائد الرمز، اول الرصاص، واول الحجارة، وليس لأحد ايضا ان ينازعه عليها.

كان الطريق الحقيقي للانتفاضة قد بدأ فعلا في عقل وتفكير «ابو جهاد» اولا

عندما حسم مع نفسه ضرورة اعادة تصحيح الوضع الذي اعتمد «الخارج»، وليس «الداخل» كمركز ثقل للعمل الوطني الفلسطيني، وعندما حسم كذلك مع نفسه ضرورة تصحيح الوضع الذي اعتمد العمل العسكري على حساب العمل السياسي التنظيمي.

وهكذا كان قرار «ابو جهاد» بعد الخروج من بيروت في عام ١٩٨٢، وبعدها من طرابلس عام ١٩٨٣، ان يعود بشكل نهائي الى الداخل.. الى الاراضي الفلسطينية المحتلة.

وخلال خمس سنوات متواصلة وعامرة بالجهد الدؤوب والعمل المعمق الصامت، كان «ابو جهاد» قد افلح في النهاية في تعبيد الطريق للانتفاضة، وفي استكمال اقامة وتركيز البنية التحتية القادرة على الصمود اولا في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي، ومن ثم على تحمل اعباء المواجهة والاحتلال في المرحلة الثانية، وبعدها على الاستمرار في المواجهة وتصعيدها في مرحلة ثالثة.

● كانت خطورة «ابو جهاد» بالنسبة لاطراف عديدة، لا تتمثل فقط في قدرته على الاعداد والتحضير للانتفاضة وانما في مقدرته على تنظيم الانتفاضة وتأمين شروط ومتطلبات تصاعدها واستمراريتها.

وبدءا من يوم ١٩٨٧/١٢/٢٠ ادركت اجهزة صنع القرار في عدد من العواصم، الخطورة الحقيقية لاستمرار «ابو جهاد» على رأس الانتفاضة.

ففي هذا اليوم بالذات كان «ابو جهاد» قد اصدر برنامجا محددا من عشر نقاط يحدد مهام وواجبات الانتفاضة على الصعيدين التنظيمي والسياسي، وقد بث بيانه للارض المحتلة عبر صوت الثورة من بغداد، وعبر الصحف ووكالات الانباء واجهزة الفاكسيملي، وبكل وسائله المشروعة وغير «المشروعة». وقد تضاعفت مشاعر الخطورة من «ابو جهاد» عندما رصدت الاجهزة الامنية مدى تفاعل والتزام الانتفاضة ببرنامج «ابو جهاد» وتوجيهاته.

● كان الضوء الاحمر يشتعل ويتوهج في العديد من العواصم وهي تتابع يوما بعد يوم تصاعد الانتفاضة والتأثير الفاعل «لأبو جهاد» فيها.

ولما كانت الانتفاضة في جوهرها عملا سياسيا متعارضا مع سياسة ومصالح اطراف عديدة في المنطقة وخارجها، كان تصعيدها واستمرارها يعني المزيد من تعريض هذه السياسة ومصالحها للخطر الحقيقي.

وقد تضاعف الشعور بهذه المخاطر عندما اجمعت تقارير عدد من الاجهزة الامنية على ان «ابو جهاد» يسعى لتحويل الانتفاضة الى استراتيجية حرب الاستنزاف الطويلة، ويرفض حصرها في الاطار التكتيكي للضغط او المساومة.

● احد التقارير الموثوقة قال ان قرار ابو جهاد جاء «في اللحظة التي كان يتأهب

فيها لطرح استراتيجية جديد على منظمة التحرير الفلسطينية».
وجاء في تقرير اخر «انه قتل وهو يستعد لطرح مهام مرحلة جديدة للانتفاضة».
وكان ذلك كله يعني بالنسبة لمراكز صناعة القرار السياسي خارج تل ابيب، وفيها هي نفسها ان «ابو جهاد» يعمل في الاتجاه المعاكس لحركة التيار الذي اتفق فيه الكبار على نزع فتيل الانفجار من هذه المنطقة، واخماد الحرائق فيها، وتثبيت مبدأ الاسترخاء العسكري.
لذلك اتفق الكثيرون خارج «تل ابيب» اولا على ازاحة الرجل الذي يمكن ان يعرقل او يعيق سريان تيار السياسة المتفق عليها بين الكبار.

درس حكومة المنفى وعبرة المؤتمر الدولي

احد التقارير الاسرائيلية كان قد عقب على اغتيال ابو جهاد بعبارة شهيرة مشتقة من التوراة «من يعش بالسيف بالسيف ايضا يموت». وجاء في تقرير آخر «ان ابو جهاد كان جنديا يشن الحرب على دولة اسرائيل وقد نفذت اسرائيل عملا عسكريا ضده».
لكن ذلك لم يكن صحيحا ابدا اولا لأن السيف الذي قاتل به ليس كالسيف الذي قتل به، والا فاننا نساوي بذلك بين القاتل والضحية وبين الطابع الحضاري للمقاومة، وبين الطابع الارهابي للاغتيال.
كما لم يكن ما جاء في هذه التقارير صحيحا لأن قرار اغتيال «ابوجهاد» لم يكن فقط بسبب نضاله العسكري، وانما في الاساس بسبب مواقفه السياسية.
كان «ابو جهاد» اخر من ظهر «فوق الارض» من القيادات الفلسطينية التاريخية، رغم انه كان اول ناطق رسمي باسم حركة فتح، ولم يعرف عنه حبه للتصريحات الصاخبة كما لم تسجل عليه مواقف سياسية متناقضة كان مستقيما في كل شيء بدءا من سلوكه في الحياة وصولا الى مواقفه السياسية.
ومع ذلك لم يكن «ابو جهاد» جامدا ومتحجرا بل كان من اكثر القادة قدرة على التعلم والاستيعاب والتطور.
وبعد اندلاع الانتفاضة حصل تطور نوعي مهم في المواقف السياسية لابو جهاد، كانت تتناسب بشكل طردي مع التغييرات التي طرأت على موازين القوى بسبب الانتفاضة ونتائجها.
ونظرا لبروز اسم «ابو جهاد» ودوره في قيادة الانتفاضة ابدت كثير من الدوائر الاوروبية والامريكية على وجه خاص اهتماما كبيرا بالمواقف السياسية التي يعلن عنها ويتبناها.

كان «ابو جهاد» قد اطلع على فحوى تقرير خاص اعـدته ادارة شؤون الشرق الاوسط باحدى وزارات الخارجية الاوروبية ويحمل تاريخ ١٩٨٨/١/٢٨. كـان التقرير مخصصا لتقييم المواقف السياسية المختلفة من فكرة «حكومة المنفى» التي طرحت في وقت مبكر بعد اقل من شهر واحد على اندلاع الانتفاضة.

وذهب التقرير الى حد القول «ان المعارضة الحاسمة التي ابداها «ابو جهاد» لفكرة حكومة المنفى كانت السبب الرئيسي في التخلي عنها».

واورد التقرير كذلك التصريح الصحفي الذي كان ابو جهاد قد ادلى به في يوم ١٢ يناير ١٩٨٨ والذي قال فيه بالخصوص «ان حكومة المنفى هي فكرة قديمة ـ جديدة، وهناك فرق ما بين ان تطرح فكرة ما وان يتخذ قرار جماعي بشأنها وكل الافكار يجب ان تنضج بالحوار الديمقراطي حتى لا تولـد ميتة او مشـوهة» واعتبـر التقريـر ان «ابو جهاد» ازاح فكرة حكومة المنفى من الطريق عندما طرح شعاره «لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة».

على ان اهم ما جاء في هذا التقرير الاوروبي، ما يتعلق بتقييم الادارة الامريكية لردود الفعل على فكرة حكومة المفنى.

● يقول التقرير: «انه بصرف النظر عن موقف الادارة الامريكية من فكرة حكومة المنفى فانها كانت معنية بقياس ودراسة ردود الافعال التي برزت في اوساط القيادة الفلسطينية في اعقاب الاعلان عن هذه الفكرة».

وقد خلصت هذه الدراسة، بالاستعانة بعدد من التقارير الامنية الخاصة الى «ان المعارضة الحقيقية لفكرة حكومة المنفى جاء بالدرجة الاولى من قبل ابو جهاد ليس بسبب تصريحاته الصحفية ولكن لقدرته على امتلاك قوة عملية على الارض لمعارضة هذا المشروع» واضاف التقرير «يجب النظر بجدية متزايدة لتصريحات ومواقف السيد «خليل الوزير لأنه حسب المعلومات المتوافرة لا يوجد اي نظام عربي يمتلك التأثير على مواقفه وآرائه السياسية التي تلتزم بما يسميه انصاره بالخط الوطني المستقل».

●●●

ومع تصاعد الانتفاضة نسب الى ابو جهاد الاضطلاع بالدور الرئيسي في اسقاط ما يسميه شمعون بيرس «بالخيار الاردني» انطلاقا من معارضته الحاسمة لما سمي بسياسة التقاسم الوظيفي في الضفة الغربية وقطاع غزة.

على صعيد أخر كان الموقف السياسي المميز لأبو جهاد من مسألة المؤتمر الدولي قد القيت عليه كثير من الاضواء الى الحد الذي اعتبر فيه بعض المراقبين ان هذا

الموقف بالذات كان احد الاسباب الكبرى وراء قرار اغتيال «ابو جهاد».

استنادا الى اخر حديث ادلى به ابو جهاد قبيل استشهاده، كان رأيه السياسي ينادي بضرورة رد الاعتبار للخيار العسكري العربي وقال ما نصه «لماذا تتحدث امتنا العربية عن التفاوض فقط، لماذ لا نفاوض ونحن نقاتل؟» وفيما يتعلق بالمؤتمر الدولي قال: «يجب القول بان المؤتمر الدولي لم يكن ابدا بالنسبة لنا هدفا في حد ذاته، والانتفاضة لا تناضل من اجل حجز مقعد للمنظمة على طاولة المفاوضات، بقدر ما هي تناضل من اجل تصعيد استراتيجية استنزاف العدو حتى يضطر في النهاية للرحيل».

واضاف ابو جهاد قائلا: «هذه المهمة التاريخية ليست مرتبطة بالمؤتمر الدولي سواء انعقد او لم ينعقد فمصير الاحتلال يتقرر اولا في الارض المحتلة نفسها وليس على مائدة المفاوضات».

وربما كان هذا الموقف السياسي المميز «لابو جهاد» من احد ابرز الاسباب التي عجلت بالموافقة على قرار اغتياله، خاصة اذا كانت الجهات التي وقفت وراء قرار الاغتيال قد اخذت بعين الاعتبار خطورة الاسلوب الفريد الذي يتميز به «ابو جهاد» عن غيره في المزج المحكم ما بين الموقف السياسي، والموقف العملي ـ العسكري.

وقد اشار «زئييف شيف» احد كبار المحللين العسكريين الاسرائيليين الى اسلوب «ابو جهاد» في التعبير عن مواقفه السياسية عندما ربط ما بين عملية «سافوي» في تل ابيب عام ١٩٧٥، وبين وجود هنري كيسنجر في منطقة الشرق الاوسط وهو يدير المفاوضات حول التسوية السياسية المرحلية.

● وربط ما بين عملية «دلال المغربي» عام ١٩٧٨ وبين المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية التي كانت في ذروتها.

وقال: ان ابو جهاد ارسل عشرين «مخربا» لاقتحام وزارة الدفاع في قلب تل ابيب عام ١٩٨٥ عندما كان المبعوث الامريكي مورفي موجودا بالفعل في المنطقة.

واضاف «شيف» ان ابو جهاد خطط لتنفيذ عملية ديمونا في ١٩٨٨/٣/٧ عندما كان وزير الخارجية الامريكي شولتز ينتظر رد جميع الاطراف المعنية على المبادرة التي حملت اسمه.

وخلص زئييف شيف الى القول بان «القاسم المشترك بين هذه العمليات يتمثل في محاولة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج تشويش واعاقة العملية السياسية لتحقيق السلام». وايا كانت صحة الاراء التي يمكن استخلاصها من هذه التقارير فانه سيبقى بلا شك للمواقف السياسية المتميزة «لأبو جهاد»، ولاسلوبه الفريد في تحقيق هذه المواقف دور مهم للغاية في القرار الذي صدر بتصفيته.. واغتياله.

اسرار مهمة «ابو جهاد» في ليبيا

● كان ابو جهاد قد غادر مطار بغداد يوم ١٩٨٧/٢/١ مارا بمطار اثينا وهو في طريقه لعاصمة «اول جماهيرية في التاريخ» كما يحلو للاعلام الليبي ان يطلق على طرابلس.. انها الزيارة الاولى لقائد فلسطيني بعد خمس سنوات من القطيعة شبه الكاملة في ليبيا.

● كانت الجزائر، عبر سفيرها في طرابلس، قد لعبت دورا اساسيا في التمهيد لهذه الزيارة، وشاركها في هذا الدور شخصية قبرصية سياسية مرموقة، فضلا عن السيد «سعد مجبر» السفير الليبي السابق في طهران. انها الزيارة الاولى «لأبو جهاد» الى طرابلس، وهي المرة الاولى التي سيجلس فيها الرجلان: «خليل الوزير» و«العقيد القذافي» وجها لوجه لبحث العلاقات الليبية ـ الفلسطينية التي اتسمت في اغلب فتراتها بالتوتر، الذي لم يخل من فترات متباعدة من الصفاء والتنسيق.. والتعاون.

كانت الحسابات التي اجراها «ابو جهاد» مع نفسه ومستشاريه لصالح قبول الدعوة فورا وبلا تردد.

كان «ابو جهاد» مقبلا على تصحيح العلاقة مع «قوة» يعتقد انها يجب ان تعيد توجيه طاقاتها وتصويب خطواتها في الاتجاه الصحيح، والمكان الصحيح.. وضد العدو الصحيح. وكان يعتقد ان مجرد «اخراج» ليبيا من معاركها الجانبية، سوف يؤدي بالضرورة الى «ادخالها» في معادلة معركتنا الحقيقية، وان ذلك سيكون نقلة نوعية وذات طابع استراتيجي مهم جدا. كانت هذه مهمة «ابو جهاد» غير المعلنة التي كلف نفسه بها وهو في طريقه الى الجماهيرية.

ليبيا كانت بالنسبة لابو جهاد قوة مهمة جدا ١,٧٥٩,٥٤٠ كيلومترا مربعا، وحوالي ٣,٨٠٠,٠٠٠ مواطن، واكثر من ١٨ مليارا من الدولارات دخلا سنويا يخصص منها حوالي ١,٢٩ مليار دولار لميزانية الدفاع، وجيش قوامه ٧٦,٥٠٠ جندي عامل، و٤٠,٠٠٠ من الميلشيا الشعبية، وثلاثة آلاف دبابة منها ١٣٠٠ دبابة حديثة طراز ت ـ ٧٢ ، ت ـ ٦٢، واكثر من الفي ناقلة جنود مصفحة والفي فوهة مدفع من مختلف العيارات، و٦٠٠ عربة راجمة صواريخ، وحوالي ١٥٠ صاروخ ارض ـ ارض سكود، وفروج، واس اس ـ ١٢، و٦ غواصات وفرقاطتان مزودتان بالصواريخ، و٧ طرادات بحرية مزودة بصواريخ سطح ـ سطح، ٢٤ زورقا سريعا مزودا بصواريخ من النوع الذي اغرق واحد منه المدمرة الاسرائيلية ايلات عام ١٩٦٨، فضلا عن ٥٤٤ طائرة مقاتلة قاذفة واعتراضية ومطاردة، ومتعددة المهام. واكثر من ٥٠ طائرة عمودية هجومية، و١٥٠ طائرة هليكوتبر خفيفة، وسربان من

طائرات النقل الثقيلة. هذه القوة الكبيرة لها حدود مشتركة مع ٦ دول اخرى، غير جبهة البحر المتوسط الذي تطل عليه.

● وكانت التقارير الغربية قد اتهمت ليبيا بدعم وتمويل حركات المعارضة في جامبيا والسنغال ومالي والنيجر واوغندا فضلا عن الحرب مع التشاد، والعلاقة مع حركة البوليساريو، وحركة مورو الفلبينية، والحركة النازية الالمانية الجديدة، وجبهة تحرير كورسيكا الفرنسية، والجيش الجمهوري الايرلندي، وحركة الباسك الاسبانية، والالوية الحمراء الايطالية، والجيش الاحمر الياباني، وزنوج امريكا وهنودها الحمر وغيرها وغيرها.

لم يكن «ابو جهاد» من جهته مهتما كثيرا بالتدقيق في صحة المعلومات التي تتضمنها التقارير الاوروبية واتهاماتها لليبيا، كان ما يعنيه بالدرجة الاولى ان يسهم في تعزيز الحركة الليبية التي كانت تسعى لتصحيح اتجاه بوصلتها الداخلية. لم تكن هذه المهمة مستحيلة.. لكنها ايضا لم تكن سهلة. كانت هناك قوى كثيرة داخل ليبيا، وداخل منظمة التحرير الفلسطينية، خارج ليبيا، وخارج منظمة التحرير، تعمل على تخريب زيارة «ابو جهاد» واجهاض مهمته حتى قبل ان تبدأ.

●●●

العقيد معمر القذافي بعد اللقاء الاول مع «ابو جهاد» اكتشف انه «رجل الجبل»، وهو اصطلاح جزائري ومغاربي يعني «انه قائد المقاومة».

وبفضل صدق «ابو جهاد» وحماسته وغزارة معلوماته وروحه العملية، توطدت بسرعة العلاقة بينه وبين العقيد القذافي، الذي كان ينصت بالساعات الطوال لاحاديث «ابو جهاد» الملتهبة عن الارض المحتلة واوضاع الشعب الفلسطيني هناك. ومع تعدد زيارات «ابو جهاد» للجماهيرية كانت «ابرة» البوصلة الليبية تتحرك، ولو ببطء، ولكن في الاتجاه الصحيح.

في هذا الوقت كانت كثير من القوى الدولية والمحلية تتابع عن كثب نتائج زيارات ابو جهاد المتكررة لليبيا. وكان البعض ينظر بخطورة بالغة لهذه العلاقة التي تتوطد مع مرور الزمن.

وزير دفاع عربي متقاعد، شبه هذه العلاقة بوضع المواد المشتعلة شديدة الالتهاب جنبا الى جنب داخل مستودع ضخم للذخيرة، واضاف «الخطورة ان الانفجارات ستحصل في منطقة الشرق الاوسط، وليس في غابات افريقيا النائية او ميادين اوروبا البعيدة» وختم بقوله: «اعتقد ان شيئا ما سيحدث لنزع الفتيل من هذه القنبلة او عزل هذه المواد المشتعلة عن بعضها البعض».

وقبل ان تتحق نبوءة هذا العسكري المحنك، كانت جهود «ابو جهاد» المكثفة قد اسهمت الى حد كبير في دفع الخطوات الليبية باتجاه اعادة تصويب البوصلة قريبا من الاتجاه الصحيح.

● وعلى ضوء ذلك اعيد تقويم العلاقات الليبية ـ الايرانية. واوقفت ليبيا تزويد طهران بصواريخ ارض ـ ارض، وادانت قصف المدن.

● وبالمقابل بذل «ابو جهاد» جهدا مضاعفا لاعادة تصحيح العلاقات الليبية ـ العراقية التي شهدت تحسنا نسبيا باتجاه الانفراج التدريجي.

كما اثمرت جهود «ابو جهاد» في الفصل ما بين الموقف الليبي والسوري فيما يتعلق بالشؤون الفلسطينية، واتخذت الجماهيرية موقفا صحيحا وحازما من الحرب على المخيمات الفلسطينية في لبنان وادانت القوى التي تقف وراءها، وكانت طرابلس قد احتضنت في شهر ٢/١٩٨٧ لقاءات فلسطينية مكثفة كانت تهدف الى تعزيز الوحدة الوطنية وتمهد لعقد الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني بنجاح. ثم اعادة ليبيا فتح مكاتب منظمة التحرير.

وهكذا شيئا فشيئا بدا ان ليبيا تتحرك باتجاه الانسحاب من معارك الاطراف البعيدة، لتنشغل اكثر فاكثر بهموم معركة المركز.. والقلب.

كانت الانجازات التي تحققت جيدة.. ومرضية، لكن التحول النوعي الحقيقي بدأ فعلا مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في ١٩٨٧/١٢/٩.

كانت الزيارة قبل الاخيرة لأبو جهاد الى ليبيا قد تمت في يوم ١٩٨٧/١٢/٢٣، وبناء على دعوة من العقيد القذافي وصل «ابو جهاد» الى طرابلس مساء قادما من بغداد ومارا في هذه المرة بمطار اسطنبول التركي. وفي صباح اليوم التالي استقبله العقيد القذافي في خيمته في جلسة من ٥ ساعات متواصلة، عرض فيها ابو جهاد على العقيد تفاصيل مذهلة عن اوضاع الانتفاضة، كما سهل له الاتصال، عبر وسائله الخاصة مع «بسام الشكعة» في نابلس!

وهكذا اكتملت في هذه الزيارة قناعة العقيد القذافي بأنه يتعامل مع «رجل الجبل»، و«رجل الانتفاضة» ايضا.

زيارة «ابو جهاد» الاخيرة لليبيا جرت قبل اقل من عشرة ايام فقط من استشهاده في ١٩٨٨/٤/١٦.

وكانت الطائرة التي اقلعت به من تونس باتجاه طرابلس قد اصيبت بعطل فني في احد محركاتها، وكعادته حول «ابو جهاد» توتر مرافقيه وقلقهم عليه الى دعابة ضاحكة، واضطرت الطائرة للعودة الى تونس وتأجل السفر لليوم التالي.

عندما التقى «ابو جهاد» العقيد القذافي في هذه المرة كان قرار اغتياله قد صدر فعلا في «تل ابيب» وكانت طلائع مجموعات الموساد قد وصلت بالفعل الى تونس

لاعداد الترتيبات النهائية لعملية اغتياله بعد عودته من ليبيا.

ويبدو انه لا «ابو جهاد»، ولا «العقيد القذافي» قدرا بشكل دقيق خطورة العلاقة بينهما.

بينما كانت تقارير الآخرين تشعل الضوء الاحمر، وتدق نواقيس الخطر لتنبه بشدة من الخطورة السياسية لانسحاب ليبيا النهائي من معاركها الوهمية، واقترابها التدريجي من جبهة المعركة الحقيقية.

وكان هناك من ينبه بشدة من خطورة وضع ربع الامكانيات التي كانت بيد «البوليساريو» مثلا في قبضة رجل مثل «ابو جهاد»... «رجل الجبل»، و«رجل الانتفاضة» وصاعق القنبلة الذي انتزعوه قبل ان ينفجر في مخازن ذخيرتهم.

الالماني كيسلر و اغتيال ابو جهاد

● وردت في احد التقارير الذي سربته اجهزة مخابرات دولة اوروبية، اشارة تفيد بان علاقة «ابو جهاد» بالمانيا الديمقراطية، وبوزير دفاعها الرفيق «هاينز كيسلر» كانت من احد الاسباب التي وقفت وراء القرار باغتياله!!

ورغم الدس الواضح في هذا التقرير الا ان الاشارة بحد ذاتها مثيرة، وتطرح العديد من التساؤلات المهمة حول صحتها.. وجديتها.

لماذا تكون علاقة ابو جهاد بالمانيا الديمقراطية بالذات سببا في قرار اغتياله؟

كان «لابو جهاد» علاقات ربما اقوى بعدد اخر من الدول الاشتراكية والشرقية.

ورغم ان «ابو جهاد» كان مصنفا في الاوساط «اليسراوية» باعتباره «يمينيا» او قائدا لمعسكر اليمين الفلسطيني، الا ان احدا لا يستطيع ان ينكر انه بفضل مبادرات ابو جهاد نفسه كانت العلاقات الفلسطينية قد اقيمت وتوطدت مع عدد كبير من الدول الاشتراكية مثل الصين، وفيتنام وكوريا الشمالية، ويوغوسلافيا، والمجر، وبولندا وبالطبع مع المانيا الديمقراطية.

وكان «ابو جهاد» محل احترام وتقدير القادة السياسيين والعسكريين في هذه البلدان.

لكن «ابو جهاد» نفسه كان يشعر بتقدير خاص تجاه «الصين» التي استقبلته في عام ١٩٦٤، وبادرت فى فتح اول مكتب فلسطيني في الخارج في عاصمتها بكين، وقدمت اول دعم مالي وعسكري للثورة، وقد تطور هذا الدعم سنويا ليغطي الاحتياجات التموينية والادارية والتسليمية لحوالي ١٥ الف مقاتل.

واذا كانت العلاقة مع المانيا الديمقراطية قد تأخرت الى مرحلة تالية بعد الزيارات التاريخية الاولى للصين وفيتنام وكوريا، الا انها توطدت بسرعة، واحتلت مكانة

مميزة في شبكة العلاقات الفلسطينية الخارجية.

وقد اشار «ابو جهاد» باعتزاز خاص للمواقف الالمانية التي لم تتأثر بمسحة الفتور التي اصابت العلاقات الفلسطينية ـ السوفياتية في بعض المراحل بل انها على العكس استقبلت «ابو عمار» في هذه الفترة بكثير من الود والحرارة.

ولعب الرئيس الالماني «هونيكر» دورا اساسيا في تقديم «ابو عمار» لـ «جورباتشوف» في اول لقاء جرى بينهما في المانيا.

كما اشار «ابو جهاد» باعتزاز خاص للموقف الالماني من حصار طرابلس ١٩٨٣ وكيف كانت المانيا الديمقراطية هي الدولة الوحيدة التي قدمت للثورة الفلسطينية دعما عسكريا مباشرا اثناء الحصار هناك، فضلا عن موقفها السياسي المبدئي الثابت في دعم القضية الفلسطينية.

وقد كان للرفيق «هوفمان» وزير الدفاع الالماني السابق دور مهم، من خلال صداقته «لابو جهاد» في تعزيز العلاقات الالمانية الفلسطينية، وعندما توفي هذا الرجل تأثر «ابو جهاد» وشعر بحزن بالغ لفقدان هذا الصديق الكبير، لكن سرعان ما حل الرفيق «هاينز كيسلر» نائبه محله كعضو في المكتب السياسي للحزب الاشتراكي الالماني الموحد وكوزير للدفاع، وكصديق وفي للشعب الفلسطيني و«لابو جهاد».

وبناء على دعوة خاصة موجهة من «كيسلر» قام ابو جهاد في ١٩٨٧/١١/٣ بزيارة رسمية لجمهورية المانيا الديمقراطية. وقد خص «ابو جهاد» في هذه الزيارة باستقبال خاص اثار انتباه كثير من المراقبين، اذ استقبل منذ لحظة هبوطه الى ارض المطار بشكل حار وودي، واستعرض في مراسم رسمية حرس الشرف، وعزفت الموسيقى النشيدين الوطني الفلسطيني، والالماني، وعومل «ابو جهاد» كضيف رسمي كبير على المانيا.

ومن المؤكد ان الاجهزة الامنية في عدد من عواصم العالم كانت معنية هي الاخرى بمتابعة برنامج زيارة ابو جهاد لالمانيا، وبشكل خاص متابعة الجانب العسكري من الزيارة الذي اشتمل على عرض جوي خاص قدمته الاسراب المقاتلة الالمانية، وعلى مناورة عسكرية حضرها «ابو جهاد» وتمثل هجوم وحدات عسكرية خاصة بحجم كتيبة مسندة على مواقع عسكرية معادية حصينة والاستيلاء عليها.

وعلى الرغم من اهمية العرض الجوي، والمناورة الجوية الا ان «ابو جهاد» الذي قدر هذه اللفتة، لم يكن في وارد الاستفادة العملية مما شاهده.

ويبدو ان اسرائيل وجهات اخرى قد شعرت بالقلق من احتمالات التعاون بين المانيا الديمقراطية و«ابو جهاد» في المجالات الاخرى التي تتمتع فيها المانيا بخبرات خاصة وتاريخية واسعة، وبشكل خاص في المجالين الامني والاستخباري.

ومع ذلك لم يتسرب اي خبر عن اتفاقات عقدت بين الجانبين الفلسطيني ـ

والالماني في هذه الزيارة.

الا ان تقديرات الاجهزة الامنية الاسرائيلية، والغربية كانت تتوقع حدوث مثل هذه الاتفاقات ولو بشكل سري، وكانت تتخوف من انعكاسات هذه الاتفاقيات على اوضاعها الخاصة.

واذا كانت هناك بالفعل اسرار خاصة لزيارة ابو جهاد لالمانيا، فان ابو جهاد اخذ سره معه للابد، بينما يبقى مع الرفيق «كيسلر» النصف الثاني من السر، اذا كان هناك سر اصلا، لكن هذا ما اعتقدت اجهزة الامن المعادية وجوده، وما اعتبرته واحدا من الاسباب التي كانت وراء قرار اغتيال ابو جهاد.

ضريبة الرجل المقبول

** ربما كان السبب السادس الذي وقف وراء قرار اغتيال ابو جهاد غريبا وغير مألوف.

* فهل يمكن ان يكون احد اسباب اغتيال ابو جهاد راجعا الى تزايد الطابع المحوري المقبول لشخصه على المستويين الفلسطيني.. والعربي؟!!

* كان «ابو جهاد» قد برز «كرجل مقبول» من جميع الاطراف في عام ١٩٨٤ الذي شهد المباحثات الطويلة والشاقة بين الفصائل الفلسطينية التي توصلت ايامها الى اتفاق عدن ـ الجزائر.

* كان ابو جهاد قد لعب دورا محوريا في التوصل الى هذا الاتفاق، الذي لم يصمد طويلا امام ضغوطات اطراف اخرى غير فلسطينية منعت ايامها تتويج هذا الاتفاق بعقد دورة جديدة للمجلس الوطني الفلسطيني بحضور جميع الاطراف التي وقعت على الاتفاق.

وفي اعقاب الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في عمان، بدا وكأنه من الصعب، ان لم يكن من المستحيل استعادة الحد الادنى من اجواء الوحدة الوطنية الفلسطينية المهدرة.

كان «ابو جهاد» بحكم علاقته اليومية المباشرة مع الارض المحتلة، يشعر بها اكثر من الآخرين، بالانعكاسات السلبية لحالة الانقسام التي كانت سائدة في صفوف الفصائل الفلسطينية على الوضع السياسي العام داخل الارض المحتلة.

وعلى الرغم من ان قوائم تنظيم حركة فتح وحركة الشبيبة قد تمكنت من الفوز بأغلب المواقع القيادية في الجامعات والنقابات العمالية والمهنية داخل الارض المحتلة الا ان «ابو جهاد» المسؤول عن ذلك لم يكن من انصار الانفراد، بل كان يعتقد ان

مسؤولية التنظيم الاكبر ان يبادر بدعوة الفصائل الاخرى الى تعزيز الوحدة الوطنية.

ومن المفارقات الغريبة ان «ابو جهاد» الذي اقام في عمان لاكثر من عامين بشكل متواصل تقريبا، والذي زار القاهرة مرارا واقام لبعض الوقت فيها لم توجه له اي انتقادات سياسية بسبب ذلك، بل على العكس تزايد الاجماع حوله «كرجل مقبول» طلب الجميع محاورته بدءا من «جورج حبش، ونايف حواتمة وسليمان النجاب مرورا بطلعت يعقوب، وسمير غوشة، وصولا الى «ابو نضال» صبري البنا.

وعندما انفضت جلسات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، لم يكن «ابو جهاد» قد حصل على اي موقع في اللجنة التنفيذية الجديدة لكنه مع ذلك كان قد استحق وعن جدارة ان يتوج بالاجماع كبطل حقيقي للوحدة الوطنية.

ومنذ اندلاع الانتفاضة سلم الجميع «لابو جهاد» بقيادة دفة امورها، فترأس اللجنة العليا للارض المحتلة المنبثقة عن اللجنة التنفيذية، والتي ضمت ممثلين قياديين عن الفصائل الفلسطينية، والتي كانت تتولى حتى استشهاده قيادة العمل اليومي في الارض المحتلة.

وليس مستبعدا اذن وحسب الدوافع والاهداف الاسرائيلية المعلنة، ان يكون «ابو جهاد» قد دفع حياته ثمنا للاجماع عليه «كرجل مقبول». من طرف في الصراع، و«كرجل غير مقبول» من الطرف الاسرائيلي المقابل.

الطلقات في تونس.. وصداها في لبنان

● سابع الاسباب وآخرها، التي وقفت وراء قرار اغتيال ابو جهاد في تونس، كانت تتعلق بوزنه ودوره المحتمل في لبنان، وخاصة في الفترة المقبلة التي يفترض ان تشهد تطورات مهمة كان من الضروري التمهيد لها بشكل يزيح كل عقبة يحتمل ان تقف في طريقها.

وربما لأن «ابو جهاد» كان مرشحا للعب دور اساسي في المعادلة اللبنانية، ليس فقط عن طريق الرقم الفلسطيني في هذه المعادلة، وانما ايضا عن طريق شبكة علاقاته المميزة والممتدة على طول لبنان من اقصى شماله الى اقصى جنوبه.

ورغم ان «لبنان» كان قد تراجع الى المرتبة الثانية في قائمة «اولويات ابو جهاد» بعد قراره «بالعودة» الى الارض المحتلة الا ان جذور علاقاته هناك كانت ماتزال حية تنبض وقابلة للنمو بل وللتحدي ايضا.

الذين عايشوا تاريخ علاقات ابو جهاد في لبنان، اكدوا على مقدرته الفريدة في تفكيك التحالفات القائمة، وتركيب تحالفات جديدة بديلة لها.

وربما كانت قصة الضابط اللبناني «احمد الخطيب» و«جيش لبنان العربي» حاضرة في اذهان الذين اتخذوا قرار اغتيال «ابو جهاد» رغم مرور اكثر من احدى عشرة سنة على هذه القصة التي لعبت دورا بارزا ايامها في مجريات حرب السنتين.. ونتائجها.

على ان قرار اغتيال «ابو جهاد» في تونس لم ينطلق بالاساس من مشاعر الخوف باحياء اشباح الماضي البعيد بقدر ما كانت اسبابه الحقيقية تتعلق بالخوف من علاقاته التي اقامها في لبنان حتى وهو بعيد عنه بعد خروجه في عام ١٩٨٢.

كان «لابو جهاد» اسلوب مميز في عقد التحالفات، لأنه كان يبحث دائما عن نقاط الاتفاق والالتقاء، بينما يعمل على تحييد كل نقاط الخلاف والاختلاف ويجمدها.

وبفضل هذا الاسلوب احتفظ مثلا بعلاقات مميزة مع «حزب الله» رغم معارضة «ابو جهاد» الثابتة للمشروع الايراني في لبنان، وكانت هذه العلاقة بالذات مصدر قلق بالغ لدى الكثيرين، وقد بذلت عشرات المحاولات لتخريب هذه العلاقة بكل الطرق بما في ذلك الالحاح على الدعاية التي تقول ان اغلب القيادات الحالية «لحزب الله» هي بالاساس من خريجي «مدرسة ابو جهاد» قبل ١٩٨٢ وان هؤلاء كانوا الجسر الذي يتم من خلاله التنسيق الميداني بين «ابو جهاد» من جهة وقيادة حزب الله من الجهة الاخرى.

ورغم ان احدا لم يوجه اية تهمة «لأبو جهاد» بخصوص مسألة اختطاف الرهائن في لبنان، الا ان الكثيرين مع ذلك اعتقدوا ان بصمات «ابو جهاد» لم تكن غائبة تماما عن نشاطات «حزب الله» في جنوب لبنان، وفي الفترة العصيبة التي عاشها لبنان ايام وجود قوات المارينز، وفي السنوات التي شهدت الحرب على المخيمات. كما لم يكن خافيا على احد علاقات «ابو جهاد» المميزة بقوى اخرى فاعلة على الساحة اللبنانية، وخاصة بالحزب الاشتراكي التقدمي الذي يترأسه السيد وليد جنبلاط، كانت هذه العلاقة التاريخية قد لعبت دورا مهما في المواقف التي اتخذها حزب جنبلاط، وخاصة فيما يتعلق بادانة حرب الابادة والتهجير التي يتعرض لها الفلسطينيون في لبنان، وتقديم الدعم لهم.

وهناك ايضا علاقات «ابو جهاد» المميزة بقوى سياسية اساسية في طرابلس وبيروت.. وصيدا وحتى في بعض الاوساط المارونية اللبنانية الوطنية.

كان تطور الاحداث في لبنان سيفرض على الجميع ضرورة الدخول في اصطفافات جديدة كان «ابو جهاد» بالتأكيد مرشحا للعب دور المهندس الرئيسي لها. وكلما كانت الازمات اللبنانية تتصاعد كانت الاشاعات ترشح «ابو جهاد» للعودة الى لبنان وكانت عدة تقارير قد «اكدت» في الخمس سنوات الماضية ان «ابو جهاد» قد عاد سرا واكثر من مرة في زيارات خاطفة لبيروت وللجنوب اللبناني. ورغم انه لا يوجد ما يؤكد هذه

المسألة، فان «ابو جهاد» نفسه لم ينفها ابدا بشكل قاطع، وفضل ان تبقى كل الاحتمالات، بما في ذلك عودته الجدية الى لبنان، مفتوحة.. وغير مغلقة.. قبل استشهاد «ابو جهاد» كانت كل النذر تشير الى تجمع رياح الازمة الكبرى في الارجاء الاربعة للافق اللبناني، ومن جديد اعيد طرح اسم «رجل الازمـات والمهمات المستحيلة» ويبدو ان نجاحا آخر كان يتوقع ان يحققه «ابو جهاد» في لبنان كان من شأنه ان يؤجج لهيب الانتفاضة، ويعزز من استمراريتها، ويدعم تصاعدها ان كل الاحداث التي يشهدها لبنان منذ اغتيال «ابو جهاد» تفسر لنا اليوم ما جرى يوم ١٦/٤/١٩٨٨ في تونس، وتجاوبت اصداءه في لبنان.

وبعد ... ليس لدينا الآن ما نضيفه من اقوال جديدة لكن التحقيق في جريمة العصر لم يغلق بعد ولا يجب له ان يغلق ا بدا لا على المستوى الامني ولا على المستوى السياسي والى ان نعاقب القتلة على جرائمهم، او نعاقب انفسنا على اخطائنا فلن يغفر لنا احد لا «ابو جهاد» ولا الذين استشهد من اجلهم، ان نغلق ملف التحقيق قبل ان ينتهي..



صور.. ووثائق

الشهيدة البطلة دلال المغربي التي قادت المجموعة الفدائية واقتحمت حدود الوطن المحتل عام ١٩٧٨





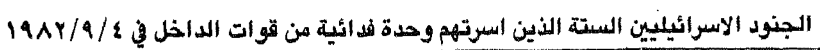
ابو جهاد والاسباب السياسية السبعة لاغتياله

ابو جهاد يستعرض المجموعات المقاتلة الثلاث المكونة من عشرين فدائيا انتحاريا قبل صعودهم متن السفينة التي انطلقت بهم الى هدفهم في قلب تل ابيب ٢١/٤/١٩٨٥



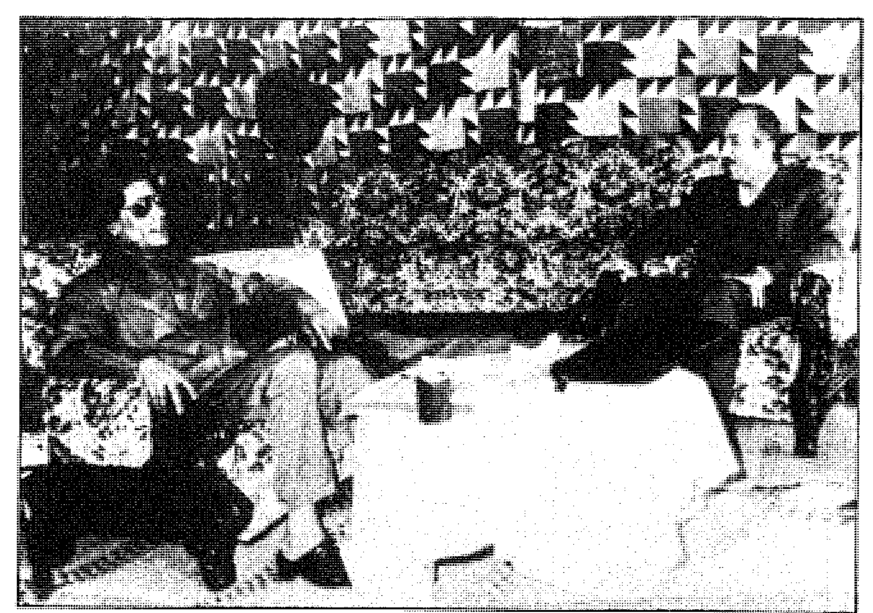


ابطال عملية سافوى الفدائية

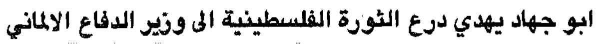


الجنود الاسرائيليين الستة الذين اسرتهم وحدة فدائية من قوات الداخل في ١٩٨٢/٩/٤





القائد الشهيد ابو جهاد مع العقيد معمر القذافي في ليبيا



ابو جهاد يهدي درع الثورة الفلسطينية الى وزير الدفاع الالماني



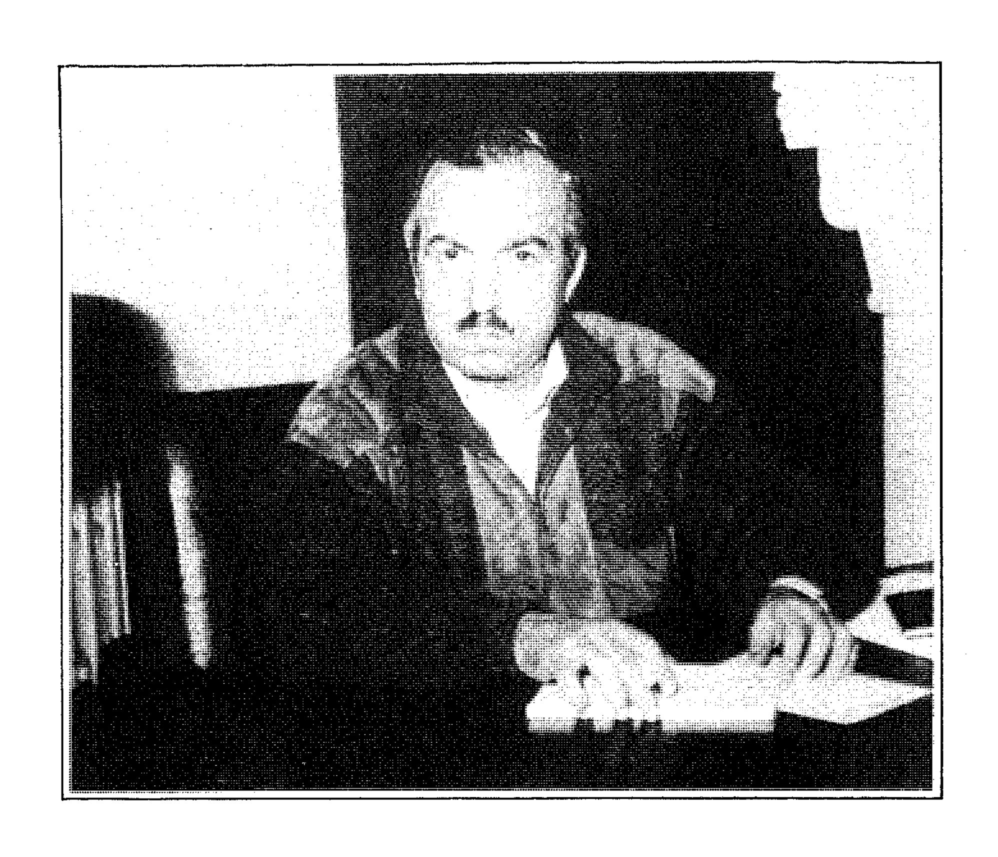


ابو جهاد يلتقي في تونس الرئيس زين العابدين بن علي.



ابو جهاد في الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني ـ البطل الحقيقي للوحدة الوطنية.





الفصل الثاني

ابو جهاد والانتفاضة
الرسالة التي تحولت
الى دستور للانتفاضة

١ كيف تؤخذ القلعة الصهيونية من الداخل

● قبل يوم ١٩٨٧/١٢/٩ كان هناك سؤال كبير مايزال معلقا فوق كل الرؤوس. كيف تؤخذ القلعة الحصينة التي بنتها الحركة الصهيونية، على مدار اربعين سنة، فوق الاراضي الفلسطينية السليبة.

حتى فجر يوم ١٩٨٧/١٢/٩ كانت الاجابة على هذا السؤال الكبير ماتزال محصورة في اطار ثلاثة اجتهادات اساسية.

الاجتهاد الاول، يعتقد ان الهجوم العسكري على هذه القلعة من خارجها كفيل وحده بتحطيم حصونها.. واختراق تحصيناتها.

اما الاجتهاد الثاني، فيعتقد ان فرض الحصار الطويل على هذه القلعة يمكن ان يدفع سكانها للانتحار الجماعي على طريقة «الماسادة» التي تحتل مكانة محورية في الوعي اليهودي، والتي تزعم ان ٩٦٠ يهوديا هم كل سكان القلعة من الرجال والنساء والاطفال قد فضلوا ممارسة الانتحار الجماعي على التسليم للرومان الذين حاصروهم في قلعتهم لعدة سنوات.

والاجتهاد الثالث يعتقد ان هجوم السلام هو حصان طروادة الذي يمكن ان يدخلنا بخدعته الى قلب القلعة الاسرائيلية الحصينة.

حتى صباح يوم ١٩٨٧/١٢/٩ كانت القلعة الاسرائيلية الحصينة ماتزال على حالها وهي محمية بقوات مسلحة قوامها ١٤١ الف جندي، يرتفع عددهم عند التعبئة العامة بين ليلة وضحاها فقط الى ٦٤٥ الف ضابط وجندي، يعملون تحت غطاء من حوالي ١٠٠ رأس نووي او ما يزيد على ذلك قليلا مع عدد من بطاريات صواريخ «اريحا» ذات مدى يبلغ حوالي ٨٠٠ كيلومتر، فضلا عن الصواريخ الاخرى

الموجهة من طرازات «لانس»، و«زئيف» و«وولف».

وتنتظم القوات الاسرائيلية في ١١ فرقة مدرعة تمتلك ٣٩٠٠ دبابة قتال، وفي ٩ الوية مشاة ميكانيكية، وفي ٥ ألوية مظليين ووحدات خاصة و١٥ لواء مدفعية، وقواتها البحرية تمتلك ٣ غواصات و٤ طرادات، وحوالي ٥٨ زورقا حربيا، وصواريخ بحرية موجهة من عائلة «جابريل» و«هاربون» و١٢ سفينة انزال، وقواتها الجوية لديها ٦٧٦ طائرة قتالية حربية، وعدد من اسراب الطائرات العمودية الهجومية، والطائرات بدون طيار، فضلا عن المنظومات الالكترونية الحديثة للقيادة والتحكم والاتصالات والعمليات الاستخبارية، ووسائط الحرب الالكترونية، والوسائط المضادة للحرب الالكترونية وغيرها.. وغيرها من اسلحة ترسانة القلعة الاسرائيلية الحصينة والمتفوقة نوعيا.

الى ما قبل منتصف نهار يوم ١٩٨٧/١٢/٩ كان السؤال الكبير ذاته مايزال معلقا فوق كل الرؤوس، دون اجابة وافية او رد حاسم وكانت القلعة الاسرائيلية الحصينة ماتزال قادرة على ردع الآخرين عن التفكير في شن حرب عليها، وكانت ايضا ماتزال قادرة على نقل الحرب دائما الى اراضينا نحن!!

وحتى ذلك التاريخ لم تكن قذيفة واحدة من مدافعنا الثقيلة، او من طائراتنا المقاتلة قد اخترقت حصون القلعة الاسرائيلية، ولم يصب مركز «ديزنكوف سنتر» في قلب تل ابيب بشظية واحدة من قنابلنا وصواريخنا، ولم تكن الحروب العربية ـ الاسرائيلية كلها قادرة على اشعال حريق واحد في مستوطنة «بارغيورا التي تطوق بيت المقدس الشريف مع ٥٠ مستوطنة صهيونية اخرى.

وحتى ذلك التاريخ ايضا كان اليهود قادرين على خلع معظم ملابسهم تحت شمس «نهاريا» الساطعة او على سواحل حيفا ويافا وعكا، دون خوف من تلصص عيون اساطيلنا وغواصاتنا، التي تمتلك دولة عربية واحدة منها ضعف ما يملكه العدو الاسرائيلي.

.. لكن اخيرا وعندما انتصف النهار، وكانت الشمس في كبد السماء يوم ١٩٨٧/١٢/٩، جاءتنا الاجابة ووافانا الرد على السؤال الكبير كيف تؤخذ هذه القلعة الاسرائيلية الحصينة؟

في هذا التاريخ وقبل سبعة اشهر كانت شرارة الانتفاضة الفلسطينية قد اندلعت لتعلن لنا في بساطة عبقرية «ان هذه القلعة بالذات لا تؤخذ الا من الداخل».

وهذا الاعلان كان، فيما نعتقد، اهم انجازات «خليل الوزير ـ ابو جهاد» جنرال الانتفاضة ومهندسها الذي سهر لاكثر من ٣٥ عاما منكبا على درس كل دقائق هذه القلعة الاسرائيلية الحصينة وتفاصيلها، وجرب معها ثم جرب، واخطأ ثم اخطأ، ثم اصاب.. واخيرا اصاب.

فهذه القلعة لا تؤخذ بالفعل الا من الداخل، كانت هذه هي الاجابة التي صاغها «ابو جهاد» بحكمته المتواضعة، بعيدا عن عبثية التنظير والادلجة، وعن تعقيدات حسابات التوازن الاستراتيجي، وضجيج الخطابة، وطنين الشعارات الفارغة.

ولقد برهنت الانتفاضة، حتى الان، على صحة هذا القانون الخاص، وايا كان مصير الانتفاضة نفسها، وسواء انجزت برنامجها بالكامل، او ترجلت في مسارات الطريق الطويل المتعرج فسيبقى هذا القانون الخاص صحيحا وصائبا لليوم وغدا وهذه القلعة الاسرائيلية ستؤخذ من الداخل، حيث جيشنا الحقيقي هناك، قرابة المليونين من الجنود المقاتلين، نصفهم تقريبا من الامهات اللاتي يلدن اطفالهن في الشوارع والمظاهرات.

وحيث يمتلك جيشنا هذا كل اسلحة الدمار الشاملة، القنبلة الديمغرافية المتفجرة، والحجارة السجيل.. ولهيب النار المقدسة، وابداعات العقل الجمعي لشعب متحرق للحرية ومتعطش للاستقلال.

والا فما الذي يمكن ان يبطل فعل الرؤوس النووية والصواريخ بعيدة المدى، والاربعة آلاف دبابة، والسبعمائة طائرة، والاسلحة دقيقة التوجيه، ومنظومات التسليح الالكترونية، والتفوق الاسرائيلي النوعي، والجسر الامريكي الجوي، ومناخ الوفاق الدولي بين العملاقين، وفرض الاسترخاء العسكري على منطقتنا، وتدفق الهجرة اليهودية على فلسطين المحتلة من الخزان السوفياتي المثقوب.

ما الذي يمكن ان يبطل فعل كل ذلك الجبروت المتكبر، ليتقدم بعدها وينقل المعركة ولاول مرة الى قلب العدو نفسه، ويضرب «اخيل» الاسرائيلي في عقبه، وفي نقاط ضعفه القاتلة.

كل هذه الاسئلة الكبيرة ظلت معلقة فوق كل الرؤوس الى ان وجدت اجابتها الصحيحة في ظهيرة يوم العرب التاريخي يوم ١٩٨٧/١٢/٩ حيث اعلنت الانتفاضة «ان هذه القلعة الاسرائيلية لا تؤخذ الا من الداخل».

ليس سرا ان نعلن اليوم ان الشهيد «ابو جهاد» عقل الانتفاضة وجنرالها، كان على اتصال دائم ووثيق الصلة بالانتفاضة وان هذا الاتصال كان منتظما كالدورة الدموية عبر شبكات واقنية بسيطة وغاية في البساطة طرزها «ابو جهاد» من نسيج الحياة اليومية للشعب الفلسطيني في الارض المحتلة بحيث استحال على كل اجهزة الاحتلال الاسرائيلي ان تعيقها او تعطلها.

ويشهد ارشيف «ابو جهاد» وملفاته الخاصة على ذلك عبر آلاف الرسائل المتبادلة، والتي ما انقطع سيلها يوما منه.. واليه، حتى ان آخر مهمة كان يتهيأ لانجازها قبيل استشهاده مباشرة بعد منتصف ليلة ١٦/ ١٩٨٨/٤، كانت هي اتمام رسالة جديدة في سلسلة الرسائل التي كان يحرص على تبادلها مع الانتفاضة كلما

شعر ان ذلك ملحا وضروريا وعاجلا.

.. وكانت احدى اهم هذه الرسائل، تلك التي كتبها «ابو جهاد» وارسلها للانتفاضة في يوم ١٩٨٨/٣/٢٧، والتي حملت يومها عنوان «لنستمر في الهجوم».

.. كانت هذه الرسالة بمثابة الدستور الذي حدد في هذا الوقت المبكر من عهد الانتفاضة الخط السياسي الثابت لها، والتكتيكات التي نشهدها اليوم، والتي اسهمت في تحرك الانتفاضة من حرب الحجارة الى حرب الحرائق، في الاطار الذي حدده «ابو جهاد» بنفسه للاستمرار في الهجوم، تأكيدا منه على ضرورة احتفاظ الانتفاضة بشكل دائم بروحية الهجوم وبزمام المبادرة والمبادأة، والزام العدو بالمقابل بالبقاء مكبلا في اسر مواقع الدفاع والتخبط في دوائر ردود الفعل، دون ان يكون قادرا على انتزاع الفعل نفسه او المبادرة والهجوم من ايدي الانتفاضة. كان «ابو جهاد» يقول دائما ان هذا هو بالتحديد جوهر فن الانتفاضة وشرط استمرارها وانتصارها.. الهجوم.. والاستمرار في الهجوم.

وليس من قبيل المصادفة ان تعقد هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي جلسة خاصة في مقر رئيسها الجنرال «دان شمرون» في يوم ١٩٨٨/٦/٢٥، لتبحث تطورات الانتفاضة بمناسبة مرور نصف عام على اندلاعها. وقد رشح عن هذه الجلسة الانتقادات الحادة التي وجهتها مصادر عسكرية اسرائيلية رفيعة المستوى «لكون الجيش كان بوجه عام قوة رد وليس قوة مبادرة»، واضافت هذه المصادر انه يتعين على الجيش ان يظهر المزيد من المبادرة.

عندما هم «ابو جهاد» بتسطير رسالته «لنستمر في الهجوم» كانت الانتفاضة تقترب من لحظة مفصلية حاسمة في مسيرتها، عدد الشهداء والمصابين والمعتقلين في تزايد مضطرد، واجراءات قوات الاحتلال الصهيوني المضادة للانتفاضة في تصاعد، وموجة التغطية الاعلامية الاوروبية والعالمية آخذة في الانحسار شيئا فشيئا، بسبب اجراءات الرقابة العسكرية، والتعتيم الاعلامي الاسرائيلي، وبسبب تخوف الادارات الحاكمة، وخاصة في امريكا واوروبا الغربية من امكانية تحول حالة التعاطف الشعبي التي تغذيها التغطية الاعلامية اليومية للانتفاضة الى حالة ضغط شعبي، يمكن ان يؤثر في النهاية في القرار السياسي الامريكي والاوروبي في اتجاه معاكس للمصالح الاسرائيلية.

كل ذلك كان مقلقا «لابو جهاد» لكنه مع ذلك لم يكن خطيرا بالنسبة لجنرال الانتفاضة.. ومهندسها، ما كان خطيرا بالنسبة له هو على نحو خاص امران: الامر الاول كان يتعلق بمحدودية الخسائر التي وقعت في صفوف الجانب الاسرائيلي على المستوى البشري والمادي والمعنوي.

كان «ابو جهاد» يقول: ان القيادة الاسرائيلية طلبت التدخل الامريكي في عام

١٩٦٩ عندما اشعلت مصر حرب الاستنزاف، وشهد الجانب الاسرائيلي ظاهـرة اعادة الجنود من جبهة القناة محملين في توابيت خشبية، او على حمالات الاسعاف، وباعتراف العدو وصل عدد القتلى على جبهة قناة السويس في الفترة من ١/١/١٩٦٩ ـ الى ٣١/٨/١٩٧٠ (٧٣٨) قتيلا اسرائيليا، وهذا الرقم يفوق مجموع الخسائر الاسرائيلية من القتلى على الجبهات الثلاث في سيناء، والاردن والجولان في حرب ١٩٦٧ والذي بلغ ايامها (٦٨٩) قتيلا اسرائيليا.

.. قال ابو جهاد ايضا: ان قيادات العدو الاسرائيلي ومناحم بيجن على رأسها، كانت قد اضطرت في عام ١٩٨١ لتطلب من الادارة الامريكية التدخل لترتيب وقف اطلاق النار في حرب الخمسة عشر يوما التي اندلعت بين المقاومة الفلسطينية والقوات الاسرائيلية في ١٧/٧/١٩٨١، وعرفت ايامها باسم «حرب المدفعية» والتي شهدت اوسع ظاهرة لهرب المستوطنين اليهود من مستعمرات شمال فلسطين المحتلة الى الداخل بسبب الخسائر التي احدثتها صواريخ الكاتيوشا وقذائف المدفعية الفلسطينية.

.. قال «ابو جهاد» ايضا: ان الخسائر العالية لاسرائيل في حرب ١٩٨٢، وفي حرب الاستنزاف التي خاضتها القوات الفلسطينية ـ اللبنانية المشتركة ضد القوات الاسرائيلية في لبنان من عام ١٩٨٢ الى ١٩٨٤، هي التي اضطرت العدو في النهاية للانسحاب من لبنان. قبل ان يكتب «ابو جهاد» وثيقة «لنستمر في الهجوم» ويرسلها للانتفاضة راجع ملفاته الخاصة في الثلاث سنوات السابقة من عام ١٩٨٥ الى ١٩٨٧ كانت الارقام التي امامه تقول ان عمليات التخريب المسجلة في هذه الفترة بلغت بالنسبة للجانب الفلسطيني (٨٦) عملية فقط بينما قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي، والمستوطنين اليهود بـ (٧٠١) عملية تخريبية ضد اهداف وممتلكات فلسطينية.

احد تقارير الشرطة الاسرائيلية التي كانت بين اوراق «ابو جهاد» كان يقول «ان الشرطة تلقي القبض سنويا على ٣٠٠ متهم بافتعال الحرائق، يقدم منهم للمحاكمات حوالي (١٠٠) شخص، حوالي ٧٠٪ من هؤلاء هم من اليهود وليس من الفلسطينيين».

اي ان مبادرة الهجوم الاستراتيجي لم تكن بايدينا نحن بعد، وعلى الرغم من ان سجلات الشرطة الاسرائيلية قد سجلت ارتفاعا في عدد حوادث الاحراق بنسبة ٤٠٠٪ خلال ١٢ عاما من عام ١٩٧٥ الذي سجل فيه (٣٢٦) حادث احراق الى عام ١٩٨٧ الذي سجل فيه (١٧٧١) حادث احراق، الا ان ذلك لم يكن كافيا بالنسبة «لابو جهاد»، وخاصة في زمن الانتفاضة، لانه كان يقول: ان الانتفاضة هي فن التقاط خط الهجوم الاستراتيجي والتمسك به، ومنع العدو من اعادة التقاطه مرة

اخرى، لذلك عكف «ابو جهاد» بشكل حثيث على بث توجيهاته للانتفاضة لكي تنتقل من مرحلة حرب الحجارة الى مرحلة حرب الحرائق، حتى لا يكون علينا وحدنا ان نبعث في كل يوم عن مقابر لشهدائنا، وعن مستشفيات نعالج فيها جرحانا، وعن اسماء ابنائنا واهلنا في القوائم الطويلة للاسرى والمعتقلين.

اما الامر الخطير الثاني الذي استشعره «ابو جهاد»، وهو يكتب للانتفاضة وثيقة «لنستمر في الهجوم» كان سياسيا بالدرجة الاولى.

اذ انه لم يوافق، ولو للحظة واحدة، على الاتجاه الذي كان يزعم ان الانتفاضة قد تعبت او انها استنفدت طاقتها وجهدها، وكان يرى ان هذه العملة لها وجه آخر يزعم من جهته ان الانتفاضة قد وصلت الى ذروتها وانه يجب ان نقطف الان وبسرعة ثمارها السياسية مهما كانت التنازلات التي يمكن ان نقدمها. لقد ناضل «ابو جهاد» بحزم حتى لا يتم تسويق هذه العملة الرديئة بوجهيها معا المحبط من جهة، والمتعجل من الجهة الاخرى.

كان «ابو جهاد» في الحقيقة من صنف هؤلاء القادة الكبار الذين يهتمون اولا بخلق الوقائع المادية على الارض وتثبيتها هناك قبل الاعلان عنها او الدعاية لها.

لذلك قال في آخر حديث صحفي له قبل استشهاده «ان مصير الاحتلال يتقرر اولا في الارض المحتلة نفسها وليس على مائدة المفاوضات».

كانت هذه هي باختصار الظروف والمنطلقات التي كتب على اساسها «ابو جهاد» الرسالة ـ الوثيقة «لنستمر في الهجوم» وارسلها للانتفاضة في ١٩٨٨/٣/٢٧ وليس صعبا ان نفرز من هذه الرسالة عشر مهام سياسية واضحة، وعشر مهام ميدانية اخرى موازية لها، وليس صعبا ايضا ان نكتشف بانفسنا العلاقة ما بين ما جاء في هذه الرسالة وبين تصريحات المصادر الاسرائيلية نفسها التي اعترفت ان الفترة من ١٩٨٨/٥/١ وحتى ١٩٨٨/٦/٢٥ قد سجلت وقوع (٦٣٠) حادث احراق، دمرت ما مجموعه (١٤٥٠٠) هكتار من المراعي والغابات الطبيعية والاراضي المشجرة، عدا الحرائق التي استهدفت المعامل والمصانع والسيارات وشبكات الكهرباء. مع ابو جهاد، ومع نص الرسالة التي تحولت الى دستور للانتفاضة.

٢ دستور الانتفاضة "لنستمر في الهجوم"

بسم الله الرحمن الرحيم

الى كل شعبنا العظيم في فلسطيننا المحتلة، الى كل أهلنا وجماهيرنا الثائرة في الوطن المحتل المحرر، الى كل اخوتنا في القيادة الوطنية الموحدة وفي التنظيم وفي حركة الشبيبة وفي القوات الضاربة، واللجان الشعبية وفي اللجان الوطنية وفي كل ما ابدعتموه من أطر ولجان وهيئات وهياكل تقودون بها الانتفاضة المتجددة والمتوهجة في الوطن المحتل ـ المحرر بسواعدنا العملاقة وارادتنا الفلسطينية، بوعينا السياسي الثاقب، وبقدرتنا الهائلة على تلمس النبض الثوري لجماهيرنا، وباصرارنا على تصدر المسيرة الهادرة لشعبنا بمزيد من الجرأة والبسالة وبجسارة البذل والعطاء، وبسخاء التضحية والفداء. وبالاندفاع الجسور في المواجهة، وبحماية الشعب حتى الاستشهاد، وتوسم شرف الشهادة.

يا كل شعبنا، يا أهلنا، يا اخوتنا واخواتنا، يا اشبالنا وزهراتنا وكل ابنائنا، ها نحن نطلقها معا صرخة مدوية واحدة وموحدة: لا للتهدئة، لا للتهادن او التهاون، لا للمذلة ولا للتعايش مع الاحتلال. المجد كل المجد للانتفاضة، ولنستمر في الهجوم، لنستمر في الهجوم فالله معنا والشعب معنا والعالم كله معنا.

لنستمر في الهجوم فقد وضعت الانتفاضة عدونا في المواجهة الأخيرة مع أزمته فاما التنازل واما التشدد، وفي الخيارين معا فناؤه ومقتله. فاذا تراجع نشد عليه، واذا تشدد نقاتله ونقاومه ونستمر في الهجوم حتى نحرق الأرض من تحت اقدامه حتى يتنازل ويخضع... ويرحل.

* لنستمر في الهجوم حتى نعري عدونا، ونسقط الورقة الأخيرة التي تستر عورته

فيغدو عارا على اصدقائها، وعبئا ثقيلا على حلفائه.

* لنستمر في الهجوم فالعالم كله يعرف الان ان قطعان المستوطنين اليهود الصهاينة تجفل من الهجرة من حظائرها البعيدة الى ارضنا المشتعلة بالانتفاضة الملتهبة بالثورة.

* لنستمر في الهجوم حتى لا نسمح لأحد بالالتفاف على انتفاضتنا او تطويقها، ولا يمكن لنا ان نكرر اخفاقات الماضي، ولن نسمح لأحد ان يكرر تاريخ النداء المشؤوم الذي وجهه حكام العرب لشعبنا في ثورة ١٩٣٦ لانهاء الانتفاضة والاضراب العام.

* لنستمر في الهجوم حتى لا تسقط ثمار الانتفاضة المظفرة في الأيادي المرتعشة للسماسرة وتجار المساومات ودعاة المهادنة والتعايش المذل مع الاحتلال وقبول السلام المذل المهين.

* لنستمر في الهجوم، لأن تصعيد الانتفاضة سيزهق روح الباطل الذي مايزال يحلم باعادة الوصاية على شعبنا بالتقاسم الوظيفي المشؤوم وبعمـلاء التنمية وبوثيقة الخزي والعار في لندن.

* لنستمر في الهجوم حتى نساهم في انضاج شروط عملية استنهاض الوضع الجماهيري العربي فقضيتنا دخلت مع الانتفاضة الى كل بيت في أمتنا العربية، والجماهير العربية هي في النهاية رصيدنا، وعمقنا، وحليفنا الاستراتيجي، وعندما تخرج الجماهير الى الشارع العربي يتعزز موقفنا وتقوى جبهتنا وتقترب ساعة انتصارنا الأكيدة.

* لنستمر في الهجوم حتى نحول كل تعاطف كسبناه حتى الآن في اوساط الرأي العام العالمي الى مواقف عملية ضاغطة على الحكومات والبرلمانات والاحـزاب الحاكمة.

* لنستمر في الهجوم حتى نجبر الادارة الامريكية على الكف عن المراوغة والتسويف والمماطلة، والرضوخ لمطالبنا علنيا، والاعتراف بحقوقنا عمليا، ولننقل المعركة الى قلب عدونا. ولنستمر في الهجوم حتى نشل فعالية ودور اللوبي اليهودي الصهيوني في امريكا واوروبا.

* لنستمر في الهجوم حتى نصلب مواقف اصدقائنا وحلفائنا ونغلب المبدئي في هذه المواقف على الأمني والمصلحي منها، ولنستمر في الهجوم حتى نمنع الصفقات التي يمكن ان تتم على حسابنا وضد ارادتنا.

* لنستمر في الهجوم فها هي ثمرة ٩٠ يوما من الانتفاضة البطولية المتواصلة والمتصاعدة تكاد تهدم كل ما توهم العدو انه بناه وشيده في ٤٠ عاما من الاغتصاب والاحتلال.

ان ما انجزته انتفاضتنا الوطنية الكبرى هو حتى الآن كبير بكل المقاييس، وعظيم بكل الحسابات وبطولي ومشرف بكل القيم والمعايير، لكن المعركة ماتزال في عنفوانها والنصر، كما يقول مجاهدو العرب، ان هو الا ساعة صبر. لنصبر ولا تراجع ولا تهاون ولا تعايش مع الاحتلال، وليس أمامنا الا تصعيد الانتفاضة والاستمرار في الهجوم، فلنستمر في الهجوم فالله معنا والشعب معنا والعالم كله معنا.

* استمرارنا في الهجوم يعني تكريس الانجازات التي تحققت منذ اندلاع الانتفاضة وحتى اليوم، تعني اولا المحافظة على كل الأطر واللجان التي تشكلت في كل مخيم وفي كل حي وقرية ومدينة، استمرارنا في الهجوم يعني اننا نواجه عدونا بشعب موحد ومتفوق من الناحية المعنوية، فالجماهير هي قواتنا وجيشنا ويجب ان نحافظ على روحها الهجومية الوثابة، ان نستمر في الهجوم يعني ان نحافظ على روحية اليقظة والتأهب والاستنفار.

ان نستمر في الهجوم يعني ان نضرب نحن المثل قبل الآخرين في الاقدام والعطاء والتضحية، فروح الهجوم تذكيها دائما نار التضحية، وشعلة العطاء المتوهجة.

ان نستمر في الهجوم يعني ان نحافظ على وحدة الهدف السياسي للانتفاضة وللثورة. مطالبنا في ايدينا لا تخدعنا مبادرة من هنا او مشروع من هناك، لا ننقسم حول تصريح، ولا نختلف على الكلمات بل نبقى موحدين ابدا خلف مطالبنا واهدافنا لنضع برنامج الانتفاضة في يد كل مواطن وعلى لسان الجميع حتى نحافظ على وحدة الرؤية والهدف.

ان نستمر في الهجوم يعني تأمين التنسيق والتكافل والتكامل بين كل المواقع والمدن والقرى والمخيمات.

ان نستمر في الهجوم يعني ان ننمي قدراتنا وقوانا الذاتية بضم افضل العناصر التي برزت في المواجهة الى صفوفنا، فزمن المواجهة هو زمن التنظيم ايضا.

* ان نستمر في الهجوم يعني توسيع نطاق المظاهرات والمواجهات باستمرار، وان لا نسمح بعد اليوم بالاهانة او بالمذلة، وان ندخل في مواجهات تكتيكية صغيرة محسوبة مع سلطات الاحتلال دفاعا عن أي كرامة تهان او عرض يمس، وان ننمي الاحساس بالعزة والكرامة الوطنية بالقول والممارسة معا.

* ان نستمر في الهجوم يعني ان نكثف عمليات التخريب المادي والمعنوي في مؤسسات العدو، لنجعل النار تأكل معامله وتحرق اعصابه فليس غير لهيب النار المشتعلة ما يبعد الذئاب عن بيوتنا وديارنا، فالى تشكيل فرقة الحريق ووحدات النار المقدسة والمقلاع الذي يرمي الحجر يمكن ان يرمي كرات اللهب ايضا، وهناك عشرات الطرق والوسائل والأساليب التي يبدعها الشعب دائما وهو يواجه ويهاجم ويشعل الأرض تحت اقدام الاحتلال.

* ان نستمر في الهجوم يعني ان نمنع الحركة على الطرقات او تعيقها وتربكها بأي وسيلة وبكل وسيلة، لنجعل الحركة على الطرقات والشوارع جحيما لا يطاق حتى نقطع اوصال عدونا، ونعطل دورة الحياة في جسده، فنرهقه، وندمي اعصابه وندفعه الى المزيد من الارتباك والحيرة والتخبط.

* ان نستمر في الهجوم يعني ان نقسم المجموعات الضاربة الى فرق عمل ليلية وأخرى نهارية، لنستفيد من الليل فهو صديق شعبنا ورفيق كل الفدائيين.

* ان نستمر في الهجوم يعني ان نتجرأ على الاغارة الليلية على اهداف حيوية للعدو، وان تتفرغ مجموعات العمل الليلي لأداء مهامها.

* ان نستمر في الهجوم يعني ان نسخر حتى هواء بلادنا ضد العدو، وان نستفيد من طاقة الشعب التي فجرتها الانتفاضة بحيث يشترك الشعب كله في المعركة مع الاحتلال.

* ان نستمر في الهجوم يعني ان نجد مهمة وموقعا لكل مواطن، رجلا كان ام امرأة شابا او شيخا طفلا او صبيا، الكل في المعركة، والكل في الهجوم المستمر والمتصاعد بحيث نستنزف موارد العدو، ومعنوياته، وندفعه للخروج من الصراع تحت وطأة شعوره بفداحة الثمن المادي والمعنوي الذي يتحمله بالقياس لحجم المكسب السياسي الذي يحصل عليه من استمرار الاحتلال.

* لنستمر في الهجوم موعدنا النصر القادم باذن الله وبارادة الشعب والجماهير.

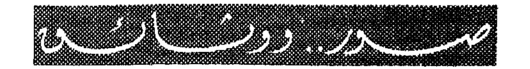
وانها لثورة حتى النصر

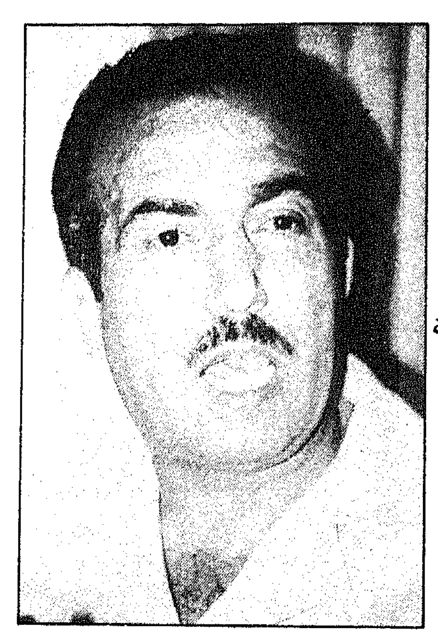
المجد للانتفاضة، والخلود للشهداء الأبرار.

اخوكم

ابو جهاد

١٩٨٨/٣/٢٧

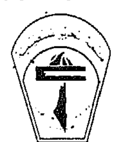




لا صوت
يعلو فوق
صوت الانتفاضة

بسم الله الرحمن الرحيم

Palestine Liberation Organization
The Higher Committee
for the Occupied Homeland

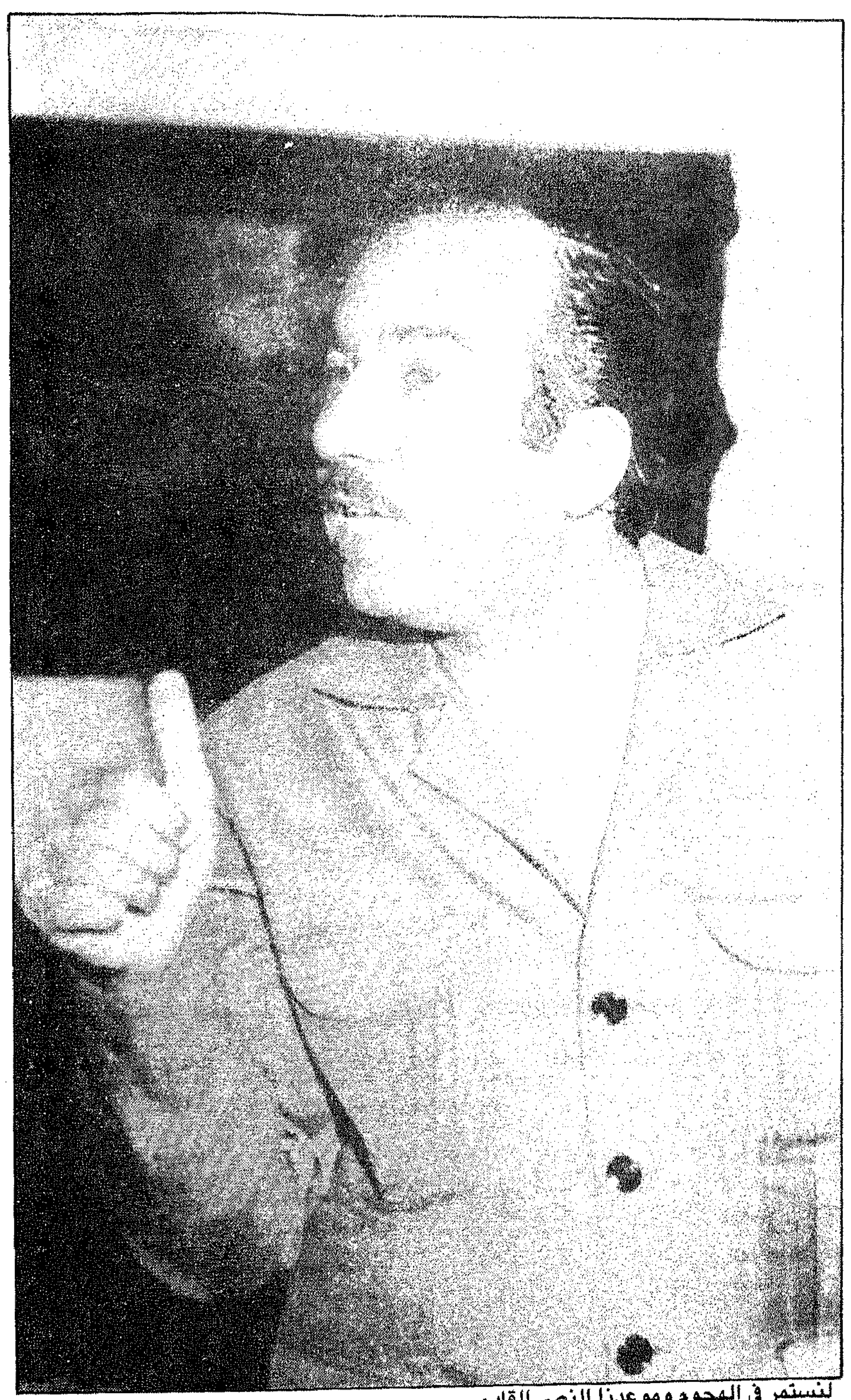


منظمة التحرير الفلسطينية
اللجنة العليا
للوطن المحتل

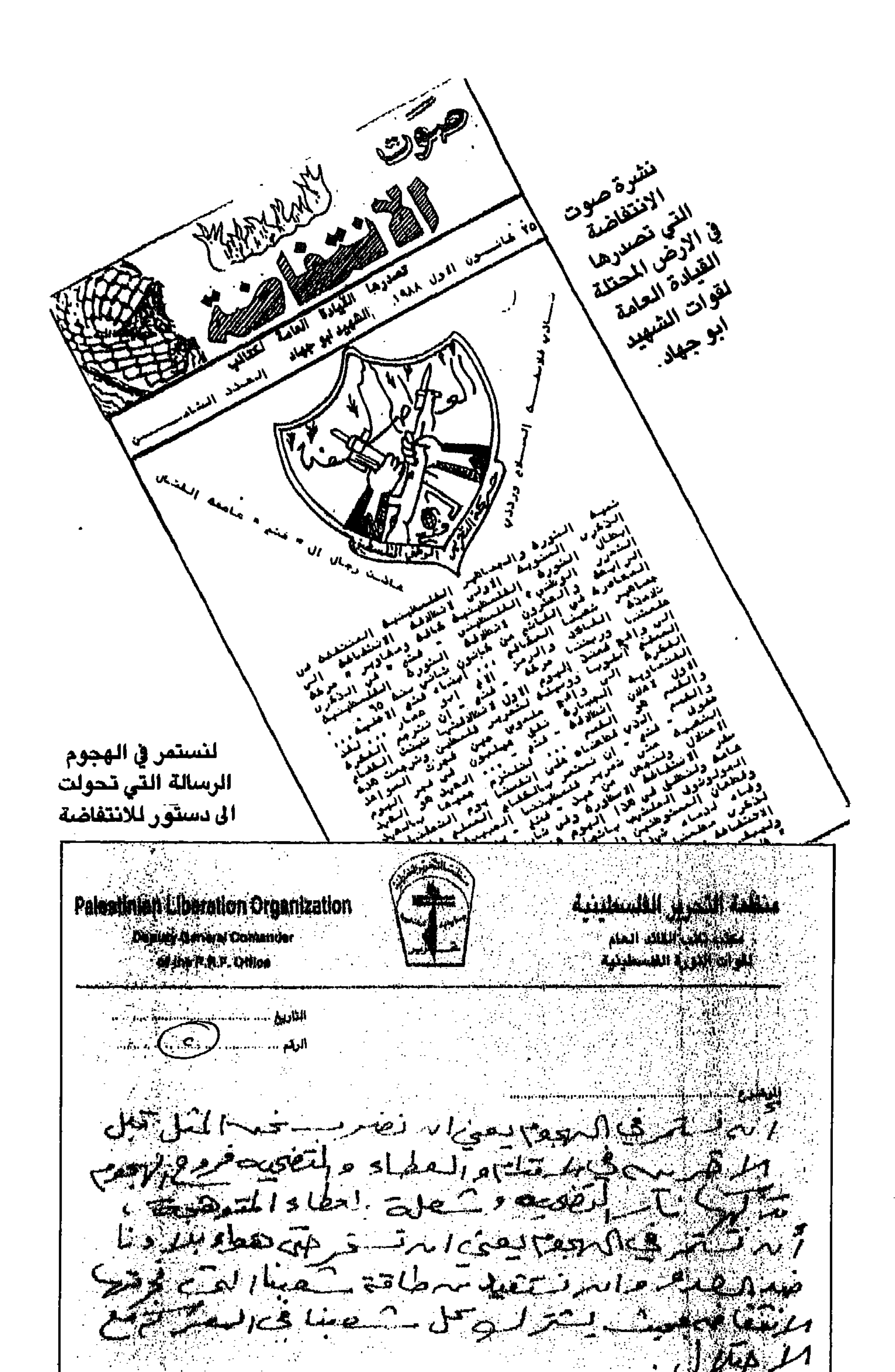
الموضوع: رسالة من الأخ ابو جهاد — التاريخ ....
إلى الإخوة / القيادة الوطنية الموحدة . القدس — الرقم ....

تحية النضال الملتهب، تحية العطاء المتواصل، والفداء المستمر
إلى اخوتنا المناضلين في قيادة الانتفاضة والى كافة لجان العمل
الوطني في اللجان الشعبية بالمخيمات والمدن والقرى والاحياء، إلى اللجان
التي تؤدي مهامها في هذه الظروف

الرسالة الاخيرة من ابو جهاد الى القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة



لنستمر في الهجوم وموعدنا النصر القادم



صوت الانتفاضة

تصدرها القيادة العامة لقوات الشهيد ابو جهاد

٢٥ كانون الاول ١٩٨٨ — العدد السادس

نشرة صوت الانتفاضة التي تصدرها في الارض المحتلة القيادة العامة لقوات الشهيد ابو جهاد.

لنستمر في الهجوم
الرسالة التي تحولت الى دستور للانتفاضة

منظمة التحرير الفلسطينية
مكتب نائب القائد العام
لقوات الثورة الفلسطينية

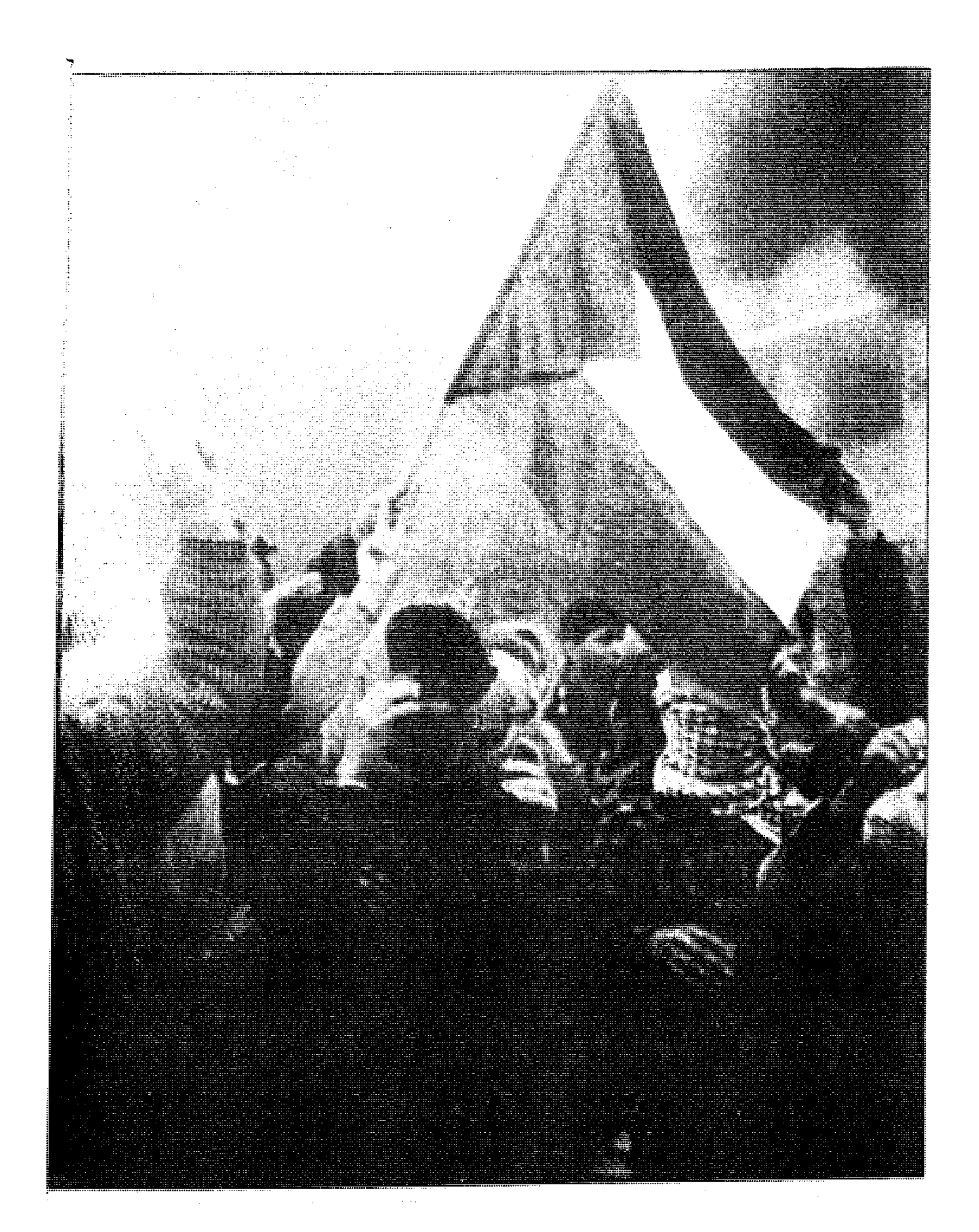
Palestinian Liberation Organization
Deputy General Commander
of the P.R.F. Office

التاريخ ....

الرقم ....

الموضوع ....

أن نستمر في الهجوم يعني أن نضرب مثلاً للجيل
القادم في استمرار العطاء والتضحية فهي وحدها التي تحمل
مشاعل التضحية وشعلة العطاء المتوهجة،
أن نستمر في الهجوم يعني أن نستمر في حماية أولادنا
ضد القمع وأن نستفيد من طاقة شعبنا التي فجرتها
الانتفاضة بحيث يشارك كل شعبنا في المعركة مع
الاحتلال.





حول

الانتفاضة الثورية لشعبنا

في

فلسطين

تقرير مقدم من

الاخ/ أبو جهاد - خليل الوزير
نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

الى

الاخوة / أعضاء المجلس المركزي
لمنظمة التحرير الفلسطينية

في

الدورة الخاصة المنعقدة في بغداد ٩-١٢/١/١٩٨٨
من أجل انتفاضة الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل

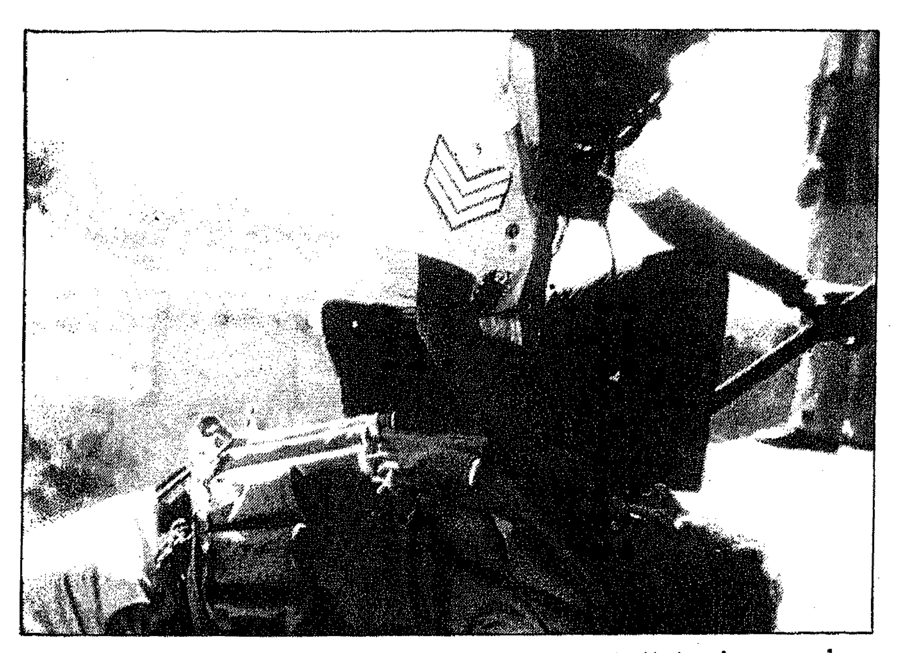


جيشنا هناك قرابة المليونين من المقاتلين نصفهم تقريبا من الامهات اللاتي يلدن اطفالهن في الشوارع والمظاهرات



الى تشكيل فرق الحريق ووحدات النار المقدسة

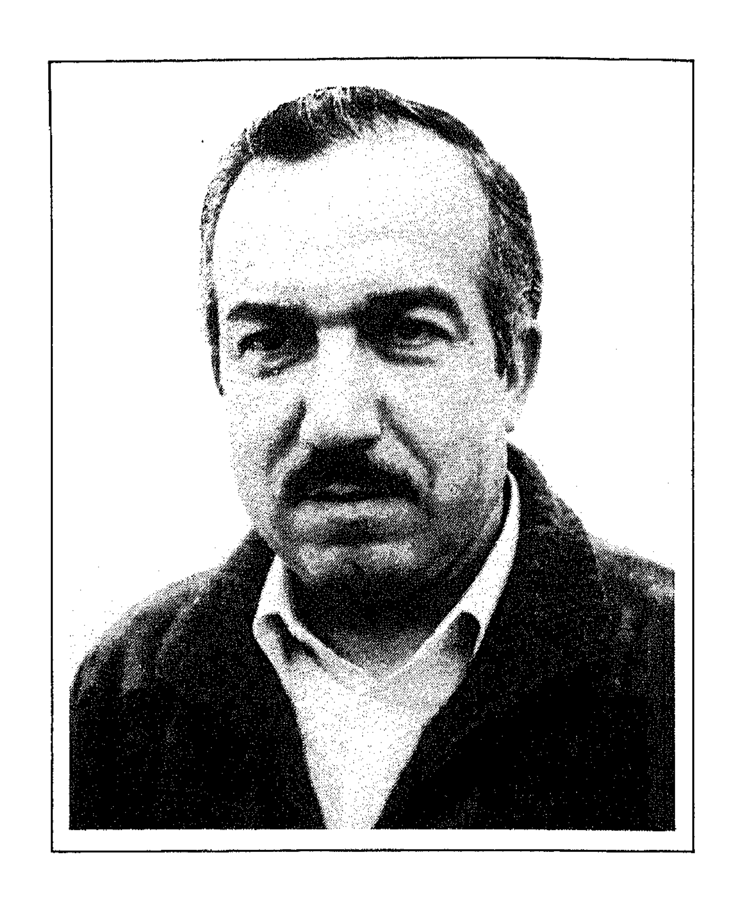




جندي صهيوني على الارض
ومبادرة الهجوم الاستراتيجي
تبقى في قبضة الانتفاضة



احذية جنود الاحتلال الصهيوني
فوق مقدساتنا



الفصل الثالث

أبو جهاد .. وأسرار البدايات

١
أبو جهاد بين حب الكتابة وعشق السلاح

● لا يختلف اثنان على اعتبار خليل الوزير - ابو جهاد - واحد من ابرز القادة المعاصرين الذين اسهموا بقوة في صناعة التاريخ وتركوا بصماتهم الواضحة على مسيرته.

وقد حاز ابو جهاد على هذه المكانة بناء على دوره التاريخي في تأسيس وتطوير واستمرارية الحلقة الاهم في كل تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية التي بدأها في عام ١٩٥٤ واستمر في قيادتها حتى عام ١٩٨٨. وكان ابو جهاد انطلاقا من هذا الموقع قد لعب دورا بارزا في التأثير على مسار الصراع العربي - الاسرائيلي الذي ماتزال كل منطقة الشرق الاوسط تعيش تحت سقفه منذ اكثر من اربعين سنة.

ولم يقتصر دور ابو جهاد على التأثير في هذه المنطقة بل تعداه الى خارج نطاق الدائرتين المحلية والاقليمية ليؤثر بشكل فعال في عدد من اهم بؤر الصراع العالمية عبر تبنيه ودعمه ومساندته لعشرات من الثورات وحركات التحرر العالمية على امتداد قارات العالم الخمس.

وبالطبع فان ابو جهاد الذي نعنيه هنا ليس الرجل وحده كحالة فردية معلقة في الهواء بين الحقيقة والوهم او بين الواقع والاسطورة، فأبو جهاد كان فعل روح الفرد في تفاعلها مع مجموع الثورة، او هو بالتعبير الذي اشتقه الاديب الفرنسي الشهير «اندريه مالرو»: «فعل الارادة الانسانية في حتمية التاريخ».

هكذا ابو جهاد كان، وليس هناك من رجل ارتبط بالثورة وارتبطت هي به، وكان قاسما مشتركا للجميع مثلما كان ابو جهاد على مدى ٣٥ عاما من عمره القصير.. ومن تاريخنا المعاصر.

ويجب الا يتطرق الى ذهن البعض ان الاقرار بحقيقة دور ابو جهاد يحمل في طياته نزعة لمجاملته كقائد، او شبهه للمبالغة في دوره كصانع للتاريخ، فقد عشنـا معه، وانتقدنا اخطاءه امامه وفي حياته، ومن حقه علينا ان ننصفه اليوم انتصارا للحقيقة وحدها في غيبته.. ومماته.

وربما كان من واجب «هيئة عربية مستقلة» ان تضطلع بمهمة اعادة الكشف عن الدور الهام الذي اسهم به ابو جهاد في صناعة التاريخ في هذه الفترة القصيرة التي عاشها بيننا، ليس فقط اكراما لهذا الشهيد الكبير، ولكن ايضا كبادرة حضارية لرد اعتبار كل الشهداء الذين اسهموا بتفاني وصمت.. وتواضع في صناعة التاريخ ودفع عجلته الى الامام، وانصافا للتاريخ ذاته قبل ان يضيع او يشوه في الكتابات المزيفة التي تشبه الاعلانات الرسمية المدفوعة الاجر.

وقد تكون اول مهام هذه «الهيئة» المقترحة، او من يضطلع بمهامها، القيام بحصر ارث ابو جهاد والثروات الطائلة التي تعمر بها خزائنه، تلك الثـروة التي جمعها واكتنزها على مدار ٣٥ عاما كاملا حتى اصبحت ثروة مذهلة لا تضاهى وكنز عظيم لا يقدر بثمن.

خزائن ابو جهاد وثرواته الطائلة

● لم يتمهل ابو جهاد ليكحل عيناه بثرى الوطن المحرر، ورحل قبل ان يقلده شعبه اكاليل النصر، لكن العائدين من المنافي البعيدة الى الوطن الفلسطيني المستقل سيحملون معهم رفاته من مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك بدمشق الى بهو الحرم الشريف للمسجد الاقصى في بيت المقدس عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ولا بد ان يتعاون الكثيرين وقتها على حمل ثروة ابو جهاد الطائلة التي خلفها لنا في خزائنه تلك التي لو قدر لها ان تبقى الى هذا اليوم المشهود لاصبحت دون شك درة دار الكتب الوطنية في فلسطيني بكل ما تحتويه من كنوز تاريخية نادرة لا تتوافر لأحد سوى «ابو جهاد» الذي لا يعرف الكثيرين عنه انه لم يكن صانع تاريخ فحسب، وانما كان ايضا مولعا بجمع مادته وحفظها، ومتيما بالبحث فيه ودراسته.

وكأنما كان يؤهل نفسه، اذ ما امتد به العمر، ليكتب بعد العودة بنفسه التاريخ الذي صنعه والذي كان شاهدا عليه.

كان ابو جهاد في هذه ايضا يحاول ان يكون جسرا للتواصل مع القيادات التاريخية لفلسطين التي احبت هي الاخرى التأريخ، ومارست تدوينه وكتابته حتى احتلت هذه المادة المنزلة الاولى في كل انتاجها الفكري والادبي.

كان جانبا من شخصية «ابو جهاد» يحاول ان يتقمص نفس الدور الذي لعبته

قيادات فلسطينية تاريخية مثل «عزة دروزة»، و«عارف العارف»، و«اكرم زعيتر» وغيرهم ممن سجلوا احداث التاريخ ودونوها.

وكان الى جانب ذلك شغوفا ايضا بلعب نفس الدور الذي قام به القائد الفلسطيني «احمد الامام» الذي كان من اوائل المناضلين في الحركة الوطنية الفلسطينية منذ مطلع هذا القرن، وكان بطبعه حريصا على تدوين وقائع اغلب المؤتمرات الوطنية الفلسطينية من ١٩١٩ الى ١٩٢٨ والاحتفاظ بوقائعها ووثائقها.. واوراقها.

ومن هنا حفلت خزائن ابو جهاد بهذه الثروة الهائلة من كنوز الوثائق والبيانات والمعلومات التي كان حريصا بطبعه المحب للتاريخ على لملمتها وجمعها وحفظها عام بعد عام.

ولم يقتصر الامر على ذلك فابو جهاد كانت له مساهمته الخاصة في تدوين يومياته بالطريقة الفريدة التي ابتدعها عبر تسجيله لكل لقاءاته وملاحظاته اليومية في «الاجندة» الصغيرة التي بحجم الكف والتي كانت تلازمه دائما ولم تفارقه ابدا الى الدرجة التي اصبحت فيها، مع ابتسامته الدائمة احد الملامح الثابتة المرتبطة بشخصيته.

واذا لم يكن من الممكن الان القيام بجردة عامة لاحصاء ثروة ابو جهاد هذه وتقدير قيمتها النفيسة والنادرة فانه يمكن على وجه الاجمال الافتراض بانها تحتوي على عشرة مجموعات كبيرة من الموضوعات الحيوية التي تندرج تحت العناوين التالية.

● القسم الاول من ثروة ابو جهاد يحتوي على مجموعة نادرة من الوثائق التاريخية للعمل التنظيمي الفلسطيني منذ عام ١٩٥٤ وحتى ليلة استشهاده في ١٦/٤/١٩٨٨.

● اما القسم الثاني فانه يضم مجموعة لمذكرات بعض القادة الفلسطينيين الذين عهدوا لابو جهاد بها ومن بينها على سبيل المثال مذكرات الشهيد كمال عدوان الذي كان احد اعضاء الحلقة الاولى التي بدأت الكفاح المسلح في غزة عام ١٩٥٤ مع ابو جهاد، والذي استشهد في بيروت وهو عضو للجنة المركزية لحركة فتح ومسؤول عن العمل في الارض المحتلة في ١٠/٤/١٩٧٣.

● وهناك قسم ثالث يضم تفاصيل التجربة العسكرية الفلسطينية التي نفذت ضد العدو الاسرائيلي من اول عملية خزان زوهر في ٢٥/٢/١٩٥٥ الى عملية المفاعل النووي في ديمونا في ٧/٣/١٩٨٨.

● اما القسم الرابع فيحتوي على وثائق العلاقة باغلب حركات التحرر العالمية التي اشرف ابو جهاد على الاتصال بها ودعمها ومساندتها على مدار ٢٠ سنة والتي تنوعت تنظيماتها وتوزعت على خريطة مذهلة غطت على المستوى الجغرافي قارات العالم الخمس، وعلى المستوى السياسي اشتملت على اغلب الاتجاهات التي كانت تناضل من

اجل قضايا الحرية والمساواة والتقدم.

● وهناك ايضا «يوميات» ابو جهاد التي تتألف من عشرات المئات من «الاجندات» الصغيرة التي كان يحرص على حملها في جيب سترته ويدون فيها كل مقابلاته وملاحظاته يوما بيوم وعام بعد عام حتى يصح اعتبارها بمثابة «يوميات» للثورة الفلسطينية في الثلاثين عاما الماضية.

● اما المجموعة السادسة فتضم الرسائل التي وردت له من المعتقلين الفلسطينيين في السجون والمعتقلات الاسرائيلية، والتي كانت تصله بانتظام من تسعة عشرة سجنا في الارض المحتلة، وتتضمن تقاريرا وافية عن الاوضاع السياسية والتنظيمية والامنية هناك، وكان بدوره حريصا على انتظام الرد على هذه الرسائل بنفسه، وهذه المجموعة هي المرجع الاساسي والوحيد تقريبا عن هذا الموضوع الذي لعب دورا بالغ الحيوية في التأثير على الحياة السياسية، وتربية وبناء الكادر الفلسطيني في الارض المحتلة الذي تحمل عدد كبير منه الجزء الاوفر في عملية التحضير للانتفاضة وتفجيرها.. وقيادتها.

● وهناك ايضا مجموعات من الرسائل المتبادلة بينه وبين ابناء حركة فتح في الارض المحتلة والتي تواصلت على امتداد اعوام طويلة، وتوجتها اخيرا مجموعة رسائله الخاصة للانتفاضة الفلسطينية العارمة التي استشهد وهو يدون آخر رسائله لها.

● اما القسم الثامن فهو يحتوي على عدد كبير من الملفات التي تغطي كافة انشطة ومجالات العمل في الاراضي الفلسطينية المحتلة على الصعيدين الفلسطيني والاسرائيلي، وهي تلخص ذلك الجهد اليومي الذي تراكم لسنوات طويلة وهو يتابع كل مناحي الانشطة الحاصلة في الاراضي المحتلة بدء بدقائق اصغر الامور الحياتية وانتهاء باعقد المسائل الاستراتيجية الاسرائيلية.

● وهناك ايضا مجموعة تضم اللقاءات الحوارات الفلسطينية والعربية والدولية التي كان ابو جهاد طرفا فيها على مدار ما يقارب الربع قرن من الزمان من اول لقاءه بشواين لاي رئيس وزراء الصين وماوتسي تونغ في عام ١٩٦٤ الى اخر له مع العقيد القذافي قبل اسبوع واحد من اغتياله في عام ١٩٨٨.

● وهناك اخيرا مجموعة اوراق ابو جهاد الخاصة التي تتوزع على مروحة متسعة من الموضوعات التي كتبها بنفسه.. ولنفسه وهي تعد بمثابة اكتشاف جديد للمناطق المخفية والمجهولة من شخصية ابو جهاد.

هذه المجموعة تضم بين دفتيها محاولاته الشعرية من قصائد نظمها بنفسه وابقاها حبيسة اوراقه وهناك مقاطع من عيون الشعر العربي كان قد قرأها فاحبها ونقلها بقلمه

على اوراقه الخاصة.

وكل اختيار منها يعكس دلالاته التي تضيف لمسات اخرى لصورة ابو جهاد وشخصيته الفذة.

وهناك ايضا محاولاته في النثر، ومناجاته وحواراته الداخلية مع نفسه، وفيض من كتابات اخرى قصيرة وجميلة تشبه المراثي الحميمة لاخوانه وابناءه الذين سبقوه على درب الشهادة كان الجميع يستمدون هدوئهم من ابتسامة ابو جهاد التي ما فارقت شفتيه في اصعب اللحظات وادق المواقف، كان الجميع يعرفون ان انفعالاته تختزن داخله وفي اعماقه، لكن ها هي اوراقه اخيرا تشي بسره، وتبوح بخباياه، ها هي اوراقه تقول لنا كم هو وديع ورقيق هذا الرجل الذي وصفه خصومه «بالقاتل الاكبر» و«الارهابي الاول».

وتقول لنا كم كانت مشاعره ملتبهة وعواطفه متأججة وانفعالاته محتدمة هذا الرجل الذي وصفوه «برجل الثلج» الذي لا يضطرب ولا ينفعل ولا يكترث حتى للكوارث.

قد لا تكون لهذه الاوراق الخاصة قيمة ادبية كبيرة لكنها مع ذلك تبقى ذات قيمة عظيمة في استكمال ملامح صورة ابو جهاد الانسان بكل ما تحمله هذه العبارة من تناقض وتوافق في اعماق مشاعر النفس البشرية للانسان.

ابو جهاد بين حب الكتابة.. وعشق السلاح

اوراق ابو جهاد الخاصة التي كتبها بنفسه.. ولنفسه تلقي مزيد من الضوء على علاقته الحميمة بالكتابة التي لازمته منذ كان صبيا في الثانية عشرة من عمره يوم كانت آلة التصوير هي اول الاشياء التي احب اقتنائها رغم ان وضعه الاسري والاقتصادي لم يكن يسمح له في تلك الفترة بهذا النوع من «الترف» لكنه اقتصد من قروشه القليلة ليقتني هذه الكاميرا، ربما ليشبع هوايته في التسجيل التي لازمته طوال حياته، وان تعددت الوسائل والادوات التي استخدمها لاحقا في عملية التسجيل هذه. ومن حسن الحظ انه احتفظ في اوراقه الخاصة بالصور الاولى التي التقطها بكاميرته، وهي تكشف اهتماماته المبكرة بقضية شعبه، فقد حمل آلة التصوير الى المخيمات والتقط صورا لحالة اللاجئين البائسة، وعندما حصل على شهادة الاعدادية وانتقل اولا الى مدرسة الامام الشافعي ومنها الى مدرسة فلسطين الثانوية استخدم الصور التي كان يلتقطها مع المقال السياسي في تحرير مجلات الحائط المدرسية التي كانت تحمل في مطلع عام ١٩٥٣ افكاره الحماسية الاولى عن مأساة شعبه وعن عدالة قضيته التي نذر نفسه من اجل انتصارها.

ومع بروز شخصيته القيادية جرى انتخابه كرئيس لاتحاد طلبة مدرسة فلسطين

الثانوية في قطاع غزة واستخدم هذا الموقع الجديد في توسيع شبكة علاقاته داخل اطار المدرسة وخارجها ولم ينقطع عن تحرير المقالات السياسية لمجلات الحائط والتقاط الصور التذكارية للاحداث الهامة التي شهدتها غزة في هذه الفترة.

ويذكر ابو جهاد حادثة رفع الاعلام الفلسطينية فوق سارية مدرسة فلسطين الثانوية وسائر مدارس قطاع غزة ويذكر ايضا ان الاستاذ فتحي البلعاوي كان قد لعب دورا وطنيا بارزا في هذه المرحلة، وخاصة في اليوم الوطني الذي رفعت فيه الاعلام الفلسطينية فوق المدارس، ولم يفت ابو جهاد ان يتلقط صورا تذكارية لهذا المشهد الوطني التاريخي.

ومن المفارقات الغريبة في شخصية ابو جهاد ان هذا العمل الاعلامي والنشاط النقابي والسياسي العلني الذي اظهره منذ صباه كان قد اقترن في الوقت نفسه بقدرة فذة على اتقان العمل السري واحتراف العمل التنظيمي في ظروف السرية.

وعندما تلقى ابو جهاد تدريباته العسكرية الاولى بشكل سري وهو في سن مبكرة جدا بدأ عشقه الجديد للسلاح والرصاص وغالب حبه القديم للقلم والكاميرا ولم يستمر هذا الصراع طويلا فكانت الغلبة اخيرا للرصاص على القلم وللغة الدم على الكتابة بالحبر. **ويذكر ابو جهاد انه تصادف في هذه المرحلة ان ارسلت السلطات المصرية الى مدرسة فلسطين الثانوية عددا من المدرسين من بينهم الاستاذ «صلاح البنا» الذي شارك كمتطوع في حرب ١٩٤٨ والاستاذ «محمد فودة» الذي كان هو** الآخر خبرة عسكرية في القتال واعمال المقاومة المسلحة، وقد اسرع ابو جهاد بتوطيد العلاقة معهما، واستفاد كثيرا من المعلومات العسكرية التي تلقاها منهما في تلك الايام.

واذكر كم كان ابو جهاد وفيا كعادته لذكرى هؤلاء الذين ساعدوه في بداياته الاولى ولم يبخلوا عليه بخبرتهم العسكرية والعملية ففي عام ١٩٨٥ كان ابو جهاد مارا بالقاهرة وكان من بين مستقبليه عددا من كبار رجالات الدولة المصرية، وانفتح ملف الذكريات فسأل ابو جهاد بحرارة عن استاذيه «صلاح البنا» و«محمد فودة» وذكرهما بكل خير. ورغم تراجع العمل الاعلامي العلني لابو جهاد لصالح العمل التنظيمي العسكري السري، الا انه لم يهجر ابدا حبه للكتابة لا في تلك الايام ولا في اي مرحلة لاحقة من مراحل عمره.

ورغم هذا الحب الجارف للكتابة فانه ابدا لم يدع احترافه لها ولم يصنف نفسه ككاتب او مؤرخ محترف او منظر سياسي.

لكنه حافظ مع ذلك على خصوصية علاقته بالكتابة التي لم ينقطع عنها وظل يحوم حولها كالعاشقين ويختلسها من حين لآخر كالقبلات المحرمة ويبثها في هدئة الليل وسكونه انفعالاته وشجونه التي قمعها واختزنها داخله طوال يومه ليمنح الآخرين الثقة والتفاؤل والامل الذي كان يفيض منه.

ولم تقتصر علاقة ابو جهاد على حب الكتابة بل تجاوزها بروحه المعطاءة غير الانانية، الى حب الكتاب والادباء والمثقفين واحتضانهم وتشجيعهم ورعايتهم.

ورغم انحياز ابو جهاد، بحكم مهماته التاريخية الى الادب السياسي والثوري الا انه كان ايضا راعيا لعشرات المشاريع الثقافية والفنية والادبية التي لم يكن يلزمها ابدا باي قيد او يفرض عليها اي شرط سوى حريتها في الاختيار والابداع والتألق.

على صعيده الشخصي كان ابو جهاد قد بدأ مساهماته في الكتابة بمجلات الحائط المدرسية في الفترة ما بين ١٩٥٣ - ١٩٥٥ وتطور الامر الى كتابة المنشورات السياسية السرية وتوزيعها في قطاع غزة، ومن ثم ساهم بشكل فعال مع اخوانه في صياغة المنطلقات الاساسية والادبيات السياسية الاولى لحركة فتح بدء من عام ١٩٥٧، وبلغت مساهماته الذروة في اكتوبر (تشرين الاول من عام ١٩٥٩ عندما اسهم في تأسيس مجلة «فلسطيننا - نداء الحياة» التي كانت تصدر من بيروت شهريا ويشرف عليها الاستاذ «توفيق حوري»، وكانت افتتاحياتها تعبر في هذه الفترة عن موقف حركة فتح قبل الانطلاقة في ١/١/١٩٦٥ وقد لعبت هذه المجلة دورا مميزا كداعية ومحرض ومنظم رئيسي لحركة فتح وسنرى كيف ان ابو جهاد اعتبر هذه المجلة بمثابة احد ركيزتين اساسيتين كان لهما دور بارز في تأسيس وانطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح وفي تثقيف اعداد كبيرة من شباب هذه المرحلة.

● وعندما اصبح «ابو جهاد» اول محترف ثوري فلسطيني في التاريخ المعاصر بتوليه مسؤولية قيادة مكتب فلسطين في الجزائر منذ عام ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٦٥ كان من بين المهام الاولى التي اعتنى بها هناك، اصدار عدد من النشرات السياسية حملت واحدة منها اسم «صرخة فلسطيننا» والاخرى «اخبار فلسطيننا» فضلا عن كتابته لعدد من المحاضرات والبيانات والبرامج السياسية.

وواصل ابو جهاد بعدها علاقته بالكتابة، وتأسيس الدوريات والمجلات والنشريات والكتب، وفي عام ١٩٦٥ كان وراء انجاز مشروع اول كتاب لحركة فتح صدر في نهاية هذا العام وهو يحمل اسم «مشاعل الثورة على دروب العودة».

ثم اسهم في تأسيس «نشرة صوت العاصفة» التي كانت تنطق باسم القيادة العامة لقوات العاصفة الجناح العسكري لحركة فتح، ثم اسس مجلة «فلسطين المحتلة» التي كانت المصدر الاعلامي الاساسي [illegible]بعة الاوضاع داخل الارض المحتلة، ثم اسس اول مجلة عسكرية متخصصة حملت اسم «المعركة»، واصر اثناء الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ على اطلاق اسم المعركة على الجريدة اليومية التي كانت تصدر في بيروت تحت الحصار.

وكان قد اسس قبلها اول قسم خاص بالمعلومات عن العدو الاسرائيلي وكان يصدر

نشرة دورية باسم «تقرير الدراسات الشهري» كما احتضن عشرات المشاريع ومنها مشروع «دار الجليل للدراسات والنشر» و«دار الكلمة» ومجلة «الفهرست» و«الملف»، والكتاب الشهري للارض المحتلة و«وقائع واحداث».

وعشرات اخرى من مراكز الدراسات والمجلات والدوريات والنشرات.

كما قدم دعمه لعشرات النشرات الخاصة بحركات التحرر التي صدرت بلغاتها الخاصة واحتضن المجموعات المستقلة من السياسيين والمفكرين والادباء العرب.

● وعلى صعيد اخر، كانت القيادة الاسرائيلية، وعدد من الخبراء والمحللين الاسرائيليين قد «اتهموا» ابو جهاد باشرافه المباشر على مؤسسات الصحافة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة وعلى مراكز الدراسات ومكاتب الخدمات الصحافية هناك، وقد اقدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلي على اغلاق عدد كبير منها بدعوة اتصالها بابو جهاد وعلاقتها بحركة فتح وبالثورة الفلسطينية.

وماتزال القائمة طويلة ولا يمكن الاحاطة بكل مساهمات ابو جهاد في هذا المجال. كل ما يمكن قوله اخيرا هنا هو ان ابو جهاد تعامل مع فعل الكتابة نفسه بتقدير كبير وبحب شديد يليق بقداسة الكلمة نفسها وبقائد تاريخي له هذه النظرة الكلية الشاملة.

ابو جهاد.. والبدايات

● ليست «البدايات» اسم كتاب لابو جهاد بقدر ما هي احد الاسماء التي تقلدها بنفسه باعتباره رجل «البدايات المستحيلة» وليس غريبا ان تكون كل الالقاب التي خلعتها عليه الجماهير العربية بعد استشهاده مرادفة لنفس المعنى، فهو رجل «البدايات»، و«القائد المؤسس» و«الرمز» و«اول الرصاص واول الحجارة».

وقد لاحظ المراقبين ان الغالبية من الملصقات التي صدرت لأبو جهاد بعد استشهاده لم تكن تحمل اسمه، وانما كانت تحمل واحدة من هذه العبارات المركزة المكثفة، وكأنما ارادت الجماهير بذلك ان تثبت في ذاكرتها الحية حق ابو جهاد ومكانته التاريخية التي لا ينازعه عليها احد.

كانت «بدايات» الثورة الفلسطينية المعاصرة شأنها في ذلك شأن كل ثورة اخرى محل خلاف واجتهاد فكل طرف يدلي بروايته الخاصة حسب موقعه ومنظوره للرؤية ولتطور الاحداث على ان كل الروايات على اختلافها وتعدد مصادرها تكاد تجمع على الدور المؤسس « لأبو جهاد » في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة.

واذا ما تحدث ابو جهاد بنفسه عن البدايات فعند ذلك يصبح لما يقوله قوة المرجع

وحجة الاصل والاسناد..

كانت «لأبو جهاد» قصة طويلة مع كتابةالبدايات فقد كان لديه مشروع مؤجل دائما للتأريخ لهذه المرحلة التي تبدأ من منتصف الخمسينات لتنتهي مرحلتها الاولى عند اللحظة التاريخية الحاسمة لاطلاق الرصاصة الاولى في ١/١/١٩٦٥.

لكن مشروعه العتيد لم يخرج ابدا الى حيز الوجود، وكانت الاجيال الجديدة التي اندفعت الى ساحة العمل الوطني الفلسطيني باعداد كبيرة في اعقاب معركة الكرامة في ٢١/٣/١٩٦٨، تلح على معرفة تاريخ «البدايات» لأن الكثيرين اعتبروا ان هذه البدايات هي شهادة ميلاد شخصية لكل منهم، وهي شهادة ميلاد جماعية لجيل كامل تفتح وعيه على حركة فتح وكان ذلك حافزا جديدا لمشروع ابو جهاد المؤجل، وكان استشهاد عدد من ابرز القيادات التاريخية لحركة فتح واحد بعد الاخر بدء بـ «احمد موسى» و«منهل شديد» و«وديع عبد اللطيف» و«احمد الاطرش» و«محمد حشمت» و«ابو صبري»، و«عبد الفتاح حمود» و«ابو علي اياد» و«كمال عدوان» و«ابو يوسف النجار» و«كمال ناصر» و«ماجد ابو شرار» و«سعد صايل»، عاملا اخر يحفز ابو جهاد على انجاز مشروعه المؤجل لتسجيل البدايات واخراجه للنور قبل ان يختفي من مسرح الحياة الجيل الاول الذي كان شاهدا على لحظات الميلاد والتأسيس.

ورغم الحماس الذي كان ينتاب ابو جهاد وبين الفترة والاخرى الا ان المشروع بقي برسم التأجيل، وربما كان ذلك بسبب ضغط الاحداث المتلاحقة، التي لم تدع له فرصة لالتقاط انفاسه خاصة بعد استشهاد هذا العدد الكبير من القادة التاريخيين ومضاعفة جهده لبناء جيل جديد من القادة يستمر في حمل الراية ومتابعة المسيرة. ورغم ترحيل مشروع الكتابة عن البدايات وتأجيله سنة بعد سنة الا ان ذلك لا يعني ان هذه البدايات كانت محل التباس او غموض بالنسبة للاغلبية المهتمة بمعرفة ودراسة هذه المرحلة، فقد كان هناك دائما ما يسمى «بالتاريخ المحكي» الذي حفظته ذاكرة الجيل الاول وتناقلته رواياتهم، ومع ذلك كان «ابو جهاد» يشعر بالحاجة الضرورية «لجمع» هذا التاريخ المحكي وتوثيقه وتثبيته كمرجع للاجيال القادمة.

وفي احد المرات اقترح ابو جهاد تشكيل لجنة متخصصة للاضطلاع بهذه المهمة.. ولم يكتب لهذا الاقتراح ايضا ان يرى النور.

ومع ذلك كان مشروع توثيق «البدايات» يعود من جديد بقوة ويقفز الى صداره الاهتمامات بشكل دوري في مطلع كل عام جديد حيث يصادف هذا التاريخ دائما الاحتفال السنوي بذكرى انطلاقة حركة فتح والذي اتفق الجميع على اعتباره بداية انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة. ومع حلول الذكرى الرابعة عشر للانطلاقة خص ابو جهاد العدد الخامس والعشرين من نشرة «صوت العاصفة» الصادرة في

١/١/١٩٧٩ بمقابلة خاصة تحدث فيها عن «البدايات».

هكذا تحدث ابو جهاد

قال ابو جهاد في هذه المقابلة: «.. في النصف الاخير من عام ١٩٥٧، كان اللقاء الاول لحركة فتح لقاء مجموعة من المناضلين وفي الوقت الذي لم يكن فيه عدد اعضاء المجموعة الاولى يزيد عن خمسة مناضلين جاءوا من مناطق فلسطينية مختلفة، ومن مناطق تشرد عديدة كل يحمل تراث تجربة نضالية في ميدان من الميادين، وكل يحمل معه حلقة وتنظيما قطع شوطا على هذا الدرب، كانت الكويت على الخليج العربي هي موقع اللقاء الاول وما ان تم عقد هذا اللقاء بعد مرحلة من الحوارات الثنائية او الثلاثية حتى تعاهد اولئك المناضلون على ان يعملوا معا في طريق النضال وفي حركة تحرير وطني فلسطيني يتخطون بتنظيمها كل ما يحيط بشعبهم من آلام وجراح وهكذا كانت هذه القاعدة التنظيمية الاولى على ارتباط مع امتدادات تنظيمية في كل من مصر وغزة والاردن وسوريا ولبنان والسعودية وقطر والعراق».

كانت هذه اشارات اولى لكنها لم تقل كل ما يجب ان يقال، وكان واضحا انه يدخر رصيده ليوم اخر يقول فيه كلمته. لم تكن هذه الاشارة الاولى او الوحيدة التي تصدر عن ابو جهاد حول موضوع البدايات.

اذ كان القريبين منه قد جمعوا على مدار السنوات العشرين الماضية كثير من تفاصيل واسرار البدايات التي اقتنصوها منه في تلك اللحظات النادرة التي سمح فيها للآخرين بالعبور الى مخازن ذاكرته الحية التي يبدو انه ورثها عن والده الذي تخطى اعوامه الثمانين ومايزال حاضر الذهن متقد الذاكرة الى يومنا هذا.

وبعد سنوات من حديثه «لصوت العاصفة» عاد ابو جهاد فافرج عن بعض من ذكرياته وهو يعيش ازمة الحصار ويواجه جريمة الاعتداء على الثورة الفلسطينية بسلاح عربي في طرابلس عام ١٩٨٣.

وكالعادة اعيد فتح ملفا البدايات مع حلول الذكرى الواحدة والعشرين لانطلاقه الثورة الفلسطينية في ١/١/١٩٨٦.

كان ابو جهاد مايزال في العاصمة الاردنية «عمان» بعد ان قرر اعادة ترتيب اولويات النضال الوطني الفلسطيني في مرحلة ما بعد بيروت بالعودة الى الداخل حيث الارض والشعب والاحتلال. وعلى مدى سنوات ثلاث متواصلة، اعتمد ابو جهاد على «عمان» كأقرب نقطة ارتكاز تطل على الوطن المحتل ليشرف منها بشكل

يومي ومباشر على كل تفاصيل دقائق العمل النضالي في فلسطين المحتلة. وفي هذه الفترة تحولت «حركة الشبيبة» الى القوة الجماهيرية المنظمة الاولى في الارض المحتلة وغطت لجانها المناطق اللوائية السبعة للضفة الفلسطينية في نابلس وطولكرم والخليل والقدس ورام الله وجنين وبيت لحم، فضلا عن لجان الشبيبة التي غطت اغلب التجمعات السكانية للمنطقة الجنوبية في غزة ومخيماتها والنقب وبئر السبع.

وشهدت الفترة نفسها تركيز وتطور سلطة المؤسسات الوطنية الفلسطينية المتعددة التي غطت هي الاخرى اغلب مجالات وانشطة الحياة اليومية في الارض المحتلة.

وعلى صعيد آخر شهدت الفترة نفسها تصعيدا ملموسا في كافة اشكال ووسائل واساليب النضال اليومي للجماهير الفلسطينية، التي اخذت شكل الهبات والانتفاضات المتتالية والتي عبرت عن نفسها في عام ١٩٨٥ في ٢١٧ مظاهرة واضراب، وفي عام ١٩٨٦ في ٥٧٢ مظاهرة واضراب وعمل احتجاجي، كما سجل في عام ١٩٨٥ ـ ٢٧٧ عملية رشق بالحجارة ومصادمات مع قوات الاحتلال ورفع الاعلام الفلسطينية وتوزيع المنشورات التحريضية، وشهد عام ١٩٨٦ تصعيد جديدا في هذه الاشكال النضالية وصل الى ٥٣٨ حادثة تصادم مع قوات الاحتلال الاسرائيلي ووصلت العمليات العسكرية الفدائية في داخل الارض المحتلة الى ذروتها في هذه الفترة، ففي عام ١٩٨٥ اعترف العدو بوقوع ٥٨٦ عملية عسكرية، واعترف في العام التالي ١٩٨٦ بوقوع ٥٤٦ عملية فدائية اخرى.

وقبل ان يتحدث ابو جهاد عن «البدايات» في تلك الايام كانت القيادات الاسرائيلية قد تحدثت بشكل علني عن تهديد مباشر للاردن بسبب وجود ابو جهاد هناك وحملته مسؤولية التصعيد في العمليات العسكرية، والنضالات الشعبية اليومية الآخذة في التجذر والتصاعد واشارت عدة تقارير الى ان الغارة التي نفذتها الطائرات الاسرائيلية على مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس كانت مجهزة بالاساس للتنفيذ في عمان ضد مقارات المنظمة هناك، وبشكل خاص ضد مكاتب قوات الارض المحتلة التي يشرف عليها ابو جهاد، لكنه تم تحوير العملية بسبب عدد من العوامل السياسية والدولية.

لهذه الاسباب جميعها كان الاحتفال بالانطلاقة في عام ١٩٨٦ حدثا مميزا ومشحونا بالتوتر والامل معا ولما كان من غير الممكن ولا المسموح ان تجري الاحتفالات بعيد انطلاقة الثورة الفلسطينية في عمان بشكل جماهيري واسع جرى تنظيم لقاء محدود مع ابو جهاد حضره اغلب كوادر الثورة الفلسطينية المتواجدة في عمان ايامها.

وكعادة كل عام تجدد الالحاح على الحديث عن «البدايات» فتحدث ابو جهاد في هذه المرة وسمح بفتح طاقات جديدة في مخازن عقله وذاكرته ومذكراته، لكن ما كشف عنه ابو جهاد، رغم اهميته، لم يكن سوى قمة جبل الجليد الذي يختفي الجزء الاكبر منه في محيط ذاكرته وخبايا مذكراته، ربما لأنه كان مايزال يحتفظ بمشروعه المؤجل دائما ودعوته لكتابة البدايات بشكل جماعي ومن الذاكرة الجماعية وفي حضرة لجنة متخصصة تسجل وتحقق وتطابق وتوثق هذا التاريخ للاجيال القادمة وللتاريخ نفسه.

وقد بادر الاخوة ايامها بتفريغ تسجيلات حديث ابو جهاد، وجرى اعداده للنشر في كراس يحمل عنوان «البدايات» بقلم خليل الوزير.

ورغم ما توافر في هذا الكراس من معلومات الا ان ابو جهاد تحفظ في النهاية على نشره وتوزيعه لاسباب عديدة لم يحن الوقت بعد للخوض فيها وبدا وكان الامر قد طوى وان ملف البدايات قد اغلق تماما. ولكن في احد نوبات الحماس الخاطفة عزل ابو جهاد نفسه لساعات قليلة وانكب على اوراقه وسجل بطريقته المتدفقة كزخات الرصاص موضوعين: احدهما كان مدخلا للكتابة عن الشهيد الكبير العميد سعد صايل ـ ابو الوليد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، ومدير العمليات المركزية لقوات الثورة الفلسطينية واحد ابرز ابطال معركة بيروت التاريخية عام ١٩٨٢.

كان العميد «ابو الوليد» قد استشهد في منطقة البقاع اللبنانية في ١٩٨٢/٩/٢٧ بعد الخروج من بيروت واثناء زيارته في صباح يوم العيد لعدد من وحدات القوات الفلسطينية التي كانت ترابط الى الشمال من منطقة البقاع اللبنانية. وربما لا يعرف الكثيرين ان اتصالا هاتفيا قد جرى ليلة استشهاد القائد «ابو الوليد» بينه وبين «ابو جهاد» حيث كان من المفترض ان يذهب احدهما مع «ابو عمار» في زيارة رسمية الى المملكة العربية السعودية، بينما يقوم الثاني بزيارة وحدات المقاومة الفلسطينية في منطقة البقاع.

وبعد جدل طويل على الهاتف، حيث كان كل منهما يصر على البقاء لزيارة القوات في اول ايام العيد ويدفع صاحبه للذهاب الى السعودية، استقر الامر اخيرا على سفر ابو جهاد مع ابو عمار ليبقى العميد ابو الوليد ويذهب الى البقاع ويصاب في كمين غادر بعدة طلقات نارية اثناء عودته من زيارته لجنوده ومقاتليه، حيث اسلم الروح شهيدا وقائدا شهد له خصومه قبل اصدقاءه بأنه شرف العسكرية العربية كلها بعقله وجهده وعطاءه المتواصل طوال تاريخه المجيد وحتى لحظة استشهاده.

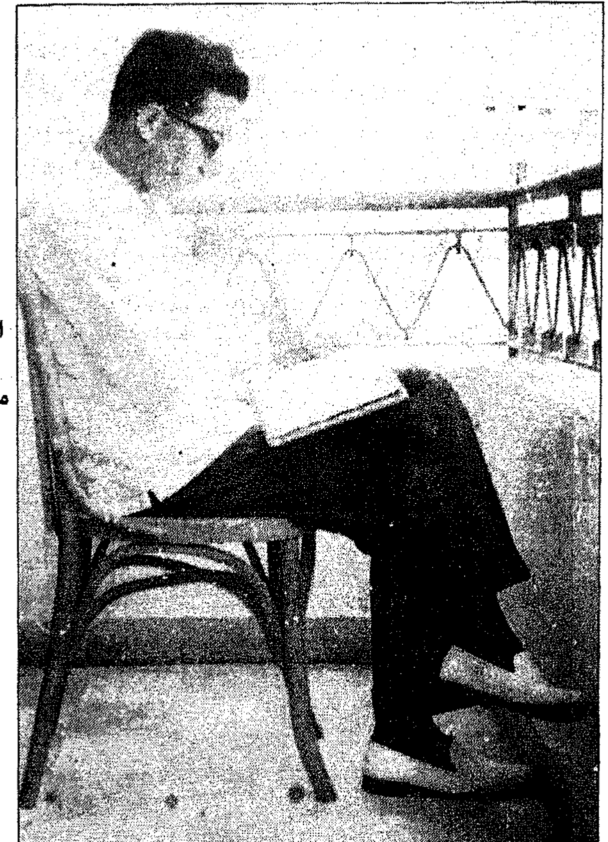
وماتزال عملية اغتيال العميد ابو الوليد، هي الاخرى احد الالغاز السياسية والامنية الخطيرة التي اكتنفها كثير من الغموض واحيطت بعديد من الملابسات

والاسرار، لأنها شكلت هي الاخرى منعطفا «تاريخيا حادا في المسار السياسي للقضية الفلسطينية . كان هناك مشروع للكتابة عن شهيدنا الكبير «ابو الوليد» وتأجل المشروع مرارا، وفي نوبه الحماس التي اجتاحت ابو جهاد في احد ليالي بغداد في شهر سبتمبر عام ١٩٨٦ كتب ابو جهاد تسع صفحات صغيرة عن ابو الوليد من المشروع المؤجل لاصدار كتاب يخلد ذكرى هذا القائد الكبير. وفي الليلة التالية كانت نوبة الحماس ذاتها ماتزال تتملك ابو جهاد وتمتلكه فكتب وثيقة جديدة من عشرين صفحة كاملة بخط يده عن بداية البدايات، وكان كعادته متفائلا بقدرته على انجاز هذا المشروع الكبير.. المؤجل دائما.

(كتبت مادة هذا الكتاب ونشرت بعد ستة اشهر من تاريخ اغتيال ابو جهاد).

واليوم ها هي ستة اشهر تنقضي على غيابه، واذا كان ابو جهاد قد استشهد فان كل ما بدأه يجب ان يستمر وينمو ويتطور، ليس فقط لأن هذا كان حلمه وكانت هذه رغبته ولكن لأن ذلك هو قدر كل ثورة تموت ان وقفت او تجمدت او تخلفت، وتنتصر مادام فيها قادة تاريخيين مثل ابو جهاد ندروا حياتهم و استبشروا بالشهادة من اجل حياة الشعب وانتصار القضية.





ابو جهاد في
فترة دراسته
الاولى ورئاسته
لاتحاد طلاب
مدرسة فلسطين

اقتناص لحظة نادرة
في العزف على البيانو



منظمة التحرير الفلسطينية
اللجنة التنفيذية



الرقم
التاريخ

الأخوة أبناء فلسطين

تحية الثورة .. تحية فتح الرائدة التي حملت دائماً راية الكفاح المسلح مبادرةً لتجسيد إرادة شعبنا المناضل .. تحية المناضلين الذين يقفون في مواجهة العدوان والتآمر على هذه الثورة .. لحمايتها .. ولحماية مسيرتها الثورية، لحماية الراية حتى تبقى متوهجة بإشراقة التضحيات الغالية، امتداداً لتاريخ شعبنا المناضل.

أيها الأخوة .. تعيش هذه الأيام في ساحتنا الفلسطينية منعطفاً تاريخياً في طريقة التعامل على أرضية عقدة الساحة مع أطرافها .. ومن حقكم أن تتابعوا تطورات الأحداث التي عشناها في أجواء الحوار الفلسطيني وما يعنيه وما كان من النتائج النهائية لهذا الحوار .. ثم ما كان بعد اللقاء [illegible] الذي عقد بحضور الجزائر وعدن [illegible] أعياد انطلاقة الثورة الجزائرية في ذكراها الثلاثين.

لقد أوضحنا في رسائل سابقة طبيعة مجريات الحوار وعناوين التواصل مع أطراف التحالف الوطني، وكنا نعرف لكم دورنا المشترك عند كل خطوة على طريق تقارب وجهات النظر بين فتح وأطراف هذا التحالف.

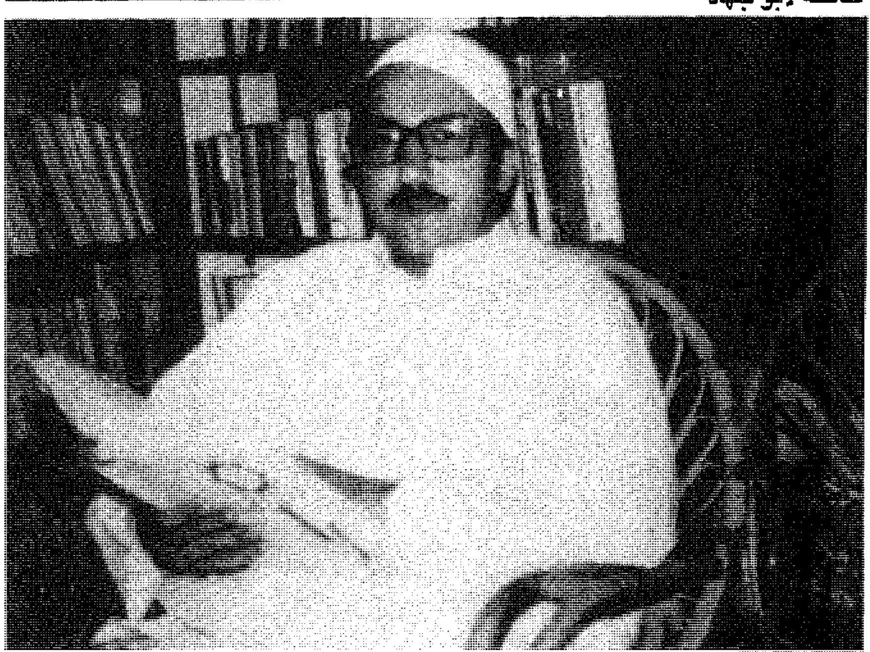
وبعد أكثر من عشرة شهور طوال من الحوار الصعب الطويل، توصلنا إلى توقيع اتفاق الجزائر عدن في ١٢/٧/٨٤ .. ولكن [illegible] في تفاصيل المواقف التي نشأت خلال الحوار بالمبادرات .. وكم من مرة كان يتوقف هذا الحوار ليتواصل من أجل اجتياز العقد من كل من قيادات الجزائر وعدن [illegible] من جديد، وعلى [illegible] ...

وكانت أهم عقدة اصطدم بها الحوار هي قضية تحديد موعد المجلس الوطني في دورته السابعة عشرة، حيث اقترحت فتح من أول حلقات الحوار في الجزائر أن يكون يوم ١٠/٧/٨٤ موعداً لانعقاد المجلس الوطني، ولكن أطراف التحالف الديمقراطي لم يعطوا رأيهم في لقاء عدن الثاني ٦/٨ حسب المقرر مما دعا الرئيس [illegible] عليهم [illegible] كل منظم الى [illegible]

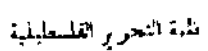
عمان ص.ب ٩١٤٢ تلفون ٤٢٣٢١ — ٤٢١٦٢

رسائله التي لم تنقطع للارض المحتلة

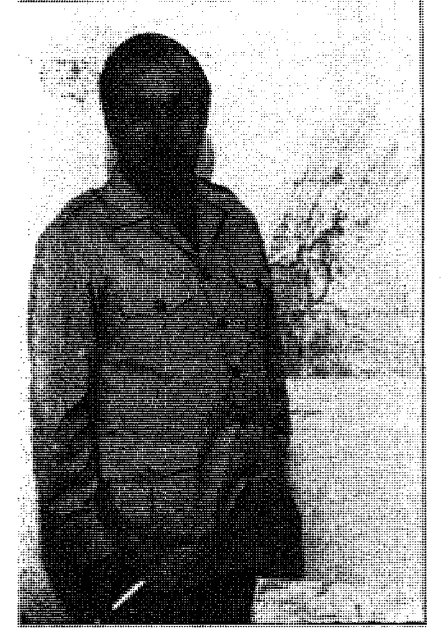
فترة مطالعة خاصة لابو جهاد



منظمة التحرير الفلسطينية







ابو جهاد في غرفة عمليات الارض المحتلة في مكتبه في بيروت

محضر اجتماعات لقاء الجزائر
بين ١٤/٢٠/٥/٨٤

أسس التفاهم

١. تم الاتفاق على مجموعة النقاط التالية ليتم بحثها في الهيئات القيادية للأطراف المجتمعة على أن يتم اقرار ما يصادق عليه منها في الاجتماع المقبل لهذه الأطراف على أن تكون واضحاً ان هذه الأفكار لا تعتبر نهائية الا ضمن الاتفاق الشامل النهائي

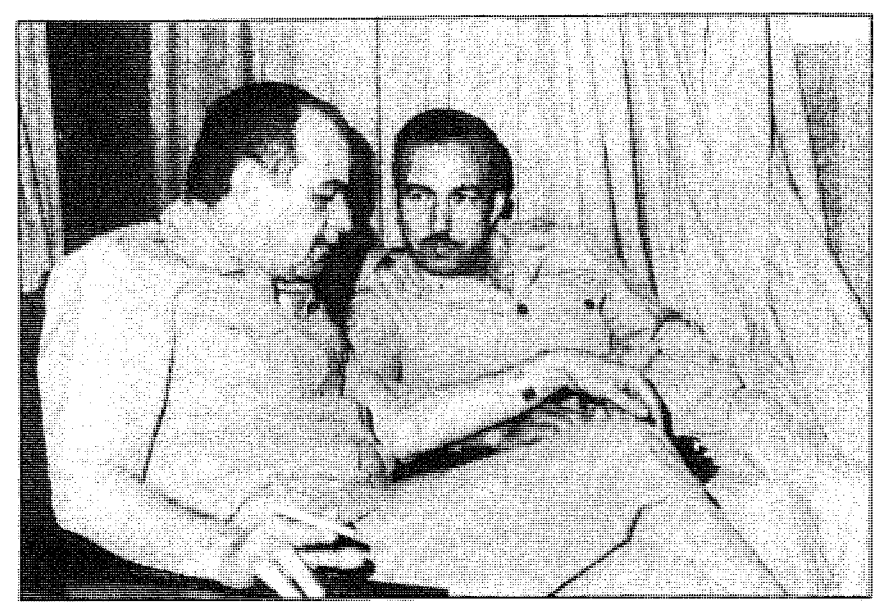
٢. النقاط المدونة تشكل مشروع اتفاق داخلي لتحديد سياسة م.ت.ف على أن يتم الاتفاق لاحقاً على ما يتم الاعلان منها وشأنها

٣. الاتفاق الشامل يتضمن الجانب السياسي والتنظيمي (أمانة عامة/مجلس) وتحديد موعد الدورة القادمة للمجلس الوطني الفلسطيني.

القائد الشهيد العميد سعد صايل - ابو الوليد



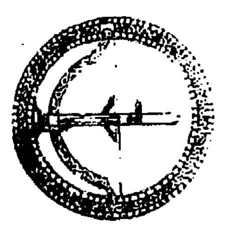
منظمة التحرير الفلسطينية



ابو جهاد مع ابو الوليد

ابو جهاد مع ممثلي حركات التحرر العالمية







مجلة دراسات متخصصة في القضايا الاستراتيجية والعسكرية
للصراع العربي ـ الاسرائيلي.

رئيس التحرير : د. محمد حمزة

تنويه :

- ترتيب الدراسات يخضع لضرورات الشكل الفني .
- الدراسات الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها ولا تعبر بالضرورة عن راي م . ت . ف .
- المقالات والدراسات التي ترد الى المجلة لا ترد مجددا .
- حق الاقتباس واعادة نشر موضوعات المجلة متاح ويرجى اثبات المصدر .

المراسلات :

بيروت ـ ص . ب ١٤/ ٥١٧٤ لبنان تلكس OMNI 20028 LE ـ هاتف ٣٠٢٠٨٥

غلاف «المعركة» التي اشرف ابو جهاد على اصدارها

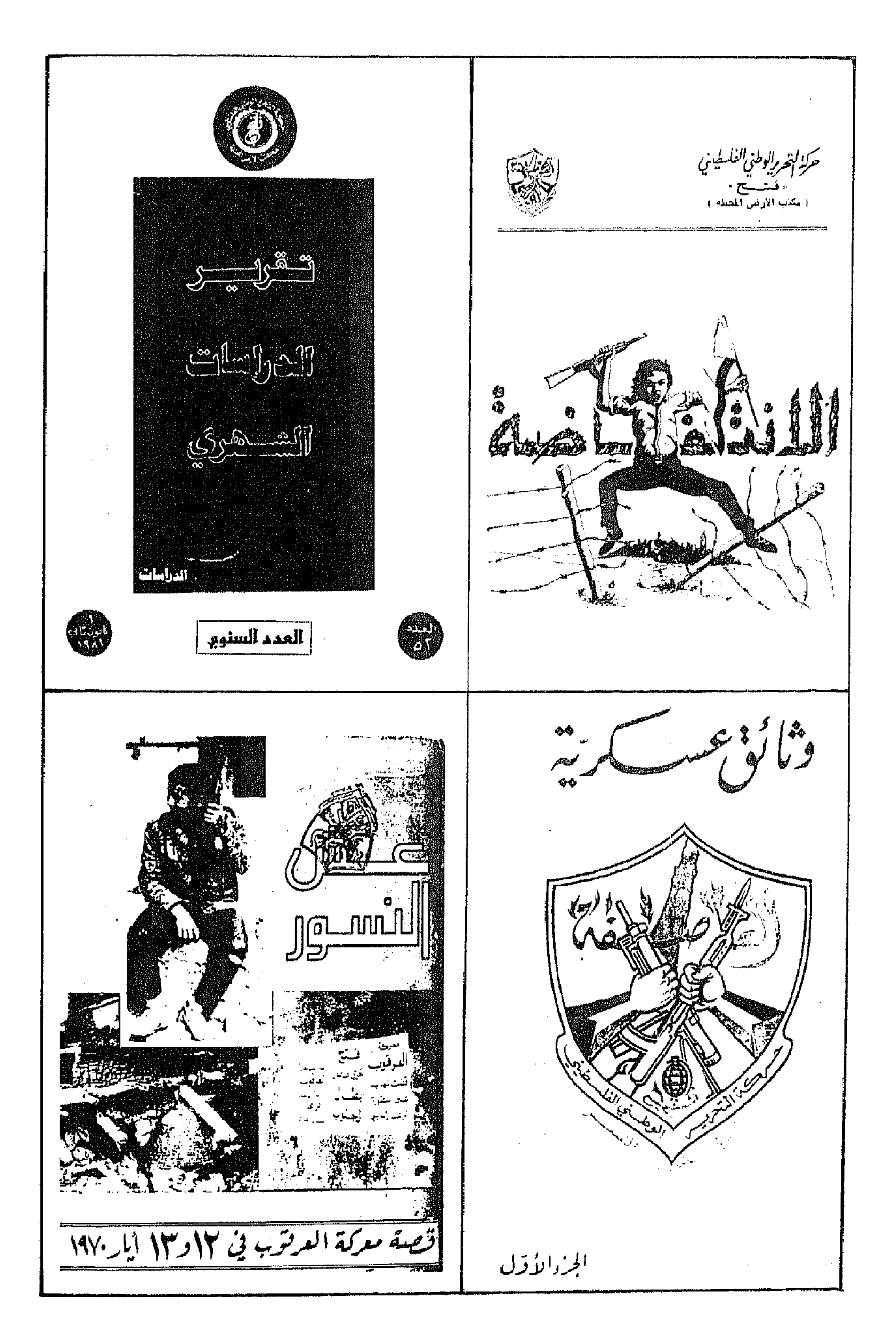


غلاف مجلة «فلسطيننا ـ نداء الحياة» التي صدرت عام ١٩٥٩

نشرة الارض المحتلة «وقائع واحداث»



نشرة صوت «العاصفة»



تقرير
الدراسات
الشهري
الدراسات
العدد السنوي
العدد
٥٢
حركة التحرير الوطني الفلسطيني
فتح
(مكتب الأرض المحتلة)
الانتفاضة
النسور
قصة معركة العرقوب في ١٢ و١٣ أيار ١٩٧٠
وثائق عسكرية
حركة التحرير الوطني الفلسطيني
الجزء الأول

٣ الفلسطيني الذي انتظر قطار الرحمة .. وتعلق بقطار الغربة

من المصادفات الغريبة ان يكون «ابو جهاد» قد استهل كتابته وحديثه عن مرحلة «بداية البدايات» بالتطرق الى موضوع حكومة فلسطين التي تشكلت في تلك الايام قبل اربعين سنه، وعلى وجه التحديد في ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨، والدعوة التي وجهها رئيس هذه الحكومة احمد حلمي عبد الباقي لتأليف المجلس الوطني الفلسطيني الذي إلتأم انعقاده في غزة واصدر في ١/ ١٠/ ١٩٤٨ اعلان استقلال فلسطين الذي نص على ما يلي «بناء على الحق الطبيعي والتاريخي للشعب العربي الفلسطيني في الحرية والاستقلال، هذا الحق الذي بذل في سبيله أزكى الدماء وقدم من اجله دم الشهداء، وكافح دونه قوى الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه، وحالت بينه وبين التمتع به، فأننا نحن اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة نعلن هذا اليوم الواقع في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٦٧ هـ، وفق أول تشرين الاول ـ اكتوبر سنة ١٩٤٨ م، استقلال فلسطين كلها، التي يحدها شمالا سوريا ولبنان، وشرقا سورية وشرق الاردن، وغربا البحر الابيض المتوسط، وجنوبا مصر، استقلالا تاما، واقامة دولة حرة ديمقراطية ذات سيادة، يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم، وحقوقهم وتسير هي وشقيقاتها الدول العربية متآخية في بناء المجد العربي، وخدمة الحضارة الانسانية مستلهمين في ذلك روح الامة وتاريخها المجيد، مصممين على صيانة استقلالها والذود عنه، والله تعالى على ما نقول شهيد».

● وقد تصادف ان ننشر ما كتبه ابو جهاد عن حكومة فلسطين في هذه الفترة التي تشهد مزيدا من الجدل والحوارات المكثفة حول العودة لاصدار وثيقة جديدة لاستقلال فلسطين، واعلان قيام الدولة والحكومة الفلسطينية .. المؤقتة.

(كتبت هذه المادة ونشرت قبل صدور الاعلان عن استقلال فلسطين وكل التطورات السياسية التي اعقبته).

كان الغائب الاكبر عن هذه الحوارات هو موقف ابو جهاد ورأيه خاصة وانه مصنف في معسكر الصقور بل ان البعض كان يعتبره صقر صقور هذا المعسكر على وجه الاطلاق.

ومن هنا كانت اهمية استشفاف رأيه، والتعرف على موقفه من كل مبادرة توصف بالحمائمية، وتتسم بالاعتدال والمرونة.. والواقعية. ربما لم تعد هناك قيمة عملية كبيرة الان للوقوف على رأي ابو جهاد بعد غيابه في مسألة حاضرة بالحاح ومطروحة بقوة كمسألة الحكومة الفلسطينية. ومع ذلك تبقى لشهادة ابو جهاد التي كتبها وسجلها بخط يده بخصوص مسألة الحكومة الفلسطينية قيمة سياسية وتاريخية تسهم في اضاءة كل حوار حول القرار الفلسطيني بشأن اعلان الاستقلال وقيام الدولة المستقلة.. والحكومة الوطنية العتيدة.

لم يكن ابو جهاد قد رفض بشكل مطلق فكرة اعلان حكومة فلسطينية، بل على العكس اعتبرها حسب تعبيره، «خطوة فلسطينية هامة».

وربما يعزى بشكل خاص لابو جهاد الدور الرئيسي الذي لعبه بخصوص اقامة البنية الفلسطينية التحتية التي تعتبر الاساس الضروري لكل اعلان سياسي عن الاستقلال او الدولة والحكومة، والا تحول هذا الاعلان الى مجرد وثيقة اعلامية لا تلبث ان تحال الى مخازن الوثائق في متحف التاريخ.

لم يكن ابو جهاد ضد الاعلان عن الدولة المستقلة، بل كان يعمل على مدار السنوات الخمس التي سبقت الانتفاضة على بناء ركائز هذه الدولة المستقلة في صمت ودون ان يملأ الدنيا صخبا وضجيجا.

● وليس من الصعب ان ترى بوضوح بصمات ابو جهاد على اغلب المؤسسات الوطنية في فلسطين المحتلة، وعندما تفجرت الانتفاضة في ١٩٨٧/١٢/٩، كان اول من اعطى توجيهاته في ١٩٨٧/١٢/٢٠ بالعمل فورا على «تشكيل اللجان الشعبية في كل مخيم من المخيمات وفي كل مدينة وحي وقرية».

وكان يعمل على تحويل هذه اللجان الى خميرة للسلطة الوطنية وركيزة للدولة الفلسطينية المستقلة. وهذا الموقف كان ناتجا عن دراسة عميقة لتجربة «حكومة عموم فلسطين» التي استخلص منها عدداً من الشروط الضرورية لانجاح مثل هذه الخطوة وتجنيبها مأساة السقوط وخيبة الفشل.

وتحت عنوان الجو السياسي بعد النكبة كتب ابو جهاد بخط يده ما يلي: «.. نذكر قصة حكومة حاول القائد الفلسطيني الكبير آنذاك الحاج أمين اصلاح الغلطة العربية برفض اقامة الحكومة فجمع في غزة عددا من القيادات والشخصيات الفلسطينية في

مجلس وطني واسع واعلن تشكيل حكومة عربية فلسطينية على ارض فلسطين سماها حكومة عموم فلسطين.

خطوة كانت متأخرة لانها جاءت بعد اشهر من وقف القتال الا انها كانت هامة فلسطينيا ولكن مباشرة بعد اعلانها جاء الحكم العسكري المصري لقطاع غزة حيث كانت الادارة المصرية هي التي تسيطر على قطاع غزة وارسلت قوات تحاصر مقر الحاج امين الحسيني ثم تطلب منه المغادرة على اول قطار الى القاهرة وتحت الحراسة فرضوا عليه المغادرة، ثم تلا ذلك ضغط عربي لاجبار عدد من وزراء الحكومة الفلسطينية العربية الاولى على الاستقالة حتى لا تبقى شرعية لتلك الوزارة ولذلك بقيت حكومة عموم فلسطين شكلية يقودها رئيس الحكومة (احمد حلمي باشا) احد الشخصيات القيادية التاريخية للشعب الفلسطيني شكلا دون محتوى تقبع في احد مكاتبها بالقاهرة للتتابع قضايا وثائق السفر وشهادات التعريف أو وثائق رسمية للاحوال الشخصية.

ولكنها انتهت سياسيا وواقعيا لانها لم تجد القوة التي تحمي وجودها وتحافظ عليها، ولأنها أصبحت مستهدفة من جانب بعض الانظمة العربية التي لم تشجع قيام حكومة فلسطينية حتى تحصل هي على بقايا فلسطين تضيفه لأراضيها او لحكمها..

وفي قصة هذه الحكومة كان درس كبير لنا نحن في حركة فتح والنضال الثوري الفلسطيني... هو ان أي تحرك سياسي لن يفيد وحده اذا لم يكن منطلقا من قوة تحميه، وارضية نضالية يرتكز عليها»

وفي تقديرنا ان الدرس الذي استخلصه ابو جهاد من تجربة حكومة عموم فلسطين، ما يزال صالحا الان وفي المستقبل لان نجاح واستمرارية هذه الحكومة يعتمد بالدرجة الاولى على عدد من الشروط الاساسية التي اشار اليها ابو جهاد، وخاصة مسألة التوقيت فاذا كان استعجال الاعلان عن الحكومة الفلسطينية يمكن ان يعرضها للذبح اذا لم تكن الشروط ناضجة تماما لبقائها وحمايتها واستمرارها، فان التأخير في اتخاذ هذه الخطوة عن اللحظة التاريخية المناسبة قد يؤدي هو الاخر لتكرار المأساة وضياع الفرصة المواتية وانتقال المبادرة الى يد الخصم.

● وكان الشرط الثاني الذي استخلصه «ابو جهاد» يتعلق بقدرة الحكومة الفلسطينية على الاحتفاظ باستقلاليتها وبمقاومتها للضغوط، وهي مسألة دقيقة للغاية، وخاصة في الظروف الراهنة التي تحكم على القيادة الفلسطينية بالتواجد جغرافيا خارج حدود فلسطين، وبعيدا عن التماس المباشر معها في ظروف عربية عامة لا يمكن التكهن استراتيجيا باستمرارها في مواقعها وثباتها على مواقفها.

● وفي رأى ابو جهاد ان الشرط الثالث يتعلق بمهمات الحكومة الفلسطينية المؤقتة التي يفترض ان توازن ما بين المتطلبات الضرورية لاى حكومة حتى وان كانت مؤقتة او

في المنفى، وبين الضرورات الوطنية في مرحلة ما قبل الحصول فعلا على الدولة الفلسطينية المستقلة، وبديهي ان الاخلال بالتوازن الدقيق بين الشرعية الدولية، والشرعية الثورية في هذه المعادلة يمكن ان يحول الحكومة الفلسطينية المرتقبة الى مجرد مكاتب لشؤون الاسر والرفاه الاجتماعي، أو يحولها بالمقابل الى مجرد شعار ثوري فارغ من أي مضمون سياسي ولا علاقة له بالمصالح الحقيقية والمباشرة للشعب الفلسطيني الذي يواجه الاحتلال.

وفي الحالتين سيكتب لهذه الحكومة أيا كان اسمها نفس المصير المحتوم لحكومة عموم فلسطين.

وكان الشرط الاخير الذي استخلصه «ابو جهاد» هو حجر الزاوية الذي يحدد مصير فكرة الاعلان عن حكومة فلسطينية، وهو يرى «ان أي تحرك سياسي لن يفيد وحده اذا لم يكن منطلقا من قوة تحميه وارضية نضالية يرتكز اليها».

وللزيادة في الايضاح والتفسير يمكن اعتماد ما قاله ابو جهاد قبل استشهاده عن نفس الموضوع، حيث اعتبر «ان مصير الاحتلال يتقرر اولا على الارض المحتلة وليس على مائدة المفاوضات».

● ومن قبيل التذكير فقط تجدر الاشارة الى موقف ابو جهاد الذي رفض في ١٢/١/١٩٨٨ الفكرة التي طرحت ايامها للاعلان عن حكومة فلسطينية في المنفى.

ورغم ان اغلبية الاخوة الذين اتفقوا معه ايامها على رفض هذه الفكرة قد غيروا الان من مواقفهم منها الا انه يصعب مع ذلك التكهن بما كان يمكن ان يكون عليه موقف ابو جهاد اليوم وفي ظل المتغيرات التي تسارعت بعد استشهاده، وربما بسبب استشهاده نفسه.

اخطر ما تعرضت له القضية الفلسطينية

● بالعودة الى الاوراق التي كتبها «ابو جهاد» وتحدث فيها عن بداية البدايات نراه يتطرق الى اخطر ما تعرضت له القضية الفلسطينية بعد النكبة وهو مؤامرة طمس الهوية واذابة الشخصية الفلسطينية.

●يقول ابو جهاد: «كانت المؤامرة هي طمس الهوية الفلسطينية واذابة الشخصية الفلسطينية وتغييب اسم فلسطين في الواقع في كل ميدان، في الامم المتحدة كانت المؤامرة منذ سنة ١٩٥٠ شطب بند قضية فلسطين من قائمة جدول اعمال الامم المتحدة والتي كانت تناقشها سنويا ووضع بدلا منها بند اسمه (قضية الشرق الاوسط)، وتناقش جوانب القضية الفلسطينية تحت بند (تقرير الامين العام الخاص بجهود وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين).

وبهذا بدأت تذوب من الساحة الدولية ومن ميادين النشاط السياسي العالمي قضية فلسطين وشعبها كقضية حق مغتصب وبدأت مؤامرة انزال الستار حول جوانب هذه القضية.

ولم يبق من فلسطين الا الضفة الغربية التي اقيمت وحدة بينها وبين الاردن واصبح اسمهما معا المملكة الاردنية الهاشمية وحمل اهل الضفة الهوية الاردنية. والحق قطاع غزة بمصر اداريا.

● وكان ابناء شعبنا الفلسطيني سواء اولئك الذين عاشوا في الاردن بهوية جديدة، أو في غزة معزولين عن اخوانهم من الفلسطينيين الاخرين.. او اولئك الذين عاشوا لاجئين في مخيمات مصر ثم انتقلوا الى قطاع غزة فيما بعد او في مخيمات سوريا ولبنان، جميعهم جمعتهم المعاناة، وعاشوا العذاب، وواجهوا صعوبات وانظمة تحد من حرية تحركهم او انتقالهم او عملهم..

الفقر القاسي، الجوع، المرض، الضياع، العذاب، الاحباط هي الغذاء اليومي لهذه الجموع من مئات الالاف من ابناء اللاجئين الفلسطينيين.

● كانت هناك ظاهرة مهمة بعد الاحتلال الاسرائيلي سيطرت علي حياة اللاجئين الفلسطينيين الذين تركوا ديارهم وبيوتهم واثاثهم ومزارعهم وخيراتهم حيث كان هؤلاء يقومون بعمليات التسلل ليلا وبعمليات شبه عسكرية نحو املاكهم وبيوتهم، يدخلون اليها بعد ان تركوها وهم يعرفون كل شيء لهم فيها، منهم من يحضر فراشا تركه على امل عودته قريبا او يحضر ملابسه او بعضا من اثاثه، او ما خلفه وراءه من غالي التجهيزات.. واذا كان له مزرعة بها موتور مياه يذهب ليفككها وهي ملكه من عرق جهده لينقلها الى حيث خيمته ليبيع ما احضره من بيته ليسد بعض رمقه، كثير من هؤلاء ينجحون ويعودون وجزء منهم نسمع في ذات صباح صراخ عائلته تبكي، وتولول.. لان رجلها، عائلها ذهب ولم يعد.. حيث تكون القوات الاسرائيلية قد قتلته وذهب المسكين ضحية محاولته العودة لمنزله لاحضار بعض مما تركه خلفه يوم غادر منزله دون ان يستطيع ان يحمل معه شيئا لانهم تحت النار والقهر اخرجوه من بيته.

بدايات الاسئلة الصعبة

ويقترب ابو جهاد بعد هذا العرض اكثر فاكثر من لحظة مواجهة الذات الوطنية التي تبدأ عادة بطرح الاسئلة المصيرية الصعبة قبل رحلة البحث الشاقة عن اجابات صحيحة لها.

يقول ابو جهاد: «هؤلاء الذين يفكرون يوميا بالخلاص من الواقع يبحثون عن طريقة لتغيير هذا الواقع نحو الافضل لذلك كانت تتوالى النظرة الفاحصة المتجددة من جانب

جيل النكبة لطلائعه تبحث من ارضية المعاناة والعذاب عن طريق للخلاص من هذا الواقع الاليم..

يبحث الشاب منا فاحصا ما حوله متسائلا:

ـ اين نحن، لماذا وصلنا لهذا الواقع الاليم؟

ـ ما هي قصة هذه الرحلة المفزعة التي فتحنا عليها عيوننا؟

ـ ماذا وراء هذه المأساة المؤلمة التي عشناها حتى كانت نكبة شعبنا، ومن ثم تشريده من وطنه وطرده من دياره وحياته خارج الارض التي ولد عليها وعاش في رحابها واطعم من خيراتها لاجئا.. معذبا، بلا وطن، بلا ارض، يأوي اليها بلا هوية بلا كرامة، بلا حقوق حتى ادنى الحقوق الانسانية التي يعيشها الانسان في اي جزء من العالم.

ـ كيف الخلاص؟

هذا شعبنا شريد.. ممزق، يعيش الغربة والضياع هذا واقع حياتنا بالامه واحزانه، بقسوته، ومعاناته وهذا عدونا يتمطى يمد اطرافه ليضع يده من جديد على اقسام جديدة من ارض وطننا ليحتلها، يطرد من المدن والقرى، من البوادي والجبال، من الاودية والسهول قوافل من ابناء الشعب الفلسطيني صاحب الارض.

هذا هو مجتمعنا الذي نعيشه تأكله امراض الاتكالية واللامبالاة والاحباطات المتواصلة التي تجلعنا نصل لتسميتها طلائع اليأس لدى البعض.. ومن ثم محاولة الهرب الى المجهول.

قسم بدأ يبحث عن السفر للخارج بعيدا عن مناطق التجمع الى بلاد بعيدة يهاجر اليها باحثا عن لقمة العيش وقد فقد كل شيء واغلقت في وجهه كل الابواب للحياة الطبيعية، قسم آخر عمل باقل الاجر بما يحفظ له ولعائلته أوده ومعيشته بحدها الادنى.

وقسم كان يعيش على ما تقدمه وكالة الاغاثة الدولية للاجئين من اغاثة اسبوعية يقيم بها أود اطفاله وعائلته وهي لا تكفي من اسبوعها سوى ايام قليلة فكيف يدبر امر بقية ايامه.. ومنهم من عمل عملا جزئيا اذا توافرت امامه السبل، ومنهم من لم يجد عملا فهام على وجهه لا يجد شيئا بل يعود في مسائه مرهقاً مكدودا من كثرة البحث.. دون جدوى.

عبر هذا الواقع ومن خلال أمواجه المتلاطمة كانت تختمر بين الاوساط الشابة والمثقفة او المتعلمة من جيل النكبة جملة نظريات في مواجهة هذا الواقع والبحث عن الخلاص.

دوامة الاتجاهات وأوهام لعبة الاحصنة الخشبية

في الجزء التالي يعدد «ابو جهاد» حركة الاتجاهات والاجتهادات السياسية التي سادت في الحركة الوطنية الفلسطينية منذ النكبة حتى بداية النصف الثـاني من الخمسينات.

كان الدخول في دوامة هذه الاتجاهات السياسية يشبه الى حد بعيد الاغراق في الاوهام التي تتملك الذين يركبون لعبة الاحصنة الخشبية التي تلف حول بعضها في مدن الملاهي، دون ان يكون أي منهم قادراً على تجاوز صاحبه او تجاوز محيط الدائرة التي يلف داخلها حول نفسه ليبدأ دائما من حيث انتهى في هذه اللعبة السياسية العبثية.

يقول ابو جهاد: «كان هناك اتجاه يرى ان سر مأساتنا وسبب نكبتنا هو هذا الواقع العربي الضعيف الممزق، لذلك تتجـه الفكرة الى ضرورة الالتـزام باحـدى القوى الشعبية، او التيارات او الاحزاب العاملة بالساحة والتى لها عقيدة تغيير المجتمع وتبديل هذا الواقع عبر برامج اصلاحه او تبديله بأية وسيلة ممكنة.. فلعل وصول إحدى تلك القوى او الاحزاب للحكم في هذا البلد او ذاك يهيء السبيل للتغيير المطلوب فيخلق واقعا عربيا قويا سليما يؤسس دولة قوية تملك جيشا قويا فتبدل هذا الحاضر الضعيف والواقع الواهن بما يمكنها من القيام بمهمة تحرير الوطن السليب ورد الحقوق الفلسطينية لاهلها..

● من هنا رأينا احزاب المنطقة العربية وتياراتها تنتشر بين صفوف الفلسطينيين، وتلتزم الطليعة الفلسطينية من الشباب مع تلك الاحزاب على اختلاف اتجاهاتها..

هناك من آمن باحزاب وتيارات دينية متطلعا الى ان اصلاح المجتمع وبناءه وتطهيره من المفاسد يخلق المجتمع النظيف القوي.. الذي يجعل السلطة قادرة على القيام بمسؤولية التحرير ومعها عالم اسلامي ممتد واسع زاخر بالقوى والامكانات..

● وهناك من آمن بالاحزاب ذات الطابع القومي والتي تؤمن بالقومية العربية طريقا لوحدة شعوبها وشدها بعضها الى بعض بعد هذه الفرقة والضعف وبعيدا عن التمزق الجاري والتجزئة التي فرضتها القوى الاستعمارية على عالمنا العربي.

● وهناك من اتخذ من الاحزاب اليسارية والشيوعية سبيلا لمعالجة الواقع العربي من وجهة نظر أممية تستند الى دعم القوى السوفيتية والاشتراكية في العالم والايمان بالتغيير من خلال العمل عبر حزب شيوعي يخدم الفكرة الماركسية التي تشكل تياراً عالميا يواجه اسرائيل كقاعدة للامبريالية، لكنه يدخلها ضمن حسابات الصراع الطبقي ونضال الطبقة العاملة يهودا او عربا جنبا الى جنب.

كانت هذه التيارات الحزبية تتصارع على نفوذها في المنطقة العربية على امتدادها وخاصة في المناطق المحيطة بفلسطين المحتلة تضعف في قطر ما وتقوى داخل آخر.

ولا احد ينكر من تلك القوى ان الفلسطينيين كانوا الطلائع لدى هذه الاحزاب كلها، وانهم كانوا وقودها، وكانوا من زودها بزخم بشري ومعنوي كبير.

والمؤسف ان المنطقة شهدت تصارعا حادا بين كل هذه الاحزاب والتيارات وكانت تتصاعد حدة الصراعات لتصل الى حد الصدامات.. ويقع بين اجزائها الكثير من الضحايا. والواقع كان يروي ان معظم الضحايا من كل هذه الاحزاب والقوى كان من الفلسطينيين.

نعم انهم كانوا يدفعون على ارض الواقع اغلى الخسائر، ونفتح اعيننا لنرى ان خسارة كل الاحزاب مست ابناء فلسطين الذين كانوا الطليعة الاولى بل والصدامية في هذا الحزب او ذاك.

وثمة اتجاه آخر..

وكان هناك بحث دائم لدى الطلائع الفلسطينية وجماهيرها عن المنقذ وعن الطريق للخلاص.

كان هناك فريق يتطلع الى قائد عسكري قوي يتولى السلطة في بلد عربي من البلدان المحيطة بفلسطين المحتلة، عبر انقلاب عسكري او سواه، ويصل ذلك الحاكم ليتولى مهمة التغيير العاجل، يبني قوة الجيش، ويحرك هذا الجيش للتحرير الذي يضع حدا لسنوات التيه والضياع. ويكون هو المنقذ، صلاح الدين الذي ينقذ المنطقة من جديد.

من اجل ذلك كنا نحن الفلسطينيين اول من صفق لعملية انقلاب دمشق، ثم للانقلاب المصري على الملك فاروق وعزله، او ما حدث في لبنان بالنسبة للرئيس بشارة الخوري.. على أمل.. ان يكون تبديل الواقع السابق بواقع تغيير حقيقي يحمل معه امل البناء والقوة والاستعداد ومن ثم المضي للتحرير.

لقد اخذ كل اتجاه من هذه الاتجاهات مداه.. ولأقصى حد.

قامت انقلابات حملت لشعبها الامل، وعقدت عليها الامال، وحملت معها في بيانها الاول شعارات الاصلاح من اجل المضي على طريق التحرير ثم رأيناها تغرق في دوامة المشاكل الداخلية وفي بحر الاصلاح الداخلي، وتغمرها الامواج بحيث لا تستطيع فكاكا من امورها الداخلية.

ثم يأتي بعد سنوات من الانتظار المحملة بالامال التي لا حدود لها ليقول قائد من اولئك: «ليست لدى خطة لتحرير فلسطين».

● فتقع الصدمة النفسية بين صفوف شعبنا وتصيح في داخله الصرخة.. لماذا كل هذا الانتظار لماذا لم يقلها من البداية، ولماذا خديعتنا وخديعة الجماهير العربية..؟

وبالمقابل تولت احزاب عربية مسؤولية الحكم في اقطار اخرى سواء كانت ماركسية او قومية او بعثية او اسلامية. تسلمت زمام السلطة، وحملناها هي الاخرى الامال على اساس انها طريق الاصلاح الجذري في المجتمع العربي لهذا القطر او ذاك، وهي الطريق لتجسيد وحدة قومية تعبيء القوى وتحشدها على طريق التحرير والخلاص.

وتمر السنوات، وتتوالى الانقلابات، وتتلاحق موجات التبديل والتغيير في الواقع العربي، ويأتي للحكم قادة كان شعارهم الاول تحرير فلسطين ودعم اهلها للعودة.. وفي لحظة تدقيق وحساب مع النفس نجد انفسنا نحن الفلسطينيين

- ضحايا كل خلاف
- ندفع الثمن الاغلى من خسائر كل جانب
- ولازلنا اكثر فاكثر في دوامة الشعارات
- وتزداد فرقتنا.. وتتعمق غربتنا، ونفقد هويتنا،

ونصبح نحن هدفا للانظمة الجديدة، تحكم علينا قبضتها، وتزيد من سيطرتها على مقاديرنا، وتشدد من عمليات الحد من حريتنا وتصب علينا لهيب غضبها.

قطار الرحمة.. وقطار الغربة

كانت اوضاع الشعب الفلسطيني في مطلع الخمسينات تتدهور بسرعة، وتسير من الوضع السيىء الى ما هو اسوأ، وقد شهدت هذه الفترة ظاهرة «قطارين» يتحرك كل منهما في اتجاه معاكس للاخر.

الاول، كان يعرف باسم **«قطار الرحمة»** الذي كانت ترسله الحكومة المصرية من القاهرة الى غزة محملا ببعض المساعدات والتبرعات التي تجمعها الحكومة من المواطنين المصريين لتوزيعها على المحتاجين من اللاجئين في القطاع.

اما القطار الثاني، فكان يتحرك من غزة الى القاهرة، وقد شهدت فترة الخمسينات تدافعا من قطاعات هامة من الشعب الفلسطيني لركوب هذا القطار وبدء الرحلة المريرة للغربة.. والاغتراب بحثا عن الامن والعمل.. والمال.

ولاشك ان تجربة الرحيل الى خارج الوطن منذ مطلع الخمسينات كانت من الناحية السياسية قد تركت بصماتها القوية على كل التاريخ اللاحق للحركة الوطنية الفلسطينية.

وقد تأثر ابو جهاد الى حد كبير وهو ما يزال في مطلع شبابه بالمشهد الدرامي الحزين للوحة الرحيل التي انطبعت في ذاكرته فسجلها بدوافعها وخلفياتها السياسية، وبدقائقها وتفاصيلها الانسانية المحزنة.

كتب «ابو جهاد»: «ساءت الاحوال المعيشية.. انتشر الفقر، ازدادت الحاجة..

الحالة اقرب الى المجاعة.. المعاناة القاسية.. البحث عن لقمة العيش يشغل الشباب والرجال.. وحتى النساء.. الكل يبحث عن عمل.. حيث الاعمال محدودة في هذه المناطق، من جهة اخرى سيطرت على الحكومات التي تشرف على ادارة تجمعاتنا مخاوف وشكوك حول كل تحرك او تجمع يحاول به ابناء فلسطين اللقاء او الاجتماع ولهذا سلكت اجهزة الاستخبارات والاجهزة الامنية في معظم تلك الدول سبيل الاتهام الدائم لكل من يتحرك من ابناء شعبنا لخدمة اجتماعية أو ثقافية أو صحية أو حتى رياضية فما بالك اذا كانت حزبية أو سياسية.

رصد لكل تحرك.. متابعة لكل من يعمل في هذه المجالات.. استدعاءات وتحقيقات والكل متهم حتى تثبت براءته.. ومن لم يدخل السجن بعد هو مشبوه وموضع التشكيك بوطنيته.

وهكذا كانت تكال التهم جزافا لكل نشيط في العمل.. فيعتقل ويضرب ويعذب بقسوة، احيانا كثيرة لم يكن احد يعرف لماذا يجري كل ذلك معه. كانت تهمة العمل ضد السلطة او انه «شخص خطير» تكون لمجرد ان يلتقي اي اخ مع مجموعة مع اخوانه ورفاقه حتى ولو كانت تلك اللقاءات لمجرد اللهو.

وكم امتلأت تلك السجون العربية بالمئات من الشباب (الخطر) على الامن حسب وصفهم لهم.. لانهم احيانا يعبرون بوضوح عن حبهم لوطنهم فلسطين ويتحدثون كثيرا عنه.. وتقسو تلك السلطات على الفلسطينيين اكثر.. واكثر.

هؤلاء الذين عاشوا في مخيمات (بورسعيد) بعد وصولهم من شواطىء يافا رأوا الويل والعذاب على يد الحراس والمسؤولين عن مخيمهم الى ان نقلوا الى معسكر المغازى والنصيرات في قطاع غزة.

هؤلاء الذين وصلوا الى لبنان بعد خروجهم من حيفا وعكا ومدن وقرى شمال فلسطين بدأوا حياة المعاناة من رجال المكتب الثاني منذ اللحظة الاولى لحياة اللجوء الجديدة، وسيطرت على تجمعاتهم عمليات ارهاب وبطش منظمة لا مثيل لها.

اولئك الذين كانوا فى غزة.. قاسوا على يد الادارة آنذاك الكثير، ملاحقات، وضغوط، واستدعاءات.. حتى ضاقت على الشباب انفسهم من ملاحقة اجهزة المخابرات، لذلك بدأت امواج من الشباب تفكر بالرحيل من تلك الاماكن، كل يريد ان يختفي من عيون اصحاب عيون الملاحقة، واصحاب الاستجواب والتعذيب والاهانات دون من يحمي حتى حقوقهم في الحياة كانسان او مواطن له كرامته.

هكذا بدأت قصص الرحيل للشباب

عشنا اياماً متوالية من اعوام ١٩٥٠، ١٩٥١، ١٩٥٢، نخرج من مدينة غزة الى

محطة السكة الحديد التي تربط غزة بسيناء ومصر الى القاهرة، كان شريط السكة الحديد هو شريط الحياة لقطاع غزة الوحيد الذي يربط القطاع بالعالم الخارجي حيث تحيط بقطاع غزة من الشمال والشرق قوات الاحتلال الاسرائيلي، ومن الغرب يحيط بها البحر الابيض المتوسط، اما الجنوب فهو المتصل بسيناء ومن ثم مع مصر.

لقد كان التواجد على ارض المحطة في الصباح الباكر شيئا مؤلما.. بحر من العواطف الجياشة تفيض امواجه صاخبة تغمر برذاذها كل من على شاطىء تلك المحطة.. الامهات، الاخوات، الزوجات، الابناء، الاباء.. الجميع يقف هناك قبل ان تبزغ شمس ذلك اليوم.. وقد وقف الجميع جماعات.. جماعات في وداع الزوج أو الابن أو الاخ.. يغادر للعمل في الخارج موظفا أو عاملا أو مدرسا وهي الفرصة لبعضهم للعمل بين شهرين الى ثلاثة حيث يعود وقد سدد ديونه السابقة وبجانبها مبلغ آخر يسد به رمق العائلة ويحفظ لها حياة عادية لبضعة اشهر قادمة.. كذلك كان الحال لمن يسافر لبلدان الخليج..

كم كانت صعبة لحظات ذلك الفراق

الاهل وهم يتحلقون حول الابن أو الزوج أو الاب المسافر، اطفال يتعلقون بهم.. امهات واخوات يجهشن بالبكاء الطويل المر.. ما كان اصعب ذلك الرحيل لانه رحيل الى عالم مجهول بالنسبة لنا نحن ابناء فلسطين.

لكم امتدت رحلة اقتلاعنا من وطننا.. كنا نظنها اياما.. اذا بها تمتد شهورا وتمتد سنة بعد سنة ويقهرنا الجوع ويستبد بنا المرض.. ويحرقنا لهيب العذاب الذي نراه على يد الاجهزة الاستخبارية والسلطات المشرفة حينما تحرمنا من حقوقنا التي كنا نتمتع بها في وطننا.. حرية الرأي والفكر والتعبير عن قضيتنا الوطنية، عن معاناة شعبنا عن طموحاته وعن حقوقه، فيصبح أي حديث عن قضيتنا أمراً خطيراً تهتز له اركان هذه الدولة او تلك وتجند له ادواتها لتطمئن على ان امنها بخير.



ويرسل القطار على المحطة صفيره الطويل ايذانا بالاستعداد للحركة والرحيل.. فيسرع الاب والاهل في عملية الوداع.. تسخن العواطف.. يشتد النحيب، ويتعالى صوت الاجهاش بالبكاء، ويقطع هذا الضجيج المتلاطم صفير القطار لآخر نداء فتتسارع حركة المسافرين يقفزون الى القطار ويتعلقون بالنوافذ.. تتوالى القبلات الحارة للاهل وترتفع الايادي ملوحة ويبدأ القطار في الحركة.. ويبتعد رويداً رويداً

وعلى نوافذه وقف مئات الشباب والأيدي لا تتعب من التلويح بحركة الوداع.

وعلى الرصيف كانت هناك القلوب التي يمزقها الم الفراق

● وتحرقها نيران الفرقة

ويبدأ الاهل بالعودة.. وفي كل منزل قصة حزينة عن هذا الفراق الذي تجربه لاول مرة.. ثم اصبح فيما بعد امرا حياتيا يوميا وعادة طبيعة مألوفة في حياتنا.

ومن هجرة الى هجرة، فمن المناطق المحيطة بحدود فلسطين بدأ بعض ابناء شعبنا الحياة فى المجتمعات الجديدة في الكويت، ابوظبي، قطر، البحرين، العراق، المانيا، امريكا، وغيرها من ديار الهجرة.. وكان الاعتقاد بان هؤلاء سيبدأون بنقل عائلاتهم واولادهم للمجتمعات الجديدة، ثم يغرقون في شؤون حياتهم الخاصة.. وتبدأ بعد ذلك عملية الذوبان في تلك المجتمعات.. ومن ثم.. لن يبقى لهم شيء في فلسطين. وينسون.. ويذوبون.. وحينما يذوب ابناء القضية لا تبقى هناك قضية، وحين ينتشرون وتبتلعهم المجتمعات الجديدة لا يبقى للقضية شعب.

● لكن الواقع جاء بصورة معاكسة..

رحلة الغربة والهجرة الجديدة كانت قصة فريدة بذاتها.. كانت معلما بارزا من معالم المأساة الفلسطينية.

كان الاصرار على الرحيل لحفظ حياة شعبنا ومواجهة الجوع والحرمان الذي اكل بانيابه الوحشية مخيماتنا وسكانها. القطار كان يحمل هذه الالاف، وسفن البحر نقلت أعداداً اخرى والسيارات انطلقت بقوافل هؤلاء الشباب من كل جهة لتخترق حدودا وحدودا الى ان يصلوا الى مناطق العمل.

آلاف من قصص المعاناة التي شكلت سجلا حافلا في تاريخ مأساة شعبنا لاقاها ابناؤنا في الطريق لرحيلهم الثاني.. عمليات الاستغلال والجشع، الخديعة من السماسرة، صعوبات الحصول على تأشيرات للدخول دفعت كثيراً من الشباب الى رحلة خارجة عن العرف والقانون من اجل الوصول الى هذا البلد اوذاك لان مجرد الوصول هو مفتاح الخلاص من المعاناة.. وفرصة لبدء العمل ومن ثم تأمين الانقاذ لعائلات بكاملها ما تزال قابضة على الجمر في ارض الوطن.

كم ابتلع البحر بامواجه من مراكب ملأى بهذا الشباب، لم يرحمهم البحر وكانت امواجه اقسى من احلامهم الوردية، وفي السفر ما بين هذا البلد وذاك كان الكثيرون يحاولون الدخول لهذه الدولة او تلك.. وكم كانت قصص مليئة بمآسي سطرتها رمال الصحارى والوديان حيث ابتلعت بصمت اجساد المئات.. انهكهم التعب.. واحرقتهم حرارة الشمس الهبهم العطش فسقطوا اعياءً.. وودعوا الحياة وهم يغمضون اعينهم على تلك الاحلام وعلى صورة الاهل والارض.. والوطن لا نريد ان نستطرد في المزيد فلقد

كانت تروى كل يوم قصص رهيبة عما لاقاه هؤلاء الغرباء الآتين من فلسطين.

●●●

واخيرا نصل مع ابو جهاد الى الملامح الاولى للاجابة التي صاغها مع ابناء جيله ردا على الاسئلة المصيرية التي طرحتها عليهم النكبة وذيولها. وعلى هذه الاجابة المكثفة سوف يتأسس عهد جديد ليس بالنسبة لابو جهاد وحده ولكن لجيله ايضا وللاجيال التي تواصل مسيرة البدايات الصعبة الى النهايات المنتصرة.

● كتب «ابو جهاد» بقلمه: «ثم يلح السؤال.. وماذا بعد؟ ليأتي الجواب: ماحك جلدك مثل ظفرك تتولى انت جميع أمرك.

وتندفع موجة الاتجاه للعمل الوطني الفلسطيني يشق طريقه عبر صخور ومسالك وعرة.

تتعمق في نفوسنا المرارة، وتنغرس في ارواحنا مشاعر الحسرة وخيبة الامل وتتعزز لدينا ارادة البحث عن طريقنا.. وحدنا كابناء بررة لفلسطين.

وتندفع بين صفوف ابناء فلسطين بعد ذلك موجة الاتجاه للعمل الوطني الفلسطيني ويشق هذا الاتجاه طريقه بصعوبة ولكن في الاتجاه الصحيح لاول مرة، ذلك ان هذا الواقع وكل المحاولات عبر القوى والاحزاب والانظمة محليا أو عربيا ودوليا لم تقرب الفلسطيني مترا واحدا من وطنه وارضه.

وهكذا تعززت لدينا ارادة الاعتماد على النفس والبحث عن طريق نبدأه نحن كفلسطينيين.. ابناء النكبة.. المكتوين بنار المأساة.. الذين هم ضحية العدوان.. الباحثين عن طريق الخلاص.

كانت تطرق على افكارنا ما حققته ثورات الشعوب التي واجهت الاحتلال النازي او الفاشي ودورها في مقاومته.. ثم انتصارها عليه وما انجزته حركات التحرر الوطني التي واجهت الاستعمار والاحتلال.. او الحكم الديكتاتوري.. سلطات القهر والبطش.. وكيف حققت بالنضال، بالاعتماد على النفس تعبئة قوى الشعب، بالاستناد الى الجماهير حققت حريتها، نالت استقلالها، وتخلصت من الدكتاتوريات التي تحكمت بمصائرها.

●● تلك امامنا الصين، يوغسلافيا، فرنسا، اوروبا، دول افريقيا المكافحة او في أسيا المناضلة او هناك في امثلة كثيرة تواصلت في امريكا اللاتينية المقهورة، كوبا، فيتنام، ثم الجزائر.. امثلة حية تجسد بكفاح شعوبها ما يمكن ان تحققه نضالات الشعوب من أجل حريتها.. وحقوقها المغتصبة.

كنت في السنة الاولى الاعدادية حين جلست اقرأ بعض الكتب التي تتحدث عن

الكفاح ضد الاحتلال.. وحين نقرأ عن نضالات تلك الشعوب لتحقيق حريتها فأقف امام تلك الصفحات مفكرا وطويلا، اين نحن من ذلك الكفاح.. ماذا يمكن ان نتعلم منه.. كيف بدأوا. كيف يمكن ان نبدأ نحن.. حينما اصل الى تلك الصفحات التي تتحدث عن انتصارهم تنهمر الدموع الصامتة على وجنتي.. وبحرقة لا اعرف لها سببا الا انها دمعات الفرحة اشارك بها ذلك الشعب انتصاره.. وهي في نفس الوقت دمعات الحسرة على واقعنا والمرارة لظروفنا.. ثم هي في نفس الوقت دمعات الشوق اللاهب ليوم انتصار شعبنا القادم.. اخرج من قراءتي بعد ذلك الى المزيد من التفكير.. كيف نبدأ العمل هذه هي نفس المشاعر التي احاطت بكل فتى او شاب من طلائع شعبنا الفلسطيني الذين وجدوا انفسهم في النهاية امام الخيار الوحيد. وقد خاض الجميع تجربة الاحزاب والعمل بها. او الالتزام مع هذا النظام او ذاك.. ثم وصل في النهاية الى ذات النتيجة.. ان نتحرك نحن كابناء فلسطين لقضيتنا.. للدفاع عن شعبنا.. لوضع حد للظلم الذي يراه والمعاناة والعذاب الذي يعيشه.

بدأنا التحرك.. للتنظيم.

سنوات ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣ كانت سنوات المخاض والبحث عن الطريق.

● في البداية تم اختيار طريق النضال عبر العمل الحزبي.. امتدادات التجربة الحزبية تعلمنا منها الكثير من اساليب العمل التنظيمي، ورأينا في اطارها من السلبيات التي حملنا منها العبرة والدروس ايضا.

● بدأ الشباب الفلسطيني تجربة تشكيل مجموعة تنظيمية في كل منطقة من مناطق التجمع وفي المخيمات المنتشرة سواء بسواء ابناء شعبنا تحت الاحتلال الاسرائيلي الذي كان يشتد ويفرض الحكم العسكري بكل قيوده التي تحرمهم حتى من حق التنقل داخل الوطن المحتل.

اولئك الذين عاشوا في قطاع غزة حيث الكثافة البشرية في هذا الشريط الجغرافي المتبقي من فلسطين الذي ازدحم فيه حوالي ٣٥٠ الف نسمة يتزايدون بنسبة تفوق أي نسبة اخرى في العالم.

أو في الضفة الغربية التي بقيت من فلسطين وانضمت الى الاردن.. اضافة الى تجمع ابناء فلسطين في الاردن ذاتها حيث رحل اليها مئات الالاف. او اولئك الذين بدأوا العيش في مخيمات ومناطق سوريا ولبنان.

في جميع هذه المناطق كان شعور العمل الوطني الفلسطيني يتفجر لدى طلائع شعبنا بحثا عن بداية الطريق.



ابو جهاد في بيت المقدس، صورة قبل ثلاثين عاما

مكتب بغداد

التاريخ / / ۱۹۸ م

الموافق / / ۱٤٠ هـ

Baghdad – Office

العدد

مكتب بغداد

التاريخ / / ۱۹۸ م

الموافق / / ۱٤٠ هـ

Baghdad – Office

العدد

صورة عن الاوراق التي كتبها ابو جهاد بخط يده عن مرحلة بداية.. البدايات



ابو جهاد في فترة شبابه الاول



مع الخرائط العسكرية دائما

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم شهداء الانتفاضة ...
باسم الثكالى والأرامل ...
باسم الشباب والشيوخ ...
باسم النساء والأطفال ...
باسم أبطال الحجارة والمولوتوف ...

نتوجه بهذا النداء إلى م. ت. ف
بجميع فصائلها بقيادة الأخ القائد أبو عمار
وإلى أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني
نتوجه اليوم من قطاع غزة الصامد
بدمائنا الطاهرة الغالية الزكية التي بذلناها
ونبذلها رخيصة في سبيل النصر والتحرير
وإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة بقيادة
م. ت. ف. بإذن الله وما ذلك على الله بعزيز
نناشدكم جميعاً على وحدة الصف والكلمة والعمل
على ترجمة مطالب شعبكم في الوحدة والتحرير
وحق تقرير المصير وإقامة دولتنا المستقلة
قسماً بدماء الشهداء وخصوصاً بدم أغلى الشهداء رمز
الانتفاضة الشهيد البطل أبو جهاد سوف تبقى
انتفاضة شعبكم حتى التحرير والنصر بإذن الله
وإنها لثورة حتى النصر.

اللجان الشعبية
في قطاع غزة الصامد

نداء مكتوب بالدم
يعاهد اغلى الشهداء
رمز الانتفاضة ابو جهاد
بالاستمرار حتى
التحرير والنصر



ابو جهاد في
القاهرة مع
الاخ الاصغر
زهير ١٩٥٧

ابو جهاد في كوريا عام ١٩٦٤ يسمع العالم صوت قضية بلاده



٣ تفجير المسار التاريخي للشرق الأوسط

● كيف كان يفكر ابو جهاد.

كيف بدأت افكاره الاولى.. وكيف تطورت وبمن تأثر.. وبماذا؟ وعشرات اخرى من الاسئلة التي نطرحها هنا للاقتراب من نموذج التفكير عند ابو جهاد والتعرف عليه، اذ ربما كان ذلك له من الاهمية ما يعادل عملية اعادة سرد الاحداث التاريخية نفسها التي رواها ابو جهاد في اكثر من مناسبة، وعلى فترات متباعدة.

نقطة الانطلاق في هذه الرحلة المثيرة تبدأ من مسألة الجدل التاريخي الذي بدأ ولم ينته بعد عن تأثير دور الفرد في حتمية التاريخ، ومن المعروف ان هناك رأيين متقابلين، الاول ينحاز بالكامل لدور الفرد باعتباره دور حاسم في صناعة التاريخ، بينما يؤمن الرأي المقابل بوجود حتمية تاريخية لا تتأثر كثيرا بدور الافراد بقدر تأثرها بعوامل موضوعية اكبر من قدرات الاشخاص. وليس في نيتنا بالطبع الخوض في هذا الجدل الشائك الذي لم يحسم بعد الا فيما يخص موضوعنا وهو القاء المزيد من الضوء على نموذج التفكير عند ابو جهاد.

كان ابو جهاد بطبيعته توفيقيا يحاول ان يعقد في عقله مصالحة فكرية ما بين الرأيين، فهو من جهة يؤمن بأهمية دور الفرد والطليعة القائدة وقدرتها على التأثير في مسارات التاريخ، وهو من الجهة الاخرى يؤمن بدور الجماهير والعوامل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها في صياغة كل مرحلة تاريخية والانتقال منها الى مرحلة تاريخية اعلى في حركة التاريخ الذي يتقدم دائما الى الامام.

وسوف نرى ان هذه المصالحة الفكرية التي عقدها ابو جهاد في عقله منذ البداية كانت قد تركت بصماتها بقوة على كل تفكيره وسلوكه منذ بداياته الاولى في عام

١٩٥٢، وحتى ليلة استشهاده في ١٦/٤/١٩٨٨ كان ابو جهاد من هؤلاء القادة الذين يدركون في قرارة انفسهم منذ الصغر ان القدر قد اعدهم لمهمات تاريخية كبرى، وكان هذا الاحساس هو احد العوامل الذي يجعله يندفع دائما للمقدمة كفرد يستشعر مسؤولياته كقائد تاريخي يقف على رأس الجماهير التي كان يؤمن بأنها هي وحدها القادرة على حسم الصراع لصالحها.

على ان اهم ما يميز تفكير ابو جهاد انه نموذج متطور، يتعلم ويتطور ويتجاوز نفسه ويعود من جديد ليتعلم.

● في البداية لم يكن ابو جهاد يعي بشكل ناضج ومتكامل ابعاد الدور الذي يلعبه وتأثيراته على رسم السياسات الكبرى لهذه المنطقة الحيوية من العالم. لم يكن يعرف مثلا ان العمليات العسكرية التي نفذتها مجموعاته الاولى في مطلع الخمسينات وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ستكون بمثابة قذف مفاجأة غير متوقعة في مسار تاريخ الشرق الاوسط.

ولم يكن يعرف ان العبوات الصغيرة التي صنعها في تلك الايام ستساهم في تفجير هذا المسار وتقوده الى مجرى آخر.

كما لم يكن يعرف ان الخلايا الاولى التي بدأ في تنظيمها في تلك الفترة سوف تتضاعف وتتحد مع خلايا اخرى وتتكاثر لتشكل جسم حركة فتح التي تلعب منذ اكثر من ربع قرن دورا مركزيا في التأثير على مجمل الوضعّ السياسي في الشرق الاوسط لكن ابو جهاد الذي تميز بقدرته على تجاوز نفسه وتطوير وعيه واكتساب معارف جديدة كان قد بدأ لاحقا العمل بوعي اكبر على التأثير في مسارات التاريخ.

● وكان من صفاته ايضا ان لا يعلن لاحد حتى الأقربين اليه عن خطته الكاملة ورؤيته الكلية وهدفه النهائي.

كان بمعنى او بآخر «باطنيا» ان جاز ان نستخدم هذا التعبير، وكان يفضل ان تعلن اعماله عن افكاره بعيدا عن صخب التصريحات الرنانة والشعارات الطنانة.

ومع ذلك نجحت اجهزة الاعلام بعد الحاح كبير في جره الى خارج خندق الصمت والسرية الذي كان متمترسا داخله، وربما ادى وضعه مؤخرا في بؤرة الضوء ومركز الحدث الى وضع حد نهائي لحياته كلها.

ورغم ان ابو جهاد كان متهما من قبل خصومه بقيادة «الارهاب» الفلسطيني.. والدولي، الا ان ذلك لم يفزعه ابدا ولم يثنه عن متابعة قناعاته بمواصلة الكفاح المسلح، وتصعيد النضال العسكري.

ويمكن التأكيد هنا على رفضه الدائم لاعتماد اسلوب الاغتيالات السياسية والفردية رغم المبررات التي كان يطرحها البعض حول نجاعة هذا الاسلوب في تغيير سياسات الدول التي تنتمي الى العالم الثالث وتعتمد على النظام الفردي في الرئاسة.

ولالقاء المزيد من الضوء على جوانب اخرى من نموذج التفكير عند ابـو جهاد ينبغي التعرف على الدوافع الاخلاقية التي كانت تحكم سلوكه وقراره وهناك مئات الامثلة التي تؤكد على الدور القوى الذي لعبته الدوافع الاخلاقية في التأثير عـلى مواقف ابو جهاد.

وقد رفض تماما كل مشروع عمل يشعـر انه منـاف للاخلاق، ولم يكن يقسم الاخلاق الى اخلاق ثورية واخرى غير ثورية فالاخلاق واحدة ولا تتجزء والثوري يجب ان يكون في جميع مواقفه وسلوكه منضبطا وخلوقا وكان قد رفض في مرة خطة عرضت عليه لاختطاف مجندة اسرائيلية، كانت صديقة لشاب فلسطيني من المناطق المحتلة عام ١٩٤٨، وكانت تخرج لمقابلته بانتظام في عدد من العواصم الاوروبية، وطلب من صاحب الخطة ان يفكر في عملية فدائية داخل الاراضي المحتلة نفسها.

ورفض في مرة اخرى اتخاذ اي اجراء انتقامي ضد الشخص الذي اعترف له بالاشتراك في المحاولة التي جرت لاغتياله بتفجير عبوة ناسفة تحت سيارته في احدى طرقات جبل لبنان عام ١٩٧٨ وكانت كفاءة مرافقيه قد انقذته بعد انفجار اللغم فعلا امام سيارته.

كل هذه العوامل وغيرها ساهمت في تشكيل وعي ابو جهاد ونموذج التفكير عنده، ومع ذلك يبقى قراره المبكر بالاستعداد للموت والشهادة بمثابة المفتاح الرئيسي لفهم كل جوانب شخصية ابو جهاد بما في ذلك وعيه وتفكيره وسلوكه ومواقفه. فابو جهاد كان قد قرر في وقت مبكر فعلا استعداده للشهادة بل اقدامه عليها. والمهم انه لم يتراجع ولو للحظة عن هذا القرار بل اعتبر نفسه على الدوام مشروع قائم للشهادة.

وربما كان حسم ابو جهاد لهذه المسألة منذ بداياته الاولى قد حرر تفكيره من كثير من القيود والكوابح، واطلق قدراته على الاقدام والتحدي واقتحام العوالم الجديدة للمخاطرة والمغامرة في سبيل القضية التي نذر روحه لها فتوحد فيها حتى اصبح رمزا لها.

لم يولد خليل الوزيـر واعيا، لكن وعيـه الاول تفتح عـلى حركـة الواقع الاليم فانحفرت في ذاكرته منذ الطفولة المبكرة مأساة النكبة وجريمة الاقتلاع والتهجير والنفي، وتعمقت المأساة في نفسه بويلات حياة اللجوء التي اضطر لها مع مئـات الالاف من ابناء جيله.

● ولم يكن الفتى خليل ابراهيم الوزير قد تجاوز العاشرة الا وكان قد حفظ عن ظهر قلب كل ما سمعه عن النكبة بكل ابعادها وتفاصيلها وجوانبها، وكان حديث المقاومة المسلحة يغريه، ويجذبه.. ويأسره.

● كان خليل الوزير في هذه المرحلة المبكرة قد تأثر كثيرا بسيرة الشيخ المجاهد عز الدين القسام، وبمآثر المقاومة المسلحة لعصبة القسام السرية، وكثيرا ما تحدث

عن سيرة الشهداء «ابو ابراهيم» والشيخ فرحان السعدي وعبد الرحيم الحاج محمد، وكاد ابو جهاد ان يطلق على مجموعاته الاولى اسم الحركة القسامية من فرط تأثره الشديد بهذا النموذج الوطني المقاتل.

● كما اختزن عقل الفتى خليل الوزير كل ما سمعه في فترة صباه عن تجربة قوات جيش الجهاد المقدس وقائدها الشهيد البطل عبد القادر الحسيني، وتأثر كثيرا بتجربة افواج المتطوعين الذين قاتلوا في فلسطين دفاعا عن استقلالها وعروبتها.

وكانت مقبرة الشهداء من المتطوعين الذين ووروا الثرى في غزة احد المعالم اليومية التي تفتح وعيه عليها واثرت في توجهات الفتى خليل الوزير في بدايات عهده بالعمل السياسي والحزبي في مطلع الخمسينات.

البطولات الفردية والجماعية

وهكذا امتزجت في عقل طالب المرحلة الاعدادية خليل الوزير صورتين الاولى للبطولات الفردية بكل ما فيها من نبل وفروسية والثانية صورة المقاومة الشعبية الجماعية ومبادرات الجماهير البسيطة واندفاعها الجسور للقتال والمقاومة والتضحية. والملفت للنظر انه بالرغم من عدم وجود اية جذور فلاحية لخليل الوزير الا انه كان منحازا بقوة للدفاع عن تاريخ الفلاحين ودورهم في مواجهة الغزوة الصهيونية.

ومن خلال العديد من الحوارات الطويلة معه نكتشف ان موقفه هذا نابع من مكانته كقائد يعبر عن كل الشعب الفلسطيني وليس عن فئة او طبقة منه، خاصة وان الفلاحين يشكلون الاغلبية العددية لهذا الشعب، وكانت الدعايات الغربية قد طعنت زورا في دورهم في القتال والمقاومة، بينما كان ابو جهاد يعتقد انه ليس هناك من هو ثوري اكثر من الفلاحين الذين تستهدفهم الغزوة الاسرائيلية اكثر من غيرهم، ويصبح صراعهم من اجل الحفاظ على الارض هو الصراع من اجل الحفاظ على الوطن حرا ومستقلا وسيدا.

● من هنا كتب ابو جهاد في بداياته: «لا بد من القول ان الريف الفلسطيني قد لعب دورا رئيسيا في تكثيف التوجه لمواجهة الغزو الصهيوني بالقتال والمقاومة الشعبية المسلحة، فتداعت جماهيرنا الريفية المتحمسة لهذا الاختيار بجمع التبرعات بهدف شراء السلاح فباعت النساء مصاغاتها والرجال ما يملكون من انتاج ومن وسائل انتاج ثم بتشكيل اللجان التي كانت تتولى البحث عن السلاح

لشرائه من اطراف المنطقة العربية وكان في اغلبه سلاحا قديما من مخلفات الحربين العالميتين الاولى والثانية وكل ذلك قد ترافق مع تأسيس جيش الجهاد المقدس الذي كان يعبر ايامها عن الارادة الفلسطينية لمواجهة الاحتلال».

وبعد التأثيرات التي لعبتها حركة الواقع الاليم وروايات التاريخ المحكي عن النكبة والمقاومة في تشكيل البدايات الاولى لوعي خليل الوزير، جاء دور القراءة والاطلاع والكتب التي انكب عليها بشغف ونهم كاملين، وقد اشرنا في باب سابق الى ما كتبه ابو جهاد بقلمه عن مرحلة بدايات تفتح وعيه وهو لايزال تلميذا في المرحلة الاعدادية واقباله على قراءة التجارب الثورية للشعوب الاخرى وتأثره العميق الى حد البكاء، بسيرة هذه الثورات وانتصاراتها.

● وكانت الحلقة الاولى من زملاء خليل الوزير تتداول فيما بينها كل ما تقع عليه اياديهم من كتب ودراسات ومراجع ومنشورات، وكان التلميذ خليل الوزير قد استفاد في تلك الفترة من مكتبة زميله كمال عدوان الذي جمع فيها اغلب ما كتب عن الحرب العالمية الثانية وعن تاريخها العسكري بشكل خاص.

كما استفاد خليل الوزير في هذه المرحلة من مكتبة الشيخ هاشم الخذندار التي حفلت بكتب التاريخ الاسلامي الى جانب المكتبات الخاصة الاخرى لعدد من مدرسيه وزملائه.

● وهكذا شكلت هذه المصادر الاربعة: تاريخ فلسطين، تجارب الشعوب الثورية، والتاريخ العسكري للحرب العالمية الثانية، والتاريخ الاسلامي، الملامح الاولى لوعي خليل الوزير وسوف نرى انها اثرت بشدة على اختياراته في بدايات عهده بالعمل الوطني، وتركت بصماتها على اسلوبه في التفكير والعمل.. والمقاومة.

الوطني.. والديني
في تجربة ابو جهاد الاولى

● لم يتحدث ابو جهاد كثيرا عن بدايات تجربته السياسية وتصرف كمن اراد ان يغلق جرحا قديما اندمل في ذاكرته. لكنه ليس بمقدور احد ان يهرب من تاريخه حتى ولو كان هذا التاريخ مجرد مرحلة عابرة او محطة قصيرة تخطتها الايام.. ولفها النسيان.

ما لم يذكره ابو جهاد ان بداية تجربة الفتى خليل الوزير ارتبطت بحركة الاخوان المسلمين في غزة، شأنه في ذلك شأن الاغلبية من ابناء جيله التي تفتح وعيها على الدور الذي لعبه المتطوعون من الاخوان المسلمين في الجبهة الجنوبية.

وكانت صورة الفدائي التي ارتبطت بهؤلاء المتطوعين تلهب حماس الشبيبة الطالعة وتشكل القدوة والمثل الاعلى الذي يتوق له كل الفتية في هذه المرحلة العمرية بالذات.

وكان انتساب الشباب لحركة الاخوان المسلمين في غزة في تلك الفترة يتراوح في دوافعه بين العامل الديني العقيدي، وبين العامل الوطني السياسي، والبعض انتسب الى هذه الحركة بمزيج من الدافعين معا.

● كانت حركة الاخوان المسلمين في غزة فضلا عن رصيدها الوطني الذي استثمرته من دور الفدائين في حرب ١٩٤٨ قد اكتسبت مزيدا من التعاطف والتأييد الشعبي بعد قرار السلطة في مصر بحل جماعة الاخوان الذي صدر في عام ١٩٤٩، وكانت هذه الحركة تلتقي من حيث تاريخها وموقفها السياسي المعلن من القضية الفلسطينية مع طموحات الاغلبية الفلسطينية في غزة وخاصة الشباب منهم. في مواجهة الحركة الشيوعية في غزة التي ارتبطت مواقفها السياسية منذ البادية بتأييد قرار تقسيم فلسطين ومعارضة فكرة المقاومة والكفاح المسلح، واغفال الحديث عن حق العودة.

وكان الاغراء الاكبر بالنسبة لخليل الوزير وجيله من الشباب يتمثل في منهج التربية الذي تميزت به هذه الحركة، وبشكل خاص التدريبات على اعمال الكشافة.. والفتوة.. والتدريب العسكري على السلاح.

● وفي مقابلة خاصة مع واحد من الذين عاشوا تجربة ابو جهاد الاولى قال: «ان انتمائنا الى حركة الاخوان المسلمين في هذه المرحلة كان على اساس الاولويات التي حددتها توجهات هذه الحركة والذي كان يقول فلسطين اولا».

واستطرد قائلا: «عندما دعاني خليل الوزير للانضمام معه الى الاخوان قال لي نحن نتدرب عندهم على السلاح وهم يقولون ان فلسطين هي قضيتهم الاولى.. وهكذا فهمت على الفور ان فلسطين هي البوصلة التي تحدد توجهنا وموقفنا.. وانتمائنا».

ولم يتنكر ابو جهاد ابدا للفائدة الكبيرة التي جناها من الفترة القصيرة التي خاض فيها تجربته الاولى.. والاخيرة للعمل الحزبي، وخاصة في مجال الخبرة التنظيمية والتدريب العسكري على السلاح. كانت قيادة الحركة في غزة في هذه الفترة قد توسمت في خليل الوزير صفات القائد مما جعلها تضاعف من اهتمامها وعنايتها الخاصة به واتاح له ذلك فرصة متميزة لتلقي تدريبات متقدمة على السلاح والمتفجرات وفنون القتال والعمل العسكري.

وكانت الحركة في هذه المرحلة تنظر الى الفتى خليل الوزير باعتباره احد قادتها في المستقبل المنظور، وبدا وكأن خليل الوزير يؤهل نفسه فعلا لتسلم هذه المهمة.

لكن ما لم تكن تعلمه حركة الاخوان في غزة ايامها ان خليل الوزير كان ناشطا في

تأسيس تنظيمه السري الاول داخل الحركة ودون علمها وانه كتم عن الجميع اسرار هذا التنظيم الصغير حتى على اقرب الناس اليه.

لكن الامور تطورت بسرعة متلاحقة خلال عام واحد فقط في الاتجاه نحو القطيعة ما بين مجموعات كبيرة من الشباب وعلى رأسهم خليل الوزير، وبين حركة الاخوان المسلمين في غزة.

كانت هذه الحركة امتدادا لتنظيم الاخوان في مصر، وكان ما يحدث هناك يجد انعكاسه، وصداه السريع في غزة.

لذلك عندما تبدل موقف النظام المصري من حركة الاخوان هناك في اعقاب ما عرف باسم محاولة اغتيال جمال عبد الناصر التي جرت في ميدان المنشية بالاسكندرية عام ١٩٥٤، سرعان ما انعكس ذلك على الموقف السياسي لفرع الحركة في غزة، خاصة بعد ان اعادت هذه الحركة في مصر ترتيب اولوياتها بحيث تراجعت فلسطين عن موقع الصدارة في هذه الاولولايات وحل محلها الصراع بين الاخوان والسلطة في مصر.

وهكذا وضع هذا التنظيم بنفسه حدا نهائيا لامكانية استمرار مجموعات كبيرة من الشباب في عضويته ولم يتردد خليل الوزير بحسم قراره بالخروج لانه كان يؤمن دائما بان فلسطين يجب ان تبقى اولا.. ثم اولا.

● لعب الشيخ هاشم الخذندار دورا بارزا في الحياة السياسية لقطاع غزة في فترة الخمسينات، وبالرغم من كونه رجل دين معمم الا انه بحكم طباعه وتركيبة شخصيته كان اقرب الى المحرض السياسي الذي يتزعم المظاهرات ويعتلي الاكتاف، ويردد الهتافات والشعارات.

● كانت قيادة الشارع الوطني في غزة في الخمسينات معقودة للاستاذ فتحي البلعاوي وللمرحوم الشاعر معين بسيسو وكان الشيخ الخذندار يساهم بدوره في هذا النشاط الوطني العلني، ويبدو قريبا من جيل الشباب رغم ان عمره وقتها كان ضعفي عمر خليل الوزير وربما اكثر من ذلك بكثير.

وكان الشيخ هاشم سباقا لاحتضان جيل الشباب الوطني، دون ان يحاول فرض وصايته الابوية عليهم، وقدم من ماله دعما ملموسا لهم وخاصة للمجموعات الفدائية السرية التي كان يقودها خليل الوزير، دون ان يقحم نفسه في تفاصيل العمل او في تنفيذ العمليات.

● وعندما نشب الخلاف في عام ١٩٥٤ بين خليل الوزير ومجموعات الشباب من جهة، وبين قيادة حركة الاخوان في غزة من الجهة الاخرى، لم يتردد الشيخ هاشم في الوقوف بحزم الى جانب صف الشباب، والتزم معهم بالشعار الذي رفعوه فلسطين اولا.

وترجم الشيخ هاشم موقفه هذا بصورة عملية عندما قرر ان يسلم السلاح الذي كان يخبئه في معمل البلاط الذي كان يملكه في غزة لخليل الوزير ومجموعته، كما سلمهم وقتها مبلغ ثمانية عشر جنيها كانت بعهدته وهو مبلغ لا يستهان به في تلك الفترة اسهم في شراء السلاح والمتفجرات التي نفذت بها مجموعات خليل الوزير الاولى عملياتها الفدائية في الفترة ما بين عامي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥.

وبعد حوالي ربع قرن كامل اغتيل الشيخ هاشم في غزة ومضى وقتها دون ان يتذكر احد دوره الوطني القديم.

تفجير المسار التاريخي لمنطقة الشرق الاوسط

● لا شك ان «البدايات» التي مثلتها العمليات العسكرية الاولى للمجموعات التي قادها خليل الوزير في منتصف الخمسينات كان لها، مع عدد آخر من العوامل المهمة، دور اساسي في تفجير المسار المرسوم للشرق الاوسط وتغيير مجراه الى مسار آخر مايزال يحدد بين ضفتيه حركة التيارات السياسية في هذه المنطقة الحيوية من العالم منذ اكثر من ٣٥ عاما.. وحتى الان.

كان المسار التاريخي الذي حدده الكبار لاقتسام النفوذ في منطقة الشرق الاوسط يقضي بتصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائي عن طريق دعم وتأييد اقامة دولة اسرائيل على الجزء الاكبر من فلسطين، والعمل من جانب أخر على منع تنفيذ الشق الثاني من قرار التقسيم رقم ١٨١ القاضي بانشاء دولة فلسطينية مستقلة.

وكانت مشاريع توطين اللاجئين هي «الحل» الذي طرحته القوى الكبرى لتصفية ما تبقى من القضية الفلسطينية بشكل نهائي لان هؤلاء اللاجئين، حسب شهادة «جورج ماك» مساعد وزير الخارجية الامريكي في عام ١٩٥٠ (هم اعظم خطر قائم يهدد امن المنطقة).

وعلى كل حال لم يخب توقع السيد ماك هذا فمن بين صفوف اللاجئين، ومن صلب معاناتهم خرج للحياة خليل الوزير ممثلا لاجيال متجددة من الفلسطينيين الذين عاندوا ارادة الكبار وتحدوها وقرروا تغيير المسارات التاريخية التي يرسمونها لنا في مخططاتهم.

وكان افشال كافة مشاريع التوطين هو الخطوة الاولى التي انجزها الشعب الفلسطيني في الاتجاه الصحيح لوقف تسارع حركة المؤامرة عليه وعلى قضيته.

لكن هذه الخطوة على أهميتها التاريخية لم تكن قادرة بمفردها على احداث تحولات اساسية في المسار الذي رسمه الكبار لمنطقة الشرق الاوسط.

ومن جهة اخرى، كان الفلسطينيـون الذين بقوا في اراضيهم التي ضمت الى الدولة الاسرائيلية قد تحولوا الى اقلية قومية مضطهدة تخضع للاحكام العرفية والعسكرية.

وكانت البدايات الاولى للتعبير عن رفضهم لواقعهم الجديد المرير عبـر لجان الدفاع عن المواطنين التي تشكلت عام ١٩٥٣ قد تعرضت بسرعة للقمع الشديد، ولم يكن بمقدورها ان تنهض وحدها باعباء تاريخية هي اكبر بكثير من سعة طاقاتها، ومن حجم قدراتها.

كان الوضع الى الجنوب من فلسطين المحتلة قد شهد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر التي عول الكثيرين على دورها في تعديل المسار المرسوم للسياسة في الشرق الاوسط.

لكن عبد الناصر سرعان ما نفى ان تكون ثورة يوليو قد قامت بسبب النتائج التي اسفرت عنها حرب فلسطين. وكانت الفترة منذ قيام الثورة في ١٩٥٢ وحتى مطلع عام ١٩٥٥ قد شهدت محاولات حثيثة لاجراء مباحثات غير مباشرة عبر الوسطاء بين رئيس الوزراء الاسرائيلي موشي شاريت من جهة وبين جمال عبد الناصر من الجهة الاخرى وخلال هذه الفترة نفسها لم تكن القضية الفلسطينية تعني شيئا بالنسبة الى القادة الجدد في مصر، كما لم تكن اسرائيل بالنسبة لهم تشكل «اي مصدر للخطر لا على مصر ولا على السلام في المنطقة»!!

وكان عبد الناصر بنفسه قد زار قطاع غزة في مطلع شهر فبراير (شباط) ١٩٥٥، وتفقد مواقع جنوده هناك وأكد لهم «ان احتمالات الهجوم الاسرائيـلي عليهم غير واردة».

● في اطار هذا المناخ ولدت البدايات الاولى للكفاح الفلسطيني المسلح الذي لعب فيه خليل الوزير دور القابلة التي ساهمت في تنفيذ هذه العمليات الفدائية الشجاعة التي كانت رغم صغر حجمها قد لعبت دورا كبيرا في التأثير في المسار السياسي المرسوم للشرق الاوسط.

التفجير.. والتغيير

كانت كل العوامل التي تضافرت لتشكيل اللبنات الاولى في وعي خليل الوزير قد دفعته لاختيار اسلوب العنف المسلح كوسيلة لا بديل لها لتغيير المسار المرسوم لقضية شعبه.. ووطنه.

ولقد سلم الجميع قصب السبق لخليل الوزير في هذا المضمار، خاصة وان الحركة الوطنية الفلسطينية في مطلع الخمسينات لم تكن على تعدد الوان طيفها السياسي من

اقصى اليسار الى اقصى اليمين وما بينهما قد بادرت الى رفع راية الكفاح الفلسطيني المسلح.

كانت هناك بعض القوى التي ادرجت هذا التوجه في برامجها لكنها مع ذلك اغفلته في التطبيق، ولم تستطع ان تربط بين ما تقوله.. وما تفعله، وبقي هذا الشعار مجرد لافتة يرفعها البعض في المناسبات الوطنية الحماسية. كان الامر مختلفا الى حد بعيد بالنسبة للقوى التي يمثلها خليل الوزير. اذ لم يكن الفكر مفصولا ابدا عن الممارسة، وسوف نرى لاحقا ان وحدة الفكر والممارسة قد اصبحت بدءا من هذه الفترة احد الملامح المميزة لشخصية خليل الوزير، ولكل حركة فتح.

● كانت الحلقة التنظيمية الاولى التي شكلها الطالب خليل الوزير في تلك الفترة تضمه الى جانب زميليه محمد الافرنجي وحمد العايدي الذي عرف فيما بعد في داخل حركة فتح باسم «ابو رمزي» وبعد فترة وجيزة انضم الى هذه الحلقة عدد اخر من الشباب كان من ابرزهم كمال عدوان وعبد الله صيام، ونصر عبد الجليل وغيرهم من الشباب وفي ظل شروط مناوئة ومعاكسة تماما بدأ خليل الوزير العمل.

● يقول ابو جهاد : «.. بدأنا بتدريب مجموعات من شبان فلسطين على السلاح فتمكنا فعلا من تدريب مجموعات كبيرة وكانت ساحة التدريب الرئيسية هي نفسها المواجهة العملية المسلحة في الارض المحتلة والمستعمرات الاسرائيلية، وهذه المواجهة فولزت ارادة مقاتلينا وحسنت تدريبهم وقد نفذنا العديد من العمليات خلف خطوط الهدنة في ذلك الوقت».

ومع مرور الايام بدأت العمليات العسكرية تتطور وتتصاعد وتتسع وتتجه نحو العمق، ويقول ابو جهاد: «... وصلت عملياتنا الى النقب حيث كنا نرسل المجموعات لزرع الالغام المضادة للدبابات والعربات المدرعة والجرارات الزراعية، اونقوم بنسف انابيب المياه في المستعمرات، وقد اتسع العمل شيئا فشيئا الى الدرجة التي اصبحت فيها مجموعاتنا تصل الى منطقة يازور قرب مدينة يافا.

● ويستطرد ابو جهاد قائلا: «وامتد هذا التواصل في العمل وقمنا بتكثيف عملياتنا التي انطلق بعضها من منطقة هربيا واذكر ان الشهيد البطل عبد الله صيام كان يقود احدى مجموعاتنا من تلك المنطقة، فقد كان طالبا في جامعة القاهرة وحين يأتي في الاجازات كان يتولى قيادة المجموعة القتالية».

● كان ابو جهاد وفيا لذكرى عبد الله صيام الذي انضم لاحقا كضابط محترف الى صفوف جيش التحرير الفلسطيني، ورغم الطابع شبه النظامي لهذا الجيش، ورغم وصول عبد الله صيام الى رتبة العقيد، الا انه حافظ على فدائيته وبساطته وتواضعه، وكان دائما على رأس جنوده وفي طليعتهم.

بدأ عبد الله صيام حياته فدائيا عام ١٩٥٤ واستشهد فدائيا في عام ١٩٨٢، وكانت

معركة خلدة هي مأثرته الاخيرة التي انكسرت على مداخلها نظرية الحرب الاسرائلية الخاطفة بعد ان فشلت الفرقة المدرعة التي كان يقودها الجنرال الاسرائيلي أموس ياريف والمعززة بكل صنوف المدفعية والقصف الجوي والبحري، في اختراق منطقة مثلث خلدة الذي يعد بمثابة بوابة بيروت الجنوبية.

كان عبدالله صيام هناك، واستشهد في الموقع الاول من المواجهة كفدائي عظيم وابن بار للشعب الذي انجبه.

كانت هذه الاشارة ضرورية قبل ان نستأنف الحديث عن بدايات العمل العسكري الفدائي في عام ١٩٥٤. الذي شهد حادثة الاعتقال الاولى لخليل الوزير في قطاع غزة.

الاعتقال الاول

كان تصاعد العمليات العسكرية في هذه الفترة قد اثار قلق سلطات الادارة المصرية، ليس فقط لأنها لا تملك اية معلومات عن المجموعات التي تقوم بتنفيذ هذه العمليات وانما ايضا بسبب المضاعفات العسكرية والسياسية التي يمكن ان تنعكس على الوضع المصري كله دون ان تكون السلطات هناك قادرة على ضبطها او التحكم فيها.

كانت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مضطرة في هذه الفترة الى اتباع سياسة الرد الانتقامي المضاعف على عمليات التسلل الفردية وعلى العمليات الفدائية الآخذة في التصاعد. كانت اخطر هذه العمليات الانتقامية قد جرت في ١٤/١٠/١٩٥٣، واستهدف الاعتداء الاسرائيلي قرية «قبية» حيث نسف ٤٢ منزلا، وقتل ٦٦ مواطنا فلسطينيا كان اغلبهم من النساء والاطفال. وفي ١٤/٨/١٩٥٤ نفذت قوات الاحتلال الاسرائيلي عملية انتقامية اخرى على عمق ثلاثة كيلومترات عبر خطوط الهدنة، داخل حدود قطاع غزة ودمرت في هذه العملية محطة المياه التي تمد سكان غزة بماء الشرب.

ورغم ان المناخ السائد كان ينذر ايامها بتفاقم الاوضاع واستمرار دائرة العنف والعنف المتبادل عبر الحدود الا ان شيئا لم يتغير بالنسبة للنظام في مصر، وحتى بعد اكتشاف السلطات المصرية للمجموعة التخريبية اليهودية التي ارسلت الى مصر عام ١٩٥٤، وعرفت وقتها باسم فضيحة لافون فان الاتصالات غير المباشرة بين موشى شاريت وعبد الناصر لم تتوقف.

ويبدو ان موقف النظام في مصر كان كما حدده اللواء محمد نجيب عندما قال: «ان اسرائيل لم ترد كنقطة في جدول اعمالنا كان اهتمامنا مركزا على تحرير مصر».

ولم يدفع خليل الوزير ذلك الى اليأس بل الى المزيد من العمل حتى «يلتهب الموقف»، وحسب نظريته الخاصة فان «الفعل وردة الفعل الاسرائيلية هذه كانت توجد تباعا حالة

جماهيرية متفجرة فتوسع من الوعي بالذات الفلسطينية وتعمقه».

● ويضرب ابو جهاد مثلا على ذلك فيقول: «كنا نقوم مثلا بتنفيذ عملية في مستعمرات دير البلح فتقوم المدفعية الاسرائيلية بقصف مدينة غزة وتحديدا ساحة التكسيات فيها مما يوجد اوضاعا متفجرة في القطاع بعد اصابة العديد وسقوط العديد من الشهداء المدنيين».

● وكان خليل الوزير يعي ايضا ان هذا التصعيد من شأنه ان يؤثر في السياسة المصرية وعلى خياراتها واولوياتها فيقول: «هذا كله كان يدفع الادارة المصرية لتوفير مطلب الحماية للقطاع وسكانه». في هذه الفترة قام الطالب خليل الوزير بنفسه باعداد عدد من الالغام البدائية التي تصنع بطريقة شعبية، وتنفجر بالصدمة.

وكان مضطرا لان يصنع جزءا منها لدى احد الحدادين الذي كان ابنه تلميذا في نفس مدرسة فلسطين الثانوية والتي كان خليل الوزير ايامها رئيسا لاتحاد طلبتها، وتصادف وجود ابن الحداد زميل خليل الوزير في محل ابيه عندما طلب منه صناعة غطاء للصندوق الذي يخفي داخله اللغم. قام خليل الوزير ايامها بزراعة اللغم خلف خطوط الهدنة حتى يتفجر في سيارات الدورية العسكرية الاسرائيلية التي كان قد رصد من قبل خط سيرها في هذه المنطقة.

ولسوء حظه كانت دورية من وحدات الهجانة المصرية (وهي الوحدات التي تستخدم الجمال) قد توغلت بجمالها في هذه المنطقة حيث اصطدم احد الجمال بلغم خليل الوزير .. وهكذا اكتشفت الالغام ولم تلبث اجهزة المخابرات المصرية في قطاع غزة، ان تعرفت على الحداد الذي ساهم دون ان يدري في تصنيع هذا اللغم، ودل ابنه على خليل الوزير وهكذا بدا للسلطات المصرية انها التقطت الخيط الاول لهذه المجموعة المتمردة التي تدفع بالامور باتجاه المواجهة بين مصر واسرائيل دون ان تكون القيادة المصرية راغبة انذاك في التورط في مثل هذه المواجهة.

لكن خليل الوزير صمد في التحقيق وتمكن من تضليل رجال المخابرات، وتدخلت شخصيات غزية نافذة في هذه الفترة للافراج عن الطالب خليل الوزير ليستأنف دراسته في المدرسة صباحا، والتحضير للعمليات العسكرية في الليل.

● ومع الايام اصبحت العمليات العسكرية التي ينفذها خليل الوزير ومجموعاته اكثر خطورة في ظل الظروف الدولية والاقليمية التي كانت تحيط وقتها بالمنطقة العربية.

● لم يتراجع «خليل الوزير» بل اعتقد ان الرياح المواتية قد بدأت تملأ اشرعة سفينته، وان الامور تسير باتجاه منعطف خطير قد يغير المسار المرسوم للقضية الفلسطينية ولكل منطقة الشرق الاوسط.

قام خليل الوزير ومجموعته باعداد مجموعة من العبوات الناسفة التي تليق بهدف كبير مثل «خزان زوهر» للمياه الذي كان احدى ركائز مشروع المياه القطري الاسرائيلي.

يقول ابو جهاد عن هذه العملية: «بتاريخ ١٩٥٥/٢/٢٥ نجحت عمليتنا هذه بشكل باهر، اذ حين انفجر الخزان انطلقت منه المياه بشكل هائل واذكر انني كنت في طريقي الى «بيت حانون»، وحين اشرفت الوادي وجدته ممتلئا بمياه الخزان التي خرجت فيما بعد لتغطي مساحات هائلة من الارض المزروعة بالذرة واستمرت المياه بالتدفق الى ان وصلت الى «بيت لاهيا» لتصب في البحر المتوسط.

لم يكن لهذه العملية غير مدلول واحد يعني ان ساعة التغيير قد ازفت، يقول ابوجهاد: «كانت ردة الفعل الاسرائيلية على هذه العملية ان قام دافيد بن غوريون وزير الدفاع في حكومة موشى شاريت بعملية ردة فعل مباشرة، فارسل قواته الى بئر الصفا يوم ١٩٥٥/٢/٢٨ لتهاجم الحامية المصرية هناك، وكانت تشكل فصيلا، فقامت القوات الاسرائيلية بنسف الخزان الذي يزود غزة بالمياه وجرح ما يقرب من ١٢ شخصا من المدنيين وجنود الحامية المصرية، وفي ذلك الوقت كان هناك تشكيل عسكري فلسطيني يشكل كتيبة تابعة للجيش المصري، وكان مكان تواجدها في رفح وقد ارسلها قائد الكتيبة الى «بئر الصفا» لتدافع عن المنطقة وفي الطريق وبالضبط عند وادي غزة وقعت السيارة التي تحمل الكتيبة في كمين اسرائيلي حيث فتحت عليهم النيران فقتل منهم ٢٨ عسكريا، وكانت عملية الغدر هذه قد تمت في الليل، وحين علمنا بما حدث في صباح اليوم التالي قمنا باغراق المناديل بالدماء وانطلقنا بمظاهرة عارمة من مدرسة فلسطين الثانوية باتجاه البلد، وفي الطريق كانت الجماهير تتوافد لتنضم الى المظاهرة كي تشهد غزة مظاهرة لم تشهدها في تاريخها.. وبات واضحا ان انفجارا جماهيريا اخذ يشمل غزة بحيث يكون من الصعب فيما بعد ضبط الوضع هناك».

● ويلتقط الاستاذ احمد حمروش الخيط من ابو جهاد ليروي في كتابه «خريف عبد الناصر» ما حدث من تفاعلات لهذه العملية الفدائية ورد الفعل الانتقامي الاسرائيلي عليها.

● يقول حمروش: «ان الغارة وضعت جمال عبد الناصر في وضع حرج امام الجنود وامام الشعب، ويقول المقربون من جمال عبد الناصر في هذه الفترة انه ظل عدة ليال ساهرا يكاد لا يغفو يفكر في حل يواجه به هذا الموقف الجديد».

● ويستطرد قائلا: «نسفت هذه الغارة محاولات السلام وحالة الهدوء وفرضت على جمال عبد الناصر اتخاذ عدة قرارات.. اولا: ضرورة شراء الاسلحة من اي دولة

لمواجهة التهديدات والعدوان الاسرائيلي حماية للوطن وكرامة الجيش، ثانيا: السماح للفدائيين بالانطلاق من قطاع غزة الى داخل اسرائيل ولكن تحت القيادة المصرية وتوجيهاتها.

● وينقل حمروش على لسان عبد الناصر قوله «كان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر الذي جعلنا نبحث ونُدقق في تعريف السلام ومعنى السلام وتوازن القوى في المنطقة» ثم كان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ والذي انتهى بانسحاب القوات الاسرائيلية من غزة في ١٩٥٧/٣/٦، بمثابة التدشين الرسمي لهذا المسار الجديد الذي ساهم خليل الوزير بحفر مجراه الكبير بعبواته الناسفة الصغيرة.. وارادته الوطنية الكبيرة.

ابو جهاد يرسم ملامح التجربة العسكرية الاولى

كانت تجربة بدايات الكفاح الفلسطيني المسلح التي قادها خليل الوزير في عام ٥٤ ـ ١٩٥٥ قد نضجت بما يسمح بتفحص ثمارها ونتائجها.

● ويقول ابو جهاد في هذا المجال: «كان تفجير العمل المسلح ضد العدو الصهيوني هو الشاغل الرئيسي لنا في هذه التجربة الاولى، كان يشغلنا ان نزرع في الوعي الفلسطيني العام فكرة العمل العسكري واستخدام السلاح ضد العدو بعد ان ازدحم هذا الوعي بركام هائل من التنظير والعمل العسكري المعزول عن الجماهير».

ولا شك ان هذه التجربة قد ساهمت في رسم الملامح الاساسية الخاصة بالتجربة الفلسطينية في مجالات المقاومة والكفاح الفلسطيني المسلح.

فقد كان واضحا منذ البداية ان الكفاح المسلح بالنسبة لابو جهاد ضرورة فرضتها طبيعة الخصم نفسه، وشكل الصراع معه، وجوهر القضية الفلسطينية باعتبارها قضية تحريرية للارض والانسان معا، وليست مجرد قضية حقوق مدنية متنازع عليها.

وكان واضحا ايضا ان ابو جهاد حافظ منذ البداية على اتجاه الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني، وقد بقي حتى استشهاده محافظا على وضع البوصلة الفلسطينية في هذا الاتجاه الصحيح.

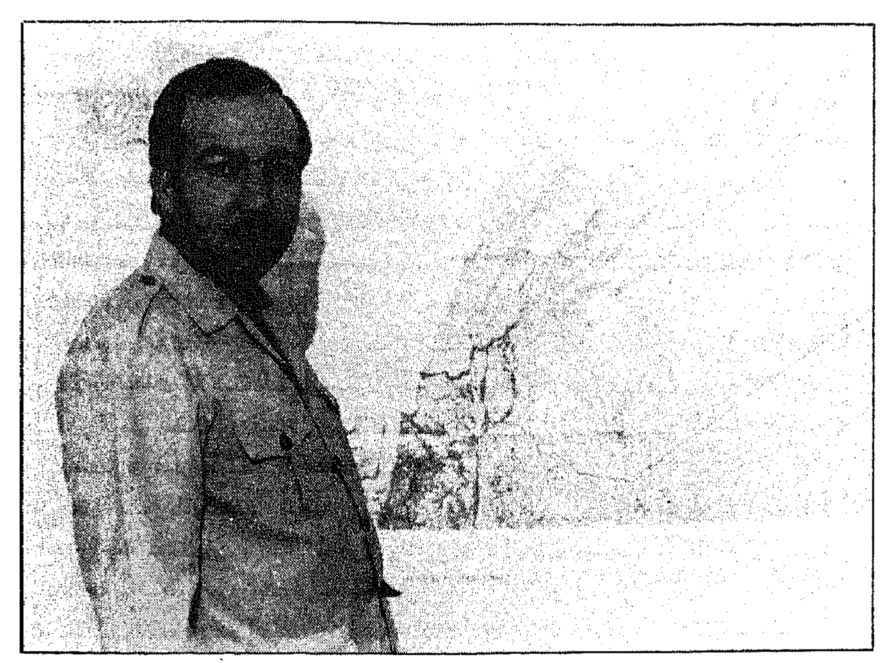
وكان واضحا ثالثا، ان العنف الذي مارسه ابو جهاد هو ردة فعل على عنف اسرائيلي همجي اسبق، تعرض له ابو جهاد شخصيا مع اسرته الصغيرة، ووطنه وشعبه، لكنه مع ذلك لم يدع الى العنف ذي الطابع الفردي، بل حرص منذ البداية على ان يكون للعنف الفلسطيني اطاره الشعبي والجماهيري وكان ابو جهاد يؤمن بما قاله «كلاوزفيتز» من ان العنف المسلح هو امتداد للسياسة، لذلك قاوم بكل قوة كل

الاتجاهات العسكرية التي تفصل ما بين العمل العسكري والعمل السياسي، او التي تريد ان تخضع ما هو سياسي لما هو عسكري.

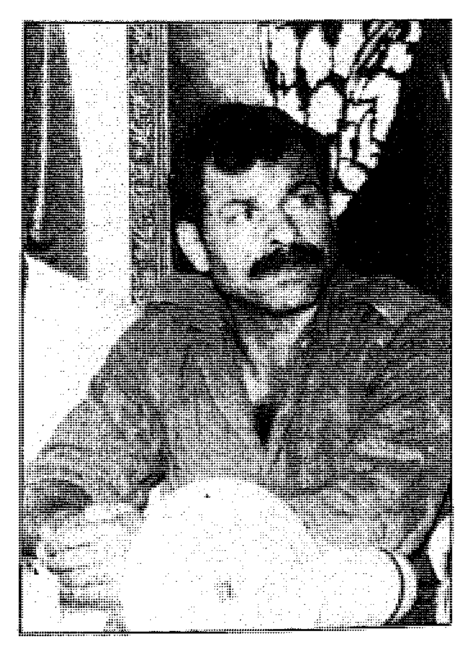
وكان واضحا اخيرا ان مفهوم ابو جهاد لدور الكفاح المسلح يقترب كثيرا من التعبير الذي كتبه سارتر في مقدمة كتاب معذبو الارض لفانون والذي قال فيه: «ان العنف مثل سيف اخيل يشفي حيث يجرح» لأنه كان يعتبره السبيل الوحيد لاستنهاض الانسان الفلسطيني من حالة اللاكرامة التي يعيشها كلاجيء ليحقق انسانيتـه ويستحق الحياة والوطن الذي سلب منه.

ومع نهاية عام ١٩٥٦ دخلت القضية الفلسطينية منعطفا جديدا في تاريخها، وبدأ التفكير الجدي للاستفادة من دروس التجارب التي تراكمت في هذه المرحلة، وفرضت الحاجة الى التنظيم نفسها على ابو جهاد وعلى الطلائع الوطنيـة المستقلة للشعب الفلسطيني فبدأ التفكير بتأسيس حركة فتح.

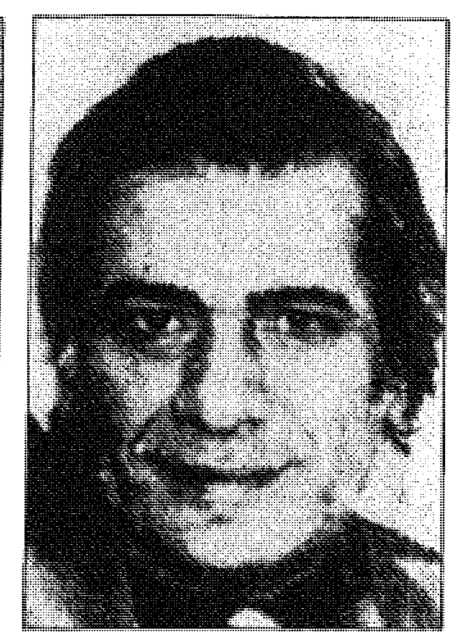
● يقول ابو جهاد: «بعد ان تحول كفاحنا المسلح الى حقيقة عملية تكاد تستقطب الشارع الفلسطيني برمته، شعرنا ان مثل هذه الحالة تتطلب بناء التنظيم القادر على استيعابها بحيث يكون هذا التنظيم هو الناطق باسم الحالة الجماهيرية او المعبر عنها او ممثلها في الصراع الناشب.. وقد شكلت لنا هذه التجربة درسا ثمينا من اجل بدء التفكير بتشكيل حركة «فتح».



ابو جهاد وارادة القوى الصغرى في تفجير وتغيير مسارات التاريخ



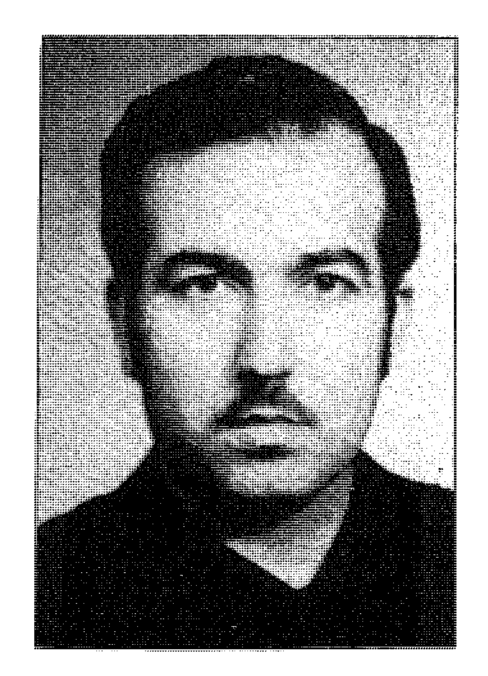
الشهيد البطل
العقيد عبد الله صيام



الشاعر «معين بسيسو»
قيادة الشارع الوطني في الخمسينات.



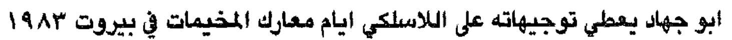
الشهيد الشيخ عز الدين القسام



«ان تفجير العمل المسلح
هو الشاغل الرئيسي لنا»



ابو جهاد والشهيد ابو الوليد في تخريج دورة خاصة لضباط المدفعية



ابو جهاد يعطي توجيهاته على اللاسلكي ايام معارك المخيمات في بيروت ١٩٨٣



٤ ولادة حركة فتح

● بانتهاء حرب عام ١٩٥٦، كانت مرحلة جديدة قد بدأت في هذه المسيرة التي ارتبط فيها وضع خليل الوزير الخاص بمصير الحركة الوطنية الفلسطينية كلها.

كانت الخطوة الاولى في المرحلة الجديدة هي التطور الذي طرأ على وعي خليل الوزير الذي اكتشف ان فلسطين اكبر بكثير من حدود قطاع غزة، وان مهمة تحريرها هي اكبر بكثير من طاقة الحلقات التنظيمية الاولى التي كان يقودها هناك لذلك كان خروج خليل الوزير، وعدد من اخوانه من غزة، منعطف جديد في رحلة العمر المثيرة.

● كثيرون كانوا قد فقدوا توازنهم واتزانهم بعد الخروج من غزة، حيث صدمة الحياة الجديدة بفضائها واختناقها باغراءاتها.. واحباطاتها.

● لكن خليل الوزير، الذي اضطر لمغادرة غزة عام ١٩٥٦ كان كالسهم الذي فارق القوس وهو يعرف طريقه الى الهدف.

وكان هناك عشرات آخرون من الاخوة الذين اضطروا بدورهم لمغادرة غزة والضفة الغربية، وانتشروا كالحب في الارض.

● وهكذا بدأ موسم زراعة الارض بالنجوم، خليل الوزير من القاهرة الى السعودية وبعدها الى الكويت، «حمد العايدي» تسلل من غزة الى الخليل في الضفة الغربية، كمال عدوان من القاهرة الى السعودية ـ قطر، عبد الفتاح حمود من السعودية الى قطر، ابو يوسف النجار خرج من المعتقل المصري في ١٩٥٧ الى قطر، زهير العلمي الى الكويت ثم لبنان، يحيي عاشور الى النمسا وأوروبا.

وهكذا شهدت هذه الفترة بداية لموسم الزرع والعمل الدؤوب الحثيث بانتظار ساعة الحصاد.

كان على خليل الوزير في هذه الفترة ان يوزع جهده على محاور عدة فهو من جهة كان حريصا على انتظام الاتصال مع اخوانه الذين كانوا معه في اطار الحلقات الاولى بعد ان توزعوا على عدد من الساحات العربية والاوروبية، وهو من جهة ثانية كان حريصا على انتظام التواصل مع الخميرة الثورية التي انغرست في غزة والضفة الغربية، وكان من جهة ثالثة حريصا على التوصل الى قواسم جامعة ومشتركة تجتذب وتقرب وتوحد كافة البؤر والتيارات الفلسطينية التي قال عنها ابو جهاد : «انها تلتقي بنفس التفكير والتوجه والرؤيا المشتركة للواقع الفلسطيني والعربي في كل من الاردن ومصر والكويت وقطر وأوروبا.. كان هذا التفكير رغم التوزيع الجغرافي ينطلق من حقيقة تقول بضرورة الاعتماد على الذات».

● ولما كان الواقع العربي القائم، كما قال ابو جهاد : «لا يمكن ان يسمح بمجرد قيام تنظيم فلسطيني». فان النتيجة المنطقية التي توصل اليها كانت تقول :
«ليس امام الفلسطينيين من خيار غير النزول تحت الارض واعتماد السرية المطلقة في التنظيم الى ان يستطيع فرض وجوده على هذا الواقع ويعترف به».
ثم يكشف ابو جهاد اكثر فأكثر عن الهدف الذي من اجله سوف تتجمع هذه البؤر في تيار وطني واحد فيقول : «ان هذا التيار كان هو التعبير الحقيقي عن طموحات وتجربة الاغلبية الساحقة لتجمعات شعبنا وهي التجمعات التي ذاقت المرارات من الواقع العربي، فكنت ترى وجود نويات هذا التيار في كل موقع من مواقع الشتات الفلسطيني فنشأت أطر عديدة في معظم هذه المواقع تعبر عن هذا الفهم وهكذا كان الظرف الموضوعي ناضجا لاعلان التنظيم.. وولادة حركة فتح».
وهناك ما يشبه الاجماع على ان الاطار الذي كان يقوده خليل الوزير في هذه الفترة قد لعب دورا محوريا هاما تجمعت حوله العديد من الاطر والبؤر والتيارات والحلقات الاخرى.
لأن هذا الاطار كان يتميز الى جانب الحماس والاندفاع الوطني بالخبرة العملية لتجربة العمل التنظيمي السري، وخبرة العمل الفدائي العسكري، فضلاً عن التجانس المسلكي والفكري واللحمة الداخلية والقدرة على الامتداد الخارجي والمحافظة على الاتصال والتواصل بين الاخوة الذين شاركوا في هذا الاطار والتزموا به، بل وجذبوا اليه اعداداً جديدة من خيرة شباب هذه المرحلة.
لكن ذلك لا يقلل على الاطلاق من الاسهامات الاخرى البناءة للأطر والبؤر والتيارات الاخرى، وخاصة الدور الذي لعبته رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة التي تأسست في الجامعة المصرية عام ١٩٥١، قبل ان تتحول في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٩ الى الاتحاد العام لطلبة فلسطين.

وكان اهم ما ميز هذه الرابطة هو قيادتها، التي كانت عناصر وطنية فلسطينية قررت التوجه مستقلة الاتجاه من خارج اطر الاحزاب التقليدية والمنظمات القومية، **وكان من ابرز قيادات هذه الرابطة الرئيس الحالي للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ياسر عرفات، وصلاح خلف «ابو اياد» وسليم الزعنون «ابو الاديب» وزهير العلمي**، وعدد آخر كبير من الرعيل الأول لقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة.

وكانت هذه الرابطة بمثابة الجنين البكر لأول تجربة كيانية فلسطينية علنية تتمتع بهامش واسع من الاستقلالية بفضل الروح الوطنية التي سادت بين قياداتها والعديد من اعضائها.

وبالرغم من ان خبراتها كانت بشكل عام محصورة في المجالين السياسي والنقابي في ذلك الوقت الا ان ياسر عرفات حاول ان يستفيد من مناخ التعبئة المصرية اثناء المواجهة التي جرت في عام ١٩٥٦ مع دول العدوان الثلاثي لحث اعضاء الرابطة لتلقي دورات في التدريب العسكري.

وكانت الرابطة قد لعبت دورا هاما ومؤسسا على مستوى الوعي والتنظيم، وخاصة في مرحلة ما بعد التخرج من الجامعات والتوزع للعمل على الاقطار العربية.

وكان من الطبيعي ان يحدث اللقاء والتفاعل في هذه المرحلة ما بين الاطار الاول الذي يقوده خليل الوزير، وبين قيادات رابطة الطلبة الفلسطينيين التي يقودها ياسر عرفات، على القواسم المشتركة التي ارتكزت على اسس العمل الفلسطيني الذاتي.. والمستقل.

ويخصص ابو جهاد جزءا هاما من حديثه عن البدايات لخطواته الاولى في مجال التنظيم بعد الخروج من غزة، والتي بدأت محطتها الاولى من السعودية.

● ● ●

● يقول ابو جهاد :

«كنت في القاهرة بالصدفة المحضة اصبح عملي في مكتب العمل السعودي الذي كان يديره السيد «ناصر المنقور» وكان هناك ابن عم لي يعمل مديرا لمكتب المقاولين، وكنت اتردد عليه وبطبيعتي لا استطيع ان ابقى ساكنا دون عمل، فحين اذهب اليه اقدم له مساعدتي في العمل فأقوم بتصنيف الملفات، وحين عرفوا ذلك وكانوا لا يحبون عملهم كثيرا اخذوا يقدمون لي كل ما يجب ان يقوموا به فأنفذه عن رحابة صدر كنوع من الرغبة ثم أوكلوا لي بعد ذلك مهمة توزيع المدرسين العاملين في السعودية على مناطقها وكانوا قد تعاقدوا مع ٦٠٠ مدرس فقمت بتوزيع ٢٠٠ مدرس

الى جدة، و ٢٠ مدرس الى مكة، وهكذا استنادا لما كنت اخطط له فقد قمت بتوزيع الشباب الذين هم على صلة معي الى مناطق معينة تمهيدا لبدء العلاقة معهم وقد وزعت الجميع ونسيت نفسي الى ان قال لي ناصر المنقور : يا استاذ خليل اريد ان ارسلك الى منطقة لم تزل خاما ويرفض الجميع الذهاب اليها وأميرها هو أخي وهو رجل طيب وسوف تكون مسرورا لو ذهبت الى هناك فوافقت وهكذا ذهبت الى منطقة لم تزل بدائية فعلا وتسمى القنفذة وتقع في منطقة عسير، وأصر ٤٣ مدرسا على الذهاب معي الى هذه المنطقة كان منهم الاخوة احمد وافي «ابو خليل»، وسعيد المزين «ابو هشام» وأخي غالب الوزير «ابو ماهر».

ركبنا في شاحنات ضخمة وحملنا الى القنفذة وقد واجهنا سيل في الطريق فجرف السيارة ثم تمكنا من اخراجها بتعاون الجميع واستمر سفرنا ثلاثة ايام بلياليها الى ان وصلنا.

وهناك استقبلنا مدير التعليم في المنطقة وأذكر انه اسمه الاهدل، وأمير المنطقة وكان استقبالا جيدا فالبيت الوحيد الذي في المنطقة كان بيت رئيس البلدية وهو مبني من الطوب ولم يكتمل بعد وأصروا على ان يكون سكني وفي المدرسة اذكر اني قمت بتنظيمها بشكل مختلف عما كانت عليه مما سر مدير التعليم هناك، ولم يمض وقت طويل الا وكان وجه القنفذة قد تغير كليا اذ تمكنا من اعادة صنعها لدرجة ان صحيفة «عكاظ» اصبح همها متابعة التطورات القائمة في القنفذة وكنت وزميل معي من تونس يدعى محمد البدري التونسي [وهو من الحركة السياسية المعارضة للرئيس السابق بورقيبة] نقوم بالكتابة الى «عكاظ» حول التطورات الجديدة في القنفذة، وفضلا عن ذلك كتبنا ومثلنا مسرحية تدور حول نضال الجزائر، كتبها محمد البدري بينما قمت باخراجها وشاركنا جميعا في تمثيلها.

أما عن الحياة المعيشية فقد ذقنا الامرين اذ كانت الصعوبة في حياة المنطقة امرأ لا يطاق فعلا لدرجة انه لم يبق احد من المدرسين الا وأصيب بالملاريا.

مكثت ثلاثة اشهر في هذه المنطقة مرت وكأنها دهور وبعد ذلك حيث لم اعد قادرا على الاحتمال طلبت المغادرة وحين غادرت كان المرض قد حل بي بحيث لم اكن قادرا على تحريك اي جزء من جسمي بل كنت احس وكأني أغيب تدريجيا عن الوعي لدرجة اني كنت ارى امير المنطقة الذي كان في وداعي وكأنه خيال أو شبح وكان هناك طبيب المنطقة الذي اصر على ان يوصلني بسيارته وعندما وصلت الى جدة اقمت في بيت ابن عم لي لبضعة ايام ثم سافرت الى القاهرة.

ومن مطارها انتقلت الى بيت صديق يدعى عدنان الحاوي كان والده يعمل في الهيئة العربية العليا وحين وصلته اخبرته بضرورة ان ارى الحاج امين الحسيني وعلى وجه السرعة، وكان يقيم في ضاحية مصر الجديدة فاتصل على الفور، وذهبت الى

الحاج امين زعيم فلسطين لأحكي له عن المرارات التي يعيشها ابناء شعبنا وقلت اني أت لاصرخ في وجوهكم جميعا لماذا لا تتجمعوا ؟ لماذا لا تلتقي قيادة الشعب الفلسطيني لتنظر في امر شعبها والحالة التي يعيشها

● ثم ينتقل ابو جهاد بعدها للحديث عن بدايات العمل التنظيمي في السعودية فيقول «رغم كل هذه المشاق المستحيلة الا اننا تمكنا مز بناء تنظيمنا من مجموع المدرسين والعاملين في السعودية بحيث يمكن القول ان تنظيمنا هناك كان قد تأسس اذ كان لدينا طليعة نشيطة في المنطقة الشرقية من السعودية يقودها عبد الفتاح حمود وكمال عدوان وسليمان ابو كرش ومحمد الاعرج ثم جاء ماجد ابو شرار وأبو علاء».

ويرجىء ابو جهاد بعد ذلك الحديث التفصيلي عن الاطر التنظيمية الفتحاوية التي تشكلت قبل عام ١٩٦٥ في كل من السعودية، قطر، الكويت، لبنان، سورية، الاردن، اوروبا الى ابواب قادمة خصصها للحديث عن الخريطة التنظيمية لحركة «فتح» في بداياتها والعلاقات والاتصالات الفتحاوية العربية والدولية في تلك المرحلة.

اللحظة التاريخية لولادة فتح

● كانت اللحظة التاريخية الحاسمة تقترب بسرعة هائلة مع اشراف عام ١٩٥٧ على الانتهاء.

وكان على خليل الوزير وطلائع القيادة التاريخية للشعب الفلسطيني ان يتخذوا قرارهم التاريخي بتأسيس فتح في هذه اللحظة بالذات.

ويبقى السؤال المهم لماذا هذه اللحظة بالذات، لماذا لم يتقدم الاعلان عن ولادة فتح قبل هذه اللحظة، ولماذا لم يتأخر عنها ؟

● ● ●

● قبل عام ١٩٥٧ لم يكن الوضع التنظيمي الذاتي قد نضج بالقدر الذي يسمح بتوحيد هذه القطرات المتناثرة هنا وهناك في نهر واحد، وكان الوعي الفلسطيني بالذات المستقلة مايزال في مراحله الجنينية الأولى، وكان الجيل الجديد من القيادة التاريخية للشعب الفلسطيني مايزال في هذه الفترة يجاهد من اجل تثبيت اوضاعه المعيشية القلقة، ويفتش عن مواقعه الجديدة على الخريطة السياسية التي كانت ماتزال تعج ايامها ببقايا عهد القيادة الفلسطينية التقليدية من سياسيين ومخاتير ووجهاء.

وكانت تجربة بدايات الكفاح المسلح التي قادها خليل الوزير من غزة قد حجزت..

وحوصرت بعد ان قرر «جمال عبد الناصر» بعد عام ١٩٥٥ «السماح للفدائيين بالانطلاق من غزة الى داخل فلسطين.. ولكن تحت اشراف القيادة المصرية وتوجيهها» !

وهكذا سمحت الادارة المصرية بتنظيم «حرب الفدائيين» بينما شرعت في الوقت نفسه في تنظيم «حرب على الفدائيين» الذين لا يعملون تحت اشرافها وتوجيهاتها.

وتكفلت قوات الغزو الاسرائيلي التي احتلت غزة في عام ١٩٥٦ بمطاردة ظاهرة المقاومة الفلسطينية المسلحة في القطاع ودفعتها الى خارج حدوده بعد ان نفذت سلسلة من الاجراءات الارهابية الفظيعة لتمشيط غزة كلها وتفتيشها بيتا بيتا، بما في ذلك الاقدام على تنفيذ عدة مجازر حقيقية، كان منها المجزرة التي جرت في غزة يوم ١٠/١١/١٩٥٦ والتي راح ضحيتها ٣٦ شابا، والمجزرة التي نفذتها القوات الاسرائيلية في رفح يوم ١٢/١/١٩٥٦ والتي راح ضحيتها نحواً من ٢٠٠ لاجىء اغلبهم من شباب رفح.

وركزت قوات الاحتلال الاسرائيلي حقدها على مدينة خان يونس بعد الخسائر الفادحة التي منيت بها هناك على ايدي الفدائيين ورجال المقاومة فيها.

وكان يمكن بالاجمال احصاء حوالي ١٢٠٠ شهيد من مواطني غزة قتلتهم قوات الغزو الاسرائيلي خلال الشهور الاربعة التي احتلت فيها القطاع قبل جلائها عنه في ١٩٥٧/٣/٧، وهكذا اضطر اغلب رجال المقاومة الفلسطينية الذين قدر موشي ديان عددهم بحوالي ٧٠٠ فدائي، الى الخروج من غزة او الاختباء داخله.

وبالمحصلة العامة كانت القاعدة الاساسية لعمل وانطلاق الكفاح الفلسطيني المسلح المستقل قد تلقت عددا من الضربات القاصمة التي فرضت عليها التراجع التكتيكي لاعادة ترتيب اوضاعها وفق المعطيات الجديدة.

وكان ذلك عاملا آخر لم يكن يسمح قبل عام ١٩٥٧ بالاعلان عن تأسيس حركة فتح قبل استعادة التوازن الذي اختل في اعقاب حرب ١٩٥٦ والنتائج التي ترتبت عليها.

ولم يكن الوضع الفلسطيني العام في الضفة الغربية هو الآخر يسمح ببلورة هذا التيار الذي اتخذ قراره في نهاية عام ١٩٥٧ بالاعلان عن تأسيس حركة فتح.

فالمواطنون الفلسطينيون فقدوا هويتهم الوطنية وتحولوا الى «مواطنين» في المملكة الاردنية، وأدى ذلك الى انغماس قطاعات واسعة في الحياة الحزبية الاردنية والتعلق باللعبة البرلمانية.

وكان عام ١٩٥٥ قد شهد هو الآخر عدة اجراءات مهمة في الاردن بدأها الملك حسين بقراره بتعريب الجيش الاردني في اعقاب تصاعد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على القرى الفلسطينية، كما توصل الى عقد اتفاقية التعاون العربي التي

وقعها الاردن مع مصر وسورية والسعودية في مطلع عام ١٩٥٧، ثم اتخذت الحكومة الاردنية قرارها بانهاء المعاهدة الاردنية - البريطانية في الشهر الثالث من عام ١٩٥٧ نفسه.

وقد لعبت كل هذه العوامل مجتمعة الى جانب عوامل اخرى دورا معاكسا لبروز وتبلور التيار الوطني الفلسطيني المستقل قبل هذا التاريخ.

وبالامكان القول الآن ان الظروف الذاتية الفلسطينية، والظروف الموضوعية المحيطة بالعمل الوطني الفلسطيني لم تكن ناضجة بالقدر الكافي قبل نهاية عام ١٩٥٧ لاتخاذ خطوة تاريخية بتأسيس اول حركة فلسطينية مستقلة.

● وبالمقابل لم يكن من الممكن ان يتأخر موعد ولادة حركة «فتح» عن هذه اللحظة التاريخية في نهاية عام ١٩٥٧. لأن ذلك كان يعني ضياع هذه الفرصة التاريخية واهدارها، لأن الفترة التي اعقبت هذا التاريخ بالذات شهدت عددا مهما من التحولات التي كان يمكن لها ان تطيح بالنبتة الناشئة للتيار الوطني الفلسطيني المستقل، وتقتلعها من جذورها اذا ما تأخر اتخاذ القرار الحاسم بتأسيس فتح في اللحظة المناسبة كحركة جامعة وموحدة لهذا التيار، وللأغلبية التي كانت تفتش ايامها عن ضربة البداية وخشبة الخلاص.

وهكذا كان قرار تأسيس «فتح» في هذه اللحظة بالذات يشكل استجابة لتيار الوحدة الجارف الذي ساد في اوساط الحلقات التنظيمية المتناثرة في ارجاء الاقطار العربية، وكان اي تأخير في اتخاذ هذا القرار يعني ضمنا السماح بانتقال امراض الشرذمة وتفشي جراثيم التعصب الحلقي والحزبي في جسم هذا التيار الوطني المستقل، بما يقضي على كل امل للافلات من مناخ الانشقاقات والشرذمة والانقسامات الذي استهلك طاقات الشباب واستنزف اندفاعهم وحماسهم.

● كما كان التأخير في اتخاذ هذا القرار التاريخي يمكن ان يضع مستقبل الارادة الوطنية الفلسطينية المستقلة في مهب الرياح السياسية المتصارعة في هذه المرحلة. فقد شهدت هذه الفترة الصعود الجارف للمد الناصري، بعد الانتصار السياسي والاعلامي الذي تحصل عليه في اعقاب حرب ١٩٥٦، وهكذا كان عام ١٩٥٧ نقطة انطلاق للناصرية الى ما خلف حدود مصر.

وشهدت المرحلة نفسها حالة من النهوض الواسع للتيارات البعثية والاحزاب القومية.

وكانت كل التحولات تشير الى فاتحة عهد جديد من الاستقطاب السياسي الحاد على جميع المستويات بدءا من الجماهير العربية ومرورا بالانظمة، وانتهاء بالاحزاب السياسية.

وكان التيار الذي ينتمي اليه خليل الوزير ويمثله يشعر ان الشعب الفلسطيني

وقضيته الوطنية هما الضحية الاولى لهذا الاستقطاب، الذي كان من نتيجته توزع الولاءات السياسية ما بين التيار الناصري من جهة والمد البعثي والقومي من الجهة الاخرى. ورغم مناخ الاستقطاب العربي الا انـه لم تكن هناك من سلطة عـربية ناصرية او بعثية، رجعية ام تقدمية مستعدة لتسليم زمام القضية الفلسطينية الى اهلها، او السماح باطلاق مبادرة الجماهير الفلسطينية لتشكل اطارها السيـاسي الوطني المستقل بعيدا عن سياسة التبعية وقيود الالحاق والدمج.

●●●

كان عبد الناصر من جهته مستفيدا من رصيده الجديد قد بدأ في تحجيم القيادة الفلسطينية التقليـدية التي كـان يمثلها الحـاج امين الحسيني تمهيـدا لعزلهـا وتصفيتها، وفي عام ١٩٥٨ عمم عبد الناصر تنظيم الاتحاد القومي لدولة الوحدة الجديدة على قطاع غزة، ولم يكن هذاالتنظيم سوى اطارا اداريا لا يتمتع الا بقدر هامشي من الصلاحيات والاستقلالية وبقيت السلطة السياسية والادارية في غزة على حالها بيد الحاكم الاداري العام يعاونه ما يسمى بالمجلس التنفيذي الذي كان وزير الحربية المصري يعين اغلب أعضائه، وبالمقابـل أدى استيلاء حـزب البعث على السلطة في سورية بعد الانفصال الى استقطاب جديد بين قيادة عبد الناصر، وقيادة البعث التي استخدمت القضية الفلسطينية كرأس حربة في حملتها ضد عبد الناصر.

وهكذا استعرت من جديد حمى الاستقطابات السياسية وانتقلت عـدواها الى اوساط الشعب الفلسطيني. لكن حزب البعث رغم شعاراته (الفلسطينية) المناوئة لعبد الناصر لم يقدم بدوره للشعب الفلسطيني سوى نسخة بعثية من التجـربة الناصرية ذاتها.

ولم يسمح لأي تنظيم فلسطيني الا ان يكون فرعا تابعا او مكتبا ملحقا بأجهزة هذا الحزب.

● وعلى صعيد آخر، ادى تدهور العلاقة بين قيادة الهيئة العربية العليا وبين عبد الناصر الى تركيب محور سياسي جديد دخل بدوره على خط الاستقطابات العربية.

وتشكل هذا المحور من قيادة الهيئة العربية، والزعيم العراقي عبد الكريم قاسم.

وقد قام بدوره بتشكيل فوج عسكري اطلق عليه اسم «فوج التحرير»، ورغم كل الشعارات الطنانة التي صاحبت بناء هذا الفوج الا ان قيادته كانت دائما في عهدة ضباط عراقيين، واقتصرت كل مهماتـه النضاليـة على تـأدية الاستعـراضات في المناسبات، وامام الوفود التي كانت تزور العراق.

كان من الضروري اذن ان تكون هناك خشبـة خلاص تتمسـك بها الطلائـع

الجديدة للجماهير الفلسطينية حتى تحفظها من الغرق بين الامواج المتلاطمة للاستقطابات العربية الحادة التي كانت فلسطين دائما هي مادتها الاساسية ووقودها المستمر.

لذلك كله كان من المحتم على خليل الوزير والقيادة التاريخية الصاعدة للشعب الفلسطيني ان يتخذوا قرارهم بتأسيس حركة فتح، وفي هذه اللحظة بالذات.

الاجتماع التأسيسي الأول وولادة «فتح»

● تحدث ابو جهاد عن هذه المرحلة فقال : «... قبل عام ١٩٥٧ كانت هناك لقاءات عديدة بيني وبين الاخ ابو عمار يجمعنا الهم المشترك والبحث عن الخلاص وعن ماهية العمل وضرورة ايجاد الشكل التنظيمي الانسب والمعبر عن مجموع حالتنا الفلسطينية ورسم خطوط التحرك المشترك، دعونا عددا من الاخوة الذين يشاركوننا الهم والفهم المحدد لبناء التنظيم وكان مجموعنا خمسة اشخاص هم الاخوة : «ياسر عرفات»، «خليل الوزير»، «عادل عبد الكريم»، «يوسف عميرة»، «توفيق شديد»، وكان الاجتماع التأسيسي.

● عقدنا اجتماعنا التأسيسي في بيت احد الاخوة في الكويت، ووضعنا في هذا الاجتماع الخطوط العريضة الاولى لعملنا التنظيمي اما في الاجتماع الثاني فقد تخلف احد الخمسة عن الحضور ممتنعا عن مواصلة الطريق، فبقينا اربعة اخوة بدأنا بوضع اللبنات الاولى لحركة فتح، وهنا اريد ان اوضح ان هدفنا كان بناء تنظيم من اجل فلسطين، على مثل هذا الاساس العريض اتفقنا فلا يكون تنظيم فئة اوشريحة او طبقة كما لا يكون من اجل اهداف غير تحرير فلسطين، لذلك فلم نبدأ باسم ما، ولكن كان اتفاقنا ان الاهم هو البدء بالعمل دون الالتفات الى الاسم فالساحة الفلسطينية تعج بالاسماء وبقينا نعمل طيلة ثمانية عشر شهرا دون ان يحمل عملنا اي اسم لأنه لم يكن في اعتبارنا غير الهدف وهو العمل من اجل فلسطين.

وفيما بعد وبتمهل شديد اخذنا نناقش مسألة الاسم وطرحت اسماء عديدة الى ان رسونا على قاعدة مشتركة تقول ان اطارنا الذي اخترنا العمل من خلاله هو حركة وليس حزبا او تنظيما او رابطة بل حركة بكل ما تحمل من مفاهيم وديناميكية وآفاق مفتوحة وهي حركة لتحرير فلسطين اي حركة التحرير الوطني الفلسطيني، ورمزنا لها بكلمة «فتح» التي تحمل العديد من الدلالات والمعاني في الوجدان الشعبي الفلسطيني والعربي والكلمة تعد اختيارا معكوسا للحروف الاولى من الاسم. وهكذا ولدت «فتح» بعد مسيرة طويلة من العمل مما يوضح ان حركة فتح لم يكن همها يوم ولدت اسما او تعريفا بقدر ما كان يهمها العمل وهي بذلك وضعت نفسها وبشكل

تلقائي في اطار قومي يوصل الى الهدف وهذه كانت حقيقة اولى وأساسية رافقت مسيرتنا».

القواعد الذهبية الاربع لحركة «فتح»

● ارتكزت عملية تأسيس حركة فتح على عدد من المنطلقات والمفاهيم الاساسية، وكان واضحا منذ البداية مدى الحرص على استنباط وبلورة قواعد فلسطينية خاصة للعمل.

ويقول ابو جهاد : «.. رغم دراستنا لمجمل التجارب الثورية القائمة، ورغم معايشتنا ومعرفتنا الملموسة للعديد من هذه التجارب الا ان حرصنا كان عاليا منذ البدء على وضع قواعد العمل الخاصة بنا :

* القاعدة الاولى التي ارسينا وعينا السياسي والنظري على اساسها هي اعتبار مسألة الوحدة الوطنية احدى الضرورات المطلقة التي لا يمكن التهاون حيالها فيكون اتساع الصدر ورحابة الافق ميزة اولى من ميزات فتح بهدف استيعاب كل الطاقات الخيرة من ابناء شعبنا.

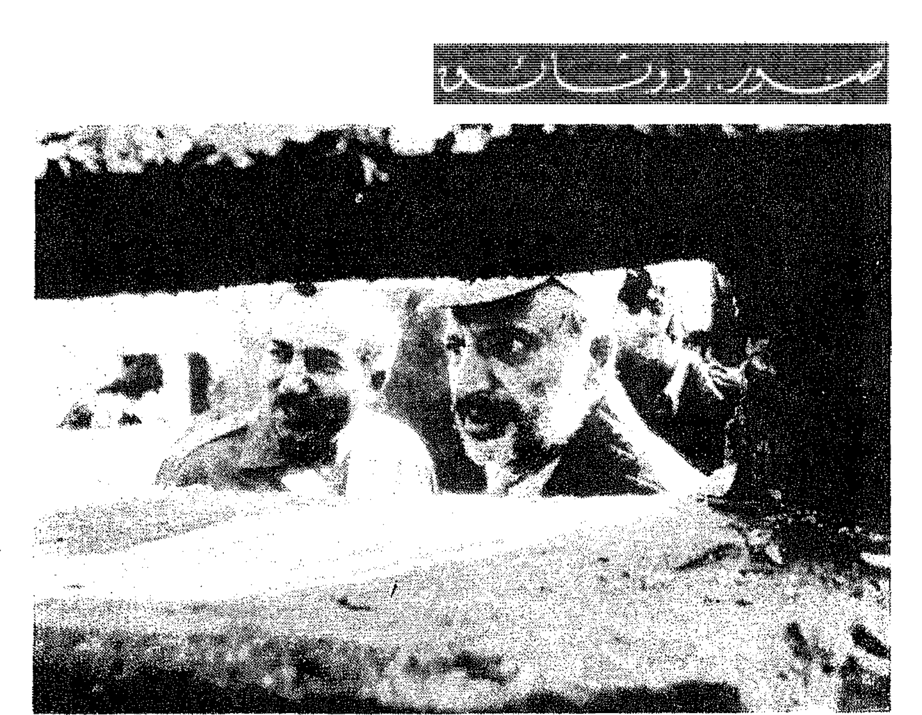
** والقاعدة الثانية التي ارسينا ثوابتها هي توظيف كل الطاقات من اجل تفجير الكفاح المسلح من حيث كونه ركيزة ثابتة تسعى الى تحقيق الحرب الشعبية الطويلة الامد التي تحتاج الى الصبر والنفس الطويل بحيث تتم صناعة القدرة على تحمل العمل الشاق والمعاناة الطويلة.

*** القاعدة الثالثة انه خلال مسارنا الطويل لا بد من العمل الحثيث على تفتيت جبهة الاعداء سواء عن طريق شن النضالات العسكرية الثورية او عن طريق العمل على تفتيت البنية الداخلية للخصم من خلال احداث الشروخ في هذه البنية وتعميق الصراعات داخلها بوسائل تحددها الثورة وتناضل من اجل ترسيخها.

**** اما القاعدة الرابعة والتي تشكل احدى الضرورات كذلك فهي ان نكون دوما على وعي كامل بالظروف العربية التي تحيطنا والعمل على منع الارادات العربية من احتلال ارادتنا الثورية ومنع فرض الوصايا على قرارنا السياسي. ولذلك فان شاغلا رئيسيا من شواغلنا كان وسيبقى هو التأكيد الدائم على استقلالية القرار الوطن الفلسطيني.. وهو توجه او ضرورة لا تنبع من قطرية ضيقة او اقليمية مغلقة بل تنبع من منطلقاتها ذات الابعاد القومية استنادا الى ان صاحب الجرح هو الاكثر احساسا بالألم والاكثر احساسا بحجم المعاناة، ولذا لا بد ان يكون هو الاكثر تفاعلا واندفاعا لمعالجة جرحه.

وبعد وضع كل هذه الاسس والقواعد والقوانين كانت «فتح» قد نشأت وكانت قد وضعت قدمها على الطريق الصحيح لقيادة شعبها الى النصر ومن هنا كان شعارها الدائم «ثورة حتى النصر».

بدأت «فتح» إذن كحركة سرية وكانت الدعوة لها تتم عن طريق الاتصال الخيطي المباشر، او عن طريق ارسال ادبياتها الاولى الى البؤر التنظيمية التي كانت تنتشر في عدد من الاقطار العربية، وفي اكتوبر عام ١٩٥٩ بدأت حركة فتح ترفع في سماء المنطقة العربية اول علم علني لها.



ابو جهاد مع ابو عمار في طرابلس ١٩٨٣

مع ابو جهاد في الصف الامامي الشهيد العميد ابو الوليد، ابو اللطف، ابو اياد، والشهيد ماجد ابو شرار.

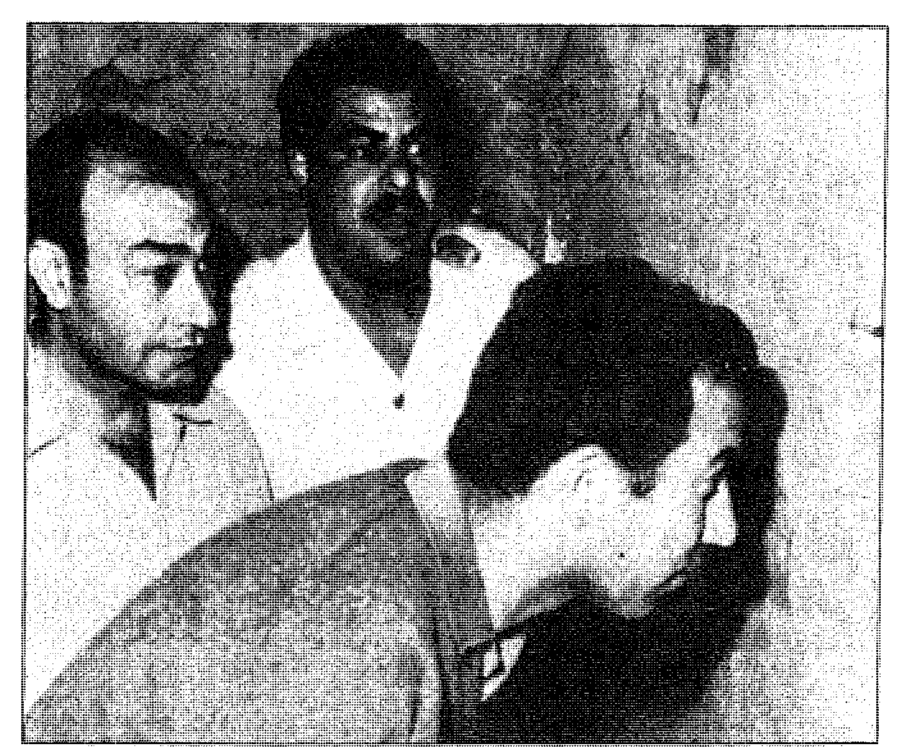




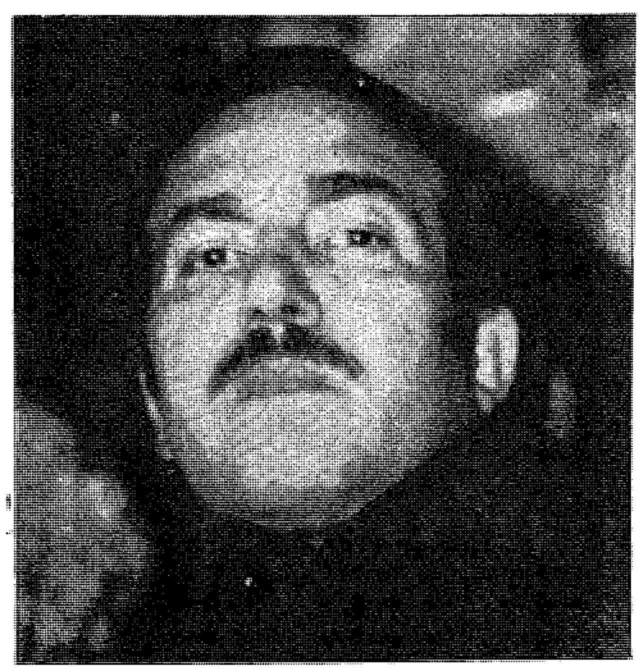
ابو جهاد بين الشهيدين العميد ابو الوليد ـ سعد صايل وماجد ابو شرار



الانتفاضة والولادة المتجددة للثورة



ابو جهاد والشهيد ابو صبري والمهندس زهير العلمي في زيارة لقرية الانفاق في الصين ١٩٦٧



ابو جهاد
القائد المؤسس

٥ الشمعة التي أضاءت ظلام النكبة

كانت ظروف السرية التي فرضتها حركة فتح على نفسها في البدايات توفر لها قدرا مهما من شروط الامن والحماية، لكنها بالمقابل كانت تقف عائقا في سبيل انتشار الفكرة نفسها، وانضمام آلاف الشباب الذين يؤمنون بالمنطلقات والاهداف نفسها الى صفوف الحركة. من هنا كان لا بد لهؤلاء الذين قرروا في البداية ان يعيشوا تحت الارض من ان يرفعوا راية علنية تعبر عن افكارهم دون ان تكشف اسماءهم وتدعو لحركتهم دون ان تفضح امرها. وهكذا ولدت فكرة اصدار مجلة علنية تقوم بهذه المهام وتحرض وتعبىء وتنظم، في الفترة ذاتها التي ولدت فيها حركة فتح، لكن ولادة هذه المجلة تأخرت قليلا لأن اصدار هذه المجلة كما كتب في الصفحة الاولى من عددها الاول: «ان اصدارنا هذه المجلة ليس بالشيء السهل اليسير وخاصة ونحن كشعب فلسطيني نحارب في كل مكان نوجد فيه. لا صوت لنا ولا كيان لذلك كان هذا العمل بطوليا ان نستطيع اصدارها لكن الواجب كان يملي علينا ذلك مهما كان الثمن غاليا مرتفعا».

كان حماسة خليل الوزير قد تضافرت مع جهود الاخوة توفيق حوري، وهاني فاخوري والفنان اسماعيل شموط مع بعض الاخوة الاخرين لاصدار اول مجلة علنية لحركة فتح كان اسمها «نداء الحياة ـ فلسطيننا» وكانت تصدر من بيروت ابتداء من شهر اكتوبر (تشرين اول) ١٩٥٩ دوريا كل شهر وحتى عام ١٩٦٤. وما ان توقفت عن الصدور في بيروت حتى اعاد ابو جهاد اصدارها من جديد ولكن في هذه المرة من الجزائر وتحت اسم «صرخة فلسطيننا»، و«اخبار فلسطيننا».

وكان ابو جهاد حتى اخر ايامه يتحدث بحماسة كبيرة وبحرارة دافقة عن مجلة نداء

الحياة فلسطيننا، حتى انه اعتبرها احد اهم الاعلام التي رفعتها فتح في بدايات تأسيسها. ويقول ابو جهاد: «كانت الراية الاولى هي المجلة التي صدرت في بيروت وذلك في شهر اكتوبر ١٩٥٩، والتي حملت اسم نداء الحياة ـ فلسطيننا وقد لعبت هذه المجلة دور الشمعة في ظلام النكبة وكانت تتجه اليها عيون الحيارى فتسير عليها وذلك حينما ارتفع صوت المجلة ينادى من اجل كيان ثوري فلسطيني يواجه ما كان ينادي به في ذلك الوقت من كيان سياسي برعاية الانظمة العربية.

كانت المجلة تنادي بالثورة المسلحة لاجتثاث الكيان الاسرائيلي وشكل هذا شعارا اساسيا لها تتشكل من خلاله رؤيتها السياسية والتنظيمية، اما الشعار الاساسي الاخر الذي اعتبرته هدفا مركزيا فهو الدعوة الدائمة والمفتوحة الى بناء وخلق وصناعة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وحدة الشعب كله بعيدا عن جميع التيارات الحزبية وبعيدا عن جميع الصراعات الجانبية وكانت الدعوة: فلتتجمع قوانا في جبهة وطنية متراصة او حركة نضالية واحدة تتجه اساسا نحو فلسطين لتحريرها».

ويستطرد ابو جهاد قائلا: «.. واقول الان ان مثل هذه الدعوة قد تمكنت من جمع وتوحيد جميع الطلائع التي سبق لها ان انضوت في الاحزاب والتجارب الحزبية الفاشلة فاحبطت فجاءت هذه الدعوة لتشكل انقاذا لها من حالة الاحباط وتبث فيها روحا معنوية جديدة وفذة قادرة على صناعة الطريق الى فلسطين».

ويواصل ابو جهاد عرضه للشعارات التي حملتها فلسطيننا في مرحلة البدايات الصعبة فيقول. «اما الشعار الاساسي الثالث الذي رفعته فلسطيننا واخلصت له بشكل مطلق ايضا هو التعبير عن الادراك الفلسطيني الشعبي العميق برفض الوصاية العربية فكانت الدعوة الى ادراك طبيعة هذه الوصاية المحبطة والتي يتلخص هدفها في مصادرة الارادة والقرار الفلسطيني المستقل، ومنع الكيان الفلسطيني من النشوء الى جانب شقيقاته العربيات.

هذه الشعارات والاسس التي استندت اليها فلسطيننا في مسيرتها الخلاقة بحيث لم يمض وقت طويل على صدورها واذا بها تصبح محجا لمختلف المواقع والتجمعات الفلسطينية.

كان نداء المجلة الدائم والذي كان بمثابة الدعوة الى الانقلاب البشري الهائل والى اعادة وصياغة البشر وصياغة العقل والجسد الفلسطيني هو ان يفتح كل فلسطيني عينيه ويرى الحقيقة والواقع بكل مرارته وان ينتشل نفسه من حالة العدم التي يعيشها والانخراط في الفعل الثوري والالتحام المطلق بحركة التحرير الوطني الفلسطيني».

ويواصل ابو جهاد عرضه لدور المجلة في البناء والتنظيم، ودور الكلمة الثورية الصادقة في الوصول سريعا الى عقول الشباب وقلوبهم فيقول. «.. كان فرحنا عظيما

حين كنا نرى هذا الصدى الهائل العظيم لندائنا، هذا الصدى الهائل العظيم لرؤيتنا الفاعلة، فتصلنا الرسائل المتوالية تسأل وتستفسر كي تعرف لتشارك. فكان يصلنا رسائل تقول: نحن نشكل مجموعة ثورية ارتبطنا بعمل تنظيمي شكلنا اطارنا التنظيمي، ولنا نظامنا الداخلي ودستورنا، وحددنا اهدافنا ونرى ان صوتكم هو صوتنا، والذي تقولونه هو ما تمتلىء به صدورنا.. اين انتم وكيف نلتقي بكم، للبدء بحوار بيننا وبينكم» وكنا نسارع الى البدء بهذا الحوار فما اسرع ما ينضوي هؤلاء الاخوة تحت راية فتح».

لم تكن فلسطيننا اذن مجرد مؤسسة اعلامية بقدر ما كانت اداة علنية تنظيمية للتحريض والتعبئة والتنظيم في هذه المرحلة الدقيقة من عمر الحركة الوطنية الفلسطينية ومن هنا استأثرت هذه المجلة بقسط كبير من اهتمام خليل الوزير ووقته وجهده وفكره.

ولم يكتف بالاشراف عليها من بعيد، بل اسهم بفعالية في تحريرها، وارسال المقالات والصور والبيانات والاخبار. وليس من الصعب ان ترى بصمات ابو جهاد على مقالاتها، وان تكتشف روحه وهي تغمر صفحاتها من الغلاف الى الغلاف، ورغم انه لم يوقع ابدا باسمه الا ان كل كلمة في فلسطيننا كانت تحمل شحنة من حضوره الطاغي رغم غيابه المتعمد في غلالات الصمت ومحراب الزهد والتواضع.

لم يتحدث ابو جهاد كثيرا عن دوره في نداء الحياة ـ فلسطيننا بينما اشاد مطولا بدور توفيق حوري الذي كان يشرف مباشرة من بيروت على تحرير المجلة واصدارها، كما اشاد بدور هاني فاخوري الذي لعب هو الاخر دورا مهما على المستويين الصحفي والسياسي لهذه المجلة، كما ثمن عاليا الدور الذي قام به الفنان الفلسطيني اسماعيل الشموط الذي اشرف فنيا على المجلة واخراجها، وزودها دائما بلوحاته الجميلة المعبرة التي دعمت بقوة من تأثير الكلمة المكتوبة ووقعها على القارىء في هذه المجلة.

وبالمقابل اشار ابو جهاد بمرارة الى تخلف بعض الاخوة الذين دعاهم للكتابة في فلسطيننا في تلك الفترة عن المساهمة في هذا الجهد الجماعي الذي كان بحق نداء جديد للحياة.

قراءات في نداء الحياة ـ فلسطيننا

من حسن الحظ ان ابو جهاد كان قد عهد الينا بالاعداد العشرة الاولى التي صدرت من مجلة نداء الحياة فلسطيننا، وهي رغم انقضاء ما يقارب ٢٩ عاما على صدور عددها الاول لاتزال تنبض بالدفء الغامر والحيوية المتجددة.

وطبيعي الا يكون هناك متسع في هذا الحيز لمطالعة تفصيلية لهذه الاعداد العشرة

جميعها التي تقع في ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير، لذا لجأنا الى اعداد قراءة تحليلية في هذه الوثيقة التاريخية المهمة، بما يسمح بالاطلال على هذه المجلة التي اعتبرها ابوجهاد انها كانت بمثابة «الشمعة في ظلام النكبة».

في نداء الحياة الصور تتكلم

..كان التبويب شبه الثابت لاغلب اعداد مجلة نداء الحياة ـ فلسطيننا قد استقر على ان يحمل الغلاف الاول صورة فوتوغرافية صارخة عن اوضاع اللاجئين الفلسطينيين، بينما يحمل الغلاف الاخير للمجلة لوحة مرسومة بريشة الفنان اسماعيل شموط، وكانت هي الاخرى صرخة مشحونة بدلالات النكبة وذل اللجوء وبالدعوة الواضحة للنهوض الوطني والثورة على الاوضاع القائمة.

وكانت الصور عادة ما تذيل بعبارات تحريضية موحية مثل: هل ستعود؟ اليس هناك من يثأر لي؟ السلاح في سبيل العودة، اليس لهذه النكبة من اخر؟ وكانت هناك مجموعة اخرى من الصور التي حرصت فلسطيننا على نشرها في كل عدد من اعدادها على امتداد صفحتين من صفحاتها الداخلية وهي الاخرى تصور الاوضاع البائسة والمفجعة لحياة اللجوء ولجرحى الاعتداءات الاسرائيلية وشهدائها، كانت كل صورة في حد ذاتها منشورا سياسيا يفجر الغضب، ويؤجج الرغبة في الانطلاق والعمل.

وكان خليل الوزير حريصا من جهته على ان يمد المجلة بالعديد من الصور التي كان قد التقطها بنفسه من كاميرته العزيزة التي حافظ عليها منذ ان اقتناها وهو لايزال في الرابعة عشرة من عمره، وكان في شبابه نادرا ما يرى بدونها.

والى جانب التركيز على الصور السياسية المعبرة كانت محتويات كل عدد من فلسطيننا تتضمن بشكل ثابت تقريبا الموضوعات التالية: الافتتاحية او كلمة التحرير وهي في اغلب الاعداد لم تكن تحمل اي توقيع، باستثناء العدد السابع الذي صدر في ابريل (نيسان) ١٩٦٠ وحمل توقيع «فلسطيني» وكانت كلمة التحرير تتوجه عادة للقارىء، وتخصص اغلب حديثها عن المجلة نفسها وعن دورها ومهامها، وتستحث القارىء للمساهمة النشطة والمشاركة الفعالة: «اجل يا اخي هذه مجلتك نضعها بين يديك لتشارك في تحريرها واصدارها لتكون لك الصوت المعبر والراية الخفاقة على الدوام».

وكتبت في افتتاحية اخرى: «يا اخي نحن نمد ايادينا لنتكاتف معك، لنقاوم معا، ولنسير معا ولنناضل معا».

وبصدد الحديث عن مهمة المجلة كتبت فلسطيننا: «هذه المجلة هي فقط صوت شعب فلسطين شعب البطولات والثورات وان رسالتها هي ان تبلور آلام اللاجئين

وآمالهم وان تقطع الطريق على الـذين يريـدون تجميد القضيـة باشبـاه الحلول وانصافها».

وتتسع مهام فلسطيننا فنراها تكتب: «هذه المجلة ولدت حتى تكون الراية التي تمثلكم والمنبر الذي منه تسمعون العالم هدير حقدكم.. والرصاصة الاولى في جولة ثانية سيسطرها التاريخ لشعب لم يعتد ان يسكت عن ضيم اويقنع بعيش تافه لا كرامة فيه ولا عزة.. ثم يا اخواننا اذا كانت هذه المجلة هي بحق صوت شعب النكبة فان تعاونكم معنا هو الذي سيجعل من هذا الصوت صوتا مدويا يرتجف له المستعمرون والصهيونيون واذناب المستعمرين والصهيونيين من المرجفين دعاة الصلح والتقسيم والمخنثين دعاة الخنوع والرضى بالامر الواقع».

.. ولا شك في ان نداء الحياة ـ فلسطيننا كانت قد انجزت العديد من المهام التي وعدت بها قارئها، والتي كان خليل الوزير قد حملها اياها مع اخوانه في قيادة فتح في ايام البدايات الاولى الشاقة والمضنية.

راي فتح.. راينا

على ان اهم اضافة نوعية ميزت هذه المجلة عن سواها كانت بلا شك المقال السياسي الشهير الذي يحمل اسم «رأينا»، والذي اوضح بشكل علني وعلى اوسع نطاق ان هذه المجلة هي المنشور السياسي العلني لحركة فتح. وربما كان مقال رأينا الذي نشرته نداء الحياة فلسطيننا في عددها الاول في اكتوبر ١٩٥٩ هو اول منشور علني يوقع باسم فتح.

وبالتأكيد لم يكن الامر واضحا وجليا بالنسبة لعموم القراء في هذا الوقت المبكر من عمر فتح، وربما اعتبر الكثيرون ان «فتح» هي اسم مستعار لأحد الكتاب على عادة البعض في الكتابة باسماء مستعارة او التوقيع على مقالاتهم بالحروف الاولى فقط من اسمائهم.

وحافظت فلسطيننا على نشر مقال رأينا في صدر صفحاتها موقعا باسم فتح في الاعداد السبعة الاولى منها، وفي العدد الثامن صدر مقال رأينا لأول مرة بتوقيع محور يحمل الحروف (ف. ت. ح) وفي العدد التاسع ازيلت النقاط من بين الحروف ليصبح التوقيع على رأينا (ف ت ح) وحدث الشيء نفسه بالنسبة للعدد العاشر من المجلة.

ورغم غلالات الغموض والابهام التي احاطت باسم فتح في البداية الا ان الكثيرين كانوا قد فطنوا الى ان هذه المجلة كلها بما في ذلك مقال رأينا هي تعبير علني عن تنظيم فلسطيني سري جديد يقتحم الساحة السياسية العربية بقـدر كبير من الجـرأة والتحدي وبلغة جديدة في الخطاب السياسي لم يعتدها القارىء ولا التيارات السياسية السائدة التي استنفرت اجهزتها لتطويق ردود الفعل الايجابية التي ظهرت في اغلب

الاوساط الفلسطينية والعربية بما في ذلك الاوساط الداخلية للاحـزاب التقليديـة نفسها.

ومع ظهور العدد الثاني من فلسطيننا، بدأ بريد القراء ينهال على المجلة بين مؤيد متحمس، ومتشكك متردد، ومعارض متحامل، على ان الجميع كان يخاطب فلسطيننا بصفتها التنظيمية، وليس بصفتها الاعلامية. كانت رسائل كثيرة لا تأخذ طريقها للنشر بل يتم تحويلها الى خليل الوزير مباشرة لأنها كانت تحمل طابعا تنظيميا يطلب الحوار والتنسيق.. والعمل المشترك.

وكانت المجلة تسمح بنشر بعض هذه الرسائل كما فعلت مع الرسالة التي بعثها صاحبها ونشرتها في عددها التاسع في يوليو (تموز) ١٩٦٠ والتي قال فيها: «ان كثيرين من الشباب الفلسطينيين هنا يطمحون لليوم الذي تتألف فيه فرق فلسطينية لتخوض المعركة، لتخوض حربا كحرب الجزائر، نعم انهم جميعا، ولا ابالغ في انتظار ذلك اليوم لذا فانني أمل ان يشد الله ازرنا وكفاحنا ليقودنا الى ذلك اليوم».

ويذكر ابو جهاد ان مجموعات عديدة قد انتظمت في حركة فتح عن طريق فلسطيننا، وكان «رأينا» الذي توقعه فتح هو احد العوامل الاساسية في الدعاية الجديدة والدعوة للعمل المشترك في اطار هذه الحركة الفلسطينية الواعدة.

واذا لم يكن معروفا حتى الآن من بين صفوف القيادة الاولى لحركة فتح الذي كان يتولى صياغة مقال «رأينا»، إذ يبدو ان عددا منهم تعاقب على كتابته، ومع ذلك ليس صعبا على القارىء المحلل ان يتلمس روح ابو جهاد التي شاعت بين سطور المقال وافكاره، وان كان كعادته ينكر ذاته ويصر على التوحد في الكل والمجموع فهو في فتح كما هي فيه بشكل يستحيل معه ان نفصل او نميز بين الحالتين. لكن الذين قرأوا ما كتبه ابو جهاد بنفسه، يدركون مدى التطابق بين المفردات التي كانت تميز كتاباته عن الآخرين، وبين المفردات التي وردت في مقالات رأينا التي كانت تحمل توقيع فتح.

كان ابو جهاد يستخدم بشكل خاص كل مشتقات كلمة «اللهب» ولا تكاد رسالة واحدة من رسائله تخلو من هذه المفردة المحببة اليه والقريبة من قلمه. ومن المفارقات المثيرة ان اول مقال علني نشرته فلسطيننا باسم رأينا وبتوقيع فتح.

كان يتضمن هذه المفردة التي وردت في عبارة «ان هذا التقاعس قد يفقدنا شيئا من التأجج اللاهب».

كما تضمن العدد السابع من مجلة فلسطيننا في مقال رأينا عبارة اخرى تقول: «لقد آن لكم يا ابناء النكبة ان تتحركوا وتمسكوا زمام قيادتكم وان تنتزعوا المبادرة للعودة الى ارضنا الحبيبة بثورة وطنية لاهبة».

وحتى عندما توقفت مجلة فلسطيننا عن الصدور في بيروت، كان ابو جهاد قد

اصدر من الجزائر مجلة رديفة لها باسم «صرخة فلسطيننا» وسوف نراه مجددا يعود ليستخدم نفس المفردات الخاصة به، كتب ابو جهاد في العدد الثاني من هذه النشرة التي صدرت في يناير ١٩٦٤.. «ومع هذه الآلام تتعمق للشعب العربي الفلسطيني وللامة العربية جمعاء حقائق راعشة بالدماء.. صارخة بالنزير.. تقذف ضمائرنا بحمم من النداء اللاهب الذي يشدنا اليها داعيا الى ان نفتح عيوننا وقلوبنا على ما ورائها».

والمفارقة هنا هي ان آخر رسالة كتبها ابو جهاد قبيل استشهاده مباشرة في ليلة ١٦/٤/١٩٨٨ بعد ٢٩ عاما كاملة من صدور فلسطيننا كانت قد تضمنت اشتقاقا أخر لنفس المفردة التي كانت تميز خطابه وكتاباته. كان ابو جهاد، قد استهل هذه الرسالة التي لم تكتمل بعبارة تقول: «رسالة من الاخ ابو جهاد الى الاخوة / القيادة الوطنية الموحدة ـ القدس «تحية النضال الملتهب».

كما كان معروفا عن خليل الوزير استخدامه المكثف لمفردة «النكبة» حتى أنه وقع بعض كتاباته الاولى باسم «ابن النكبة». وسنجد فيضا من هذه المفردة في اغلب مقالات «رأينا»: «نحن ابناء النكبة»، ما لا نرضاه لشباب النكبة»، او «ستبقى النكبة ما دمتم يا شباب فلسطين بمنأى عن قضية فلسطين».

وايا كانت النتيجة التي يمكن التوصل اليها فالمحصلة النهائية واحدة وليس لاحد ان ينكرها ففتح كانت في ابو جهاد مثلما كان هو فيها وحدة لا تتجزأ وتتطابق لا انفصام ولا انفصال فيه.

كان موقف فتح الذي عبرت عنه في رأينا يتطور بشكل تدريجي ليرسم الملامح الاولى لاستراتيجيتها التي اخذت، منذ عام ١٩٥٩، في طرحها بصورة علنية في البداية اعطت فتح الاولوية لتأكيد مسألة خصوصية الدور الفلسطيني في الصراع العربي ـ الاسرائيلي. وسوف نرى ذلك بوضوح تام بدء بالمقال الاول لرأينا الذي جاء فيه بالخصوص».. وهكذا آن لكم يا شباب النكبة ان تقودوا شعبكم لتكونوا طليعة الشعب العربي في الكفاح من اجل استرداد ارضنا المباركة والا كتب عليكم البقاء بعيدين عن تربة فلسطين».

وقالت فتح في رأينا في العدد الثاني: «انكم انتم الذين تستطيعون تغيير مجرى الاحداث وحافظت فتح على هذه الدعوة في كل مقالات رأينا التي وردت في الاعداد التالية من فلسطينيا «ان ابناء النكبة مدعوون لاثبات وطنيتهم ومدى اعتزازهم بهذه الوطنية».

«ان اهدافنا جزء لا يتجزأ منا ونحن احرص الناس على تحقيق هذه الاهداف»،

أو قولها: «انكم وحدكم يا أبناء النكبة تعانون كارثة الوطن بشكل مباشر فلقد فقدتم كل الامور المادية والمعنوية بفقد فلسطين الحبيبة والنكبة اصابتكم شعبا

وافرادا».

ثم اخذت لهجة «رأينا» في التصاعد تدريجيا لتصبح اكثر وضوحا وتحديدا فنراها تقول: «ان الفلسطينيين جميعهم مسؤولون ادبيا وماديا للعمل لرفع لواء القضية الفلسطينية على صعيدها الثوري ولا يمكن لشعبنا ان يسمح لأي فرد بالتنصل من حمل التبعات ايا كان وضعه وايا كان منصبه».

وفي موضع آخر جاء في رأينا: «اننا لم نعذر احدا يحاول ان يتجنب السير في طريق الكفاح القويم».

وفي العدد التاسع من مجلة «فلسطيننا» كان رأي حركة «فتح» قد اصبح مكشوفا وواضحا بلا أي التباس، وهكذا تضمن مقال رأينا ما يلي: «ان ابناء فلسطين مدعوون لحمل راية الحرية لوطنهم.. انهم مدعوون لحمل السلاح واعلان الثورة لاجتثاث الاغتصاب اليهودي واية حجة لأي فرد منا اذا ما تخلى عن العمل لفلسطين ستبقى واهية تحمل في طياتها الخور والجبن.. والانهزامية».

هذه العبارات تكتسب اهميتها من الزمن الذي قيلت فيه في مطلع الستينات في وقت لم تكن الآذان العربية تألف سماع هذه اللهجة، وكانت الدعوة الى الثورة وحمل السلاح ضربا من الجنون والمغامرة الذي يعاقب عليه القانون وتترصده عيون الاجهزة.

ويبدو ان اوضاع التنظيم داخل حركة فتح كانت ايامها قد قطعت اشواطا مهما ومتقدمة مما اعطى هذه الحركة ثقة متزايدة بالنفس، واحساسا اثقل بمسؤولياتها تجاه الشعب الفلسطيني كله، وقدرة اكبر على النطق باسمه. وقد انعكس ذلك كله على لغة الخطاب السياسي لفتح، وها هي في عام ١٩٦٠ في عز عنفوان الناصرية، ومجد تجربة دولة الوحدة العربية بين مصر وسورية وصعود عبد الكريم قاسم في العراق، تصعد من خطابها السياسي وترفع عقيرتها بالتحدي وتقول بشكل قاطع وعلني: «ان دولة عربية ما ليست صاحبة الحق في التكلم باسمنا، كما انه لا يحق لأي مسؤول عربي بأن يتبنى ايه حلول لم تعرض علينا ولم نطالب بها اننا نحن الاصحاب الشرعيون لوطننا فلسطين».

لم تكن هذه الكلمات مجرد نوبة حماس عابرة، كما لم تكن مجرد صرخة انفعالية لرد فعل عاطفي على تطور الاحداث، بل كانت بدايات خط سياسي أخذ في التبلور والتجذر والرسوخ، وكان هذا الخط يكتسب في كل يوم مزيد من الانتشار والتأييد والالتفاف حوله بما أهله لأن يصبح اليوم دستورا معتمدا للشعب الفلسطيني كله وللفصائل العاملة في اطار منظمة التحرير الفلسطينية.

ولم تسلم حركة «فتح» من يومها من حملات الاتهام والتنديد والتشهير، ووصل الامر ببعض الكتاب، وعدد منهم ما يزال حيا بيننا، الى اتهام فتح بالعمالة لدول

اجنبية ولحلف السانتو، واتهمت قيادة فتح من ايامها بالاقليمية والشوفينية، ومعاداة الفكر القومي، ومعاندة الحركة القومية.

كان ابو جهاد يؤمن بان الذين نظموا هذه الحملات واطلقوا هذه التهم يعرفون مسبقا مدى زيفها وبطلانها، ولكنها تظل سلاح الطرف الضعيف قليل الحيلة والحجة في الصراع السياسي الذي يخسرون فيه جماهيرهم اولا.. وانفسهم اخيرا وكانت مقالات مجلة «فلسطيننا» بشكل عام ومجموعة مقالات رأينا التي وقعتها فتح على نحو خاص قد ردت في حينه على بطلان هذه التهم وكشفت زيفها فمقالات مجلة «فلسطيننا» تصف الامة العربية بأنها «امتنا العربية العظيمة» وتقول عن شهداء فلسطين انهم شهداء الامة العربية».

وفي مقال آخر بعنوان: «قالوا ونقول وليفهم الجميع» طرح الكاتب عددا من التساؤلات المطروحة واجاب عليها بصراحة ووضوح، وكان من بينها سؤال يقول: «اتدعون الاقليمية؟ قلنا: نحن ابناء النكبة في خط الدفاع الاول عن عروبتنا وما كفاحنا الا جزء من كفاح امتنا من أجل حياتها ومستقبل ايامها ومصير بقائها».

وكانت المقالات تستخدم كلمة فلسطين وتردفها دائما بهويتها العربية، وتعتبر ان القضية الفلسطينية هي «قضية العرب الكبرى».

واعتمدت مقالات رأينا دائما تعبير «نحن عرب فلسطين نستند على دعامة ضخمة هي تأييد شعبنا العربي» كما حرصت على تأكيد ثقة الشعب الفلسطيني في امته العربية فنراها تقول: «يا ابناء فلسطين لن تترككم الامة العربية وحدكم في الميدان وستقف خلفكم بشبابها وشيبها تبارك هذا الكفاح العظيم».

ثم كانت المهمة الثانية التي طرحتها فتح في «رأينا» عبر نداء الحياة ـ فلسطيننا هي الدعوة لتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية.

ولا يكاد منشور واحد لفتح في هذه الفترة يخلو من الاشارة الصريحة والملحة للوحدة الوطنية وقد حدد المقال الاول لندائنا موقفه من المسألة على النحو التالي: «فطريق الحياة الكريمة لشعبنا واضح لا غموض فيه فالى الامام يا شباب النكبة وحدوا صفوفكم وانتظموا».

وجاء في موضع آخر: «ان ابناء فلسطين لن يبقوا متفككين شيعا وجماعات بل سيسيرون صفا واحدا متكتلين يعملون بجد واخلاص من اجل قضيتهم المقدسة».

ثم تبلور الامر تماما، وتولت فتح من خلال رأينا الدعوة العلنية الصريحة للوحدة الوطنية، وربطت بين ضرورة هذه الوحدة وبين مهمة التحرير فقالت في رأينا انا ندعو ابناء فلسطين الى الوحدة الوطنية... فالوحدة الوطنية شعاركم وتحرير الوطن هدفكم».

ثم خطت للامام خطوة اخرى عندما ربطت بين الوحدة الوطنية والحركة الثورية

والاهداف الوطنية فجاء في رأينا «اننا ندعو شعبنا العربي الفلسطيني للتجمع في وحدة وطنية فلسطينية تساند حركة وطنية فلسطينيـة ثوريـة تنطلق من ارضنـا العربية الفلسطينية التي تطالب بحقنا في كيان ثوري فيها».

وعلينا ان نتذكر دائما ان هذا الخط السياسي طرح في عام ١٩٥٩، وفي مواجهة تيارات وتنظيمات وزعامات ودول كانت تفرض هيمنتها الكلية على الشارع العربي والفلسطيني وتلحقه بها.

ثم كانت المهمة الثالثة التي دعت اليها رأينا هي المبادرة الى انشاء كيان فلسطيني على ما تبقى من الوطن الفلسطيني المغتصب لتكون قاعدة ارتكاز للانطلاق منها لتحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني من النهر الى البحر.

وكانت هذه ايضا دعوة جديدة وثورية، بدأت اولا بشكل غير واضح ومكتمل اذ دعت في البداية الى «كيان ادبي» ومن ثم تطورت الفكرة وتبلورت حتى اصبح الكيان شرطا لتقدم القضية الفلسطينية وكتبت فتح في رأينا «فما لم تكن لكم شخصية وما لم يكن لكم كيان فان قضيتكم ستبقى كما هي ولن تتقدم قيد أنملة».

وكان المشروع قد اكتمل تماما في شهر يوليو عام ١٩٦٠ عندما طرحته فتح من خلال رأينا على النحو التالي: «انا نحن عرب فلسطين لانزال نملك جزءا من وطننا المغتصب وهذا الجزء صالح كقاعدة انطلاق لنا لتحرير وطننا والمستعمرون خالقوا اسرائيل لا يريدون ان يكون لنا كيان إذ ان الشعب الفلسطيني المغلوب على امره لا يستطيع ان يثور على اليهود ما دام ليس له كيان».

وفي الشهر التالي استكملت فتح ملامح مشروعها الخاص بالكيانية التي بدأت تدعو لها بقوة فقالت: «ان المحك العملي الذي يثبت اخلاص دول الجامعة العربية بالنسبة لقضيتنا سيظهر بالعمل من اجل بعث الكيان الفلسطيني الموعود، والذي لايزال حيا في ضمير شعبنا.. فنحن نؤمن بان الكيان شرط ضروري للعمل في سبيل التخلص من النكبة والوجود اليهـودي في وطننا فلسـطين.. وهذا الكيـان سيعيد الرابطة المتينة التي تربطنا بارض الوطن ان الكيان ليس مطلبا أقليميا.. ونحن ابناء فلسطين نرفع راية الوحدة الوطنية ونطالب بالكيان وأي معارض لكياننا انما يقف ضدنا بجانب الاستعمار واليهود والعبيد».

ويبدو ان هذه الكلمات التي يأتينا صداها من هذا الزمن البعيد قبل ٢٨ عاما، لاتزال تمتلك حضورها واهميتها وخاصة في مجـال الجدل القـائم منذ حـين عن الاستقلال، والدولة والحكومة والكيانية الفلسطينية.

وبتوقف مجلة نداء الحياة - فلسطيننا عن الصدور من بيروت في اواخر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٦٤، توقف معها مقال رأينا لكنه كان توقفا مؤقتا ليفسح المجال امام الكتابة الجديدة بالرصاص والدم التي انطلقت مع مطلع عام ١٩٦٥،

ومن ثم عاد ليظهر مجددا حاملا نفس الاسم «رأينا» ولكن في النشرة التي حملت ايامها اسم فتح.

وكن رأينا لايزال حتى ذلك الوقت يمثل وجهة النظر الحركية التي يلتزم بها اعضاء حركة فتح ويدافعون عنها في مواقفهم السياسية.

ما هكذا تورد الابل

كانت الاعداد العشرة الاولى من مجلة نداء الحياة ـ فلسطيننا، التي عهد الينا بها ابو جهاد تغري بمتابعة عرض موضوعاتها بشكل تفصيلي نظرا لاهمية الموضوعات التي احتوتها والافكار التي طرحتها. وربما استحق الامر كله افراد دراسة مستقلة لتحليل مضمون هذه المجلة، وعقد تحليل مقارن بين ما طرحته في تلك الفترة من منطلقات وافكار، وبين ما وصل الحال عليه في ايامنا هذه.

وحتى ينجز هذا المشروع كان علينا ان نتابع بايجاز عرض محتويات هذه الوثيقة المهمة.

اشتملت محتويات مجلة فلسطيننا بشكل ثابت تقريبا على موضوعات خصصت لدراسة وضع العدو الاسرائيلي للتعريف بطبيعته ومهامه ومصادر قوته، ونقاط ضعفه، كما قدمت فلسطيننا عرضا لبعض الكتب السياسية مثل كتاب (١٥ ايار ١٩٤٨) لأميل الغوري، وكتاب «جناية وخيانة» للدكتور سعدي بسيسو، وكتاب «الثورة» لمناحم بيجن، وغيرها من الكتب وكانت فلسطينيا قد ركزت جهودها بشكل واضح على اعادة كتابة تاريخ المقاومة الفلسطينية المسلحة، وكان واضحا من الاختيارات التي قدمتها ان فتح تسعى الى تثبيت هذا النموذج البطولي في وعي ووجدان الشباب الفلسطينيين حتى يتمثلوه ويقتدوا به.

وفي هذا السياق قدمت فلسطيننا سلسلة كاملة تحت عنوان: «ابطالنا» استهلتها بالكتابة عن الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد، وثنتها بالكتابة عن الشهيد حسن سلامة ثم كتبت عن الشهيد الشيخ عز الدين القسام وفي عددها الخامس كتبت فلسطيننا عن الشهيد ابراهيم ابو دية ثم افردت غلاف عددها السابع لصورة الشهيد عبد القادر الحسيني وعادت وكتبت عنه، وخاطبته «يا قائدنا الشهيد».

ولم تكتف مجلة فلسطيننا بعرض سيرة هذا النموذج البطولي لقادة الشعب الفلسطيني، بل قدمت ايضا نماذج اخرى عديدة من الابطال الشعبيين الذين قاموا وقاتلوا واستشهدوا دفاعا عن عروبة فلسطين.

ففي قصة «المتسلل» وهي حكاية حقيقية، كان البطل هو فلاح فلسطيني بسيط اسمه قاسم صلاح محمد قام بعدد من العمليات الفدائية، واستشهد وهو يحاول

نسف مصنع للذخيرة الاسرائيلية في منطقة الجليل لفلسطين المحتلة.

ونشرت فلسطيننا في العدد الثاني صورة الشهيد خميس محمود الدسوقي الذي قام بعدة عمليات فدائية جريئة قبل ان يستشهد في معركة مواجهة مباشرة مع دورية اسرائيلية في غزة عام ١٩٥٦.

كما نشرت قصة قصيرة بعنوان «نداء الجبل» تحكي فيها عن بطولة فلاح فلسطيني اسمه عثمان من ابناء جبل المكبر، وتحدثنا قصة «الرابية الخضراء» عن نماذج شعبية اخرى لفلاحين حملوا السلاح في صباهم وشبابهم وكهولتهم. وركزت احداث قصة «صباح الفتى الشهيد» على جيل الاشبال الصاعد الذي يحتذى سيرة الفتى الشهيد صباح عبد الغني ابن القدس، والفتى جمال بازيان ابن نابلس وشهيدها.

ما ارادت فلسطيننا ان تقوله على لسان فتح ان البطل الفلسطيني هو الفدائي ابن الشعب، وهو ليس بالضرورة عسكري محترف او قائد كبير، انه كل الشعب بفئاته العمرية، وطبقاته وشرائحه الاجتماعية كانت هذه هي الدعوة التي بدأت مع فتح بسيطة للغاية وتحولت مع الايام وتراكم التجربة والخبرة الى نظرية عامة في الصراع مع العدو.

ولم تغفل فلسطيننا عن الجانب السياسي التثقيفي الذي افردت له ركنا مهما في كل عدد من اعدادها. من خلال سلسلة الدراسات السياسية المتخصصة مثل «بعث الصهيونية»، وسلسلة «لماذا الثورة؟» ودراسة «العسكريون في المعركة»، وغيرها من الابحاث والدراسات التثقيفية الاخرى.

كانت ظروف العمل السري التي احاطت بحركة فتح في سنوات تأسيسها الاولى من ١٩٥٧ ـ ١٩٦٥ قد فرضت عليها ان تستخدم صفحات «فلسطيننا» في نشر النداءات والمذكرات السياسية التي تريد توجيهها الى الشعب العربي او الى الهيئات العربية والدولية.

ففي عددها الثاني نشرت نداء الحياة ـ فلسطيننا تحقيقا مع عينات متعددة من ابناء الشعب الفلسطيني في عدد كبير من اماكن تواجده وتجمعاته تحت عنوان مثير: «هذا رأينا، مشروع همرشولد مشروع استعماري، لا اسكان ولا تقسيم ولا انصاف حلول».

وفي العدد الرابع نشرت نص «خطاب مفتوح الى هيئة الامم» وفي العدد الثامن الذي صادف ذكرى مرور ١٢ عاما على اغتصاب فلسطين، نشرت نداء الحياة ـ فلسطيننا «نداء الى شعب فلسطين العظيم» ختمته بعبارات نارية «فلتنصب لنا المشانق، ولتفتح لنا السجون ولترفع السياط ولتفتح علينا جبهات العدو الدخيل فقد اقسمنا ان نسير في طريق النور فلتقتلع عيوننا ولتقطع ايدينا ولنصلب من خلاف ان

تراجعنا عن تحقيق اهدافنا هذا عهد الاحرار.. هذا طريق الصابرين الابرار».
ونشرت في العدد نفسه نص «كتاب مفتوح الى الامين العام للجامعة العربية».

خاطبت فيه الامين العام بقولها: «اننا يا سيدي رسمنا طريقنا للعودة وأي معارض لنا انما هو خائن للامة العربية.. اننا قررنا العودة الكريمة لوطننا فلسطين عربية خالصة.. فقل لهم ان لا يقفوا في طريقنا وتحية من شعب فلسطين العربي لكل مخلص لعروبته».

في العدد التاسع نشرت فلسطيننا نص آخر لرسالة موجهة الى وزراء الخارجية العرب كان عنوانها: «ما هكذا تورد الابل». ومما جاء فيها: «نريد قيام كيان وطني ينبع من ضمير شعبنا العظيم دونما ضغط او مساومات.. لن نفاجأ ابدا بوعود واتفاقات.. قريبا تصحون على زئير عاصفة صاخبة تنطلق من معسكرات العذاب وخيام البؤس والشقاء.. نريد ان نمحو من تاريخنا عارا اسمه الشكوى والاحتجاج».

من جهة اخرى تميزت مجلة فلسطيننا بهذه النداءات الملتهبة التي كتبت بعبارات ثورية صارخة كأنما هي هتافات الحناجر في المظاهرات، او كتابة الشعارات على جدران الشوارع. «لكي لا ننسى الثأر الدفين في اعماق نفوسنا لكي لا ننسى الوطن السليب الذي يجري في دمانا علينا.

- أن نذكر مذابح دير ياسين وقبيه ونحالين وخان يونس وغزة.
- الا تخلو احاديثنا في اي مكان وزمان من روح الثأر والعودة.
- الا نؤمن بأي سلام مع اسرائيل المغتصبة وان حل قضيتنا لا يمكن ان يتم الا بعد ازالة اسرائيل من الوجود».

«يا شباب فلسطين يد الله مع الجماعة فيد واحدة لا تصفق وقضية فلسطين فوق الحزبيات وفوق الاتجاهات وما حك جلدك مثل ظفرك».

«فلسطيننا ـ نداء الحياة.. ليست صوت حاكم ولا زعيم ليست صوت هيئة عليا ولا غير عليا ليست صوت جماعة ولا حزب ولكن صوت شباب فلسطين».

«ثلاث خطوات: الوحدة الوطنية اولا، التنظيم ثانيا والعمل الثوري».

«يا ابناء الارض المقدسة اينما كنتم انتم المسؤولون تحركوا توحدوا اعملوا ما بالكم؟ ان العالم يصم اذنيه عن سماع انات المظلومين، لكنه يصيخ بسمعه للاقوياء الثائرين».

وغيرها وغيرها من النداءات والشعارات التحريضية التي ابرزتها فلسطيننا في كل عدد من اعدادها.

كان هذا في النهايةعرض سريع موجزلكنه بالضرورة غير مكتمل لاثر ادبي وسياسي مهم. فنداء الحياة ـ فلسطيننا لم تكن مجرد مجلة عادية او اثر عابر انها وثيقة

تاريخية تعبر عن منعطف مصيري في التاريخ الشخصي لابو جهاد ولكل تاريخ حركة فتح والمنطقة العربية، وهي الى جانب ذلك كله مادة غنية وممتعة للبحث والدراسة والمقارنة والتحليل وهذه مهمة اخرى مؤجلة ولكن ليس الا ما لا نهاية.

في عام ١٩٦٣ سافر خليل الوزير ترافقه زوجته انتصار الوزير من الكويت الى بيروت.

ذهب ابو جهاد الى مبنى مجلة فلسطيننا وسافرت زوجته انتصار الى غزة عن طريق القاهرة، واختفى خليل الوزير في بيروت.





ابو جهاد وتحويل الكتابة الى فعل

ابو جهاد مع رفيقة عمره ام جهاد اثناء الخروج من طرابلس ١٩٨٣



رأينا

لن يكون العذاب الشديد ...



يكتب ف . ش . ح

ان القضية فلسطين لم تعد تحتمل انتظار طلائع يصنعها التاريخ . بل ان هذه القضية تنتظر طليعة تصنع التاريخ وتخلق الامجاد في وطننا العربي ... ومن اجدر منا نحن الذين اكتوينا بنار النكبة ليكون طليعة تصنع التاريخ ... وعلى طليعة الجزائر خير قدوة لنا ... ؟ !

ان مسؤوليات ضخمة تقع على عاتق شبابنا المثقف ... على هؤلاء ان يتفاعلوا مع النكبة انفعالا ايجابيا ... عليهم ان يوحدوا جهودهم وان يحشدوا امكاناتهم الادبية والمادية ليعبئوا شعب فلسطين وبالتالي الشعب العربي لخوض المعركة الثأرية المقدسة ... ان العمل من اجل القضية الفلسطينية يتطلب

رأينا

— فتح

فتح تكتب رأينا في عام ١٩٥٩



لقد وقعت المصيبة العظمى في ظروف يعرفها كل ذي بصيرة ، وكان ابناء فلسطين اكباش الفداء للامة العربية . وكان من نتيجة نكبتنا ان تشتت افراد شعبنا وانتشروا ومنعوا من ان يكونوا روابط مادية تربطهم فيعملوا من اجل استعادة وطنهم

يكتب ف . ش . ح

السليب . فكان الارتباط بتربة الوطن اعظم ضمانة لنا في تجمعنا حول الهدف المنشود ، وهو تحرير وطننا الحبيب وعن طريق الثورة ... هذا الطريق الذي نعتبره وحيدا لتحقيق اهدافنا .

ان الفلسطينيين بجميعهم مسئولون ادبيا وماديا للعمل لرفع لواء القضية الفلسطينية على صعيدها الثوري ، ولا يمكن لشعبنا ان يسمح لاي فرد بالتنصل من حمل التبعات ايا كان وضعه وايا كان منصبه ؛ فالفعاليات الثورية المتاججة لا تعفي احدا من المسؤولية ، فان اولئك الذين جاهدوا واستشهدوا لم يفعلوا ذلك في سبيل ذاتهم الفردية بل من اجل شعبهم

الفاسد . نقولها لهم انهم لن ينجحوا في تحطيمنا ... فالوطنية الفلسطينية خير حافظ لنا والروح الثورية التي تعيش في اعماقنا لا تزال دافعا لنا للعمل من اجل وطننا ، فنحن لا نزال كما عهدتنا فلسطين ابناء مخلصين لها سنجود بارواحنا في سبيلها .

اننا لن نعذر احدا يحاول ان يتجنب السير في طريق الكفاح الكريم ... فالمناصب والمراتب والالقاب والاموال الحرام عروض زائلة زائفة ..

اننا لن نتخلى عن جنسيتنا ما دام هناك اغتصاب صهيوني استعماري لوطننا ، واننا نطالب ونصر على ان يكون لنا كيان ثوري في الجزء المتبقي من وطننا لنستطيع العمل بحرية للاستعداد لانطلاقة الثأر المقدس .

ان دولة عربية ما ليست صاحبة



× الفشل سيحالف دائما اولئك الذين يريدون تصفية قضية فلسطين

× لن تفيدنا كثرة التكتلات بينما طريق الوحدة الوطنية تقودنا الى النصر .

× لن تتقدم قضية فلسطين ان لم يكن لابنائها كيان .



في انتظار الموت ؟

وحدوا صفوفكم يا ابناء فلسطين واثبتوا وجودكم ... لتحرير وطنكم الحبيب .

— فتح —



«فلسطيننا ـ نداء الحياة»

غلاف اخر لمجلة «فلسطيننا ـ نداء الحياة»

«فلسطيننا» ـ تربية جيل كامل على البطولة والنداء

أبطالنا — الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد

شهدت له الجبال والسهول بالبطولة والتضحية والفداء فلكم سجل في مراتبها معارك عنيفة خاضها ضد الاستعمار البريطاني في فلسطيننا السليبة.

طوال حياته يناضل ويكافح بقوة وعزيمة واصرار ادهشت اعداءه والتابعين حتى اضطروا بعد ان اعجزهم الى وضع ثمن لمن يأتي بعبد الرحيم حيا او ميتا . وظل حتى سقط صريعا فوق ربى هذه الجبال التي شهدت له أياما مجيدة وكتبت له في جنباتها أسطراً من نور . كان ذلك في فجر الاحد ابان آذار ٢٨ والشمس آخذة في الاحتجاب خلف بعض التلال المتناثرة عندما لاحت في الافق كوكبة من المجاهدين تأخذ طريقها نحو قرية صانور تستريح قليلا وتتزود بعض الزاد من اهلها الذين أشاعوا واتوا أن يستقبلوهم بهبة وإعجاب كيف لا وهذه الكوكبة هم رجال عبد الرحيم وهو في هذه المرة على رأسهم .

وخرجت القرية تحييهم وهم يتوجهون الى احدى الدور يستريحون فيها . واقبل المساء وذبحت بعض الذبائح وبدأ المكان يعج الا القليل الذين التفوا حول البطل عبد الرحيم يسألون كثيراً ويستفسرون اشياء متعددة عن الثورة المندلعة ضد الانجليز والصهاينة وعبد الرحيم يبتسم لهم وهو يرى هذه الروح واخلاص منهم فلسطينيه .

ولكن الليلة لم تمر بسلام كما كان مفروضا لها اذ تواترت الاخبار الى قيادة الجيش البريطاني بأن عبد الرحيم في قرية صانور .

وفي هدأة الليل تحركت ٣ كتائب انجليزية مع كتيبة دبابات متوجهة نحو القرية . ووصلوا القرية التي لم

يدري سكانها بالامر الا حينما احاطوا بها وارسل قائد الحملة الانجليزي يطلب مختارها ويطلب منه بأن يبلغ عبد الرحيم ان يسلم نفسه . ولكن عبد الرحيم اجاب بأنه ما كان ليسلم نفسه وفي قلبه نبض من من حياة . وحمل المختار رسالته قائلا بان عبد الرحيم لن يحاربك في هذه الدور ولن يعرض نساءها واطفالها للمذبحة التي يبني الانجليز بها انفسهم انه سيخرج اليهم ليلاقيهم ملاقاة الابطال .

وخرج عبد الرحيم ومن حوله كوكبة ومن انضم اليهم من فتيان ورجال القرية نحو التل القريب منها .

ثم بدأت المعركة . بدأت امام خصمين غير متكافئين . بدأت امام قوة عسكرية منظمة ومسلحة تسليحا هائلا تساعدها الدبابات وبين حفنة من الرجال لا يملكون سوى اسلحتهم الشخصية بجانب إيمان منقطع النظير بحقهم وبكرامتهم وعزتهم .

واخذت كفة المجاهدين تارة وكفة الانجليز تارة وتغير الموقف مرات كثيرة . إلا ان الاصوات بدأت تخفت ناحية المجاهدين . والارواح الشهيدة بدأت تحلق في سماء المعركة . وبدأ فجر اليوم الجديد . وليس في الميدان سوى عبد الرحيم وجريح لا يستطيع حراكاً وذخيرة نفدت جميعها . ولم يجد عبد الرحيم إلا ان يستل سيفه ويتقدم شاهراً اياه مفضلا الموت على الاستسلام . الا انه لم يتقدم كثيراً حتى جندله الرصاص المنهمر . وقاوم قليلا قبل ان ترفرف روحه الشهيدة الطاهرة محلقة في الفضاء وعندما اقتربوا منه وجدوه قد كتب بدماء وصيته الاخيرة ان يدخل ابنه محمد احدى الكليات العسكرية ليكمل الرسالة التي حملها أبوه .

ولم يملك الانجليز امام هذا الرجل إلا ان ينحنوا احتراماً واجلالاً له وسار خلف نعشه المندوب السامي الانجليزي نفسه .

ابطال فلسطين وشهدائها في نداء الحياة

في مواكب الخالدين

القائد المجاهد الشهيد المرحوم عبد القادر الحسيني
قائد جيش الجهاد المقدس وشهيد معركة القسطل

الشهيد عز الدين القسام كان اول الشهداء عام ١٩٣٦ وسقط برصاص الانجليز في ميدان المعركة عندما كان يطرد عدواً من المجاهدين





المجاهد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد من كبار قواد الثورة سقط برصاص الانجليز سنة ١٩٣٨ في كمين نصبوه له



المجاهد السيد عارف عبد الرازق رافق حركة الكفاح في جميع مراحلها .. اعتقله الانجليز ونفوه الى رودوسيا فقضى عدة سنين ودفن بعيداً عن مهجة قلبه فلسطين

٦ المواجهة الأولى بين أبو جهاد وأحمد الشقيري

اذا كانت نداء الحياة ـ فلسطيننا هي الراية الاولى التي ارتفعت لفتح عام ١٩٥٩ من سماء بيروت، فإن افتتاح أول مكتب لفلسطين في عام ١٩٦٣ كان الراية الثانية التي ارتفعت هذه المرة من سماء الجزائر. وقد اعتبر ابو جهاد ان افتتاح اول مكتب لفلسطين في الجزائر «هو راية اخرى لازمت عودة الكيان السياسي الفلسطيني الى الحياة بتأسيس حركة فتح». كانت علاقة خليل الوزير بثورة الجزائر أسبق بكثير من تاريخ افتتاح هذا المكتب في عام ١٩٦٣. كان قد تأثر كثيرا في صباه بسيرة المقاومة الشعبية الجزائرية التي قادها الامير عبد القادر الجزائري في مرحلتها الاولى التي استمرت حوالى عشرين عاماً من سنة ١٨٢٧ وحتى ١٨٤٧. وكان قد اكبر في الشعب الجزائري قدرته على حمل الثورة والاستمرار بها بعد ذلك بالثورة الشعبية التي انفجرت في وجه الاحتلال الفرنسي وقادتها في هذه المرة لالا فاطمة ومن بعدها الشهيد سي سليمان وأخوه «الازرق». وسوف نجد تماثلا ما بين شعار «فلسطين عربية» الذي رفعه خليل الوزير والثورة الفلسطينية في الخمسينات، وبين شعار «الجزائر عربية» الذي رفعه الزعيم خالد الجزائري حفيد الامير عبد القادر عام ١٩٣٠، والذي كرسته الثورة الجزائرية لاحقا كشعار اساسي لها.

ورغم وجود عديد من الفوارق والاختلاف في الظروف فاننا نلاحظ انه في الفترة التي بدأ خليل الوزير عملياته العسكرية الاولى عام ٥٣ ـ ١٩٥٤ كانت الشرارات الاولى للثورة الجزائرية قد انطلقت من جبال الاوراس.

ولا نبالغ اذا قلنا ان الشاب خليل الوزير كان قد كرّس جزءاً مهماً من وقته لمتابعة

تفاصيل وتطور الثورة الجزائرية التي الهبت خياله والهمت فكره، ورغم ادراكه ووعيه بوجود تباينات نوعية ما بين واقع الثورة في الجزائر، والثورة في فلسطين، فإن الثورة في الجزائر بقيت هي أقرب التجارب الثورية الى عقله وقلبه معاً.

وكان خليل الوزير يركز بشكل خاص على متابعة كل ما يربط مـا بين الحـركة الصهيونية العالمية وبين الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وقد تابع بشكل خاص قرار الحركة الصهيونية في فرنسا الذي اتخذته في شهر اكتوبر عام ١٩٥٩ بتأييد الاحتلال الفرنسي ضد الثورة الجزائرية والذي جاء فيه: «أن مصير ١٤٠,٠٠٠ يهودي في الجزائر، وكذلك أمن دولة اسرائيل متوقفان الى حد كبير على بقاء فرنسا في الجزائر»

وهكذا تأكد في وعي خليل الوزير ان الثورتين الجزائرية والفلسطينية تواجهان عدوا واحدا، ومصيرا مشتركا واحدا، وقد عزز ذلك من رغبته في التعرف المباشر على قيادة الثورة الجزائرية وبحث مجالات العمل والتعاون المشترك.

وكان خليل الوزير حريصا على نشر كل ما يتعلق بالدروس المستخلصة من تجربة الثورة الجزائرية على أوسع نطاق وفي صفوف شباب فلسطين على وجه خاص.

من هنا ركزت مجلة فلسطيننا على تخصيص صفحة ثابتة من اعدادها، بدءاً من العدد الثالث لعرض تجربة الثورة الجزائرية واستخلاص دروسها من خلال مقال شهري يحمل عنوان «شعب مجاهد».

ونقلت فلسطيننا عن صحيفة المجاهد الجزائرية عدداً من المقالات منها ما كان كريم بلقاسم قد كتبه «عن مرحلة ما قبل الثورة» ونشرت مقالا آخر عن الثورة الجزائرية بتوقيع «مناضل جزائري» وكان ذلك كله قد حدث قبل انتصار الثورة الجزائريـة وافتتاح اول مكتب لفلسطين في أي عاصمة عربية.

قصة افتتاح مكتب فلسطين في الجزائر

كان الاخ جمال عرفات ـ ابو رؤوف ـ شقيق ياسر عرفات من اوائل الشباب الوطنيين الذين عملوا بشكل مباشر مع الحاج امين الحسيني عندما انتقل مقر الهيئة العربية العليا مع حكومة عموم فلسطين الى القاهرة.

وقد اشرف بشكل خاص على مكتب «المغرب العربي» الذي كان يقع في احد المكاتب فوق سينما «أوديون» في قلب القاهرة. وكان من موقعه هذا يطل على اغلب الاتصالات التي يجريها الحاج أمين مع قيادات الاحزاب السياسية في اقطار المغرب العربي. ومن هنا توطدت أواصر الصداقة بينه وبين عدد كبير من هذه القيادات.

وكان من بينها بشكل خاص اثنان من ابرز قيادات الثورة الجزائرية وهما حسين

آية احمد، ومحمد خيضر، وبعد انتصار الثورة الجزائرية وجهت دعوة رسمية لجمال عرفات لحضور احتفالات الاستقلال، واعترافا بمكانته ودوره وتضامنا مع القضية الفلسطينية تقرر افتتاح أول مكتب لفلسطين في الجزائر في مقره الحالي نفسه الكائن في ١ ـ نهج فيكتور هوجو بالعاصمة الجزائرية وفي اول زيارة لآية احمد وخيضر الى دولة الكويت تعرفا هناك على خليل الوزير وياسر عرفات. وهكذا بدأت العلاقة السياسية بين الثورة الجزائرية وحركة فتح التي كانت لا تزال تعمل في ظروف السرية. وقد تم التنسيق مع جمال عرفات وقتها على استلام حركة فتح لمكتب فلسطين في الجزائر.

وهكذا صدر القرار بالاجماع من اللجنة المركزية العليا لحركة فتح في الكويت باستقالة خليل الوزير من عمله هناك، وانتقاله الى الجزائر لتولي مسؤولية اول مكتب علني ورسمي لفلسطين ولحركة فتح في عام ١٩٦٣ قبل انطلاقة فتح وقبل انشاء منظمة التحرير.

وبهذا القرار يكون خليل الوزير هو أول متفرغ في الثورة الفلسطينية، وفي الليلة نفسها التي اتفق فيها على هذا القرار حزم خليل الوزير حقائبه واتفق مع شريكة عمره انتصار الوزير على ترتيب الامر، بحيث يغادران معا الى بيروت في صباح اليوم التالي، ومن هناك تذهب هي الي غزة لتضع مولودهما الاول «جهاد» الذي كانت لا تزال حاملا به في شهرها السادس، ويتوجه هو الى الجزائر على ان يبقى هذا الامر سرا بينهما في الفترة الاولى.

على ان سفرهما تعطل عن موعده بسبب عدم حصول خليل الوزير على موافقة بالسفر من وزارة التعليم وتدخل ساعتها هاني القدومي الذي كان يعمل سكرتيرا خاصة لامير دولة الكويت واستخرج هذا التصريح وبدأت الرحلة الى الجزائر عن طريق بيروت.

كان الحاج توفيق حوري، وهاني فاخوري في الانتظار في بيروت ورتبا كل شيء لخليل الوزير ورفيقة عمره ونضاله انتصار الوزير التي غادرت حسب ما هو مقرر بينهما الى غزة. ومن بيروت ابرق خليل الوزير الى الكويت يفيد وزارة التربية بان ساقه قد كسرت اثناء نزوله من سلم الطائرة وانه يخضع للعلاج الطويل بسبب هذه الحادثة وقد يتأخر عن العودة الى عمله هناك.

وغادر خليل الوزير الى الجزائر، وتولى هاني فاخوري نيابة عنه وباسمه الرد على الرسائل التي كانت ترد له من الكويت وتستفسر عن صحته وعلاجه وعن تاريخ عودته الى عمله.

«وفي الثالث والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٦٣ صدر قرار من رئاسة الجمهورية الجزائرية بممارسة مكتب فلسطين بالعاصمة الجزائرية لنشاطه العام في خدمة القضية الفلسطينية».

ويقول ابو جهاد انه استهل عمله هناك باصدار وثيقة تحمل عنوانا «هذا برنامجنا» وتحمل شعاري فتح الدائمين: «الثورة طريقنا للحرية»، و«ثورة حتى النصر» وحدد هذا البرنامج اهداف المكتب على النحو التالي:

١ ـ تجنيد طاقاتنا البشرية والمادية والمعنوية وتهيئتها وربطها في كادر منظم موحد.

٢ ـ تعبئة القوى والامكانات والجهود تعبئة ثورية شاملة وحشدها ضمن الجهد الفلسطيني الثوري الموحد والممثل لارادة اغلبية شعبنا.

٣ ـ العمل على ان نكون احدى القواعد الثورية الحرة التي تسهم في تحقيق ارادة شعبنا في تنظيم قواه وتعبئة جهوده وامكانياته.

٤ ـ العمل على تعبئة القوى والجهود والامكانيات العربية والصديقة لتسند كفاحنا في معركة المصير.

ثم قدم ابو جهاد شرحا وافيا لمهام المكتب وطبيعته في وثيقة سياسية مهمة تعبر عن تفكيره في تلك الفترة وعن الخط السياسي العام لحركة فتح.

كتب ابو جهاد في هذه الوثيقة ما يلي: «ان هذا المكتب لا يمثل حزباً أو فئة أو هيئة انما يمثل جزءا من الارادة الثورية ارادة شعبنا في الثورة لتحرير الوطن المغتصب.. وهذا المكتب غير خاضع لحزب أو جماعة أو هيئة أو قيادة قديمة أو أي من الاتجاهات والقيادات التي عرفها عالمنا العربي بل هو تيار جديد عنها.. بارادة جديدة تمثل جزءا من التيار الشعبي الفلسطيني الثوري الموحد الذي نرنو اليه جميعا ليكون سبيلنا لتحرير ارضنا السليبة والذي يجب ان تصب فيه جداول العمل الثوري في جميع مناطق تجمع ابناء النكبة وهو ايضا لا يتبع دولة ما أو ينحاز الى جهة ما أو يعادي جهة ما».

ضربة البداية

يقول ابو جهاد: «حين بدأنا في العمل لم يكن في الجزائر غير اربعة عشر فلسطينيا لذا فان المهمة الاولى التي وضعها المكتب على عاتقه هي توسيع التجمع الفلسطيني هناك، فقمنا اولا بفتح الابواب امام مئات من الطلبة للالتحاق بالجامعات الجزائرية ثم فتح الابواب امام مئات من المعلمين الفلسطينيين ليقوموا بالتدريس في الجزائر، فضلا عن اعمال اخرى عديدة كانت الجزائر بحاجة ماسة لها بعد الاستقلال».

لم يكن ما اشار اليه ابو جهاد يتم بشكل عفوي، فالحلقات التنظيمية الاولى لحركة فتح في الاقطار العربية وفي غزة والضفة الغربية كانت هي التي تقوم بفرز الطلاب والمعلمين من بين صفوفها وترسلهم الى الجزائر. ويقول ابو جهاد: «وجميع هؤلاء كانوا على ارتباط وثيق بالمكتب الذي كان يقوم بتقديم كافة التسهيلات لهم، كما يقيم اللقاءات والندوات ثم النشاطات التنظيمية».

حكاية خليل الوزير.. وعلال محمد

.. كان خليل الوزير من الوجهة النظرية لايزال يعمل بالتدريس في الكويت رغم وجوده على رأس العمل في الجزائر فعلا. وربما كان ذلك احد الاسباب الى جانب اسباب اخرى، التي دفعته ايامها للعمل في الجزائر تحت اسماء اخرى كان اولها اسم «علال محمد» ثم اصبح فيما بعد «محمد خليل». ولكن ما ان وضعت انتصار الوزير ابنهما البكر جهاد في غزة حتى حمل خليل الوزير لقب «ابو جهاد».

في الفترة الاولى لوجوده في الجزائر حرص خليل الوزير على ان يتحرك باسم علال محمد، وتصادف ان التقاه احد الشباب القادمين من غزة للعمل في الجزائر، وتعرف عليه، ولما لم يكن ابو جهاد يعرف الشاب اصر امامه على انه علال محمد وليس خليل الوزير، فارسل هذا الشاب مكتوبا الى اهله في قطاع غزة واعلمهم فيه ان خليل الوزير موجود في الجزائر وانه انكر نفسه وتحول هناك الى شخص جزائري يحمل اسم علال محمد!!

ولما واجهت اسرته في غزة انتصار الوزير بما جاء في رسالة ابنهم ضحكت كثيرا في قلبها لكنها انكرت ذلك واصرت على ان زوجها خليل الوزير لا يزال يعمل بالتدريس في الكويت وان لا علاقة له البتة بالشخص المدعو علال محمد.

وما ان وصلت انتصار الوزير الى الجزائر عن طريق القاهرة مع وليدها «جهاد» حتى وضعت حدا لهذه الازدواجية واستقر اسم خليل الوزير منذ ذلك التاريخ على لقب «ابو جهاد» الذي كان متطابقا مع دوره وصفاته التي عرف بها كأب حقيقي للجهاد.

مركز الثقل ينتقل الى الجزائر

في غضون أقل من عامين فقط قام ابو جهاد «بتهيئة الظروف لمجيء اعداد كبيرة من المدرسين والطلاب ففي حين لم يكن يزيد عددهم عن ١٤ مدرسا ازداد العدد الى ٤٠٠ مدرس ثم وصل الى ١٠٠٠ مدرس وتمكنا من تقديم المنح الجامعية الى ١٥٠ طالبا فلسطينيا»

واصبح المكتب في الجزائر هو مركز الاتصال بتنظيم حركة فتح في اوروبا، وكانت الثورة الجزائرية هي المحج الدائم لاغلب حركات التحرر وللقوى الثورية في العالم ولم تنقطع عنها زيارات الوفود الرسمية والشعبية العربية والدولية. كما ابدت الجزائر استعدادها لوضع خبراتها القتالية والعسكرية في خدمة الثورة الجزائرية، وهذه

العوامل كلها اسهمت في انتقال مركز ثقل العمل الفلسطيني في هذه المرحلة الى مكتب فلسطين في الجزئر الذي كان بمثابة القلب الذي يستقبل الدم من الاطراف ويعيد ضخه ثانية نقياً الى جميع أجزاء الجسم.

ويعود ابو جهاد ليؤكد على ذلك بقوله: «لعب مكتب الجزائر دورا بارزاً بحيث كان الاتفاق شبه شامل على انه شكل في فترة التأسيس الاولى احدى رايتين رئيسيتين استندت اليهما حركة فتح كي تبدأ مسيرتها الطويلة».

واضاف في موضع آخر: «واود ان اؤكد هنا ان الدور الذي لعبه مكتب الجزائر كان دورا تاريخيا بالفعل تكفل بخلق نوع من الثقة لدى ابناء شعبنا في كل مكان بمسيرة حركتنا وبخياراتها وبالطريق الذي انتهجته من اجل تحقيق اهداف شعبنا».

فن صناعة القادة

ما ان وصل خليل الوزير الى الجزائر حتى بدأ على التو نشاطه التنظيمي الحثيث. كان اهم ما يميز شخصية خليل الوزير هو طاقته الهائلة على العمل الفعلي، وبينما كان البعض يقفز كالجندب في الهواء، كان هو يعمل كالنحلة أو قل كخلية نحل متكاملة، وبفضل بساطته المتناهية وتواضعه الجم وشخصيته الآسرة تمكن في شهور قليلة من وضع عدد كبير من شباب هذه المرحلة على اول الطريق الصحيح الـذي واصلوه بكفاءاتهم وتضحياتهم حتى وصل الكثيرون منهم الى مواقع القيادة الاولى في الثورة الفلسطينية.

وهناك قوائم طويلة من عشرات الكوادر والقيادات التي افرزتها تجربة مكتب فلسطين بالجزائر بدءاً من عام ١٩٦٣.

في البداية كان هناك مع ابو جهاد في الجزائر الاخوة عبد الهادي السـويس، والشهيد وديع حسن عبد اللطيف الذي كان يعرف بالاسم الحركي «منير»، وصالح برغوتي، واحمد عقل وطالب ابو شمالة، وبعد اشهر قليلة وصل الى الجزائر وجيه حسن «ابو مروان»، وياسين مراد ومحمود عرسان، وعـايش حرب، واحمـد وافي والشهيد منهل شديد، ومحمد الحصري، ومحمد دواس، واحمد الهيس، وعوض المحيصي، وسيف الدين رحمي، وابراهيم ابو النجا، ويوسف طافش، وحسين خضر، وكان هناك ايضا الشهيد القائد ابو علي اياد، والشهيد محمود الهمشري ومحمد ابو ميزر «ابو حاتم».. ولم تنقطع حركة وصول المعلمين والطلاب الفلسطينيين الى الجزائر.

وفي هذه الفترة كانت اعداد كبيرة من طلاب قطاع غزة قد اتموا تعليمهم الجامعي في مصر، وعند عودتهم الى القطاع لم تتح لهم الادارة المصرية هناك فرصة للعمل في مجالات تخصصاتهم، وفضلت انتداب مدرسين وموظفين من مصر للقطاع على تعيين

الخريجين من ابناء غزة في هذه الوظائف.

وقد اسفر هذا الوضع عن حالة من التصادم بين الخريجين واسرهم وبين الادارة المصرية للقطاع والمجلسين التنفيذي والتشريعي اللذين اوجدتهما هناك.

وتدخلت طلائع حركة فتح العاملة سراً في غزة، وشجعت عددا من ابرز الشباب هناك للعمل في الجزائر مع خليل الوزير وفي شهر ديسمبر ١٩٦٣ وصل الى الجزائر القائد الشهيد ابوصبري، وعبد الكريم العكلوك (ابو العبد) والتحقا على الفور بكوادر مكتب فلسطين قبل ان يتسلما عملهما كمدرسين في الجزائر.

كان ابو جهاد من القادة التاريخيين الذين يؤمنون بان داخل كل مواطن مشروع «فدائي»، وداخل كل «وطني» مشروع كادر اوقائد، وان واجبه يحتم عليه ان يمنح هذا المشروع فرصته الكاملة للنمو والتطور والاكتمال.

من هنا كان ايمانه العميق بمبدأ اطلاق المبادرات الخلاقة للشباب، وتفويض الكوادر في صلاحيات القيادة، وافساح المجال لهذه الكوادر لان تقود بمقدار كفاءتها وليس بمعيار ولائها.

هذا المنهج هو الذي بنى تنظيم حركة فتح في الجزائر وفي العديد من الاقطار العربية والدول الاوروبية.

هذا المنهج هو الذي مهد الطريق امام جيل الشباب الذي قدم للثورة الفلسطينية قيادات فذة في كفاءة الشهيد (ابوصبري)، وشجاعة القائد الشهيد ابوعلي اياد، وفي النموذج الذي مثلته انتصار الوزير.

وهونفسه الذي افرز الكوادر القيادية التي لعبت دورا مهما ومميزا في مسيرة الثورة الفلسطينية مثل الشهيد وديع عبد اللطيف، والشهيد منهل شديد، والشهيد محمود الهمشري، وعشرات آخرين من القادة والكوادر الذين عايشوا تجربة ابوجهاد الاولى في الجزائر.

نداء الحياة يتحول
الى صرخة فلسطيننا
في الجزائر

امتدادا لنفس الدوافع والأهداف التي كانت وراء اصدار مجلة «نداء الحياة ـ فلسطيننا» من بيروت، اندفع خليل الوزير فور وصوله إلى الجزائر لتشكيل المجموعة الاعلامية الأولى التي ضمته إلى جانب كل من محمد أبوميزر» ـ أبوحاتم، الذي كانت له خبرة بالعمل الصحافي من خلاله عمله مع جريدة «المجاهد» الجزائرية، ووجيه حسن ـ ابو مروان، الذي كان يتميز بسعة قراءاته وثقافته واستعداده للبحث

والترجمة والكتابة، وعبد الكريم العكلوك ـ أبو العبد، الذي ابدى اهتماما جادا بالنشاط الثقافي والاعلامي في هذه المرحلة.

وقد أشرف أبو جهاد أيامها على اصدار ثلاث نشرات سياسية دورية: «صرخة فلسطيننا»، و«أخبار فلسطيننا»، و«حتى لا ننسى».

عن هذه الفترة قال أبو جهاد: «منذ اللحظة الأولى كنا ندرك الأهمية الاستثنائية لعملنا الاعلامي في العمل الثوري من أجل ذلك سارع مكتب الجزائر وكجزء من نشاطاته إلى تأسيس صحافته كي يحقق مستويين من الفائدة:

أولا: نشر الوعي حول قضية فلسطين كما هي نشر الوعي حول الخيارات التي حددتها فتح كطريق إلى تحرير فلسطين.

وثانيا: تعميق وعينا الذاتي وتوسيعه وبلورته، إذ أن العمل الاعلامي يعد وسيلة فذة لايجاد حالة جدل بين الاطار والمجتمع وبين الاطار والحياة وهكذا أصدرنا صحيفتين الأولى باسم «صرخة فلسطيننا»، واطلقنا على الثانية «أخبار فلسطيننا»، ورغم البدائية التي كانت تطبع هاتين الصحيفتين من الناحية التقنية والطباعية، إلا أنني استطيع أن أقول إنهما لعبتا دوراً بارزاً في مثل هذه الفترة المبكرة من تاريخ حركة فتح خاصة واننا كنا نعيش حالة نقاش واسعة عشية الانطلاقة وبالذات حول مسألة الانطلاقة».

احمد الشقيري ومرحلة الصراع على مكتب فلسطين

.. كان تيار حركة فتح رغم قيود العمل السري في تلك الفترة آخذا في الامتداد والاتساع والتجذر، ورغم الهجمة الشرسة التي وجهت اليها من دول وانظمة واحزاب وتيارات سياسية عربية وغير عربية الا ان تكتيك فتح الصائب الذي تجنب في البداية الدخول في أي صدامات غير متكافئة في هذا الوقت المبكر منحها الفرصة للبقاء والمقاومة والنمو.

كان تأسيس مكتب فلسطين في الجزائر هو اول تجسيد عملي وعلني ملموس لحركة فتح، ومن هنا تكثف رمي سهام الخصوم عليه من كل الاتجاهات. واعتبرت كثير من القوى ان بقاء هذا المكتب لحركة فتح في الجزائر هو تحد حقيقي لنفوذها السياسي وانتقاص من قدر زعامتها التي تسعى لوضع الجميع تحت سقفها ومظلتها.

وكانت الحملة المعادية لمكتب فتح في الجزائر ولابو جهاد شخصيا تتناسب طرديا مع نجاحات المكتب المتزايدة والمتتالية، وازدادت شراسة الهجمة المعادية مع تصاعد اصداء النجاحات التي حققها مكتب الجزائر في المجالات التنظيمية والسياسية والاعلامية، وعندما اخترق ابو جهاد حدود الجزائر الى المجالين الدولي والعالمي.

وقد لعبت سفارات بعض الاقطار العربية وسفراؤها بالذات دورا اساسيا في تلك

الحملة المحمومة المغادية لمكتب فلسطين والتي ركزت حملتها ضد ابو جهاد بشكل شخصي. وجندت اقطار عربية اخرى في هذه الحملة بعض الافراد الفلسطينيين من البعثات التعليمية الرسمية التي كانت قد اوفدتها الى الجزائر عبر اتفاقات ثنائية رسمية بين الدولتين، للهجوم على المكتب والتهجم على ابو جهاد.

ووصل الامر الى حد دخول اطراف عربية في هذه الحملة المعادية عن طريق استعداء القيادة الجزائرية وخاصة في فترة حكم الرئيس احمد بن بيلا على مكتب فلسطين وعلى دوره وقيادته.

وشكلت هذه الحملة المعادية الملامح الاولى لاستراتيجية الاستنزاف المضادة لجهود وتوجهات الثورة الفلسطينية بجرها الى معارك جانبية وثانوية، ودفعها الى مواقع العداء والخصومة وفرض الاقتتال عليها بعيدا عن العدو المشترك الذي طالما اعلنت حركة فتح بشكل حاسم عن ضرورة توجيه كل البنادق نحوه.

ويذكر ابو جهاد ان احدى المحاولات الشرسة في تلك الفترة بدأت في اعقاب المذكرة التي ارسلتها سفارة دولة عربية الى الحكومة الجزائرية للتشكيك في المؤهلات العلمية التي حصل عليها المدرسون الفلسطينيون العاملون في الجزائر والمرتبطون بمكتب فلسطين هناك.

وتابعت هذه السفارة الالحاح على هذه الدسيسة حتى اضطرت وزارة التربية الجزائرية التي كان يترأسها ايامها شريف بلقاسم لدعوة كل المدرسين الفلسطينيين الذين لهم علاقة بمكتب فلسطين من خارج البعثات الرسمية التي كانت تشرف عليها مصر والاردن الى الدخول في امتحانات للتأكد من كفاءتهم في التدريس، وتقرر ان تعقد الوزارة الجزائرية هذه الامتحانات في اكتوبر عام ١٩٦٣.

واعتبر ابو جهاد ان هذا القرار مجحف ومهين للشخصية الوطنية الفلسطينية، وقرر خوض هذه المواجهة، ورفض هذه الامتحانات، وبذل جهدا هائلا لاقناع المدرسين المهددين في اعمالهم برفض هذه الامتحانات ووجد استجابة عالية من الاغلبية وقرر ارسال مجموعات من كوادر فتح الى مقرات لجان الامتحان لمنع عقدها.

وكتب ابو جهاد مذكرة الى الرئيس بن بيلا، والى شريف بلقاسم ثم التقاه واصر على رفض هذه الامتحانات، وتوصل معه الى فكرة تقضي بتشكيل لجنة مشتركة من وزارة التربية الجزائرية ومن مكتب فلسطين في الجزائر تكون مهمتها فقط التأكد من المؤهلات العلمية التي يحملها المدرسون الفلسطينيون وليس اختبار كفاءتهم في التدريس، وقد مثل الشهيد ابو صبري مكتب فلسطين في هذه اللجنة.

واتضح للجزائريين على الفور انها احدى الدسائس التي دأبت هذه الجهات العربية على بثها في اطار هذه الحملة العدائية المسعورة لكل ما هو وطني ومخلص ومستقل.

في هذه المرحلة كانت قيادة الرئيس عبد الناصر تسعى لتنصيب قيادة فلسطينية جديدة على رأس العمل الوطني بعد خلافها مع الحاج أمين الحسيني ووفاة احمد حلمي باشا رئيس حكومة عموم فلسطين، وفي اعقاب الفشل الكامل الذي انتهت اليه تجربة الاتحاد القومي الفلسطيني الذي سقط مع نهاية دولة الوحدة ووقوع الانفصال في سورية.

وكان المرحوم احمد الشقيري هو الشخصية الفلسطينية التي وقفت مصر وراء تعيينها ممثلا لفلسطين لدى جامعة الدول العربية بقرار من مؤتمر القمة الاول الذي انعقد في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤.

وكانت القيادة المصرية قد هيأت الظروف لاحمد الشقيري لتولي هذا المنصب، وقام هو بدوره بعدد كبير من الجولات والزيارات الى اغلب التجمعات الفلسطينية في الاقطار العربية. وكانت الجزائر احدى المحطات في هذه الجولات وسوف يرجيء ابو جهاد الحديث عن اسرار التمهيد لهذه الزيارات وملابساتها الاولى الى مرحلة لاحقة خصصها للحديث عن علاقة فتح بمنظمة التحرير الفلسطينية في بداياتها الاولى.

ومع ذلك اعتبر ابو جهاد ان زيارة الشقيري للجزائر هي فرصة مواتية لعرض وجهة نظر حركة فتح، ومحاولة التأثير في افكاره وتوجهاته ليتبنى خطا فلسطينيا مستقلا ويعتمد على الجماهير الواعية المنظمة اكثر من اعتماده على الانظمة العربية، ودفعه للعمل من اجل ابراز وبناء الكيانية الفلسطينين التي كانت قد اصبحت مطلبا عاما للاغلبية من ابناء الشعب الفلسطيني.

وبالمقابل اعتبرت القوى المناوئة ان زيارة الشقيري الى الجزائر هي فرصة سانحة للتحريض ضد مكتب فلسطين في الجزائر وضد ابو جهاد، تمهيدا لعزله والاستيلاء على المكتب لوضع حد لتأثيره ونشاطه ودوره المتنامي في الجزائر وانطلاقا منها الى مناطق اخرى مهمة في العالم العربي وخارجه.

وما ان انتظم المهرجان الخطابي، وصعد الشقيري الى المنصة الى جوار ابو جهاد، حتى تعالت الاصوات من بعض الفلسطينيين الذين جرى توزيعهم بدقة على جنبات القاعة تطالب بانزال «ابو جهاد» من مكانه على المنصة، ورغم الجحود وقساوة العبارات في هذه الحملة الا ان ابو جهاد كعادته احتفظ برباطة جأشه وهدوء اعصابه وابتسامته الواثقة. وتأكد فيما بعد ان سفارة دولة عربية ذات مكانة ونفوذ هامين قد تحالفت مع سفارة دولة اخرى رغم العداء المعلن بينهما وقتها لتجنيد هذه العناصر الفلسطينية وشن هذه الحملة من الاساءة والتشهير.

تنظيم الهجوم المعاكس

كان ابو جهاد قد ادرك بحسه العسكري الفطري ان نذر معركة كبيرة تلوح في سماء

الجزائر، وان مكتب فلسطين سيكون هو هدف هذه الحرب، ومن هنا بدأ على الفور تنظيم هجومه المعاكس، وبينما كانت الدسائس والمؤامرات هي اسلحة خصومه، كانت ارادة الجماهير ووعيها وصلابة كوادرها هي اسلحة ابو جهاد في هذه المعركة كما في كل معركة من معاركه العديدة التي خاض غمارها على امتداد ٢٥ عاماً.

وهكذا نزل ابو جهاد بكل ثقله مع كوادره الى معركة التنظيم وشهدت هذه الفترة بالذات نموا مضطردا في البناء والعمل التنظيمي، وكان شعاره آنذاك إن خسرنا المكتب فسنربح الجماهير، وهكذا كان وحرث ابو جهاد وكوادره ارض الجزائر من اقصاها الى اقصاها.

وعمل في هذه الفترة على تأسيس اول اتحاد لطلبة فلسطين كان هو اول اتحاد طلاب فلسطيني مستقل بعد تجربة رابطة الطلاب الفلسطينيين في مصر.

ثم نظم اسبوعا لفلسطين في كافة مناطق ومحافظات الجزائر بدأه في شهر شباط ١٩٦٤، وامتد لاكثر من ثلاثة شهور في المناطق والمحافظات الجزائرية وقد حضر الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين المهرجان التضامني مع الشعب الفلسطيني الذي نظمه ابو جهاد في العاصمة وكان ايامها لا يزال نائبا للرئيس ووزيرا للدفاع. وكان ابو جهاد يحتفظ بعلاقات مميزة مع الرئيس هواري بومدين من تلك الايام، وهو الذي قال عبارته الشهيرة: «انا مع فلسطين ظالمة أومظلومة».

وفي شهر اغسطس من عام ١٩٦٤ جرى تنظيم المعرض الجزائري الدولي الاول. وكان المعرض مخصصا للدول فقط، لكن اصرار ابو جهاد على مشاركة فلسطين في هذه التظاهرة الدولية مكنه في النهاية من انتزاع قرار بالموافقة على تمثيل فلسطين بجناح خاص في هذا المعرض الدولي.

ويذكر ابو جهاد ان امكانياتهم لاقامة جناح في المعرض كانت قليلة جدا جدا ان لم تكن معدومة فعلا وهكذا جرى استنفار الكوادر الفلسطينية التي بدأت من الصفر اقامة جناح فلسطين، واعتمدت على الصناديق التي احضرت الدول فيها منتوجاتها لاقامة هذا الجناح، وتعمد ابو جهاد تحويل جناح فلسطين الى معرض سياسي حافل بالصور والشعارات والاعلام الفلسطينية ووزع فيه مطبوعات وكتب فلسطينية ومحاضرات كان قد كتبها خصيصا لتوزيعها في المعرض ولاقى جناح فلسطين في هذا المعرض نجاحا كبيرا واقبالا مشهودا من قبل الجمهور الجزائري.

وما ان انتهى المعرض حتى تقاطرت الجماهير الجزائرية على مكتب فلسطين وتقدم المئات من الجزائريين بطلبات للتطوع للقتال في فلسطين.

وهكذا ثبت أبو جهاد اسم فلسطين وعلمها في تظاهرة دولية حاشدة شاركت فيها اكثر من ٨٠ دولة من دول العالم. وكان جناح فلسطين احد ابرز معالم هذه التظاهرة.

تسليم مكتب فلسطين
في الجزائر

كانت الثورة الجزائرية آخذة في التحول التدريجي الى نمط الدولة المستقرة بما عليها من واجبات والتزامات عربية ودولية. والتزاما من القيادة الجزائرية بقرارات الجامعة العربية طالبت ابو جهاد بتسليم مكتب فلسطين الى جماعة الشقيري لتحويله الى مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وكان القرار صعبا وكان من رأي العديد من الكوادر عدم الرضوخ له والدخول في مواجهة مع رفعت عودة ممثل الشقيري الجديد وجماعته. لكن ابو جهاد بنظرته الكلية للامور وببعد نظره قدر الموقف بشكل دقيق وصحيح.

كان ابو جهاد لا يريد ان يكسب المكتب ويخسر علاقته مع الجزائر، وكان لا يريد، وهو في موقع القيادة، ان يكون خصما مع طرف فلسطيني ينفذ سياسة كبيرة ليست له.

وتذكر «ام جهاد» ان الدكتور رفعت عودة عندما حضر لاستلام المكتب قرر تجديده واعادة طلائه وكانت هذه العملية تتكلف آلاف الدينارات الجزائرية، وهنا جمع ابو جهاد شباب المكتب وطلب منهم شراء الطلاء والقيام تطوعا بانجاز هذه العملية لتوفير هذا المبلغ الكبير!!

وقد ادهش هذا الموقف الجزائريين ايامها وضاعف من تقديرهم واحترامهم لهذا الرجل الذي أثبتت الايام انه قائد تاريخي فذ يزرع الامل في كل مكان ويحصد محبة الجميع وتأييدهم لقضيته اولا ولشخصه ثانيا.

ويذكر احد كوادر حركة فتح في الجزائر انه اثناء الاعداد لارسال شحنة من الاسلحة من الجزائر الى الثورة الفلسطينية في ١٠/٥/١٩٧١ قال الرائد الجزائري محمد الطلب المشرف على العملية هذه الاسلحة من اجل الثورة الفلسطينية ولعيون ابو جهاد.

ويذكر احد كوادر مكتب فلسطين في الجزائر انه جرى بالفعل تسليم المكتب الى الدكتور رفعت عودة الذي كان يساعده شخص آخر اسمه عبد الوهاب زاهدة من البعثة الاردنية التعليمية في الجزائر، والذي عمل فيما بعد في الاذاعة الاسرائيلية.

وانتقل ابو جهاد مع كوادره الى مرآب للسيارات «جراج» باحد العمارات، وحولوه الى مكتب جديد لفلسطين باشر على الفور العمل مجدداً بشكل مضاعف لانجاز المهام الكبيرة التي رسموها لانفسهم ووعدوا بها الجماهير.

وبعد سنوات طويلة من الجلد والعمل والمعاناة والتضحية عادت فتح من جديد الى نفس المكتب الذي افتتحه ابو جهاد عام ١٩٦٣ واخلاه بعدها لجماعة الشقيري بعد ان

تسلمت فتح دفة القيادة في منظمة التحرير الفلسطينية بسواعد مقاتليها ودماء شهدائها وبارادة شعبها وجماهيرها.

ابو جهاد.. والشقيري

المواجهة التي حصلت بين ابو جهاد والشقيري لم تكن ابدا مواجهة بين شخصين او زعيمين بقدر ما كانت مواجهة بين خطين سياسيين فابو جهاد كان يكن الكثير من الاحترام لذكرى المرحوم احمد الشقيري، ويعتبره احد رجالات فلسطين الكبار، وكثيرا ما حدثنا عن الدوافع والنيات الوطنية الطيبة للشقيري وعن اخلاصه وجهده الوطني لخدمة قضيته وقناعاته.

المواجهة اذن كانت بين خطين سياسيين. خط فتح وأبو جهاد يبدأ دائما من نقطة الاستقلالية ومبدأ الاعتماد على الذات ورفض التبعية والالحاق بكافة صورهما. وهذا الخط يعتمد اولوية الكفاح المسلح في الصراع مع العدو استنادا الى دور الجماهير الواعية المسلحة.

وكان خط ابو جهاد يرفض بالتأكيد اختيارات الشقيري عندما قال: «لم يكن امامي الا خيار واحد من اثنين.. جيش تابع او لا جيش على الاطلاق.. وقد اخترت ان يكون لنا جيش تابع».

بينما كان خط ابو جهاد لا يقبل ان يحصر نفسه بين هذه الخيارات الضيقة، وكان باعتماده الدائم على قدرة الجماهير وابداعاتها قادراً على اكتشاف خيارات اخرى. وكانت انتفاضة الحجارة في فلسطين احدى ابداعات الشعب الفلسطيني وابداعاته، ولربما لو امتد به العمر لكان قد انجز تصورا متقدما لاستراتيجية جديدة اجمعت عدة تقارير على انه كان يتأهب لطرحها قبل استشهاده.

ولم يكن خط ابو جهاد كذلك يعول كثيرا على مدرسة الخطابة الانفعالية ومنهج تهييج الجماهير واللعب على مشاعرها بالوعود البراقة والشعارات المدوية، ولم يكن كذلك يؤمن بنظرية الزعامة والقيادة الفردية المطلقة.

وكان خط ابو جهاد كذلك يؤمن بالوحدة الوطنية الفلسطينين ايمانا عميقا وراسخا، ويعترف بوجود التمايز والتباين والاختلاف في التوجهات لكنه كان يؤمن بان الوحدة الوطنية يمكن ان تكون اطارا جبهويا عريضا يضم الجميع تحت سقفه وعلى ارضيته. بينما كان الخط الاخر يصر على فتح النار على التيارات الاخرى للحركة الوطنية الفلسطينية بكل الوانها واتجاهاتها ويحاول فرض نفسه على الجميع فلم يكسب الانظمة الرسمية وخسر هذه التيارات الوطنية.

وكان خط ابو جهاد لا يعترف لغير الشعب الفلسطيني بسيادته على جزء من التراب

الوطني الفلسطيني سواء اكان تحت الاحتلال الاسرائيلي أم تحت الادارة العربية. بينما اعلن «الشقيري» ان انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس لا يهدف الى سلخ الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمة».

وكان واضحا انه لا يمكن ان يكون هناك لقاء بين الخطين فيما يتعلق بموقفيهما من مسألة الكيانية الفلسطينية وخاصة بعد ان قال الشقيري «ان الكيان الفلسطيني ليس حكومة ولا يمارس سيادة». وبعد ان اضاف ايضا: «نحن لا نريد ولا نقدر ان نمارس سيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة».

كان مفهوما وقتها ان يقول البعض «نحن لا نقدر» لكنه لم يكن مقبولا من احد ان يقول «نحن لا نريد».

ورغم وجود عشرات اخرى من المواقف المتباينة والمتقابلة بين الخطين، الا ان ابو جهاد كان يعتقد ان هناك ضرورة لاختيار خط المواجهة والدخول الى الظاهرة بدلا من خط المقاطعة والابتعاد عنها الذي اختارته بعض القوى السياسية من الظاهرة التي قادها ومثلها المرحوم الشقيري.

يقول ابو جهاد: «في تلك الفترة (يقصد النصف الاول من عام ١٩٦٤) كان يجرى الاعداد لاعلان الكيان الفلسطيني والاعداد للمؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس.. وقد تولى السيد احمد الشقيري تحديد اعضاء المؤتمر بنفسه ودون اي قاعدة الا وجهة نظره الخاصة وفي تلك الفترة كانت لنا علاقات مع الشقيري، وكنا نلتقي به من خلال اصدقاء مشتركين.

وفي تلك اللحظة كنا قد بدأنا التفكير لاحداث الرابطة بين تنظيمنا السري وبين الحركة العلنية.. وكنا نقول للشقيري دائما لن تفيدك علاقاتك العربية، ضع يدك في يدنا، واعتبرنا ركيزة لك قاتل بنا الاطراف الاخرى، اذ لن يسندك غير ابناء شعبك، لكن الشقيري بطبيعته ذا نفس طويل ويمحص المسائل بدقة مبالغ فيها، وعندما بدأ يعد للمؤتمر جاء الى الجزائر، وقابل الرئيس بن بيلا، واطلع على نشاط مكتب فلسطين، لكنه حين اختار اعضاء المؤتمر من الجزائر لم يخترنا بل اختار سيدة اسمها سميرة السقا وشقيقها سعيد السقا وكانا مرتبطين بجهات عربية ومتفرغين لشن الحملات ضدنا وضد مكتب الجزائر، ولم ادع الى المؤتمر وكذلك الشهيد كمال عدوان، فانتقلنا على الفور الى القدس مقر المؤتمر وعاتبْنا الشقيري بشكل حاد، فما كان منه الا ان اختارنا كاعضاء في المؤتمر وتشكلت لجان المؤتمر فسجل اربعة منا اسمائهم في اللجنة السياسية للمؤتمر وهم الاخوة: ابو عمار، ابو جهاد، كمال عدوان، ورفيق النتشة.

لكن ابو عمار لم يحضر المؤتمر رغم انه كان موجودا في القدس، وحضر الاخوة خالد الحسن وزهير العلمي وهاني القدومي وقد ضم المؤتمر الفلسطيني الاول ما لا يقل عن ١٥ شخصا من حركة فتح.

وفي اللجنة السياسية للمؤتمر شرحت لهم ماذا جرى في زيارتنا للصين، وكان الشقيري حاضرا الاجتماع، وخلال ذلك تماما ارسل شواين لاي برقية باسمه فما كان من اللجنة السداسية الا ان اتخذت قرارا بارسال برقية باسم المؤتمر الفلسطيني الاول الى حكومة الصين لشكرها على موقفها واستقبالها للوفد الفلسطيني.. وكذلك فقد ضمت الوثيقة الصادرة عن المؤتمر فقرة خاصة بموقف الصين المؤيد لشعبنا.. وبذلك قد انتزعنا شرعيتنا من المؤتمر الفلسطيني الاول.





اللقاء الاول بين ابو جهاد
والمرحوم الشقيري ـ
الجزائر ١٩٦٣

ابو جهاد والرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين





ابو جهاد مع محمد شريف
مساعديه الامين العام السابق
لحزب جبهة التحرير الجزائرية
ـ عام ١٩٦٤

ابو جهاد مع سفير كوريا في الجزائر، وتبدو ام جهاد في الصورة ـ الجزائر ١٩٦٤



BUREAU DE LA PALESTINE
15, rue Victor Hugo
ALGER

مكتب فلسطين
شارع فكتور هوجو
الجزائر

الشؤون الثقافية

٢٦ / ١ / ١٩٦٤

الأخ مدير مدرسة سالمبيه المحترم

تحية طيبة وبعد :

فإن الأخ : عايش عودة حرب المعلم الفلسطيني قد عين في مدرستكم ونرجو أن نعلمكم عن تأخره عن الحضور لأنه أرسل في مهمة من مكتب فلسطين تتعلق بالمعلمين الفلسطينيين نرجو العلم بشأن غيابه وسيحضر لكم بعد قضاء مهمته بعد يومين

مع شكرنا وتقديرنا

BUREAU de la PALESTINE
مكتب فلسطين

رسالة صادرة عن مكتب فلسطين عليها خاتم المكتب وتوقيع خليل الوزير ـ ١٩٦٤/١/٢٦



الشهيد محمود الهمشري
من الكوادر الاولى لفتح
في الجزائر

ابو جهاد وام جهاد في فترة الخطوبة





يا أخي العربي ...

هذا نداؤنا نداء المعركة ..

نداء من أعماق الطليعة الفلسطينية الثورية التي تحمل أمانة العمل لتعبئة الثورة على الذئاب الصهيونية في ارضنا العربية المحتلة بفلسطين ..

نداؤنا الى كل أخ عربي في المشرق والمغرب .. الى كل من تتمرد في عروقه دماء الكرامة والعزة .. الى كل من يعتز بعروبته ويملئ قلبه بحب فلسطين قلب وطنه الكبير ..

اليك يا أخي نداؤنا لتقف معنا .. لترفع صوتك معنا .. لتثور معنا .. لتحمل أمانة النضال معنا .. ولتؤدي واجبك معنا .. فلقد مضت ستة عشر سنة وضعتنا في أكفان التخاذل .. بعيدة عن سلاسل التريث والانتظار .. والوعود والامنيات .. واليوم .. ترسل الطليعة الثورية الفلسطينية نداءها هذا .. تناشد فيه المخلصين ان يقفوا بجانبنا .. مطالبين بان ندفن السلبية والتريث .. والا نسمح بان نودع الصمت والسكون والانتظار.

أخبار فلسطيننا

العدد الرابع

المراسلات ص.ب ٦١١

الجزائر .. العاصمة

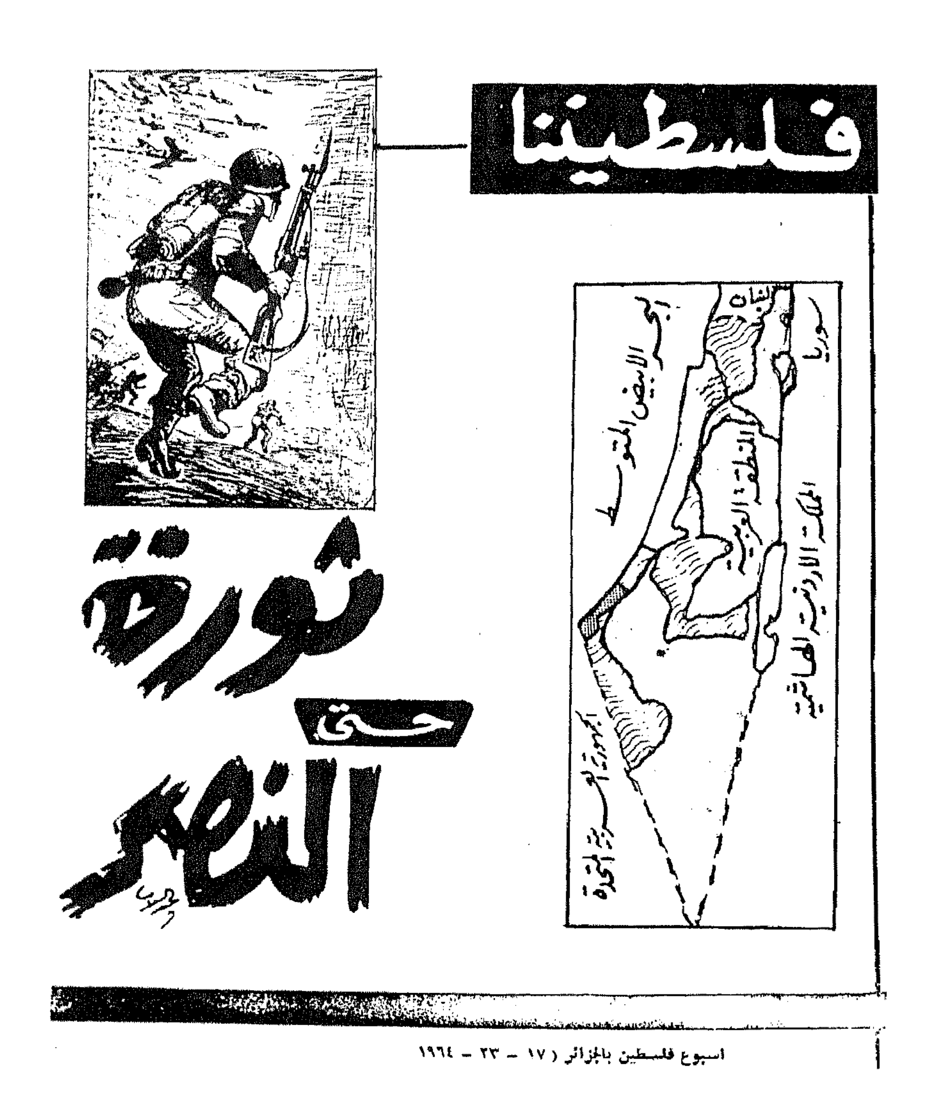
أخبار فلسطيننا

نشرة تصدرها الجبهة التوجيهية الوطني بمكتب فلسطين - الجزائر

العنوان: ١ شارع باريس - الجزائر 1 Rue Bucher - Alger

ـ نشرة أخبار فلسطيننا التي أصدرها مكتب فلسطين في الجزائر سنة ١٩٦٤

«اخبار فلسطيننا» التي اصدرها ابو جهاد في الجزائر عام ١٩٦٤



الاعلان عن اسبوع فلسطين الذي نظمه ابو جهاد في الجزائر (١٧ - ١٩٦٤/٢٣)

٧ الانطلاق إلى العالم

... من حق ابو جهاد ايضا ان تسجل له الخطوة الريادية الاولى باتجاه الاتصالات مع العالم، واعطاء الثورة الفلسطينية بعدها العالمي وشرعيتها الدولية. فمنذ نهاية عام ١٩٦٣ كان ابو جهاد قد نجح في عقد العديد من الصداقات مع ممثلي حركات التحرر العالمية، وخاصة مع ممثل الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية. كانت فيتنام في ذلك الوقت محط اهتمام الرأي العام العالمي، وكانت النموذج الذي يحظى باعجاب الجميع وتقديرهم، واهتم ابو جهاد بتطورات الوضع في فيتنام وعكف على دراسة هذه التجربة خاصة في الفترة التي شهدت اندفاع اكثر القوى اختلافا الى حظيرة الوحدة الوطنية بما في ذلك الطوائف الدينية المسلحة. وقد لعبت هذه الوحدة الوطنية في اطار جبهة التحرير الوطني التي عرفت في الغرب باسم «الفيتكونج» دورا مركزيا في الانتصارات الكبيرة التي كانت تحققها هذه الجبهة في تلك الفترة بعد ان طوقت المدن الكبيرة بحزام من المناطق الريفية المحررة وكادت هذه العمليات تحقق نجاحا حاسما مما اضطر الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك للتدخل بقواتها البرية بشكل مباشر في عام ١٩٦٥.

كانت علاقة ابو جهاد بممثل الجبهة الوطنية الفيتنامية هي المفتاح الرئيسي الذي دخل به «ابو جهاد» الى بوابات جديدة من العلاقات الاخرى، والتي لعبت فيما بعد دورا مهما في دعم الثورة الفلسطينية ومساندتها على مستويات الدعم السياسي والعسكري والاعلامي.

يقول ابو جهاد عن هذه الفترة: «على صعيد العمل السياسي كانت هي المرة الاولى التي يبرز فيها الصوت الفلسطيني على الصعيدين العربي والعالمي اذ لم يحدث ان زار الجزائر في تلك الفترة قائد سياسي او رئيس الا وعمل مكتب الجزائر على الاتصال به

بشتى الوسائل مما جعل للمكتب وجودا حيا وفاعلا في الاوساط العربية والدولية، ولم يترك المكتب قوة او طرفا سياسيا مقيما اومارا في الجزائر الا واقام معه العلاقات وشرح له ابعاد القضية الفلسطينية التي عادت الى الحياة بنشوء فتح، وقد تمكن المكتب فعلا من بناء علاقات ناجحة مع القوى الثورية والاشتراكية في العالم...

وبعد مسعى حثيث ذهبت لزيارة كل من الصين وكوريا الشمالية وفيتنام ويوغوسلافيا والمانيا الديمقراطية وذلك بهدف ايجاد اسس للعلاقات بين فلسطين وهذه الدول. كما كان الشغل الشاغل للمكتب يتمثل في تحضير العديد من الوثائق والمذكرات التي تلقي الضوء على القضية الفلسطينية كي ترسل الى كافة الاجتماعات والمؤتمرات وقد كان منها تلك المذكرات التي قام المكتب بارسالها الى مؤتمر القمة العربي الاول كي تصبح جزءا من وثائق المؤتمر».

ويفرد ابو جهاد بعد ذلك قسما خاصا مفعما بالمودة والاعتزاز للزيارة الاولى التي افتتح بها علاقات الصين مع فلسطين. وقرأ من يومياته ما يلي: «كنتيجة مباشرة لهذا الجهد الخلاق الذي قام به مكتب الجزائر تقرر ان يقوم وفد يمثل فلسطين لزيارة جمهورية الصين الشعبية، فكان ان اتصلت بالاخ ابو عمار في الكويت الذي حضر الى الجزائر وقمنا معا بهذه الزيارة التاريخية الى الصين التي فتحت امامنا وامام حركة فتح آفاقا عظيمة وهكذا تبدأ يومياتي في الصين:

بكين / الاحد ١٥/٣/١٩٦٤:

في التاسعة من صباح اليوم كان لنا لقاء مع الرفيق لي وبحث معنا موضوع المهرجان الشعبي الذي سيقام بعد غد تضامنا مع فلسطين، حيث ستلقى كلمة السفراء العرب ويلقيها سفير المغرب ثم كلمة مكتب فلسطين في الجزائر التي سيلقيها الاخ محمد رفعت (وهو الاسم الحركي الاول للاخ ابو عمار) واذكر ان اسمي في ذلك الوقت كان (علال محمد).

بكين ـ الثلاثاء ١٧/٣/١٩٦٤

الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم هو موعد المهرجان الشعبي تضامنا مع شعب فلسطين العربي.. وقد حدثت مشكلة بهذا الشأن، اذ حدث ان جاءنا الرفيق «نو» سكرتير لجنة التضامن الاسيوي الافريقي في الساعة الثانية والربع ليطلب التحدث معنا، فقال ان السفراء العرب رفضوا المشاركة في المهرجان الا بعد التعرف عليكما ومن تمثلان، لذا فارجو ان لا يكون لديكما مانع لمقابلتهم.

فقلت له ان الامر لا يحتاج لاكثر من مقابلتهم فخذونا اليهم لنحل سوء التفاهم وعدنا الى قاعة المهرجان في الثانية وخمس واربعين دقيقة لمقابلة السفراء العرب، لكننا ابلغنا انهم قد غادروا القاعة، في حين طلب السفير المغربي ان نتصل به مباشرة، عدنا الى الفندق بسرعة للاتصال بالسفير لكننا لم نجده فاتصلنا بالسفير المصري وكان ان

التقينا به فحدثنا بما يلي: لقد افادونا قبل ايام ان وفدا من جبهة التحرير الفلسطينية سيصل الى بكين وان مهرجانا شعبيا سوف يقام تضامنا مع شعب فلسطين، واضافوا ان عدد اعضاء الوفد الفلسطيني اربعة اشخاص قادمون من الجزائر والعراق ولبنان والكويت، وحين سألنا عن اسماء الاعضاء اجابوا انهم لا يعرفون.

وقد شككنا في الامر وخشينا ان يكون وراءه امر ما. وقد اتصلوا بنا بعد ذلك وقالوا ان وفدا فلسطينيا قد وصل الى بكين، فسألنا عن الاسماء، حيث لا يمكننا حضور مهرجان يضم وفدا فلسطينيا لا تعرف اسماء اعضائه.. بعدها قالوا لنا ان الوفد يتكون من اثنين وهو برئاسة السيد محمد خليل (وقد كان اسمي) فطلبنا الاجتماع بكما فتأخروا في الرد فاتفقنا ان نحضر كأفراد وليس بصفة رسمية وبعدها تأجل المهرجان.

شرحنا للسفير الوضع تفصيليا وقدمنا صورة واضحة عنا وعما نمثل وكذلك فعلنا مع السفير المغربي والعراقي. ثم التقينا بالرفاق الصينيين الذين اعتذروا كثيرا عن مثل هذه الاشكالات وشرحنا لهم الموقف، وبحثنا معهم موضوع المهرجان.

وفي التاسعة من صباح اليوم التالي كنا في لجنة التضامن فعقدنا الجلسة الاولى من المباحثات، ثم اتفقنا على استئنافها ليلا بعد المهرجان الشعبي مباشرة وانتقلنا بعدها الى سفارة كوريا الشمالية حيث تحادثنا معهم بشأن زيارتنا الى كوريا.

وفي الثانية عشرة الا عشر دقائق عدنا الى الفندق حيث التقينا بالقائم الاعمال السوري الذي تناول الغداء معنا. ثم كان لنا لقاء مع عدد من الوزراء وعدد من مسؤولي المنظمات الجماهيرية وكان رئيس الحفل هو رئيس لجنة التضامن الاسيوي الافريقي عضو اللجنة المركزية.

وقال هذا المسؤول العبارة التالية التي نشرتها جريدة «الاهرام» القاهرية: «لا اخفي عليكم سرا عندما اقول ان اسرائيل طلبت مرارا منا ان نعترف بها وان نتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، وهي تغازلنا دوما، لكننا رفضنا، وحاولت ذلك بواسطة اصدقاء لنا من الدول الاشتراكية، وقد واجهنا ضغطا شديدا من العديد من الاصدقاء، لكننا نقول لكم الان، وهذا عهد علينا لكم مؤكدين اننا لن نعترف بهم او نتبادل التمثيل الدبلوماسي لا الآن ولا بعد سنين ولو امتد هذا الوضع مائة عام».

قلنا له اننا سنعمم هذا الموقف فقال انني اعلن لكم واؤكد انني تحدثت باسم الحكومة الصينية. وبعده تكلم رئيس الحفل والسفير المغربي والوفد الفلسطيني، وكان من حضور الحفل سفراء اندونيسيا وباكستان وكوريا الشمالية وفيتنام الشمالية وافغانستان وآخرون.

كان هذا هو اول مهرجان فلسطيني في العالم بمثل هذه الصفة الرسمية وبعدها انتقلنا الى قاعة الاحتفالات الكبرى حيث ووجهنا بكثير من الحماسة والتصفيق الحار

ثم بدأ الاحتفال بتقديم السيد نائب رئيس الجمعية الاسلامية، ونائب رئيس اتحاد الطلبة باسم المنظمات الجماهيرية، ثم تكلم وزير الثقافة كلمة طويلة منددا بالاستعمار مؤيدا لكفاح شعب فلسطين والشعوب العربية.

وكنتيجة لذلك قام شواين لاي وليوتشاوتشي بارسال برقيات التأييد لحقوق الشعب الفلسطيني.

وبعد هذه الزيارة مباشرة سمحت الصين بفتح مكتب لفلسطين هناك، حيث كانت المرة الاولى كما قالوا التي يرون فيها فلسطين، فرغم معرفتهم بالقضية الفلسطينية الا ان ممثلها والمتحدث باسمها كان على الدوام غير فلسطيني، وحققنا كذلك مكسبا في غاية الاهمية، اذ اقمنا جدلا مهما معهم حول ضرورة مقاطعتهم لاسرائيل ماداموا يعتبرونها جزءا من المعسكر الاستعماري. وقد لبوا طلبنا.

مكثنا ثلاثة ايام معا في الصين وفي اليوم الرابع غادر ابو عمار الى الكويت في حين بقيت هناك، ثم انتقلت الى كوريا.. وحين كنت في كوريا طلبت للعودة الى بكين، والتقيت السفراء العرب الذين ابلغوني ان شواين لاي استدعاهم وابلغهم الموقف التالي: «بناء على الطلب الفلسطيني فقد اتخذنا القرارات التالية:

١ـ المقاطعة الشاملة لاسرائيل.

٢ـ عدم السماح لأي سفينة اسرائيلية بالرسو في اي ميناء صيني.

٣ـ عدم السماح لأي سفينة مرت في ميناء اسرائيلي بالرسو في ميناء صيني.

٤ـ عدم السماح لأي سفينة صينية بالمرور على ميناء اسرائيلي».

واضاف ابوجهاد بعد ان قرأ نص البيان السياسي المهم الذي تضمنته كلمة ابو عمار في الصين .. «واود ان اقول ان مثل هذه الزيارة الى الصين الشعبية قد شكلت فتحا على صعيد العلاقات الصينية ـ العربية، اذ كانت هي المرة الاولى التي جرى فيها الحديث عن علاقات مع الصين الحمراء وحتى عبد الناصر لم يكن قد اقام علاقات معها بعد».

ويستطرد ابوجهاد: وحين عدت الى الكويت اقمت ندوة في الاذاعة الكويتية تحدثت فيها عن القرارات التي اتخذتها الصين بشأن اسرائيل كذلك ندوة اخرى في التليفزيون الكويتي، واذكر ان المذيع الذي اجراها معي كان يسمى احمد سالم، حيث تحدثت باسهاب عن التأييد الجماهيري الواسع الذي تجده القضية الفلسطينية في الصين.

ثم اجريت مقابلتين مع الاذاعة والتلفزيون في العراق ثم في سورية، وحين وصلت الى بيروت اقام لي شفيق الحوت ندوة موسعة حول الموضوع، وفي القاهرة اجريت مقابلة مع اذاعة «صوت العرب» وكذلك في ليبيا وتونس والجزائر، ثم قمت بكتابة تقرير موسع عن الزيارة الى الصين ومنطقة الشرق الاقصى وعن التواجد الاسرائيلي هناك ونشرتها مجلة «فلسطيننا».

وحين سافر الوفد الجزائري الى مؤتمر القمة العربي قبل انشاء منظمة التحرير عام ١٩٦٤، قمت بتزويده بعدد من الوثائق حول الوجود الاسرائيلي في شرقي أسيا (هونج كونج) وتايلاند وكوريا الجنوبية، وقد عرضها الوفد في المؤتمر فاعتبرت وثيقة من وثائق المؤتمر حيث اتخذ قرار من المؤتمر ينص على ان ما قدمه مكتب فلسطين في الجزائر يعد من وثائق المؤتمر.

العودة الى الصين

رغم تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية فان علاقات فتح بجمهورية الصين لم تنقطع بل استمرت في تصاعد، ويذكر ابو جهاد ان الشقيري كان قد ارسل في طلب تحديد موعد لزيارة الصين والالتقاء بشواين لاي رئيس وزرائها في تلك الفترة.

وقد توجه بالفعل الى هناك على رأس وفد يضمه الى جانب السيدين رفعت النمر وعبد المجيد شومان وجددت الصين امام هذا الوفد تأييدها الكبير لحقوق الشعب الفلسطيني، وجرى الاتفاق بعدها على فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في بكين.

ويذكر ابو جهاد انه قام بزيارة اخرى للصين على رأس وفد ضم السيدين فاروق القدومي، ومحمود مسودة الذي كان عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح.

وسجل ابو جهاد انطباعاته عن هذه الزيارة على النحو التالي: «قابلنا شواين لاي فوجدنا ان لقاءهم لنا يشوبه بعض الجمود، فقمنا بشرح صورة الوضع الفلسطيني كما هو عليه وكذلك صورة الوضع العربي والتأثيرات الضخمة لهذا الوضع في منظمة التحرير، وطلبنا موقفا واضحا استنادا الى هذا الشرح فامهلونا بعض الوقت، ثم جاءوا ليبلغونا ترحيبهم الشديد بالعلاقة معنا وباسفهم لسوء الفهم الذي حدث، وكذلك استعدادهم لتطوير العلاقات معنا، فطالبنا بدعمهم، فقدموا لنا دعما للمرة الاولى وذلك كمساعدة مالية بلغت ما قيمته سبعة آلاف جنيه استرليني، ثم قدموا بعد ذلك ٤٠٠ بندقية ثم تطور الدعم تدريجيا حيث قدموا لنا عام ١٩٦٨ دعما يكفي لالفي مقاتل، وفي العام ١٩٦٩ دعما يكفي لسبعة آلاف مقاتل، وفي العام ١٩٧٠ قدموا لنا دعما يكفي لاربعة عشر الف مقاتل، ثم دعما لخمسة عشر الف مقاتل وصلت الى العراق لكن جماعة ابو نضال هناك قامت بمصادرتها، وبعد ذلك قدموا لنا دعما يكفي لثلاثين الف مقاتل.

وقد استمرت العلاقة معهم في تطور بمثل هذا المستوى الى ان تمكنت «فتح» من السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية فقمنا بفتح مكتب للمنظمة في بكين.

علاقات فتح والاتحاد السوفياتي والدرس الفيتنامي

كانت حركة فتح حريصة كل الحرص على توسيع شبكة علاقاتها مع كل القوى،

وكان طبيعيا ان نفتش منذ البداية عن مفاتيح الطريق الى موسكو لاعتبارات عديدة كان من اهمها في ذلك الوقت ضرورة اجراء حوارات مباشرة لازالة اي التباس في الموقف السوفياتي من حركة التحرر الوطني الفلسطيني، والعمل على اكتساب الموقف السوفياتي الى جانب القضية الفلسطينية. ويؤكد ابو جهاد ان العلاقة مع الاتحاد السوفياتي بدأت متأخرة وقال: «ان السبب يعود في ذلك الى موقف الاتحاد السوفياتي الذي غذته التقارير المغلوطة التي كانت تصله عن حركة فتح».

كان ابو جهاد ، على عكس كل ما اشيع عن موقفه من الاتحاد السوفياتي، اول من طالب بعد عودته من الصين بضرورة طرق باب موسكو باستمرار لاقامة علاقة مع الاتحاد السوفياتي، لكنه كان حريصا على تعلم الدرس الفيتنامي الذي تمكن من اقامة علاقات متكافئة ومتوازنة في وقت واحد مع الاتحاد السوفياتي والصين.

واثناء زيارته لفيتنام سأل ابو جهاد فان دونج رئيس وزراء فيتنام كيف تمكنت فيتنام من ان تقيم علاقات متكافئة مع كل من الاتحاد السوفياتي والصين فقال له: «عندما اذهب الى الصين اشكر الرفاق في الاتحاد السوفياتي اولا ومن على ارض الصين، ثم اشكر الرفاق في الصين، وحين اذهب الى موسكو اشكر الرفاق في الصين اولا ومن على ارض الاتحاد السوفياتي ثم اشكر الرفاق في الاتحاد السوفياتي، كما اني اكون واضحا مع الطرفين».

ويعقب ابو جهاد قائلا: كان هذا درسا ثمينا لنا» ثم يضيف: واستمرت محاولاتنا لاقامة علاقة مع الاتحاد السوفياتي الى ان ذهب الاخ ابو عمار في عام ١٩٦٩ بصحبة الرئيس جمال عبد الناصر الى الاتحاد السوفياتي وبجواز سفر مصري، حيث طلب السوفيات من عبد الناصر الالتقاء مع رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. والتقى ابو عمار فعلا بوفد سوفياتي يضم اربعة اعضاء.

ويضيف ابو جهاد: «وبعدها وخلال زيارة لي الى فيتنام كان معي الاخوان خالد اليشرطي، وحسني يونس «ابو خالد» فنزلنا في مطار موسكو، فكان ان استقبلنا السوفيات بحفاوة في المطار، وطلبت لجنة التضامن الاسيوي ـ الافريقي الاجتماع بنا، فاقمنا اطول مباحثات رسمية عقدت بين حركة فتح والاتحاد السوفياتي، واذكر انها استغرقت ما يقرب من ١٧ ساعة متواصلة، وقد دار الحوار في اساسه حول قرار مجلس الامن ٢٤٢ واذكر انهم قالوا لنا: اليس الافضل لكم ان تحاربوا من طولكرم على سبيل المثال من ان تحاربوا من الخارج؟

وفي سياق هذه العلاقة يمكن القول ان بعض القوى السياسية المحلية تتحمل مسؤولية اساسية في تأخير اقامة علاقة لنا مع الاتحاد السوفياتي، فتارة يقولون لهم اننا بقايا احزاب منقرضة، وتارة اننا عصابات مسلحة لا اكثر، وتارة عناصر رجعية، واستمر هذا الوضع حتى العام ١٩٧١ حين كان اركان السفارة السوفياتية في عمان

يقومون بزيارتنا بصورة منتظمة في جرش وعجلون».

وقبل اقل من عام تقريبا قام ابو جهاد بزيارته الاخيرة لموسكو، وكان قبل استشهاده يرتب لزيارة اخرى الى هناك لكن رصاصات الغدر الصهيوني التي اغتالته لم تمهله لهذه الزيارة بعد ان دخل السوفيات بقوة الى عصر الوفاق والبروستوريكا.

اللقاء الاول
بين ابو جهاد.. وجيفارا

كانت الجزائر قد استضافت في عاصمتها مؤتمرا خصص للبحث في وسائل نزع السلاح النووي. وقد شارك في هذا المؤتمر الذي عقد عام ١٩٦٤ في احد فنادق العاصمة عدد كبير من الدول والوفود وكان ارنستو تشي جيفارا على رأس الوفد الكوبي الذي شارك في هذا المؤتمر وكانت شخصية جيفارا بكل سحرها وجاذبيتها قد استحوذت على اهتمام اغلب الوفود وأجهزة الاعلام ومع ذلك لم يجد ابو جهاد صعوبة تذكر في الالتقاء به، وبسرعة فائقة توطدت علاقة الصداقة بينهما وأمضى جيفارا فترة وجوده هذه في الجزائر بصحبة ابو جهاد يسمع منه ويناقشه، وكان هذا اللقاء فاتحة علاقة كتب لها ان تستمر فيما بعد باشكال اخرى عديدة ومتنوعة.

راية الكفاح المسلح

يقول ابو جهاد «ان كل ما سبق من عملنا التنظيمي والسياسي والديبلوماسي كان يهدف اساسا الى تهيئة المناخ وبناء الاساس الصلب لاعلان اتجاهنا الاساسي وطريقنا الرئيسي في النضال وهو الاعلان عن بدء الكفاح الفلسطيني المسلح واطلاق الرصاصة الاولى في ١/١/١٩٦٥ لذلك فكل ما تجمع لدينا من امكانيات في تلك الفترة وكل ما جمعناه من تبرعات او وصلنا من دعم كان يتجه بكل ثقة وحماس لبدء وتعزيز واستمرار الانطلاقة المسلحة من هنا فان شاغلنا الاساسي في تلك الفترة قد تركز حول تنظيم وتدريب وتجهيز الوحدات القتالية وخاصة تلك الوحدات التي تملك خبرة ومعرفة بطبيعة الارض ومداخلها ثم كان شاغلنا الملازم لهذا التنظيم والتدريب هو العمل الحثيث على جمع كل ما يمكن جمعه من الوسائل القتالية من سلاح ومواد وتجهيزات».

وكان ابو جهاد قد حدثنا مطولا عن مرحلة الاعداد العسكري وتجربة التدريب على السلاح في الجزائر التي بدأت اولا بشكل فردي ثم بمجموعات صغيرة الى ان وصلت الى اول دورة عسكرية كبيرة في صيف عام ١٩٦٤، وكانت تضم بين صفوفها ٩٧ شابا

من شباب تنظيم حركة فتح في الجزائر، كان من بينهم عدد من القادة الكبار لحركة فتح مثل الشهيد القائد ابو صبري، والشهيد القائد ابو علي اياد، والشهيد منهل شديد، ووديع عبد اللطيف، ومحمود الهمشري.

كانت هذه الدورة قد عقدت في معسكر «بوغار» الجزائري، واستمرت لمدة ٥٠ يوما كاملة حيث تلقى اعضاؤها تدريبا مكثفا على فنون القتال العصابي واستخدام الأسلحة واعداد المتفجرات، والاغارة والقتال الليلي، ووضعت القيادة الجزائرية كل خبراتها التي كانت لاتزال تتمتع بنضارتها وحيويتها عشية انتصار الثورة هناك بامرة الطلائع الاولى للحرب الفدائية الفلسطينية التي كان العد التنازلي لها قد بدأ فعلا.

وقد اشرف ابو جهاد على تخريج هذه الدورة مع القيادة الجزائرية وكان انضباط كوادر هذه الدورة وسرعة استيعابهم للاسلحة واستخدامها مثار احترام وتقدير القيادة الجزائرية وما ان انتهت هذه الدورة العسكرية حتى كان ابو جهاد قد تحصل على وعد جديد من القيادة الجزائرية بقبول دفعة جديدة من الشباب الفلسطيني للالتحاق بكلية شرشال العسكرية.

وعلى الفور ارسل ابو جهاد الى جميع المناطق التنظيمية في الاقطار العربية بسرعة ترشيح وارسال عدد من شباب التنظيم السري لحركة فتح للالتحاق بهذه الدورة.

كان «توفيق حوري» الذي لعب دورا هاما على رأس تنظيم حركة فتح في لبنان الى جانب مهمته بالاشراف على مجلة فلسطيننا هو اول من لبى نداء «ابو جهاد» فارسل من لبنان الشابين: على عباس، وزياد الاطرش محملين برسالة خاصة منه الى «علال محمد» وكان ابو صبري في استقبال هؤلاء الشبان المرشحين، ومن ثم التقوا ابو جهاد واكتشفوا انه هو نفسه علال محمد.

ثم استمر توافد المرشحين حتى انتظم في الكلية العسكرية في شرشال ٢٠ شابا من ابناء تنظيم حركة فتح كان من بينهم الى جانب زياد الاطرش وعلي عباس والاخوة فوزي ابو سكرانة، ومحمود عرسان، واحمد عمر وافي، والشهيد منهل شديد واستمرت الدورة لمدة عام كامل اعقبها التدريب المكثف لمدة شهرين في دورة وحدات خاصة، ومن ثم جرى الاحتفال بتخريج اول دفعة من الضباط الفلسطينيين في شهر فبراير (شباط) ١٩٦٦ وقام الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين بتخريج هذه الدورة.

أم جهاد في الجزائر

لا يمكن اغلاق ملف تجربة مكتب فلسطين في الجزائر قبل الحديث عن دور ام جهاد في هذه الفترة. كانت الطالبة انتصار الوزير قد انتمت الى حركة فتح قبل ان تقترن بابن عمها خليل الوزير، ولم يكن هو الذي دعاها للانتظام بالحركة رغم انه ابن عمها والاخ

الاكبر لشقيقه غالب الذي اقترن باختها. كان احد مدرسيها في غزة هو الذي فاتحها في الحديث عن حركة فتح بعد ان اعطاها احد اعداد مجلة «فلسطيننا» وكان قد لاحظ حماسها واندفاعها الوطني رغم حداثة سنها، وفي احد الايام رتب لها هذا المدرس لقاء مع احد قادة حركة فتح القادمين من خارج قطاع غزة.

وكانت المفاجأة الكبرى بالنسبة لها ان هذا القائد لم يكن سوى خليل الوزير نفسه، وانتابتها في هذه اللحظة مشاعر فياضة هي مزيج من الفرحة العارمة والعتب الرقيق على ابن عمها الذي اخفى عنها حتى تلك اللحظة علاقته بحركة فتح.

كان خليل الوزير مشهورا بين زملائه بعزوفه عن الزواج حتى ان صديقه ابو هشام الملقب بفتى الثورة كان قد خلع عليه لقب «امير العزاب» لكن خليل الوزير سرعان ما فقد هذه الامارة وفضل عليها الوقوع في اسر القفص الذهبي شريكا لانتصار الوزير التي لعبت دورا اساسيا في حياته ومسيرته بل وفي مسيرة حركة فتح نفسها.

كانت انتصار قد رافقته الى الكويت اولا، وكان بيتهما هناك هو «المقر» الاول غير الرسمي لحركة فتح، وعندما تقرر ان يتفرغ خليل الوزير لقيادة العمل في الجزائر سافرت هي الى غزة حيث وضعت مولودهما الاول جهاد، وما لبثت ان قررت الالتحاق مجددا بابو جهاد في الجزائر.

كانت الحياة هناك اكثر من شاقة، اذ لم تكن هناك اية موارد خارجية سوى الدخل المتواضع جدا لام جهاد نفسها الذي كانت تتقاضاه من عملها في التدريس. وكان عدد من قيادات حركة فتح في هذه الفترة دون عمل، ولم يكن بينهم من يملك اي دخل خاص يعين على تحمل النفقات المتزايدة لعمل المكتب ونشاطه الذي تطلب تفرغ عدد من الشباب للقيام به. وكانت الاغلبية من الشباب في هذه الفترة لا تفتقد الى المال فحسب وانما ايضا للحياة الاسرية والاجتماعية، وهكذا لعبت اسرة ابو جهاد الصغيرة، وأم جهاد على وجه خاص دورا مشهودا في الحياة السياسية والاجتماعية لحركة فتح في الجزائر في تلك الفترة.

كان الوضع هناك قد تجاوز التقشف الى حدود الكفاف حتى ان البعض من الكوادر كان لا يغادر غرفته في الصباح في الفنادق الصغيرة التي يعيشون بها حتى لا يكون مضطرا لتناول وجبة الافطار وكانت الغالبية من الشباب تكتفي بوجبة واحدة متواضعة جدا في معظم «الجمال» الذي كان يديره شخص جزائري من القبائل طيب المعشر توطدت العلاقة بينه وبين «سي خليل الوزير» ، اغلب كوادر فتح في تلك الفترة نتيجة ترددهم الطويل عليه والتسهيلات التي كان يوفرها لهم في دفع الحساب.

وكانت الوجبات الفلسطينية الساخنة التي تعدها ام جهاد بنفسها للشباب بين وقت وآخر بمثابة امتياز حقيقي يقابل بالاحتفاء والاحتفال باعتباره غذاء معنويا اكثر منه غذاء مادي. كانت ام جهاد تعمل في المدرسة وفي المنزل وفي المكتب، وكان عليها ان تقوم

بالطباعة على الآلة الكاتبة، واعداد «حريرة» الطباعة وكثيرا ما قامت بعملية السحب على ماكينات «الرينو» البدائية.

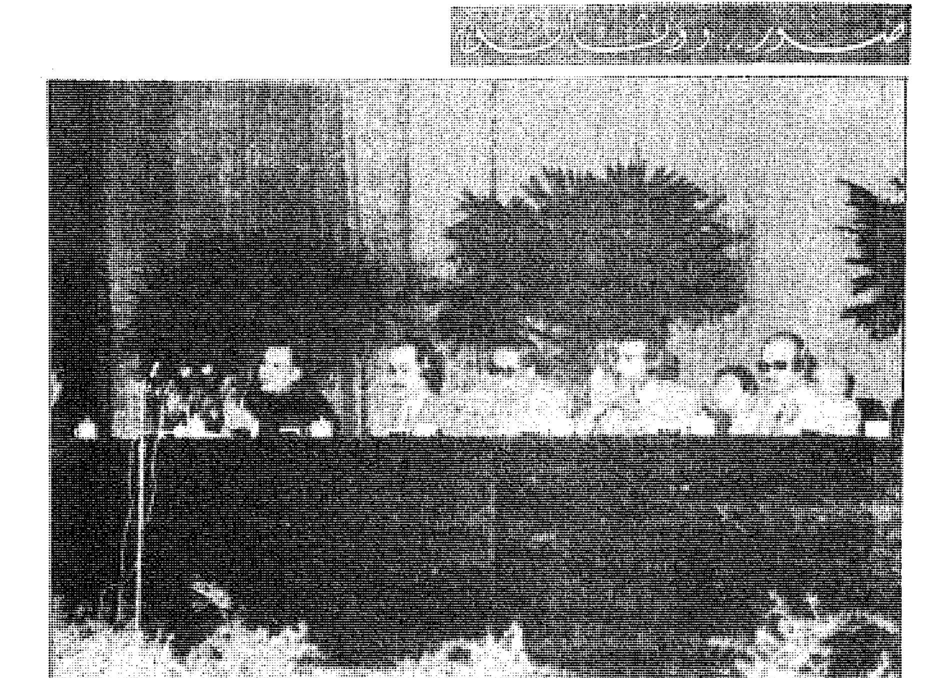
وستبقى الرواية الانسانية لهذه الفترة احد الملاحم الحقيقية التي تشهد للروح الجماعية الخلاقة التي ابدعها النضال الانساني لهذا الجيل وهو يتحلى بنكران الذات والتواضع والتضحية من اجل الوطن وكل المثل التي يعليها الانسان.

وليس هناك من هو أفضل وأحق من انتصار الوزير نفسها لكي تضع هذه الملحمة الانسانية في عهدة الاجيال الجديدة الطالعة، باعتبارها زادا لا ينفد من التجربة الثورية والانسانية لجيل القيادة التاريخية الاول للثورة الفلسطينية لحركة فتح.

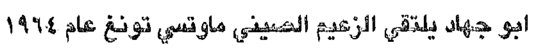
كان ابو جهاد قد اعطى وصفا موجزا لهذه المرحلة عندما قال: «دون اية مبالغة اقول اننا جميعا اعضاء فتح في الجزائر كنا نعيش عيش الكفاف، فكنت مثلا اقيم مع أم جهاد وجهاد في غرفة على سطح مكتبنا، وأقل ما يقال بشأن هذه الغرفة انها فعلا لم تكن صالحة للسكن، وقد ولدت ام جهاد ابننا نضال ونحن في هذه الغرفة، فاصبحنا اربعة اشخاص في غرفة واحدة.

كانت أم جهاد تخرج الى مدرستها في الخامسة صباحا فتستخدم ثلاث مواصلات كي تصل الى مكان عملها وتفعل الامر نفسه بالعودة. وكان راتبها هو مصروفنا الشهري، وهو لم يكن يصرف علينا فقط بل ربما على ١٢ شخصا آخر، فقد كان هناك الشهيد ابو صبري، والشهيد ابو علي اياد، والأخ عبد الكريم العكلوك واحمد عقل، ووجيه حسن واحمد وافي وغيرهم وعند الظهر يتعاون الجميع في اطار جماعي تضامني متقشف الى ابعد الحدود. كنا مزدحمين بالعمل وبالحوافز على النشاط في كل اتجاه من اجل تعبيد الطريق الصعب والمرير الى فلسطين.

وخلاصة القول هنا ان تجربة مكتب فلسطين في الجزائر شكلت في وقت من الاوقات وعلى كافة الاصعدة اساسا ثابتا ومتينا للنهوض الوطني الفلسطيني الذي انطلق رسميا في الفاتح من يناير ١٩٦٥ لكن الجهد الخلاق الذي سبق ذلك هو الذي صنع هذا النهوض وهو الذي ارسى الطريق لتحقيق الارادة الفلسطينية وبروز فتح».



ابو جهاد وابو عمار في اول زيارة للصين آذار - مارس ١٩٦٤

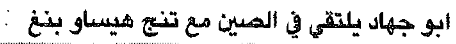


ابو جهاد يلتقي الزعيم الصيني ماوتسي تونغ عام ١٩٦٤



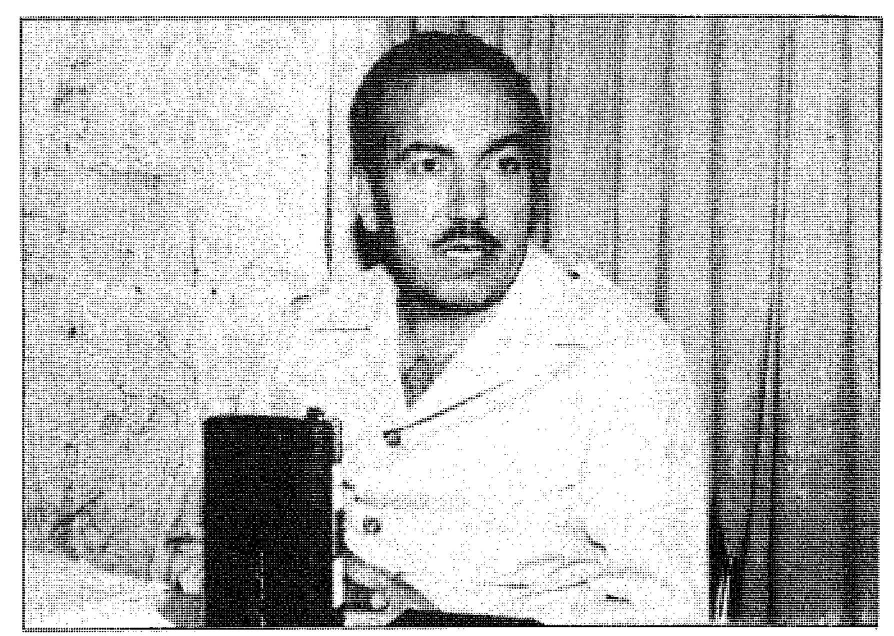


ابو جهاد يلتقي الزعيم الكوري كيم ايل سونغ عام ١٩٦٤



ابو جهاد يلتقي في الصين مع تنج هيساو بنغ





ابو جهاد وجيفارا.. اكثر من لقاء واعمق من صداقة

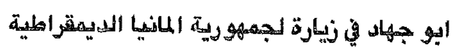


جيفارا



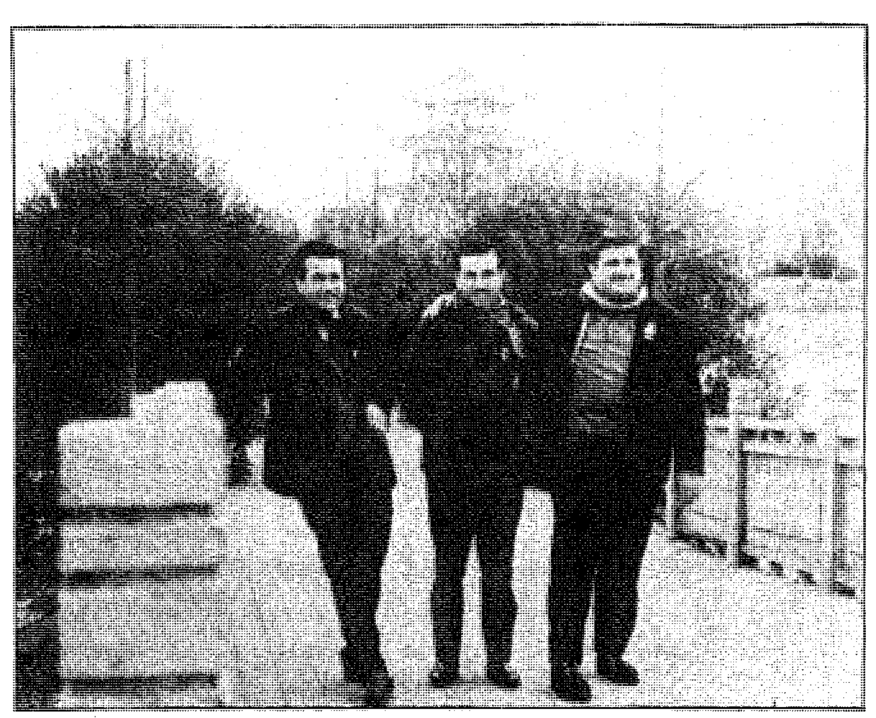


ابو جهاد يلتقي وزيرة خارجية الحكومة الثورية في فيتنام الجنوبية

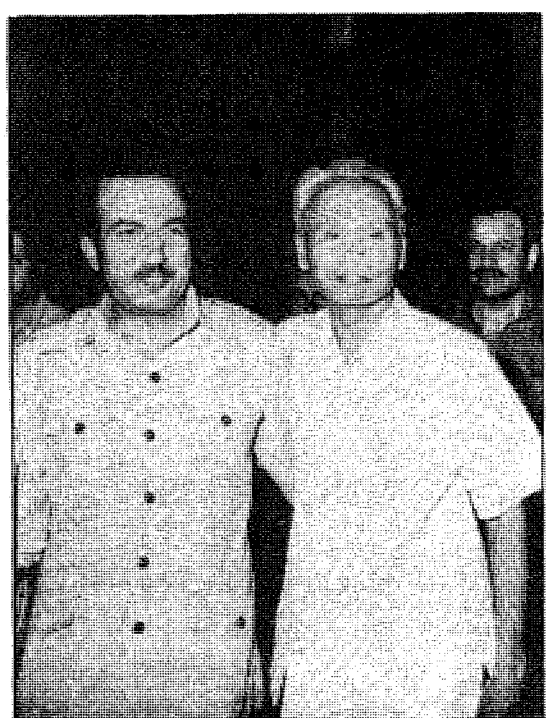


ابو جهاد في زيارة لجمهورية المانيا الديمقراطية





ابو جهاد بين ابو اللطف
ومحمود مسودة ـ ابو عبيدة
في زيارة للصين



ابو جهاد في زيارة لفيتنام
وفي الصورة ابو ماهر غنيم
عضو اللجنة المركزية
لحركة فتح

وان القضية الفيتنامية تنتقل من نصر الى نصر رغم ما يقترفه المستعمر الامبريالي الامريكي وناصروه من الاستعماريين من جرائم وحشية يندى لها جبين البشرية … مثل الغازات السامة والقنابل المحرقة بالاضافة الى بحيرات الدم والقتل والابادة الجماعية ٠

ومما لا شك فيه ان النصر سيكون حليف الثوار الفيتناميين في كفاحهم المسلح

٥ ـ ان بعثة الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية تعترف ان ٠٠

ا ـ تكوين اسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية هي فكرة مبيتة للاستعمار الدولي بتفاهم مسبق مع الصهيونية وهي مسمار في قلب العالم العربي ضد استقلاله وسيادته وتقدمه وبؤس وشقاء لشعب فلسطين العربي والمليون فلسطيني الذين اجبروا على النزوح عن اوطانهم واصبحوا لاجئين ٠

ب ـ ان الحركة الثورية الفلسطينية بكفاحها المسلح تعترف بعدالة قضية فيتنام الجنوبية ٠

٦ ـ ان مكتب فلسطين وبعثة الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية قد اتفقا على اقامة وحدة متماسكة متزايدة للنضال المسلح الثوري والوقوف جنبا الى جنب صفا واحدا ضد الامبريالية الدولية والصهيونية العالمية ٠

٧ ـ ان مكتب فلسطين وبعثة الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية يرفعان صوتهما الى الرأي العام الحر في العالم ليبيدا الاعمال الوحشية البربرية التي يقترفها الاستعمار لتفكيك الشعوب والتسلط عليها واستعبادها ويطالبان كل الشعوب والمنظمات الدولية للسلام والعدل والتقدم الاجتماعي لاتخاذ مواقف ايجابية مشرفة لتكوين عرى الصداقة والتضامن لدعم كفاح الشعوب ضد الاستعمار لتحقيق النصر النهائي ٠ ويطالبان فورا وقف العمل الامبريالي الوحشي ضد الشعب الفلسطيني والفيتنامي ٠

ممثل جبهة التحرير لفيتنام الجنوبية بالجزائر

مدير مكتب فلسطين بالجزائر

محمد خليل الوزير

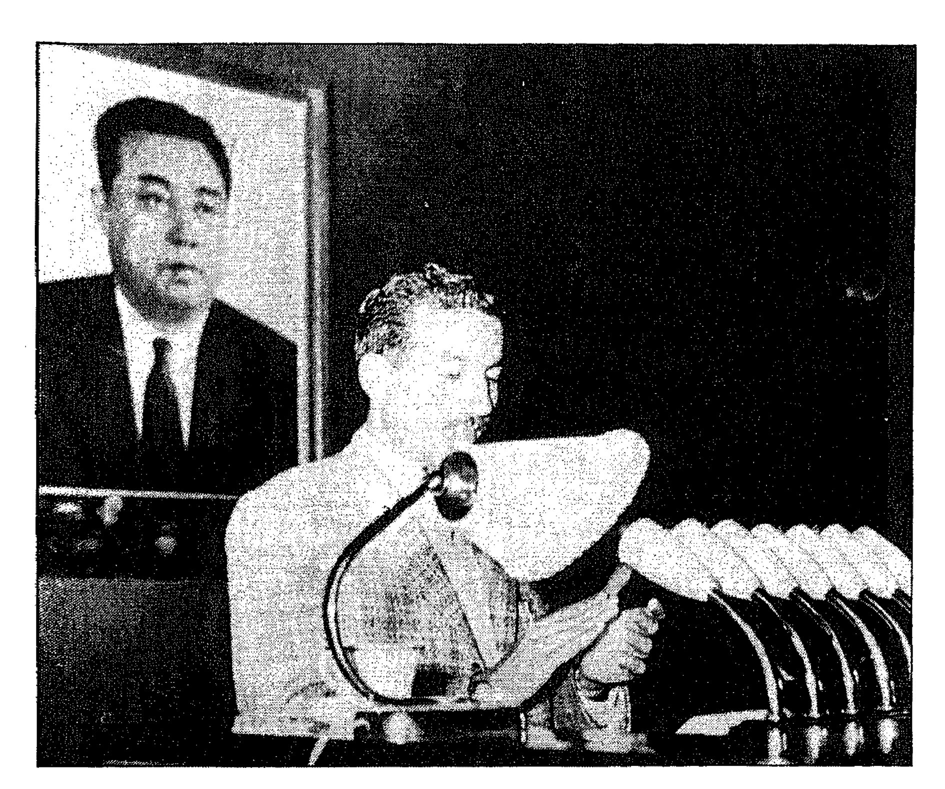
البيان المشترك الصادر عن مكتب فلسطين بتوقيع محمد خليل الوزير وممثل جبهة التحرير الفيتنامية (١٩٦٤/٢/٢٢)



ابو جهاد مع الشهيد ابو الوليد والشهيد ابو هاني ووزير الدفاع الالماني الراحل هوفمان

ابو جهاد في زيارة ليوغسلافيا





ابو جهاد يلقي كلمة اثناء زيارته لكوريا

٨ الأعمدة التاريخية لحركة فتح

.. انها المرة الاولى التي ينشر فيها هذا الجزء المهم من اسرار بدايات الخريطة التنظيمة لحركة فتح. لكن هذا الجزء يبقى مجرد قطرة صغيرة في البحر الكبير للحقيقة الكاملة. ويبدو الان انه من الصعب جدا لملمة وجمع وحفظ هذه الحقيقة كلها لان جزءا كبيرا منها رحل مع اصحابه حين استشهدوا او ماتوا او اختفوا في صمتهم العميق بعيدا عن مسرح الحياة الصاخبة، ولان جزءا آخر كبيرا ايضا من هذه الحقيقة لايزال مكتوما في صدور عدد من الاحياء الذين فضلوا عدم فتح المزاليج الموصدة على خزائن أسرارهم أمام عيون الاخرين. ولربما كان نشر هذا الجزء اليسير من اسرار البدايات حافزا لكل هؤلاء لتقديم شهاداتهم التاريخية حتى تكتمل استدارة قرص الحقيقة التي لا يصح فيها دائما غير قول كل صحيح.

حتى الان ليس هناك من يشك في ان تاريخ حركة فتح هو نفسه تاريخ حياة ابو جهاد، وهذا التاريخ ليس وقفا على شخص او مجموعة من الاشخاص لانه ايضا تاريخ شعب كامل باجياله التي واكبت مسيرة حركة فتح.. وعايشت سيرة ابو جهاد ويكفي ان نشير هنا الى عشرات الالاف من المواطنين الفلسطينيين والعرب على اختلاف اقطارهم الذين انتظموا في هذه الحركة او ناصروها على مدار ثلاثين عاما منذ لحظة تأسيسها الاولى وحتى مطلع شمس هذا النهار، ولكل واحد من هؤلاء قصته الذاتية، وتاريخه الخاص مع حركة فتح ومع ابو جهاد.

اذ يندر ان يكون هناك شخص قد عاصر هذه الفترة ولم يلتق ابو جهاد ويعمل معه ويتأثر به، ويحتفظ له في ذاكرته بشريط طويل من الصور الحميمة.. والمؤثرة.

وحتى هؤلاء الذين لم يلتقوه ابدا كانوا هم الاخرون قد تأثروا به، وانطبعت في مخيلتهم صورته كقائد وقدوة ورمز ومثل يحتذى.

وكان بين هؤلاء مجموعة من قيادات الانتفاضة التي ابعدتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي من فلسطين المحتلة قبل اسبوع واحد فقط من يوم اغتيال ابو جهاد.

كان هو من جهته قد حاول بكل الوسائل ان يتصل بهم في مقر الصليب الاحمر بمنطقة كسارة في البقاع اللبناني حيث اعتصموا هناك فور ابعادهم عن الوطن، ولما لم تكن هناك امكانية لتأمين هذا الاتصال طلب على الفور تمكينهم من الحضور الى تونس للالتقاء بهم.

كان ابو جهاد متحفزا للقاء هذا الجيل الجديد من قيادات الانتفاضة الذي كان يتابعه عن كثب يوما بيوم وساعة بساعة على مدار السنوات الخمس الاخيرة من حياته، كان يدرك مدى الخسارة في ابعادهم عن الوطن، لكنه كان يعول عليهم كثيرا لرفد الثورة الفلسطينية بهذا الدم الجديد، وهذه الخبرة العملية التي ولدت وتبلورت في المواجهة اليومية الشرسة مع قوات الاحتلال.

وعندما وصل هؤلاء الى تونس اخيرا لم يكن ابو جهاد بانتظارهم كما اراد واحب لانه كان قد رحل عنا وفارق الحياة. وفي المنزل الذي استشهد به ارتجل احد قيادات المبعدين كلمة جاء فيها: «كان عزاؤنا الوحيد بعد الابعاد عن الوطن ان نلتقي ابو جهاد الذي كان بالنسبة لكل واحد منا وطنا آخر يتسع للذين ابعدوا عن وطنهم». وهناك عشرات الالاف من القصص والذكريات والانطباعات والصور لتاريخ كامل لاجيال تعاقبت على الثورة واجتمعت على حب هذا الرجل الذي اصبح في ذمة الله.. والتاريخ.

ملامح التجربة التنظيمية عند خليل الوزير

بدأت التجربة التنظيمية لخليل الوزير في عام ١٩٥٣، واستمرت حتى اليوم الاخير لحياته في عام ١٩٨٨، وهي تجربة لها من الفرادة والتميز ما يؤهلها لان تكون مادة غنية للدراسة والتحليل والتعليم.

فقد احتل التنظيم دائما مركز الصدارة في اولويات عمل ابو جهاد وتفكيره، وكان يشدد باستمرار على اهمية التنظيم وضرورته حتى انه ضمن آخر رسائله الى قيادة الانتفاضة في الارض المحتلة نصا يقول: «ان زمن الانتفاضة هو زمن التنظيم ايضا».

وبقدر ما كان يؤمن بالقدرات العفوية الهائلة للجماهير، كان يؤمن اكثر بضرورة

تنظيمها وتعبئتها وتحشيدها وتسليحها بالوعي السياسي وبالبندقية المقاتلة، والى ان توضع كل هذه التجربة تحت المجهر وعلى طاولة التشريح والتحليل، يمكن لنا من القراءة الاولى لها ان نستخلص منها اهم العناوين وابرز الملامح.

● كان ابو جهاد حريصا على الا ينحصر مفهومنا للتنظيم في اطار التعبير عن طبقة اجتماعية واحدة، او اتجاه فكري معين او تيار سياسي خاص. لذلك كانت المهمة الاولى للتنظيم من وجهة نظره هي توحيد جميع قوى الشعب الفلسطيني بكل طبقاته الاجتماعية، واتجاهاته الفكرية وفئاته العمرية.

● وكان ابو جهاد يؤمن بان التنظيم هو وحده ضمانة للاستمرارية والتواصل، وكان يؤمن ايضا بانه لا يوجد من فرد ايا كان يمكن ان يكون بديلا للتنظيم او حتى معادلا له في الاهمية. بل كان يعتبر ان التنظيم هو الضمانة التي تحمي القادة والافراد وتصحح خطهم.. وتصوب خطاهم.

● لكنه ايضا لم يضع التنظيم فوق الجماهير ولا بديلا عنها، بل كان يؤمن بان على التنظيم ان يستجيب دائما لمبادرات الجماهير ويتبناها ويطورها وان لا يطرح نفسه معلما لها ما لم يكن مستعدا دائما للتعلم من اصغر واحد منها.

واذا لم يكن لاحد ان يدعي ان ابو جهاد ترك أثرا فكريا بارزا في مجال التنظيم، فانه ليس لاحد ايضا ان ينكر ان ابو جهاد ترك نموذجا حيا في هذا المجال وهذا النموذج الذي قدمه ابو جهاد تمكن من حل عدد من المعضلات التي تواجه العمل التنظيمي في كثير من حركات التحرر، وخاصة في مجال التوفيق ما بين العمل التنظيمي العلني والعمل السري. وهي معضلة لا يمكن البحث عن حل لها في الكتب. اذ لا بد من تقديم هذا الحل من خلال نموذج عملي حي يقتدى به.

كان الفتى خليل الوزير قد تمكن وهو في سن مبكرة من اقامة هذا التوازن الدقيق ما بين عمله الوطني العلني بحكم نشاطه وموقعه كرئيس لاتحاد طلاب مدرسته الثانوية، وبين بناء تنظيمه السري الاول، وكان اخطر ما في هذه التجربة ان هذا التنظيم كان فدائيا ويؤمن بالعمل العسكري، وهو يعد من ارقى اشكال العمل السري ومن اعقدها في الوقت نفسه.

وسوف نجد ان خليل الوزير قد حافظ طوال حياته على هذا التوازن الدقيق ما بين ضرورات العمل الوطني العلني، وبين متطلبات العمل العسكري والتنظيمي السري.

● ولا شك في ان ابو جهاد ترك لنا اهم نموذج لتجربة العمل التنظيمي تحت ظروف الاحتلال، وهي تجربة طويلة جدا وفريدة ومريرة، ولدواعي الامن والسرية لا يمكن الكشف هنا عن كل وقائعها وتفاصيلها. وربما كان من الممكن ان نشير فحسب الى بعض الامثلة كتجربة تنظيم السجون والمعتقلات في فلسطين المحتلة التي ابدعت

نموذجا فريدا ليس له نظير في اي تجربة اخرى في العمل التنظيمي في العالم كله، هذا التنظيم كان يؤطر تسعة عشر سجنا ومعتقلا اسرائيليا تحت قيادة فلسطينية واحدة متسلسلة بدقة متناهية، يخضع لها حوالي اربعة آلاف معتقل موزعين على هذه السجون بانضباط حديدي، ولم تتمكن سلطات الاحتلال رغم كل محاولاتها من تحطيم هذا التنظيم او اختراقه، وقد تمكنت هذه التجربة التنظيمية الرائدة من اقامة اتصال منتظم فيما بينها عبر السجون التسعة عشر وبينها وبين ابو جهاد خارج الارض المحتلة.

وقد اعترفت سلطات الاحتلال الاسرائيلي بان التجربة الفلسطينية في تنظيم الحياة الاعتقالية تمكنت من تحويل السجون الى مدارس حقيقية للتدريب والتربية السياسية التنظيمية وحتى العسكرية.

● ويعد تنظيم حركة الشبيبة في فلسطين المحتلة نموذجا آخر لهذه التجربة الغنية. وكانت سلطات الاحتلال الاسرائيلي قد اضطرت في الشهر الثالث للانتفاضة الى اعتبار حركة الشبيبة خارجة على القانون!! بعد ان اعترفت بان اعضاء الشبيبة هم العمود الفقري للجان الشعبية والقوات الضاربة وقيادة الانتفاضة.

واجمعت أغلب التقارير الاسرائيلية على ان حركة الشبيبة التي انشئت عام ١٩٨١ كانت قد تطورت بسرعة فائقة، واجتذبت اليها معظم الشبان، وضمت في صفوفها عشرات الالاف منهم، ونجحت في ١٩٨٣/١/١ في اقامة تنظيم موحد ودقيق يضم كل لجان الشبيبة في اطار اتحاد عام واحد له لجنة تنفيذية وهيكل تنظيمي، كما اعترفت هذه التقارير بان حركة الشبيبة سيطرت بسرعة على اغلب الاتحادات الطلابية في الجامعات والمعاهد والمدارس، وعلى مجالس ادارة النقابات العمالية والمهنية والنوادي الاجتماعية والرياضية، وان اعضاء حركة الشبيبة يقومون باعمال تطوعية لخدمة الجماهير تتضمن التنظيفات واعمال البستنة، وشق الطرقات والممرات وقطف الزيتون والحمضيات وغيرها.

وجاء في احد التقارير الاسرائيلية ان (افكار الشبيبة كانت تبث من خلال الصحف والنشرات والمنشورات وكل قطاع في الشبيبة كانت لديه صحيفته وكان التوقيع على المنشورات يتم عادة باسم الشبيبة لكن الصوت كان دائما صوت «فتح»).

وليس سرا القول بان حوالي ٩٠٪ من الذين ابعدتهم سلطات الاحتلال الاسرائيلي منذ اندلاع الانتفاضة هم من اعضاء وقيادات حركة الشبيبة في الارض المحتلة. وعدا عن تجربتي تنظيم السجون، وحركة الشبيبة، يوجد هناك عشرات اخرى من تجارب ونماذج العمل التنظيمي التي اشرف ابو جهاد على بنائها وسهر على تطويرها حتى النفس الاخير في حياته، وهي تشكل بمجموعها مدرسة متميزة لا

مثيل لها في الخبرات العظيمة للعمل التنظيمي.

وربما كان علينا ان نفرد قسما اكبر لدراسة مجمل التجربة التنظيمية عند ابو جهاد في جميع مجالاتها ومن جميع جوانبها.

ثلاثة تيارات..
واختيار واحد

عندما تحدث ابو جهاد عن بدايات تجربة التنظيم في حركة فتح قال: «ان بدايات حركة فتح سارت في طريقها وذلك لانها جاءت تعبيرا حقيقيا عن احتياجات الواقع».

ويذكر ابو جهاد ان هذه الفترة كانت قد شهدت تيارات ثلاثة في التفكير: «فقد نشأ تيار بين عدد من الشباب في القاهرة يدعو الى جمع عدد من القيادات الفلسطينية ودفعها لتشكيل اطار محدد يقود شعبنا الفلسطيني،. وقد ظهرت محاولات في هذا السياق لكن عجز هذه التيارات والصراعات التي نشأت بين هذه المجموعات جعلها تقف امام طريق مسدود».

ثم يضيف ابو جهاد: «وكان هناك تيار آخر تمثله مجموعة اخرى ترى ان هناك ضرورة لاعلان حكومة فلسطينية في المنفى تقوم على انقاض «حكومة عموم فلسطين» لتمثل شعبنا الفلسطيني وتقود النضال لاستعادة الحقوق الفلسطينية لكنها محاولة اخرى اصطدمت بالرفض العربي الرسمي وبالعراقيل التي وضعتها الاجهزة والقيادات العربية».

ويصل ابو جهاد الى اختياره واختيار القيادة التاريخية المؤسسة لحركة فتح فيقول: «اما التيار الثالث فكان يؤمن بان مثل هذا الواقع العربي القائم لا يمكن ان يسمح بمجرد قيام تنظيم فلسطيني ولذا فليس امام الفلسطينيين من خيار غير النزول تحت الارض واعتماد السرية المطلقة في التنظيم الى ان يستطيع فرض وجوده على هذا الواقع ويعترف به، وكان هذا التيار هو التعبير الحقيقي عن طموحات وتجربة الاغلبية الساحقة لتجمعات شعبنا وهي التجمعات التي ذاقت المرارات من الواقع العربي فكنت ترى وجود نويات هذا التيار في كل موقع من مواقع الشتات الفلسطيني، منشأت اطر عديدة في معظم هذه المواقع تعبر عن هذا الفهم، وهكذا كان الظرف الموضوعي ناضجا لاعلان التنظيم وولادة فتح».

ولدت فتح كما ذكر ابو جهاد في بيت احد الاخوة في الكويت وكان مجموع الاخوة الذين عقدوا الاجتماع التأسيسي الاول خمسة اشخاص هم «ياسر عرفات، وخليل الوزير، وعادل عبد الكريم، ويوسف عميرة، وتوفيق شديد».

ويقول ابو جهاد: في الاجتماع الثاني تخلف احد الخمسة عن الحضور ممتنعا

عن مواصلة الطريق متبقيا اربعة اخوة بدأنا بوضع اللبنات الاولى لحركة فتح.

ويستطرد ابو جهاد: «حين انطلقنا لم تكن الارض ممهدة امام عملنا التنظيمي، اذ ان كل الظروف في كل الواقع كانت صعبة، لكننا بمزيد من التصميم على ايجاد الحالة الثورية الفلسطينية كنا نواصل المسيرة، ونقوم باجراء الاتصالات بالمواقع المختلفة لتجمعات شعبنا ونتحرك للقاء مع تلك المجموعات التي تلتقي معنا والتي سبق لنا التعرف عليها فنتحرك في كل اتجاه سواء في المناطق المحيطة بارضنا المحتلة في المخيمات والمدن والقرى او في تجمعات الغربة.

وكان الوضع العام في الكويت يسمح لنا بالتحرك ويسمح باتساع حركتنا وتكاثرت اللقاءات مع اخوتنا في قطر والسعودية وسورية والاردن فكان ان تكاثرت حركتنا واتسعت وتقدمت بعد ان تبلورت بنيتها ومنهجها من خلال العمل في الواقع الصعب المرير لاحداث التغيير فيه بل وتفجيره لحمل الراية الحقيقية الى الوعي الفلسطيني».

ابو جهاد..
وأعمدة فتح الاولى

تتلخص عبقرية تنظيم حركة فتح في انه نموذج فلسطيني خاص وليس نسخة مصورة منقولة عن تجارب الاخرين. ويذكر ابو جهاد انهم طرحوا منذ البداية على الجميع شعار «انت قائد انت جندي»، وهذا الشعار كان تلخيصا لنظرية العضوية في حركة فتح، لان العضوية كانت قائمة على فكرة العطاء المبدع في ارض المبادرات المفتوحة. اذ ليس على العضو ان ينتظر ابدا من يملي عليه التكليفات بالعمل، بل عليه ان يبادر هو من تلقاء ذاته الى تحديد مهماته بل والابداع في تنفيذها وكان على كل عضو ان يضع نفسه وفي وقت واحد في موقع القائد الذي يتخذ القرار وأمام مسؤولية الجندي الذي يلتزم بالتنفيذ.

وقد تشكل من مجموع هذه المبادرات الفردية والجماعية هذا النهر المتدفق بالحيوية والتجدد. ويذكر ابو جهاد انهم كانوا جميعا متفقين على ان كل شريك في التضحية والعطاء وبذل الدم هو شريك اصيل في صناعة القرار.

وكان الكثيرون قد ابدوا تخوفهم في البداية من ان تؤدي هذه الشعارات المثالية الى نوع من الفوضى التنظيمية، لكن ذلك لم يحدث الا فيما ندر، وكان الوعي الجماعي يحاصر دائما النزوات الفردية او الحلقية التي تجمح بعيدا عن الخط وتجنح خارج توجهاته.

وقد ادى التمسك بالديمقراطية وتقاليدها الى فتح الابواب امام العديد من الاجتهادات، ومع ذلك يندر ان تجد في اي حركة سياسية معاصرة هذه التعددية

الواسعة في الاجتهادات جنبا الى جنب مع هذه الوحدة الصلبة في التوجهات.

● لم يكن لحركة فتح ان تتأسس وتصمد ويصعد بناؤها الا على اكتاف جمع من الاعمدة التاريخية التي تحملت على كواهلها العبء الثقيل لمراحل البناء الاولى. فهذه الحركة التي طرحت نفسها لقيادة واحدة من اعقد المشكلات الاقليمية في العالم، لم يكن لها ان تنجز مهامها دون الاعتماد على جيش كبير من القادة الكبار والتاريخيين الذين تقدموا بكل شجاعة لحمل الامانة والمسؤولية رغم جسامتها وخطورة تبعاتها وكلما حصد الموت صفا من هذه القيادات تقدم على الفور صف آخر لحمل الراية نفسها ومواصلة الطريق نفسه دون تردد او خوف او وجل.

وعندما تحدث ابو جهاد عن البدايات خص بالذكر هؤلاء الذين كانوا بمثابة الاعمدة التي ارتقت على اكتافها هذه الثورة، لكن احاديثه لم تكن حصرا موثقا للتاريخ بقدر ما كانت اضاءات على محطات بارزة منه، وحكايات حميمة عن جزء عزيز عليه من تاريخه الشخصي وتاريخ حركة فتح، وكان يعدنا دائما بانه سيكتب يوما ما القصة الكاملة للبدايات وكأنما كان يعتذر بذلك لعشرات المئات من الكوادر الذين تجشموا معه في البدايات عناء هذه المسيرة الشاقة ثم تواروا بعدها في الظل، وغابوا في الصمت ليفسحوا الطريق امام عجلة الحياة التي لا تنظر كثيرا خلفها وهي تغذ السير حثيثا في طريقها الى الامام.

العمادان.. حمود.. وعدوان

.. كان الشهيدان عبد الفتاح حمود، وكمال عدوان من ابرز الاسماء التي ترددت في احاديث ابو جهاد عن البدايات باعتبارهما من الاعمدة الاساسية الاولى التي نهضت على اكتافها حركة التأسيس والبناء والتنظيم في بدايات الثورة.

عندما تحدث ابو جهاد عن بدايات تنظيم حركة فتح في السعودية قال: «ورغم كل الظروف الا اننا تمكنا من بناء تنظيمنا من عدد كبير من العاملين في السعودية بحيث يمكن القول ان تنظيما هناك كان قد تأسس اذ كان لدينا طليعة نشيطة في المنطقة الشرقية يقودها عبد الفتاح حمود وكمال عدوان».

كان ابو جهاد وكمال عدوان وعبد الفتاح حمود ابناء جيل واحد متقارب في السن والتفكير والطموحات، ورغم ان ابو جهاد كان قد غادر السعودية قبل وصول المهندسين كمال عدوان، وعبد الفتاح حمود الا ان الاتصال بينهم لم ينقطع ابدا كان كمال يعمل مهندسا للبترول في شركة ارامكو، بينما كان عبد الفتاح يعمل هو الاخر مهندسا للبترول ولكن في منطقة الدمام.

بدأ الاثنان معا الدعوة لحركة فتح سرا، بالاعتماد اولا على مجلة فلسطيننا وعلى

المنشورات والبيانات التي كانت تصدرها فتح، وكانا يقومان بتوزيع هذه المنشورات على صناديق بريد الفلسطينيين العاملين هناك.

والطريف في الأمر ان منشورات فتح الاولى كانت تطبع بشكل سري على ماكينات الرنيو الخاصة بشركة ارامكو، وكان اكتشاف هذه المسألة يمكن ان يعرض كمال وعبد الفتاح للفصل من عملهما، والى عواقب وخيمة أخرى.

في البداية انضم لهما اخ آخر اسمه سعيد المزحال كان يعمل في مؤسسة البترول والثروة المعدنية السعودية وكان يساعدهما في عمليات طباعة وتوزيع هذه المنشورات. وشيئا فشيئا بدأت النواة الاولى تتسع لتشكل حلقة، ثم عدة حلقات ضمت الاخوة: سليمان ابو كرش، ومعاذ عابد، ومحمد على الاعرج، وحسني يونس، واحمد عرفات القدوة، ونور الدين منصور، وابو المنذر ومروان اليحيى وبكر عباس، وعصام شقير، وانضم لها بعد عام ١٩٦٥ الشهيد ماجد ابو شرار واحمد قريع. وبالطبع كان هناك منذ البداية الاخوة: سعيد المزين، وغالب الوزير، واحمد وافي.

ويذكر ابو جهاد ان احد الوزراء العرب الحاليين الذي ابدى قدرا ملحوظا من الجفاء تجاه حركة فتح، كان في مطلع الستينات من العاملين في المملكة العربية السعودية، وقد حاول مرارا الالتحاق بتنظيم الحركة هناك الا ان الاخوة كانوا قد تحفظوا على طلبه ورفضوا قبوله عضوا بحركة فتح، ويضحك ابو جهاد وهو يقول: «ربما لم ينس لنا ذلك ابدا».

بذل العمادان عبد الفتاح حمود وكمال عدوان في تلك الفترة جهدا خارقا لتدعيم ركائز تنظيم حركة فتح في السعودية، وفي ظروف العمل السري، وكانا على اتصال دائم ومنتظم مع مركز الحركة في الكويت، ومع بقية المناطق الاخرى وخاصة في دولة قطر.

قال ابو جهاد: «كنت على اتصال دائم من خلال الرسائل مع الشهيد عبد الفتاح والشهيد كمال عدوان».

ومن ثم بدأت مرحلة اللقاءات التي جرت في الكويت واتخذت بعدها شكلا دوريا ومنتظما، خاصة وان الشهيدين كمال وعبد الفتاح كانا على معرفة سابقة بالعديد من القيادات المؤسسة لحركة فتح من خلال فترة الزمالة الدراسية او النضال المشترك في اطار رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة.

كانت الفترة نفسها قد شهدت نموا مضطرداً للعمل التنظيمي في دولة قطر، وجرى الاتفاق بين الشهيدين كمال وعبد الفتاح على تبادل اللقاءات مع الاخوة في تنظيم حركة فتح في قطر على ان تتم هذه اللقاءات في منطقة اسمها سلوى كانت تقع على الحدود المشتركة ما بين السعودية وقطر.

وقد جرت هذه اللقاءات بشكل منتظم رغم المشاق الكبيرة للرحلة الصحراوية

التي تقطع خلالها السيارة مسافة تصل الى حوالي ٧٠٠ كيلومتـر داخل الاراضي السعودية. كان ترتيب متل هذه اللقاءات امرا معقدا وصعبا في تلك الايام لكن الروح التي كان يحملها البناة الاوائل كانت تذلل كل العقبات وتقهر كل المصاعب

● كانت الافكار التي تطرحها حركة فتح تلقى مزيدا من القبول في صفوف طلائع العمل الوطني الفلسطيني، بما في ذلك هؤلاء الذين كانوا قد انضموا الى الاحزاب السياسية العربية. وهكذا قرر العديد منهم اجراء مراجعة نقدية لمواقفهم ومواقعهم السياسية السابقة، وشهدت فترة النصف الاول من مرحلة الستينات حركة خروج مضـطرد من صفوف هـذه الاحزاب وبـاتجـاه الدخـول الى البيت الفلسـطيني الفتحاوي.

كان من أبرز هؤلاء الشهيد خالد اليشرطي الذي كان قد التحق بحزب البعث وتدرج في مواقعه حتى اصبح عضوا في قيادته القومية ومسؤولا عن مكتب فلسطين القومي فيه.

وبنهاية عام ١٩٦٣ اجرى المهندس خالد اليشرطي مراجعة نقدية عامة لموقفه، ولعب الشهيد عبد الفتاح حمود دورا مهما في حسم خيارات اليشرطي عندما اوفدته حركة فتح الى بيروت للالتقاء به ومحاورته وكسبه الى صفوف الحركة.

وقد حمل هذا اللقاء اكثر من مفارقـة طريفة. اذ عنـدما اتصـل عبد الفتـاح باليشرطي هاتفيا لتحديد موعد ومكان اللقاء كـان رجال المكتب الثـاني اللبناني «المخابرات اللبنانية» موجودين على خط هاتف اليشرطي المراقب من قبل اجهـزة الامن اللبنانية، فحضروا الى مكان اللقاء قبل اليشرطي واعتقلوا عبد الفتاح حمود، ثم اطلقوا سراحه بعد ان طلبوا منه مغادرة بيروت وعدم العودة لها ابدا.

ورغم ذلك تمكن عبد الفتاح حمود من اجراء لقائه مع خالد اليشرطي قبل ان يغادر بيروت، وسرعان ما توطدت بينهما عرى الصداقة والمحبة التي توجت لاحقا بانضمام خالد اليشرطي الى حركة فتح، لكن عبد الفتاح لم يقدر له ابدا ان يعود الى لبنان بعد ان وضع اسمه على القوائم السوداء.

بنهاية عام ١٩٦٣ كان الشهيد عبد الفتاح حمود قد انتقل للعمل في دولة قطر بعد ان تقدم لمسابقة اجريت هناك لطلب مهندسين للعمل في مجال البترول، وكان ترتيبه الاول على ٦٠ مهندسا تقدموا لهذه المسابقة، واصبح عبد الفتاح حمود اول مهندس عربي يقف على باب بئر للبترول وهو تخصص لم يكن مسموحا بـه ايامهـا لغير المهندسين الامريكيين.

وهكذا انتقل الموقع السياسي والتنظيمي للشهيد عبد الفتاح حمود من السعودية الى قطر.

● كان الشهيد كمال عدوان هو الآخر قد ترك عمله بالسعودية وتوجه الى بيروت،

ومنها الى مصر حيث عمل لفترة في حقول نفط ابو رديس على البحر الاحمر، ثم سافر الى المانيا لتلقي دورة تدريبية هناك، لكنه لما عاد قرر الالتحاق بأخيه وصديقه عبد الفتاح حمود في قطر.

● وكان الشهيد عبد الفتاح حمود شعلة متقدة في الفطنة والذكاء وكان مثاليا آخر في حركة فتح ومثالا للطهارة والنبل والهدوء، والتضحية ونكران الذات. وعلينا ان نعترف هنا بالتقصير تجاه هذا الشهيد الكبير الذي ترك خلفه الموقع الاجتماعي والثروة المالية وعاش متقشفا الى حد الكفاف مكتفيا بهذه الثروة الطائلة من الحب الجارف الذي كان يحيط به من الجميع طوال حياته وحتى لحظة استشهاده في ١٩٨٦/٢/٢٨.

● اما العماد الثاني الشهيد كمال عدوان فقد كان ذا شخصية نارية متمردة ومتفجرة حتى ان ابو جهاد قال عنه: «اما الاخ كمال عدوان فرغم انه مؤسس الا اننا رأينا تأخير عضويته للجنة المركزية لاننا خشينا ان ينكشف عملنا في البداية بسبب كثرة حواراته وعلنيتها».

وقال عنه ابو عمار: «كمال عدوان رجل المهمات الدقيقة، الحاد بذهنيته ذات رؤية واضحة تدرك ابعاد العنف ومدلولاته ونتائجه».

عندما تفرغ الشهيد كمال عدوان للعمل الثوري، تسلم قيادة مكتب الاعلام، وعندما رفعت الثورة في عمان اثناء الازمة شعار «الجبل الجبل» كان اول من لبى النداء، فصعد الى جبال السلط من هناك اشرف على اصدارات الاعلام الفلسطيني، ثم اخرج جريدة فتح واسهم بكل جهده في تحريرها وتطويرها.

وشارك في تأسيس وكالة الانباء الفلسطينية «وفا» ثم اسندت اليه مسؤولية الاشراف على العمل الفدائي داخل الارض المحتلة فاقترب اكثر من دائرة الخطر، واستهدفته العملية الاغتيالية التي نفذتها اجهزة الموساد الاسرائيلي فاستشهد مع اخويه ابو يوسف النجار وكمال ناصر في بيروت في ١٩٧٣/٤/١٠.

وقد خلف لنا الشهيد كمال عدوان عددا من الدراسات السياسية المهمة فضلا عن نموذجه الشخصي كقائد ومفكر ثوري حقيقي. وقدم مع اخيه ورفيقه عبد الفتاح حمود تأليفا فريدا لوحدة «الماء والنار» التي يستحيل لها ان تجتمع الا في رجلين مثلهما امتزجا في بوتقة الثورة واتحدا في حب الوطن.

● كان ابو جهاد في حديثه عن البدايات قد أشار باعتزاز خاص الى تجربة تنظيم حركة فتح في دولة قطر، حيث تحمل مسؤولية البدايات فيه عدد من القيادات الوطنية الفلسطينية، كان على رأسها الشهيد القائد محمد يوسف النجار، الذي كان واحدا من ابرز قيادات جيله.

وكان ابو جهاد في مطلع شبابه ينظر هو وجميع اخوانه الى ابو يوسف النجار بكل

تقدير واحترام، كان يعرف ان ابو يوسف شارك في معارك ١٩٤٨، وكان احد المعالم النضالية البارزة في مدينة رفح ومخيماتها. وشارك في قيادة انتفاضة مارس (آذار) ١٩٥٥ في قطاع غزة، واعتقل في اعقابها لمدة ١٥ شهرا في السجون المصرية، وعندما انتقل بعدها للعمل في قطر أسهم بكل صدق وصلابة في بناء النواة الاولى لتنظيم حركة فتح هناك، وكان قد عمل في البداية مدرسا في مدرسة الصنائع الاعدادية ثم انتقل للعمل في وزارة التربية والتعليم، وكان عضوا في اللجنة التي توفدها دولة قطر الى الاقطار العربية لاختيار بعثات تعليمية منها للعمل بها.

واستخدم ابو يوسف موقعه هذا في العمل السياسي والتنظيمي وخاصة في اثناء زياراته لمدن الضفة الفلسطينية.

وكان الشهيد ابو يوسف النجار قد اختير من تنظيم منطقة قطر لعضوية اللجنة المركزية لحركة فتح، وعندما تفرغ للعمل الثوري سطع نجمه في كل المواقع التي قادها كمفوض مالي لحركة فتح وكقائد تنظيمي وكحارس يقظ لأمن الجماهير اللبنانية والفلسطينية حتى استشهاده مع اخويه كمال عدوان وكمال ناصر في ١٠/٤/١٩٧٣.

● والجدير بالذكر ان عددا كبيرا من الذين عايشوا تجربة بدايات التأسيس والبناء في حركة فتح مع الشهيد ابو يوسف النجار في دولة قطر لايزال على قيد الحياة ويمكن ان تستكمل شهاداتهم التاريخية كل جوانب هذه الفترة، وحسبنا ان نشير هنا الى قائمة الأسماء التي حفظتها ذاكرة ابو جهاد والتي تضم الاخوة:

محمود عباس عضو اللجنة المركزية لحركة فتح الذي بدأ حياته العملية مدرسا في قطر ثم مديرا لشؤون الموظفين بوزارة التربية والتعليم القطرية قبل ان ينتقل للعمل في قطاع البترول.

ورفيق النتشه (ابو شاكر) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح الذي عمل في موقع مهم بالقرب من وزير التربية والتعليم القطري الشيخ جاسم شقيق الشيخ خليفة امير دولة قطر.

ومعاذ عابد (ابو سامي) الذي انتقل من السعودية للعمل في قطاع البترول في قطر، وحمد العايدي (ابو رمزي) الذي عمل مدرسا للغة الانجليزية، وسليمان الشرفا (ابو طارق) الذي كان من اوائل المهندسين الزراعيين الذين عملوا في دولة قطر والدكتور رياض الزعنون الذي كان من قيادات الحركة الطلابية في غزة في الخمسينات، واحمد الافرنجي، وغالب الوزير وكان الاستاذ فتحي البلعاوي قد انتقل هو الآخر للعمل في قطر في مجال التعليم، وعمل في قطر في الفترة نفسها الدكتور المهندس محمود المغربي الذي اصبح فيما بعد اول رئيس للوزراء في ليبيا بعد ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩.

وكان تنظيم حركة فتح قد تعزز بصورة كبيرة مع انتقال الاخوة: كمال عدوان، وعبد الفتاح حمود، وسعيد المزحال الى قطر. ويذكر ابو جهاد ان تنظيم حركة فتح في قطر كان

قد تعرض في بداياته لبعض المضايقات من قبل مفتش الامن الانجليزي الجنسية المدعو «كوكرن» الذي كان يعمل في قطر بعد ان اشهر اسلامه واختار اسم محمد علي لقبا له، وبالمقابل كان التنظيم هناك قد تلقى مزيدا من الدعم والرعاية من قبل الشيخ خليفة امير البلاد. والشيخ جاسم وزير التربية والتعليم والمرحوم الشيخ سحيم وزير الخارجية.

ورغم هذه الاشارات فان ملف بدايات تنظيم حركة فتح في دولة قطر سيبقى مفتوحا الى ان يقرر هؤلاء جميعا او كل منهم على انفراد اغناء هذه التجربة بتوثيقها وتحليلها وتسليط مزيد من الاضواء عليها.

التأسيس والقيادة للتنظيم في الكويت

أبرز ابو جهاد بشكل خاص دور تنظيم حركة فتح في دولة الكويت وقال: «كان تنظيمنا في الكويت هو الأقوى والأكثر متانة وكنا نقيم حوارا مستمرا من هناك مع جميع التنظيمات».

وقد أشرنا في مواقع اخرى الى الاجتماع التأسيسي الأول لحركة فتح الذي التأم في الكويت وضم الاخوة: ياسر عرفات، وخليل الوزير، وعادل عبد الكريم، ويوسف عميرة. وتحتشد قائمة تنظيم حركة فتح في الكويت بالعديد من اسماء القيادات والكوادر التي التحقت بفتح في بداياتها. ونقلا عن ذاكرة ابو جهاد نذكر بالخصوص الاخوة، عبد الله الدنان، ومحمود مسودة، وكانا من اوائل الذين انضموا لعضوية اللجنة المركزية لحركة فتح.

وضم تنظيم فتح في الكويت ايضا الاخوة: فاروق القدّومي، وخالد الحسن، وصلاح خلف، وسليم الزعنون الذين عايشوا البدايات وانضموا الى عضوية اللجنة المركزية لحركة فتح على فترات متعاقبة.

وكان من ابرز الكوادر المتقدمة التي عاصرت البدايات ايضا الاخوة: علي الحسن، ومحمود الوزير، وفتحي عرفات، وهاني القدومي، ومختار بعباع، وعلي جاد الله، ومحمد حرب، وموسى قنيبي، والمرحوم عرفات ابو سكرانة ـ ابو اسماعيل الذي كان شعلة من الحركة والنشاط، وعرف كواحد من الرعيل الأول الذي كان يخترق الحدود العربية في سبيل تأمين الذخائر والاسلحة والعتاد والتموين للفدائيين.

ويذكر ابو جهاد انه كان برفقة «ابو اسماعيل» وهما في طريقهما الى بيروت قادمين من دمشق، وكان بحوزتهما مجموعة من الاسلحة والمتفجرات، وعند نقطة الحدود

اشتبه رجال الامن اللبناني بابو اسماعيل وقاموا بتفتيشه ووجدوا معه نسخة من مجلة فلسطيننا كانت كافية كمبرر لاعتقاله، بينما لم يكتشف امر ابو جهاد ولا الأسلحة التي دخل بها الى لبنان. ويتذكر ابو جهاد ان الوصول الى الكويت كان صعبا بسبب صعوبة الحصول على تاشيرة دخول لكن فتح كان لها مواقعها المهمة في الادارة الكويتية. بحيث كان من الممكن تقديم كافة التسهيلات فقد كان الأخ خالد الحسن مثلا يشغل موقع السكرتير العام للمجلس البلدي لمدينة الكويت وهو موقع بالغ الأهمية في تلك الفترة حتى ان معظم شخصيات الكويت ورجالاتها كنت تجدها في مكتبه، فيكفي ان يشير او يجري اتصالا هاتفيا للحصول على كل ما يريد دون اي تاخير، كذلك كان الاخ هاني القدومي يشغل موقع السكرتير الأول لأمير الكويت، وبمجرد ان يجري اتصالا يكون اسمي مسجلا في المطار وداخل الكويت دون عقبات».

ويضيف ابو جهاد: «مثل هذه الظروف كانت تطبع تنظيمنا في الكويت الذي كان يتميز بمرونة اكبر بحكم سهولة تحركه نسبيا، ورغم ان اتصالاتنا كانت محدودة على مستوى الشخصيات الكويتية الا اننا حاولنا اجراء مثل هذه الاتصالات، حيث قمنا مرة ابو عمار وانا ويوسف عميرة باللقاء مع بعض الشخصيات الكويتية، حيث قدمنا لهم تعريفا بأنفسنا بأننا تنظيم وطني فلسطيني ونملك امكانية التنفيذ وبدء العمل لكننا نعاني من قلة الامكانيات المادية، فبدلا من ان ننتظر خمس سنوات اخرى لتوفير هذه الامكانيات فاننا نقترح ان يقوموا هم بتقصير هذه المدة وذلك من خلال تقديم قرض لنا كي نبدأ العمل على ان نقوم بتسديد القرض فيما بعد وقلنا لهم اننا نوافق على كافة الشروط التي يفرضونها، وكان الجواب: اذا بدأتم فلكم ما تريدون اما قبل ذلك فنحن أسفون، وربما شكل مثل هذا الموقف حافزا اضافيا لنا على المواصلة والاستمرار».

● واستمر الموقع القيادي لتنظيم حركة فتح في الكويت حتى تاريخ تفجير الانطلاقة المسلحة في ١/١/١٩٦٥، حيث أخذ مركز الثقل في الانتقال تدريجيا الى سوريا بانتقال ابو عمار وابو جهاد على رأس القيادات والكوادر التي اخذت في تصعيد العمل الفدائي من الحدود المشتركة مع العدو ثم حسمت بعدها مسألة القيادة نهائيا في عام ١٩٦٦، واستقرت على النحو الذي عرفه العالم منذ حوالي ربع قرن كامل من الزمن.

بدايات تنظيم حركة فتح في ليبيا

خصص ابو جهاد جزءاً مهما من حديثه عن اسرار البدايات لتجربة تنظيم حركة فتح في ليبيا. كانت هذه التجربة قد بدأت بالزيارة التي اجراها ابو عمار وابو جهاد الى ليبيا في عام ١٩٦٠ حيث كان لكل منهما قريب يعمل هناك. كان الاخ كمال الدين السرج

ـ ابو نبيل ـ الذي تربطه بأبو جهاد صلة قرابة قد تقلد منصبا رفيعا في جهاز الامن الليبي في منطقة بنغازي منذ عام ١٩٥٣ . بينما كان الاخ جرير القدوة يعمل في قطاع التدريس في منطقة بنغازي نفسها، وفي هذه الزيارة جرت مفاتحة ابو نبيل السراج بخصوص الانضمام الى تنظيم حركة فتح.

كانت ليبيا في تلك الفترة تلعب دوراً مهماً في نصرة الثورة الجزائرية، وتشكلت هناك العديد من لجان نصرة الجزائر.

كان المناخ السائد في ليبيا يشجع على اقامة علاقات ايجابية على المستويين الشعبي والرسمي، وبدأت النواة التنظيمية لحركة فتح في النمو والتطور، فتشكلت في كل من بنغازي وطرابلس لجان تنظيمية لحركة فتح كانت تضم في بداياتها الأخوة: كمال الدين السراج، وجرير القدوة، وتوفيق الشهابي، وغازي عرنوس، ومحمود ابو الفخر، وفتحي حمد، واحمد عبد الغفور، وغالب قويدر، وزيد وهبي، ويعقوب سابا، ومحمد سكيك، ومروان قويدر، ونعيم ابو ضنية.

على أن أهم ما ميز تجربة بدايات تنظيم حركة فتح في ليبيا كان قدرتها على الاستفادة من تجربة اللجان الليبية لنصرة الجزائر وتشكيل لجان ليبية نصيرة لحركة فتح ومناصرة للقضية الفلسطينية.

وعلى هذا الاساس تشكلت في بنغازي لجنة ليبية لمناصرة فلسطين ضمت العديد من الشخصيات الوطنية مثل: عمر البكوش، وبشير المغيربي، وعبد القادر غوقة، وابراهيم العيار، ورمضان ابو خيط وغيرهم. بينما كانت لجنة مناصرة فلسطين في طرابلس تضم هي الاخرى عدداً من الوجوه كان من ابرزها: محمود خرجة، ومحمود دخيل، ويوسف ماضي، وابراهيم السنوسي، والسنوسي الاشهب.

ومن ثم جرى توسيع هذه الفكرة وتعميقها حتى وصل عدد لجان المناصرة الليبية الى عشر لجان، كانت قد قدمت دعما ماديا مهما من التبرعات المالية التي كانت تجمعها.

ويذكر ابو جهاد ان اول دفعة مساعدات وصلت الى حركة فتح كانت من تبرعات المواطنين في ليبيا، وبلغت ٣٠ ألف دينار، ويقول ابو جهاد: «كان ذلك مبلغا مهما في ذلك الوقت حيث أن موازنتنا الشهرية لم تزد قبل ذلك عن ٨٠٠ دينار حيث كنا نحاسب على «البوت» الواحد، واذكر انه عندما كنا نرسل دورية الى الارض المحتلة يرصد لكل عضو في الدورية اربعة «ابوات» وكانت قيمتها ٢٠ دينارا وكانوا يعتبرون ذلك اسرافاً».

ويذكر ابو جهاد كذلك انه طلب من تنظيم فتح في ليبيا بعد الانطلاقة سرعة تجهيز قوات العاصفة بأول شبكة اتصال لاسلكية، فقامت اللجان الليبية لنصرة فتح ايامها بالتبرع لشراء ٢٠ جهاز اتصال لاسلكيا مع قطع غيارها استوردتها خصيصا ومن ثم جرى ارسالها على عجل الى ابو جهاد من ليبيا.

● كما تميزت تجربة البدايات في ليبيا باقامة علاقات قوية لحركة فتح مع رجالات

السلطة والنظام هناك، وخاصة مع الدكتور محيي الدين الكيني الذي كان رئيسا للوزراء، وحسين مازن الذي عمل كوزير للخارجية ثم رئيسا للوزراء ثم مع ونيس القذافي الذي كان رئيسا للوزراء في عام ١٩٦٨ ومع صالح بوصير الذي كان عضوا بمجلس النواب ثم وزيرا للخارجية.

● وتمكن تنظيم حركة فتح في ليبيا من كسب تأييد وتعاطف الملك ادريس السنوسي نفسه، ولعبت الاخت سحر الرفاعي دورا مهما في هذا المجال عندما كانت تعمل كسكرتيرة في القصر الملكي، وكانت كثيرا ما تتحدث امام الملك عن القضية الفلسطينية، وقرأت على مسامعه العديد من الموضوعات التي تضمنتها مجلة نداء الحياة ـ فلسطيننا، وفي عام ١٩٦٨ جرى أول لقاء بين الملك السنوسي، وبين السيد ياسر عرفات بناء على طلب من الملك، وقدمت ليبيا في تلك الفترة دعما ماديا مهما للثورة الفلسطينية.

● كانت ليبيا من اول الاقطار العربية التي جرى فيها افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد تشكيلها.

كان المرحوم الشقيري قد طلب من ابو نبيل السراج في اثناء انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني في القدس عام ١٩٦٤، قبول تكليفه بفتح اول مكتب لمنظمة التحرير في ليبيا فاستشار ابو نبيل قيادة فتح اولا بصدد هذا العرض، ولما كان الرأي في حركة فتح يتجه الى ضرورة السيطرة على المنظمة طلبت القيادة في تلك الفترة قبول هذا العرض، فعاد ابو نبيل السراج الى ليبيا محملا برسالة اعتماد سلمها لوزير الخارجية الليبي حسين المازق الذي كان من المتعاطفين مع حركة فتح، فوافق على افتتاح المكتب باعتباره مكتبا لحركة فتح قبل ان يكون مكتبا لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وكان ابو جهاد بدءا من عام ١٩٦٣ قد انتقل الى الجزائر وقد اتاح له ذلك الاشراف مباشرة على أوضاع تنظيم حركة فتح في اقطار المغرب العربي بما في ذلك أوضاع التنظيم في ليبيا، وتعددت زياراته الى هناك، وكانت هذه التجربة محل تقديره الدائم سواء على الصعيد الفلسطيني أو على صعيد العلاقات الفلسطينية ـ الليبية.

● ثم انتقل ابو جهاد بعدها للاشارة الى بدايات تنظيم حركة فتح في الضفة الفلسطينية فقال: «كمدرسين في الكويت كنا نستغل كل اجازة نحصل عليها مثل اجازة نصف السنة او اجازة عيد الاضحى، أو حتى اجازات طارئة لننتقل الى اقطار اخرى لنتابع أوضاع التنظيم هناك.. وكنت اكثر من يأخذ الاجازات بين الاخوة. في عام ١٩٦٠، ١٩٦١ لا اذكر تحديدا الآن انتقلت من الكويت الى عمان التي كانت تعيش حالة تمرد على الاطارات الحزبية، وكان الاخ ابو ماهر غنيم يقيم فيها وبمجرد ان اصل تبدأ الاتصالات مع كافة المجموعات فنقيم الحوارات، وننتقل في مدن الضفة الغربية من مدينة الى اخرى، فمثلا كان ضابط اتصالنا في مدينة طولكرم الاخ حلمي الصباريني الذي شكل مركز اتصال مهماً في تلك المنطقة».

ويضيف ابو جهاد: «وفي عام ١٩٦٢ عدت الى الضفة الغربية حيث كنا قد تمكنا من بناء تنظيم متماسك في منطقة الخليل وكان يتكون من حوالي اربعين عنصراً وكانت توجيهاتنا الى تنظيم الخليل بالعمل الحثيث على شراء وتخزين السلاح، واذكر اننا قمنا في احدى المرات بشراء طنين من المواد المتفجرة من العقبة، واثناء نقلها الى اماكن التخزين صادفت المجموعة نقطة تفتيش، فتم اكتشاف المواد مما ادى الى اعتقال المجموعة وحبسها لمدة طويلة.. وقد قمنا باجراء الاتصالات مع السلطات حيث اوضحنا لهم هدف المجموعة من المتفجرات وهو تدبير عملية لنسف مقر الفرن الذري الاسرائيلي، وقد اقتنعت السلطات فعلا بما قلنا لهم حيث افرج عن المجموعة فيما بعد».

ويستطرد ابو جهاد قائلا: «وقد استمر عملنا التنظيمي في الضفة الفلسطينية بكثافة وسرعة وانجزنا اكثر مما توقعنا وربما يعود هذا الى تعطش الحالة الجماهيرية لنمط جديد من العمل يقوم اساساً على مبدأ الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني.

وفي تلك الفترة تعددت زيارات الاخ ابو عمار الى الضفة الفلسطينية حيث بدأ العمل على اعادة بناء الهيكل التنظيمي وترسيخه وتحديد اسسه».

● ثم ينتقل ابو جهاد ليطرق في حديثه عن اسرار بدايات تنظيم حركة فتح للبدايات التي شهدتها ساحة اوروبا.

كانت فتح قد نجحت في اقامة حلقات قوية لتنظيمها في عدد من البلدان الاوروبية نخص منها بالذكر، النمسا والمانيا الغربية ويوغسلافيا وايطاليا، ونشطت كوادر تنظيم فتح في هذه البلدان في اوساط الطلاب والعمال الفلسطينيين وتمكنت بنجاح من المزج ما بين تجربة العمل السياسي والعمل النقابي.

وكان تنظيم حركة فتح في اوروبا السباق الى ارسال عشرات من خيرة كوادره الى داخل فلسطين المحتلة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ واحتلال الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، حيث قررت قيادة فتح ايامها دفع موجات متلاحقة من كوادرها الى داخل فلسطين المحتلة وتثبيتها هناك لتطوير العمل التنظيمي والسياسي والعسكري وتفجير المقاومة الوطنية للجماهير في وجه قوات الاحتلال الصهيوني.

● قال ابو جهاد: «وهنا لا بد ان نشير الى الدور المهم الذي لعبته المجموعة الفتحوية في اوروبا وكان يمثلها الاخوة: حمدان وهايل عبد الحميد وهاني الحسن. حيث ان المناخ السياسي السائد هناك ساعد على ان تقوم المجموعة بعمل واسع على صعيد بناء التنظيم ورفد المركز بالطاقات والكوادر المثقفة».

بدايات فتح في لبنان

من بين ٣٠٠ الف مواطن فلسطيني ممن أجبروا على مغادرة فلسطين تماما في عام

١٩٤٨ توجه نحو من ١٠٤ آلاف منهم الى لبنان. وكان التقدير الرسمي الذي قدمته «مديرية شؤون اللاجئين الفلسطينية» الى وزير الداخلية اللبناني يشير الى انه «قد جرى احصاء عام لجميع اللاجئين الموجودين في لبنان عام ١٩٥٢ فكان عددهم ١٤٠,٠٠٠ نسمة تقريبا». كان نصف هؤلاء تقريبا قد أقاموا داخل ١٥ معسكرا للاجئين وشهدت ظروف اللجوء في لبنان حتى عام ١٩٦٩ قدرا لا يمكن وصفه من القسوة والقمع والاضطهاد على المستويين الاجتماعي والسياسي.

● كنا قد اجرينا مقابلة خاصة مع الأخ «ابو شاكر» الذي كان حتى عام ١٩٨٢ قائدا لمعسكر الاشبال في مخيم الرشيدية في جنوب لبنان، وقدم المناضل ابو شاكر وصفا مستفيضا لهذه المرحلة التاريخية.

كان على الفلسطيني اولا ان يسلم سلاحه قبل ان يعبر الى لبنان عام ١٩٤٨ ولم يكن مسموحا له بعد ذلك مطلقا بأن يحمل حتى بندقية صيد، وحرم عليه القيام بأي نشاط سياسي او اجتماعي او عسكري، ووصل الأمر الى حد عدم السماح للاجىء الفلسطيني «بوضع حجارة فوق سطوح الصفيح على منزله حتى لا تطيرها عواصف الشتاء».

ويضيف «ابو شاكر»: «ومع ذلك شهدت بعض المخيمات عدة مظاهرات متفرقة ضد مشاريع التوطين لكنها سرعان ما قمعت بقسوة بالغة».

ويضيف: «كما خرجت بعض المظاهرات الطلابية احتجاجا على فرض كتاب تعليمي عن جغرافية فلسطين وتاريخها في مدارس الانروا كان عنوانه بلادي بسبب التحريف والتزييف التاريخي الذي تضمنته معلومات هذا الكتاب، واضطرت الانروا بعدها لسحب هذا الكتاب».

ويقول ابو شاكر: «كنا في لبنان نتوزع على ثلاثة اتجاهات: الغالبية من الجيل القديم كانت تصر على ولاءاتها التقليدية لقيادة الحاج امين الحسيني، بينما كانت اتجاهات الشباب تندفع للانخراط في الاحزاب التي عرفتها لبنان في تلك الفترة وخاصة الحزب القومي السوري، وحركة القوميين العرب وحزب البعث والناصرية والاخوان المسلمون، ولكن بدءا من عام ١٩٦٢ تبلور لدينا احساس قوي بأن هذه الاتجاهات كلها تستغل القضية الفلسطينية لخدمة اهداف محلية او فئوية وكانت هناك مجموعات اخرى تفتش عن طريق فلسطيني مستقل للخلاص الوطني».

لكن الاجراءات القاسية للرقابة والقمع حالت دون أية عملية للتعبئة الشعبية، بما فرض على الخلايا الاولى لكل الاتجاهات التقيد الصارم بقواعد الأمن والسرية.

وبعد احداث عام ١٩٥٨ في لبنان فرض على الفلسطينيين ما يشبه الى حد كبير حالة من حظر التجول، حتى انه كان على الفلسطيني ان يحصل على تصريح سفر من جهات الأمن اللبنانية للتحرك من مخيم الى آخر او من مخيم في صيدا الى آخر في بيروت.

وفي عام ١٩٦٢ اصدرت السلطات اللبنانية قانونا يمنع اي فلسطيني يغادر لبنان بقصد التدريب العسكري من العودة اليه مجددا.

وفي ظل هذه الظروف الصعبة والمعقدة بدأت حركة فتح في بناء تنظيمها في لبنان.

● ويبدو ان ابو جهاد كان يحتفظ بعلاقات خاصة مع عدد من الاخوة اللبنانيين، وبشكل خاص مع الحاج توفيق حوري، ومع هاني فاخوري لذلك امكن لحركة فتح بعد عام واحد فقط من اجتماعها التأسيسي الأول ان تصدر من بيروت بالذات اول مجلة سياسية علنية هي فلسطيننا نداء الحياة التي بدأت في الصدور في نهاية شهر اكتوبر عام ١٩٥٩، وكان توفيق حوري مشرفا على اصدارها من بيروت. ولعبت هذه المجلة طوال فترة صدورها حتى نهاية عام ١٩٦٤ دورا مركزيا ومهما في الدعاية والتنظيم لحركة فتح.

وكان من اوائل الفلسطينيين الذين انضموا لحركة فتح في لبنان قبل عام ١٩٦٥ الأخ زكريا عبد الرحيم الذي تركز نشاطه السياسي والتنظيمي في العاصمة بيروت ومخيماتها وبسبب تعقبه من قبل اجهزة الأمن تلقى تعليمات من ياسر عرفات للخروج من لبنان عام ١٩٦٥، حيث تقلد بعدها عددا من المواقع القيادية في حركة فتح.

وكان الشهيد احمد الاطرش من ابرز قيادات العمل الوطني الفلسطيني على الساحة اللبنانية في المجالين التنظيمي والعسكري وبشكل خاص في داخل المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان. كان الشهيد احمد الأطرش ينحدر من أسرة وطنية معروفة عاشت في مخيم عين الحلوة، وانتظم في حركة فتح وهو لايزال طالبا في جامعة بيروت العربية.

وركز الأطرش نشاطه على الاعداد العسكري لانطلاقة حركة فتح من لبنان، واشرف في عام ١٩٦٤ على الاعداد لأول دورة عسكرية أقيمت بشكل سري في مدينة طرابلس بشمال لبنان في «مسمكة» لشخص يدعى غالب طمبوزة وضمت هذه الدورة اثني عشر متدربا، ثم قام احمد الاطرش بترشيح كل من علي عباس، واخيه الاصغر زياد الاطرش للالتحاق بأول دورة عسكرية للضباط كان ابو جهاد قد رتب اجراءاتها في الجزائر.

ومع انطلاقة حركة فتح اشرف احمد الاطرش على ارسال الدوريات الفدائية عبر الحدود اللبنانية الى فلسطين المحتلة، وعندما انتقل ابو جهاد وأسرته الى لبنان عام ١٩٦٥، حول منزله في بيروت الى مستودع للاسلحة والذخائر وكان الشهيد احمد الأطرش هو الذي يتولى الاتصال «بأم جهاد» لاستلام الأسلحة منها ومن ثم نقلها الى الفدائيين في جنوب لبنان.

ومع تصاعد العمليات العسكرية أخذت اجهزة الأمن في تعقب الاطرش ثم اعتقاله.

● كان ابو جهاد قد غادر بيروت الى الجزائر للالتقاء بالرئيس الراحل هواري بومدين، وترك خلفه في بيروت ام جهاد وولديه جهاد ونضال، وما ان علم ياسر عرفات

باعتقال احمد الأطرش حتى سارع الى بيروت وعمل على الفور على اخراج ام جهاد منها الى دمشق لأنه تفطن بذكائه الى احتمال افشاء الشهيد احمد بمعلومات عن ام جهاد عندما يقع تحت التعذيب الوحشي في المعتقل. لكن الشهيد احمد صمد في المعتقل لمدة ٥٠ يوما، اضطرت بعدها اجهزة الأمن للافراج عنه، فصدرت له التعليمات بالمغادرة الى دمشق.

وعندما عاد ابو جهاد الى بيروت لم يجد احدا في منزله وأخبره حارس البناية ان «خال السيدة حرمه قد حضر واصطحبها مع اولادها معه الى دمشق». ولم يكن هذا الخال سوى ياسر عرفات نفسه.

● ويذكر ابو جهاد ان منزلهما في بيروت كان بمثابة مكتب سري للحركة، وكانت ام جهاد تقوم بطباعة البيانات العسكرية ووضعها في مغلفات لارسالها بالبريد الى الصحف والى العديد من الشخصيات السياسية العربية.

وفي احدى المرات قام ابو عمار وابو جهاد وأم جهاد بالمرور على عدد من صناديق البريد في بيروت في ساعة متأخرة من الليل لارسال البيانات العسكرية الصادرة عن القيادة العامة لقوات العاصفة، وتصادف وجود شرطي من رجال الامن اللبناني في المكان فارتاب في امرهم، وتقدم منهم، الا أن فطنة ياسر عرفات سبقت سؤاله فبادره بالتحية واخبره بأن ابنة اخته وخطيبها قد قررا الزواج يوم الخميس المقبل، وانهم مضطرون لتوزيع بطاقات الدعوة لحفل القران، ولم ينس ان يدعوه لحضور حفل الزفاف، فشكره الشرطي اللبناني وقدم تهنئته الحارة لأم جهاد وابو جهاد وعلى زفافهما المزعوم.

● وعندما انتقل الشهيد احمد الأطرش الى سوريا، انخرط على الفور في مجال العمل العسكري مع الشهيدين ابو صبري، وابو علي اياد.

وعندما اعتقلت كل القيادة الفلسطينية في دمشق بعد حادثة ١٩٦٦/٥/٩، تولى الشهيد احمد الاطرش مع الاخت ام جهاد تسيير امور الحركة حتى الافراج عن ابو جهاد في اعقاب وفاة ابنه نضال.

واستمرت المساهمة البارزة للشهيد احمد في قيادة العمل العسكري والاعداد للدوريات الفدائية حتى يوم استشهاده في ١٩٦٧/٢/٢٨ مع الشهيد منهل شديد وكان الشهيد ابو علي اياد قد جرح في هذا الحادث.

ويذكر ابو جهاد ان حركة فتح وجماهيرها، ودعت الشهيدين احمد الأطرش، ومنهل شديد بما يليق بهما، وقرأ مقاطع من قصيدة انطلقت في هذه المناسبة كانت تقول:

«بعث الشهيد ودحرج الحجر
من قال اني لاجيء كفر
مزقت اكفاني وها أنذا خلف الحدود اجابه الخطر».

● ولا يمكن الحديث عن بدايات حركة فتح في لبنان دون ذكر دور الدكتور مهندس زهير العلمي الذي كان واحدا من ابرز نشطاء رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة في مطلع الخمسينات، وانتقل للعمل في بيروت. ولعب مع شقيقه سامي العلمي دورا قياديا بارزا في بدايات تنظيم حركة فتح في لبنان.

وشهدت البدايات ايضا في لبنان ظاهرة انضمام أسر فلسطينية باكملها الى حركة فتح، كان من ابرزها أسرة تضم سبعة من الاخوة منهم حمزة، وفضل، وطانيوس، وغالب محمد مصطفى المعروف باسم «ابو الفتح» وكان من طلائع الذين انضموا الى حركة فتح في بداياتها في لبنان، وخاض العديد من المعارك في مواجهة القوات الاسرائيلية، وشارك في معارك الدفاع عن منطقة النبطية وقلعة الشقيف اثناء الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢ ثم شارك في الدفاع عن المخيمات الفلسطينية في بيروت والجنوب حتى اختطافه من لبنان حيث لايزال معتقلا في سوريا منذ عام ١٩٨٤ وحتى الآن.

● بعد عام ١٩٦٥ تزايد النشاط الفدائي الفلسطيني انطلاقا من جنوب لبنان، وفي عام ١٩٦٦ كان الشهيد جلال كعوش عائدا مع زملائه الفدائيين من احدى العمليات العسكرية فألقت قوات الأمن اللبنانية القبض عليهم، واستشهد جلال كعوش من فرط التعذيب، وقد أثارت عملية اغتياله الشارع اللبناني والفلسطيني معا، وقال ابو جهاد ان حركة فتح كانت قد أشارت في مذكرتها الى مؤتمر رؤساء الحكومات العربية في ١٢/٣/١٩٦٦ الى حادثة اغتيال الشهيد جلال كعوش. وطالبت في هذه المذكرة بتهيئة كل ارض عربية محيطة بفلسطين المحتلة لتكون منطلقا للتحرير وليس سجنا للمناضلين او مسرحا لملاحقاتهم واضطهادهم وتعذيبهم حتى الموت.

● وبعد ثلاثة اشهر تعرض ابو جهاد نفسه وكل القيادة الفلسطينية للسجن والاعتقال، بعد ان طارده الموت مرتين واختطف منه ابنه نضال في المرة الثالثة.

فتح والانظمة العربية

● ثم يختتم ابو جهاد هذا الجزء من اسرار البدايات بالحديث عن بدايات علاقة فتح بالانظمة العربية. ولاسباب كثيرة معروفة ولا تخفى على أحد يبدو واضحاً مدى تحفظ ابو جهاد في كل ما ذكره بخصوص تلك العلاقات التي قال عنها: «في مرحلة ولادة فتح كانت الكثير من الانظمة العربية تحدس وكأن شيئا ما سيلد، لكنها تجهل تماما ما هية هذه الولادة أو طبيعتها، وعند الولادة كانوا يتحدثون عن وجود منظمة كبيرة تدعى «فتح» لكن احدا منهم لم يكن يعرف كنهها أبداً.. اذ كانت السرية في «فتح» في تلك الفترة مطلقة، لاننا كنا نعرف سلفا أن الهدف الاساسي لهذه الانظمة حين تكشف سرية «فتح» هو محاولة اختراقها والتأثير في اتجاهها وقرارها تمهيدا للسيطرة عليها.

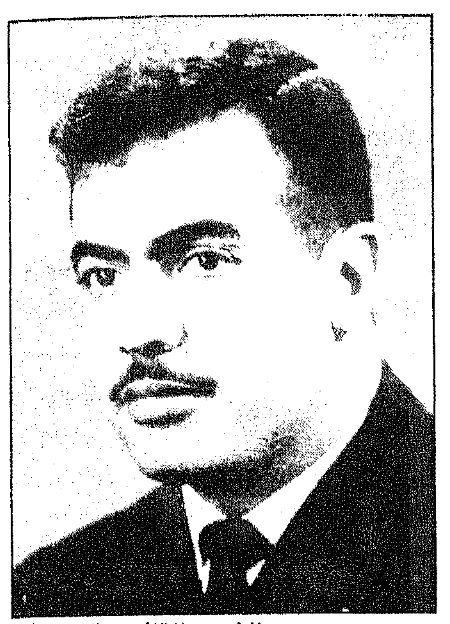
لذا فقد اصبح الخيار الوحيد امام الانظمة هو تشكيل منظماتها التابعة لها والتي تحمل اللافتة الفلسطينية والثورية والتي ستكون عينا لها لتعرف بها ماذا يجري في «فتح» ولكن الكثيرين من هؤلاء المكلفين باختراق فتح كانوا يأتون لنا ليخبرونا بمهمتهم.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فنحن قد حاولنا ونجحنا في اقامة علاقات مع الانظمة وقمنا بوضعها في صورة تحركاتنا، فنحن نعرف ان العمل الفلسطيني بحاجة موضوعية الى العلاقة العربية ومع السلطات الحاكمة وخاصة في الدول المحيطة بفلسطين.

فمثلا كان هناك سعي من جانبنا في سنوات قبل الانطلاقة لتكون مصر في صورة ما يحدث، ومثل هذا السعي كان يستند الى بيان «حركتنا» الصادر عن اللجنة المركزية العليا والذي ينص على أن الحركة «ستقبل العون غير المشروط من المصادر النظيفة.. وستمضي في طريقها مستنيرة بآراء المخلصين في دنيا العرب.. غير تابعة ولا خاضعة أو موجهة.. مدعومة بقوة الشعب العربي في كل مكان».

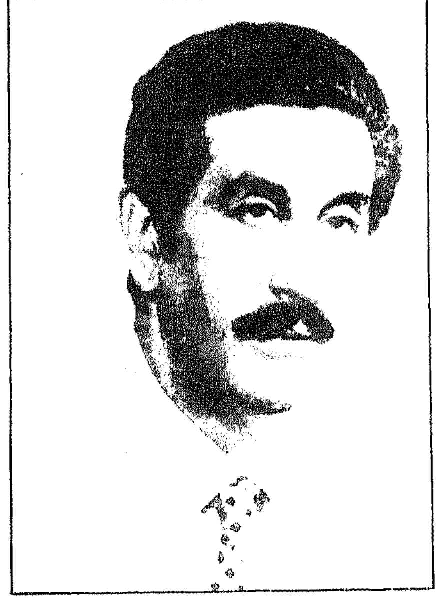
وقد اجرينا العديد من الاتصالات واللقاءات في مصر، حتى تكون على معرفة بالتيار الوطني المتمثل بحركة فتح فلا تختلط معرفتها بتفسيرات بعيدة عن الحقيقة». وكان ابو جهاد قد تحدث عن العلاقات مع سورية بشكل مسهب وتفصيلي ثم انتقل للحديث عن علاقات حركة فتح مع العراق فقال: «اما في العراق فقد زرنا العراق في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف واقمنا مع الحكم هناك علاقات جيدة كوننا حركة وطنية فلسطينية سوف نبدأ قريبا بالعمل، ثم اقمنا لجنة للتضامن مع فلسطين وكان يرأسها السيد احمد حسن البكر.. وبعد ان اصبح البكر رئيسا للجمهورية قام باغلاق مكاتبنا».

وهكذا كنا قد تمكنا قبل الانطلاقة من بناء شبكة واسعة نسبيا من العلاقات على الصعيدين الاقليمي والدولي».

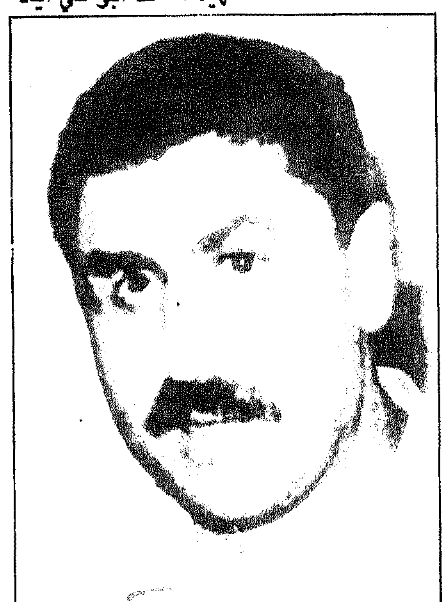


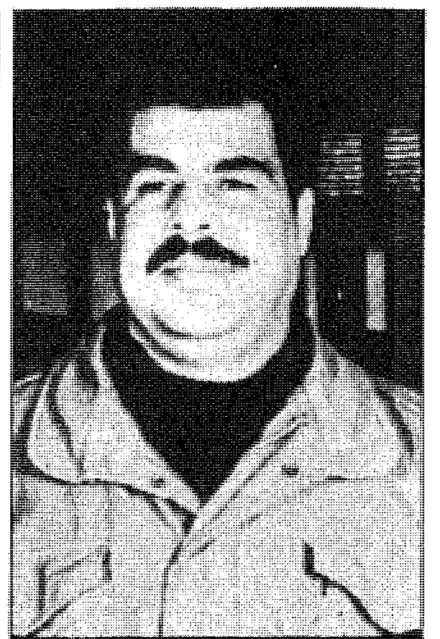
الشهيد القائد كمال عدوان

الشهيد القائد ابو يوسف النجار



الشهيد القائد ابو علي اياد





الشهيد القائد ابو صبري صيدم





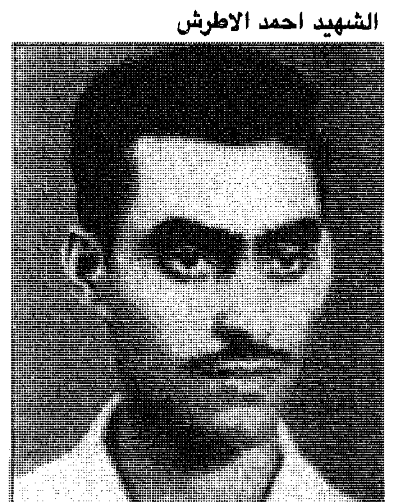
الشهيد القائد عبد الفتاح حمود



الشهيد خالد اليشرطي



الشهيد احمد الاطرش

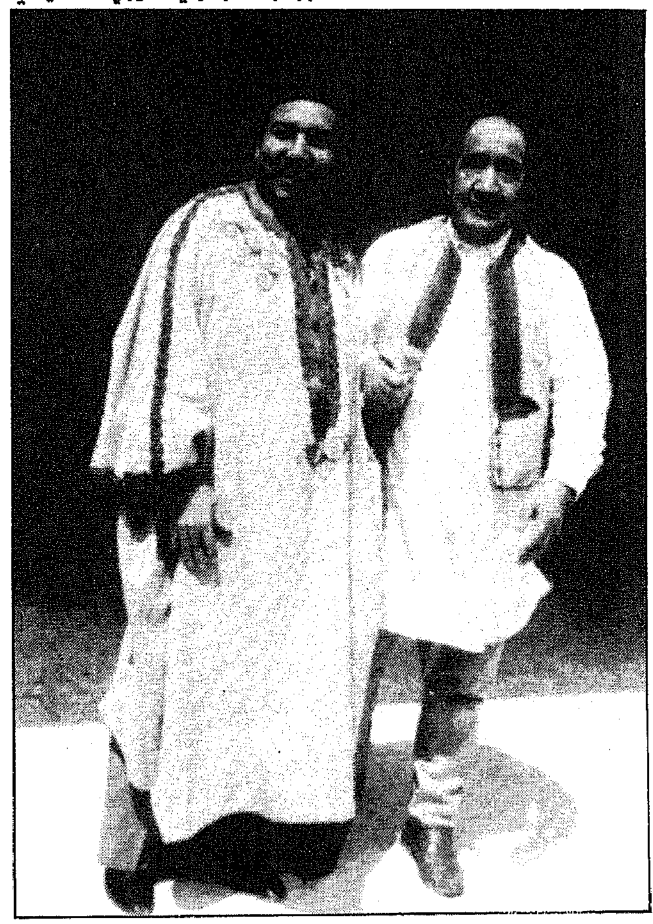




ابو جهاد في القاهرة ١٩٥٧



ابو جهاد بالزي الليبي التقليدي



٩ ازمة ١٩٦٦ والموت الذي طارد أبو جهاد

.. كل عام كان يمر في حياة ابو جهاد وحركة فتح كنا نعتبره مكسبا كبيرا، لأن مجرد «البقاء» على قيد الحياة هو في حد ذاته تحديا حقيقيا لعدو له قوة وغطرسة العدو الاسرائيلي. لذلك كان كل عام يمر يحمل معه المزيد من المتاعب والمصاعب والمخاطر لأن المسؤولية كانت تكبر والتحدي كان يتضاعف، فابو جهاد لم يكن قد نجح فحسب في الحفاظ على بقائه، وانما بدأ ايضا يعمل على تهديد بقاء خصمه وعدوه. ومن بين الاعوام الخمسة والثلاثين الأخيرة في عمر ابو جهاد كان عام ١٩٦٦ عاما متميزا بكل ما حفل به من مشاق ومآس ومخاطر، ففي هذا العام بالذات فقد ابو جهاد ابنه نضال وهو لم يزل في عمر البراعم المتفتحة، وتعرض هو شخصيا للاعتقال للمرة الثانية في حياته، واشرف على الموت المحقق لمرتين في عام واحد، بينما تعرضت حركة فتح نفسها، وفي العام ١٩٦٦ ذاته لواحدة من اخطر المشاكل واعقد الازمات التي استهدفتها وكادت أن تعصف بها.

● كانت سورية هي المسرح الذي شهد فصول كل هذه الاحداث الصاخبة التي مرت بابو جهاد والثورة الفلسطينية على مدار عام ١٩٦٦، وخاصة بعد ان انتقلت أغلب قيادة حركة فتح وكوادرها الاساسية الى سورية منذ نهاية عام ١٩٦٤ للاعداد لتفجير الثورة الفلسطينية المسلحة التي انطلقت في ١/١/١٩٦٥.

كانت قيادة فتح منذ تأسيسها مشغولة شأنها في ذلك شأن أي ثورة وكل ثورة في السعي لتأمين قاعدة ارتكازية لانطلاقة عملها العسكري ونضالها المسلح، وكان لا بد من توافر عدد من الشروط الضرورية في هذه القاعدة، كأن تكون أولاً من الناحية المعنوية قاعدة حليفة أو صديقة، وكأن تكون ثانيا من الناحية الجغرافية في تماس

مباشر ومشترك مع حدود العدو، وأن تكون ثالثا من الناحية العسكرية قادرة على تأمين متطلبات العمل الفدائي ومستلزماته، وقادرة في الوقت ذاته على حماية نفسها وتحمل ردود فعل العدو العدوانية والانتقامية تجاهها.

وأن تكون رابعا من الناحية السياسية منسجمة فعلاً مع الشعارات القومية التي ترفعها، وأن تحترم استقلالية العمل الفلسطيني وتلتزم بعدم التدخل في شؤونه الداخلية. وكان صعبا منذ البداية، ولا يزال صعبا حتى يومنا هذا تأمين مثل هذه القاعدة الارتكازية وتكون لها كل هذه المواصفات أو الحد الأدنى منها.

من الناحية النظرية هناك دائما أربعة أقطار عربية مرشحة لأن تلعب دور هذه القاعدة الارتكازية وهي مصر وسورية والاردن ولبنان.

في عام ١٩٦٤ لم يكن هذا الخيار متاحاً الا في سورية وحدها، كانت القيادة الجديدة هناك حريصة على التمايز مع نظام عبد الناصر في مصر بل والدخول معه في تنافس متصاعد وصل الى حد احراجه والبعض يقول «توريطه».

كما لعب التنافس الداخلي ما بين أجنحة القيادة السورية نفسها دورا مهما في اتاحة الفرصة امام حركة فتح أن تبدأ انطلاقتها الاولى من الاراضي السورية بالذات.

وهكذا بدأت العمليات العسكرية الاولى لحركة فتح بموافقة ضمنية سورية بينما لم تتمتع العمليات التي انطلقت من الاردن ولبنان في الفترة نفسها بأي موافقة لا علنية ولا ضمنية.

ورغم هذا الهامش الواسع من التسهيلات التي قدمها النظام في سورية للعمل الفدائي الفلسطيني في بداياته، والذي لم ينكره ابو جهاد أبداً ولم يتنكر له. الا أن حركة ابو جهاد وحركة قيادة فتح على الساحة السورية كانت تشبه الى حد كبير المشي ليلا في حقل كبير من الالغام الموقوتة.. والمتفجرة.

● كان ياسر عرفات قد انتقل من الكويت الى سورية على رأس مجموعة من قيادات وكوادر حركة فتح، وكان ابو جهاد بدوره قد انتقل على رأس مجموعة اخرى من قيادات وكوادر فتح من الجزائر الى سورية. وكان طبيعيا أن ينتقل مركز ثقل الفعل والعمل والقيادة الى حيث كان ياسر عرفات وخليل الوزير.

وقد انشغلت هذه القيادة في تلك الايام بتصعيد العمل العسكري انطلاقا من سورية، وبناء قواعد ارتكازية سرية اخرى خارج سورية وخاصة في الاردن ولبنان. وداخل قطاع غزة والضفة الفلسطينية، وبدأت كل هذه المواقع تجتذب المزيد من كوادر واعضاء حركة فتح من جميع الساحات الاخرى العربية.. والاوروبية.

وبصدد بدايات العلاقة مع سورية يذكر ابو جهاد انه بصعود حزب البعث الى السلطة هناك عملت قيادة فتح على اقامة صلة وعلاقة مع مجموعة من الضباط السوريين ذوي الميول القومية والتوجهات العروبية الذين كان لهم دور كبير في تسيير

الاحداث هناك.

ويقول ابو جهاد: «أن الصلات بيننا وبينهم تعمقت لدرجة أننا كنا على اطلاع مستمر وتفصيلي بكل ما يحدث في سورية وكانوا بدورهم على اطلاع باننا نقوم بتشكيل الحركة». ويضيف ابو جهاد: «عندما قام الانقلاب العسكري على الانفصال في عامي ١٩٦٣، ١٩٦٤ عززنا علاقتنا مع الضباط الذين وصلوا هناك الى السلطة، وعملنا على ترتيب استقبال السلاح القادم لنا من الجزائر، وكان زياد الحريري حينذاك رئيسا للاركان، وتم الاتفاق بينه وبين الرئيس بن بيلا على ارسال السلاح الى حركة فتح، ولكن حدث وهو في طريق العودة ان منعت طائرته من الهبوط في مطار دمشق اذ ان انقلابا كان قد حدث ضد الحكم القائم ايامها».

ثم عاود ابو جهاد مجددا اتصاله بالقيادة الجزائرية وحثها من جديد على الاتصال بالقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث في سورية، ونجحت حركة فتح في عام ١٩٦٥ في استقبال أول شحنة اسلحة قدمت الى سورية من الجزائر.

وتحتشد في ذاكرة ابو جهاد قائمة طويلة من اسماء القيادة السورية التي عايشت هذه الفترة وعرفها وعرفته ومنها: نور الدين الاتاسي، وابراهيم ماخوس اللذان عملا كطبيبين في الجزائر مع قوات الثورة هناك قبل أن يصعدا الى سدة القيادة والحكم في سورية، والرئيس حافظ الأسد الذي كان ايامها قائدا للطيران ثم وزيرا للدفاع قبل أن يعتلي كرسي الرئاسة هناك. وزياد الحريري الذي كان رئيسا لهيئة الاركان السورية واحمد السويداني الذي خلفه في رئاسة الاركان، ومصطفى طلاس وزير الدفاع السوري الحالي الذي كان قائدا للمنطقة العسكرية الوسطى. ومنيب المجذوب قائد الشرطة العسكرية، وحكمت الشهابي، وناجي جميل الذي كان قائدا لقاعدة الضمير الجوية، والمحامي منير العبد الله.. وعشرات اخرى من الاسماء التي لمع بعضها في سماء السياسة السورية بينما هوى بعضها الآخر بفعل قانون الجاذبية الارضية وبحكم غيره من القوانين.

ورغم ركام السنين فإن ابو جهاد احتفظ في ذاكرته وفي مكان بارز منها باسماء اثنين من الذين عرفهم وعرفوه في سورية في تلك الفترة: «ابو ندى» اومحمد ابراهيم العلي كان اسم الرجل الاول الذي كان قائدا للحرس القومي في سورية، وحدثنا عنه ابو جهاد وبشكل مسهب، وعن الدور المهم الذي لعبه بكل اخلاص في تقديم العديد من التسهيلات في مجالات العمل العسكري وخاصة في مجالي التسليح والتدريب، وكان المساعد «ابو المجد» أو محمد عبد ربه هو الساعد الايمن لابو ندى الذي أسهم عمليا وبكل الجدية والاخلاص في تقديم كل عون ممكن للعمل الفدائي الفلسطيني على الاراضي السورية.

● كان ابو جهاد في عام ١٩٦٥ قد وضع اسرته الصغيرة في بيروت بينما كان يعيش

هو بشكل شبه دائم في سورية، ويتردد كل اسبوعين على بيروت لزيارة اسرته حاملا معه بعض الحلوى لولديه جهاد ونضال، وما تيسر حمله من الاسلحة والمتفجرات والبيانات والمنشورات الى الفدائيين في جنوب لبنان.

وقبل نهاية عام ١٩٦٥ غادر ابو جهاد بيروت في مهمة طويلة بدأها بزيارة الجزائر للالتقاء بالرئيس هواري بومدين، ثم انتقل من هناك الى اوروبا للاشراف على وضع التنظيم السري لحركة فتح هناك، وتنقل ابو جهاد بين النمسا والمانيا الغربية ويوغسلافيا والبرتغال قبل ان يعود من جديد الى بيروت ليفاجأ بقرار ياسر عرفات بنقل ام جهاد وولديه الى دمشق في اعقاب اعتقال الشهيد احمد الاطرش في بيروت، وهكذا انتقل ابو جهاد واسرته الى دمشق، وتحديدا الى المنزل الكائن في منطقة ركن الدين، الذي تشهد حجارته ان نطقت، على اهم الاحداث التاريخية التي عاشها ابو جهاد، وكل قيادة حركة فتح في تلك الفترة العصيبة والصعبة من عمر الثورة الفلسطينية.

بيت الحركة ومقرها الدائم

في كل مكان كان ابو جهاد يقيم فيه كان منزله يتحول على الفور الى بيت لحركة فتح ومقر رئيسي لاقامة القيادة وعملها. حدث ذلك في الكويت ثم الجزائر، وبيروت قبل ان تنتقل اسرة ابو جهاد الى دمشق في اواخر عام ١٩٦٥.

لم تكن هناك مكاتب أومقرات علنية لحركة فتح في تلك الايام، وكانت كل منازل اعضاء الحركة بمثابة مكاتب ومقرات لها، وكان اهم مركزين للقيادة في دمشق هما المسكن الذي كان يقيم فيه ياسر عرفات والشهيد ابو صبري في منطقة المزرعة في قلب دمشق، وكان المركز الثاني هو المسكن الذي اقام فيه الاخ الشهيد ابو علي مع موسى عرفات ووليد ابو شعبان في منطقة حي زقاق الصقر، وكان هذا المسكن عبارة عن قبو يستخدم بشكل خاص كمخزن للاسلحة والذخائر ونقطة للتوزيع الى الخلايا الفدائية السرية لحركة فتح.

وعندما انتقلت اسرة ابو جهاد الى منزلهما الكائن بمنطقة ركن الدين، تحول هذا المنزل بدوره الى بيت للحركة ومركز جديد للقيادة.

واستقبل هذا المنزل بالذات الجزء الاكبر من اول شحنة اسلحة قدمت للثورة الفلسطينية من الجزائر، وانتقلت صناديق الرشاشات والذخيرة والقنابل والالغام مباشرة من المطار الى غرف منزل ابو جهاد الذي تحول الى مستود ع كبير للاسلحة.

لطالما حدثنا ابو جهاد بحميمية وحرارة لا يمكن وصفهما الآن عن تلك الايام الاولى وعن لحمة العلاقة الاخوية والتكافل والتكامل التي سادت تلك العلاقات فجعلت من فتح كلها اسرة واحدة كبيرة تستظل بذلك القانون الذي أحب ابو جهاد دائما ان يطلق

عليه اسم قانون المحبة.

كان بيت ابو جهاد بهذا المعنى هو بيت الحركة ومركز اللقاء ونقطة التجمع ولم يكن غريبا أن يلتئم في هذا البيت بالذات أول مؤتمر عام لحركة فتح الذي هو اعلى سلطة في هذه الحركة، وحضره ايامها حوالي ثلاثين عضوا قياديا فحسب توافدوا الى هذا المؤتمر من اغلب الاقطار التي كانت فتح قد اقامت فيها تنظيما سريا لها.

وفي عبارة موجزة يمكن القول بان بيت ابو جهاد كان تجسيدا للبيت الفتحاوي الواحد الكبير الذي تربت داخله اجيال متعاقبة تحت سقف قانون المحبة وعلى ارضية الاسس والمبادىء والمنطلقات نفسها التي حافظت على جوهرها.. واصالتها.

الموت الذي طارد ابو جهاد

عندما بلغ نبأ استشهاد ابو جهاد لوالده الشيخ ابراهيم الوزير الذي ما يزال يقيم في المنزل نفسه الكائن بدمشق في محلة ركن الدين قال هذا الشيخ الجليل: «كنت انتظر هذا اليوم منذ ٢٥ عاماً».

وكان ابو جهاد نفسه كثيرا ما يداعب ام جهاد بقوله: «هل كنت تعتقدين أنني سأعيش معكم كل هذا العمر». وكأنما كان يستكثر على نفسه تلك الاثنتين والخمسون سنة التي عاشها بيننا.

لم يكن ابو جهاد مستخفا بالموت لكنه لم يكن خائفا منه، بل كان مستعدا دائما للقائه دونما تردد أو جزع أو وجل.

لقد عرفناه مشروعا دائما للشهادة، يحرص على الوقوف في الموقع الأمامي ليضفي على مقاتليه هدوءه وحنكته ورباطة جأشه، وكم من مرة في معركة بيروت الخالدة حاول المقاتلون رده عن مواقعهم الامامية فأبى الا ان يكون بينهم في اللحظات التي بلغ الخطر الداهم فيها ذروته.

في ١٩٨٢/٨/١ وصل ابو جهاد مع اثنين فقط من مرافقيه في تلة «الكوكودي» حيث لم يكن ليفصله عن موقع القوات الاسرائيلية المهاجمة سوى بضعة امتار فقط، وفي يوم ١٩٨٢/٨/٤ وصل ابو جهاد الى سور ميدان سباق الخيل ليشرف من هناك على المعركة البطولية التي قادها المقاتل الفلسطيني البطل المقدم عطية عوض مع الفدائيين الفلسطينيين، ويصد تلك المحاولات الاسرائيلية الكثيفة لاختراق محور بوابة المتحف، وامام شراسة هذه المعركة اضطر العدو الاسرئيلي لاول مرة في كل تاريخه لأن يذيع بيانا عسكريا يقول فيه بالحرف الواحد: «نجحت القوات الاسرائيلية في التقدم على محور بوابة المتحف مسافة عشرة امتار».

ويذكر الجميع انه مع اشتداد المعارك وتضارب المعلومات حول نتائجها جاء صوت

ابو جهاد الذي تحفظه آذان كل المقاتلين ليحسم صورة الموقف العسكري لمعركة المتحف ومن قلب المعركة نفسها.

كم من مرة طارد الموت ابو جهاد، بل كم من مرة طارد ابو جهاد الموت، وكان في الحالتين يبدو مشرقا كعريس متهلل في ليلة حنائه.

في كل عام كان يمكن لنا ان نحصي عدد المرات التي اشرف فيها ابو جهاد على الموت المحقق ولم تجزع نفسه ولا ترجل من على صهوة جواد الخطر الذي اعتلاه كفارس عربي أصيل ونبيل.

في عام ١٩٦٦ طارده الموت مرتين قال ابو جهاد عن الاولى منها: «كان التدريب على السلاح أحد الشروط الاساسية للعضوية في حركة فتح ولم يكن هناك من يستثنى من هذا الشرط، وفي مطلع عام ١٩٦٦، وردت الى الثورة الفلسطينية شحنة جديدة من القنابل اليدوية، فقرر ابو جهاد ان يصطحب معه الشهيد ابو صبري، والمختار بعباع للتدريب على استخدام هذا النوع الجديد من القنابل. وكان على الثلاثة ان يقذفوا على التوالي بهذه القنبلة الجديدة من داخل حفرة خاصة اعدت في احد حقول الرماية العسكرية، وكان المساعد «ابو المجد» يشرف على هده الحصة التدريبية.

وعندما جاء دور الشهيد ابو صبري لالقاء القنبلة تصادف ان زلت قدمه فاختل توازنه وسقطت القنبلة من يده داخل الحفرة نفسها بعد ان جذب أمانها. حكى لنا ابو جهاد عن تلك الثواني العصيبة التي كان ينتظر كل واحد فيها أن يمزق دوي انفجار القنبلة جسده وهذا الصمت الثقيل الذي أطبق على المكان. لكن ارادة الله شاءت يومها ان تنحشر القنبلة بين حجرين فتعطل انفجارها لعدة لحظات كانت كافية لخروج الثلاثة من الحفرة ونجاتهم من الموت قبل أن تنفجر القنبلة وتتناثر شظاياها القاتلة في محيط حفرة التدريب.

وضحك ابو جهاد طويلا وهو يروي لنا الحادثة الثانية التي أشرف فيها للمرة الثانية على الموت المحقق في عام ١٩٦٦ نفسه فقد كان مصحوبا في هذه المرة أيضا بالشهيد ابو صبري وقد خرجا معا من دمشق في سيارة صغيرة من طراز «فولكس واجن» لنقل كمية من الاسلحة والذخائر والمتفجرات والالغام الى المستودعات السرية لحركة فتح في محافظة درعا، كانت السيارة الصغيرة تنوء بهذا الحمل الكبير، وحدث ان انقلبت السيارة بالفعل على جسر في منطقة تدعى الشيخ مسكين، وأطل من جديد شبح الموت، وتدخلت ارادة الله مرة اخرى لتعطل باعجوبة انفجار شحنة الاسلحة في السيارة المقلوبة، واقتصر الامر يومها على شج طويل وعميق في رأس ابو جهاد واضطر معه الطبيب الذي عالجه لاجراء سبعة قطب في رأسه للئم الجرح ووقف النزيف.

لكن الموت الذي طارد ابو جهاد وافلت منه مرتين نجح في المرة الثالثة وفي عام ١٩٦٦ نفسه في اقتناص ابنه نضال وبعد سنوات ثلاث اخرى في اقتناص الشهيد القائد ابو

صبري بعد ان اعطى الثورة زهرة شبابه ورحيق عمره وكل جهده وفكره وعقله، وكان قائدا تاريخيا من قيادات فتح وقوات العاصفة.

الطريق الى الازمة العاصفة

شهد عام ١٩٦٦ واحدة من اخطر الازمات التي كادت أن تعصف بحركة فتح وتفتك بقوات العاصفة، وفي تقديرنا آن الوقت لم يحن بعد للكشف عن كافة اسرار ودقائق ازمة ٩/ ٥/ ١٩٦٦، ورغم تشابك وتعقيدات هذه الازمة فإن جذورها الحقيقية تكمن في الصراع ما بين الخط الوطني المستقل، وبين القوى التي لا تقبل بالتعايش مع هذا الخط.

● كانت مصالح واهداف حركة فتح قد تقاطعت مع القيادة الجديدة لحزب البعث في الفترة ما بين عامي ٦٥ ـ ١٩٦٧. وقد ادت حالة التقاطع هذه الى دخول عدد من الكوادر ذات الانتماء البعثي الى جسم حركة فتح، الى داخل هيكلها السياسي، وجناحها العسكري، كان البعض منها مدفوعا بمشاعره الفلسطينية الوطنية المخلصة، بينما كان البعض الآخر منها مدفوعا من قبل الاجهزة والاجنحة البعثية التي لم تكن تقبل التعايش مع فكرة استقلالية العمل الوطني الفلسطيني.

كانت المعلومات الضافية التي تضمنها كتاب «مشاعل الثورة على دروب العودة» عن حصاد النضال الفلسطيني في عام ١٩٦٥ تؤكد ان قوات العاصفة قد نفذت في عام ١٩٦٥، ١٤٦ عملية فدائية، وكانت تباشير عام ١٩٦٦ تنبأ بتضاعف هذه العمليات وتصاعدها وتطورها كميا ونوعيا.

وكان ذلك من ابرز الاسباب التي حركت دوافع ازمة ٩/ ٥/١٩٦٦.

● على صعيد آخر شهد العمل التنظيمي لحركة فتح تطورا مهما بعد أن ترأس ابو جهاد اول لجنة تنظيمية لحركة فتح في اقليم سورية، وكانت تضم في مطلع عام ١٩٦٦ الاخوة: الشهيد ابو صبري، وعبد الكريم العكلوك، وجهاد القراشولي، وعلي الكردي، وعدنان ابو عمشه، وزكريا عبد الرحيم، وصلاح الزواوي، فضلا عن الاخوة محمود الخالدي، ومحمود فلاحة، وحسام الخطيب الذين كانوا اعضاء في تشكيل اللجنة المركزية لحركة فتح في تلك الفترة وحتى ازمة ٩/ ٥/ ١٩٦٦.

كان الجهد السياسي والتنظيمي الذي بذله ابو جهاد وكوادر هذه اللجنة قد احرز العديد من النجاحات الباهرة في صفوف الجماهير الفلسطينية في مخيمات سورية، كما اكتسب العديد من المناصرين والاصدقاء لحركة فتح من بين صفوف حزب البعث الحاكم نفسه، وكان ذلك سببا آخر في تحريك دوافع الازمة. وهكذا أدى تصاعد العمل الفدائي الفلسطيني واتساعه الى ردود فعل عدوانية انتقامية متصاعدة من قبل العدو

الاسرائيلي على سورية، وأدى اتساع العمل السياسي والتنظيمي الى تثبيت ركائز حركة فتح جماهيريا وبدا ان مركز ثقل الحركة وقيادتها بصدد الانتقال الى قيادة حركة فتح على الساحة السورية.

وحدث في تلك الفترة ان تقاطعت في مواجهة ذلك كله بعض النيات الوطنية الفلسطينية الحسنة مع دوافع ومصالح بعض الاجنحة والاجهزة البعثية في سورية لتلقي مزيدا من الحطب تحت مرجل الازمة فيتأجج جمرها وتسخن حرارتها.

كان النمو المتصاعد لحركة فتح عسكريا وتنظيميا وسياسيا قد دفع بعض الاجهزة في سورية لتشكيل تنظيم فلسطيني خرج من عباءتها على يد عدد من الضباط الفلسطينيين في الجيش السوري كان من ابرزهم الضابط احمد جبريل وجرى دفع الامور باتجاه توحيد هذه الجبهة التي اطلق عليها ايامها اسم جبهة التحرير الشعبية مع حركة فتح بهدف احتوائها أو اختراقها.

وتشكلت لبحث مسائل هذه الوحدة ثلاث لجان: عسكرية وتنظيمية وسياسية، وتمخض الامر في النهاية عن اتفاق جرى بمقتضاه ضم كل من الضابط احمد جبريل، وعلي بوشناق الى قيادة حركة فتح، غير ان هذا الاتفاق لم يصمد طويلا، وجرى تفكيك هذه الوحدة الهشة في شهر ابريل (نيسان) من عام ١٩٦٦.

لكن الضغوط لم تكن قد انتهت ووصل الامر الى حد اقدام مجموعات من جبهة احمد جبريل وبدعم من اجنحة في المخابرات السورية على اعتقال الفدائيين الفلسطينيين اثناء عودتهم من العمليات العسكرية التي ينفذونها ضد اهداف العدو الاسرائيلي داخل فلسطين المحتلة.

في يوم ١١/٤/١٩٦٦ اقدمت هذه الجماعات على اختطاف الشهيد محمد حشمة «ابو القاسم»، وهو عائد على رأس مجموعته الفدائية من تنفيذ عملية عسكرية ضد الاهداف الاسرائيلية في منطقة الحمة الفلسطينية المحتلة. ولم يشفع له عند خاطفيه انه كان مجروحا في ساقه برصاص العدو الاسرائيلي.

وأجرى ابو جهاد والقيادة الفلسطينية اتصالات مكثفة للافراج فورا عن الشهيد محمد حشمة، وافلحت هذه المساعي اخيرا وافرج عنه وهو يحمل في جسده آثار الضرب من تعذيب «الاخوة» وآلام الجرح من رصاص الاعداء.

وشهدت الفترة نفسها محاولة اخرى لتوحيد الجبهة الثورية لتحرير فلسطين مع حركة فتح، وبنتيجة الحوارات عين النقيب يوسف عرابي وهو ضابط فلسطيني في الجيش السوري في المكتب العسكري الموحد لفتح وهذه الجبهة، وعين محمد زهدي النشاشيبي في القيادة السياسية.

لكن الامور مع ذلك لم تهدأ فقد كانت هناك اطراف عديدة تعمل جاهدة على تسخين حرارة الازمة ودفع الامور بشكل متسارع باتجاه التفجير.. والانفجار، وهكذا وصلت

الازمة ذروتها ودخلت المؤامرة الى اخطر مراحلها.

الانفجار.. والاعتقال

كانت اخطر مظاهر الازمة التي شهدتها حركة فتح في ١٩٦٦/٥/٩ هي محاولة البعض نقل مرض الانقلابات العسكرية الى جسم حركة فتح وكان ذلك يعني تكريس الاحتكام للسلاح والاقتتال لحسم التعارضات والخلافات في الاتجاهات والتوجهات الفلسطينية الداخلية.

وكان ذلك يعني ايضا توجيه ضربة قاصمة للتجربة الديمقراطية الفلسطينية التي يحق لفتح والمقاومة الفلسطينية ان تزهو بالتقاليد التي ارستها وحافظت عليها في هذا المجال.

وكان ذلك يعني اخيرا المس بجوهر الموقف الفلسطيني المستقل لحركة فتح وتحويلها الى مجرد جماعات ملحقة بنظام عربي ما وتابعة لسياساته وأهوائه، وخاضعة لأجهزته ومخابراته.

بدأ انفجار الازمة عندما تحالفت عدة قوى لدفعها الى نقطة الغليان، وشهد يوم ١٩٦٦/٥/٩ احداثا درامية مروعة، بدأت بمحاولة النقيب يوسف عرابي ومجموعته السيطرة على قيادة قوات العاصفة في دمشق بقوة السلاح مستندة الى قرار صادر عن مجموعة في قيادة حركة فتح في الكويت.

كان ابو عمار مع ابو جهاد يعملان بشكل حثيث على نزع فتيل الانفجار وتهدئة الامور، وحث الاطراف السورية الخيرة للتدخل ومنع الاطراف الاخرى من دفع الازمة الى حافة الهاوية ونقطة اللاعودة.

لكن الازمة كانت تتحرك وتكبر ككرة الثلج المتدحرجة على سفح الجبل، وشهدت الساعات الاخيرة من مساء يوم ١٩٦٦/٥/٩ المواجهة الدامية بين الشهيد محمد حشمة وفي حضور عدد من كوادر حركة فتح من ابرزهم عبد الكريم العكلوك، وزكريا عبد الرحيم ومختار بعباع، وعبد المجيد زغموط وعدنان العالم، وعدنان دبور. وبسرعة فائقة تحول التراشق الحاد بالكلمات الى مبارزة مسلحة بالرصاص.

وكان الشهيد البطل محمد حشمة هو الضحية الأولى عندما سقط مضرجا بدمائه الطاهرة، ثم اطلقت النيران بعدها على النقيب يوسف عرابي فاصيب اصابة قاتلة واتهم بعدها عبد المجيد زغموط باطلاق الرصاص عليه وقتله.

كانت هذه الحادثة الدموية قد وضعت كل مصير حركة فتح بل والقضية الفلسطينية في دائرة الخطر وفي مهب الاعصار. إذ سرعان ما انكشفت نوايا القوى التي دفعت باتجاه تفجير الأزمة، ولم تشأ ان تغلق هذا الملف عند حدود الدم البريء

الذي أهرق في تلك الليلة بل دفعت باتجاه مضاعفة الضغوطات ومواصلة التصعيد.

وهكذا صدر قرار باعتقال قيادة حركة فتح في سورية وشمل هذا القرار: ياسر عرفات، وخليل الوزير والشهيد ابو صبري، والشهيد ابو علي اياد، وعبد الكريم العكلوك وزكريا عبد الرحيم ومختار بعباع وعبد المجيد زغموط.

● يقول ابو جهاد: «رغم ان حزب البعث العربي في سورية قد استقبل انطلاقتنا بحفاوة ملموسة الا ان الفرع الفلسطيني في الحزب أثار ضدنا الحملات ولكن موقف حزب البعث السوري لم يستمر كما هو اذ سرعان ما تغير بعد حادثة الشهيد يوسف عرابي والشهيد محمد حشمة، وقد شنت ضدنا حينذاك حملة مليئة بالحقد، وقد تم اعتقالنا في العام ١٩٦٦، ولم يكن هذا كله الا بسبب اننا حققنا بعض الخطوات على طريق الكفاح المسلح في حين انهم كانوا يريدون احتكار الكفاح لانفسهم ومع الاسف انهم لم يفعلوا».

● ومن المصادفات الغريبة ان تعتقل القيادة الفلسطينية في يوم ١٩٦٦/٥/٩، وهو اليوم نفسه الذي صدر فيه بلاغ القيادة العامة لقوات العاصفة حول محاكمة الاسير الفلسطيني الاول محمود بكر حجاز امام محكمة عسكرية اسرائيلية قضت بسجنه لمدة ثلاثين عاما.

وكانت القيادة العامة لقوات العاصفة قد ضمنت هذا البيان مقاطع من قصيدة حماسية تقول ابياتها:

«لا السجن يرهبني ولا السجان
مادام يغلي في دمي الايمان
لا القيد يثني همتي عن قصدها
لا السوط لا التعذيب لا الطغيان
سأثور عاصفة تهب عتية
فيها المنايا السود والنيران».

ولم يكن هذا البيان قد وزع وانتشر حتى جرى اعتقال القيادة الفلسطينية نفسها وارسلت اولا الى السجن في مقر الشرطة العسكرية السورية، ويذكر ابو جهاد ان الذي تولى التحقيق المبدئي معهم ايامها كان ملازم اول حقوقي اسمه علي نداف.

وكانت هناك اجهزة تسعى لتوجيه اصابع الاتهام لابو عمار والقيادة الفلسطينية بتحريض عبد المجيد زغموط على قتل النقيب يوسف عرابي، بينما اغفل التحقيق عن عمد مسألة اغتيال الشهيد محمد حشمة، والطابع السياسي للازمة برمتها.

وبعد اسبوعين جرى نقل القيادة الفلسطينية المعتقلة الى السجن الموجود في قلب قاعدة الضمير الجوية العسكرية التي كان يشرف عليها في ذلك الوقت «ناجي جميل»، ومن ثم أعيدوا مرة اخرى الى الشرطة العسكرية، ومنها الى سجن المزة الشهير حيث

جرى توزيعهم على زنازين انفرادية ومنعت عنهم الزيارات وقراءة الصحف وساءت معاملتهم الى الدرجة التي دفعت القيادة الفلسطينية المعتقلة للدخول في اضراب طويل عن الطعام.

● في بداية فترة الاعتقال كانت السلطات السورية قد سمحت لام جهاد بزيارة ابو جهاد واخوانه في القيادة الفلسطينية، وكانت الزيارة فرصة سانحة لنقل توجيهات القيادة الى الخارج، وبالفعل تولت لجنة القيادة الجديدة المشكلة من ام جهاد والشهيد ابو علي اياد الذي اعتقل لاحقا، والشهيد احمد الاطرش العمل في اتجاهين، الاتجاه الاول يسعى لتكثيف الاتصالات بهدف الافراج عن القيادة المعتقلة، والاتجاه الثاني يسعى لتثبيت أوضاع حركة فتح ومواصلة العمل العسكري، وكان للاتجاهين معا، دور بارز في تغير مسار هذه القضية.

● بعد مرور قرابة الشهرين على حادثة ٩/ ٥/ ١٩٦٦ كان ابو جهاد لا يزال معتقلا، وكانت ظروف الاعتقال تزداد قسوة وسوءا، وكأنما كان نضال الابن الاصغر لابو جهاد يفتش عن وجه ابيه الذي افتقده دون ان يعي لذلك سببا، فتسلق سريره، وانحنى بجسده الصغير من النافذة باحثا عن وجه ابيه الذي طال انتظاره وغيبه الاعتقال، وعبثا فتش ولم يجده فمال بجسده اكثر ثم اكثر الى ان هوى كنجمة صبح بريئة من الطابق الثاني ليرتطم رأس هذا الحمل الوديع بالارض القاسية الصلبة، ويلفظ انفاسه ليفتدي بهذه البراءة الملائكية ابو جهاد ومن ثم القيادة الفلسطينية وحركة فتح.

● في اعقاب وفاة نضال سمحت السلطات السورية حسب تقليد لا يزال معمولا به حتى الان، بخروج ابو جهاد من المعتقل لاتمام اجراءات دفن ابنه المتوفى. وما ان جرت مراسيم الدفن حتى مسح ابو جهاد تلك الدمعة التي ترقرقت في مقلتيه واندفع بكل حيويته المعهودة في سباق مع الزمن لتغيير مسار القضية وتحرير زملائه المعتقلين.

بدأ ابو جهاد بلقاء جمعه بالرئيس حافظ الاسد الذي كان ايامها وزيرا للدفاع، وافاض في شرح ابعاد القضية وملابساتها، وحصل بنهاية هذا اللقاء على تمديد مهلة بقائه خارج المعتقل لثلاثة ايام، وفي اليوم التالي التقى ابو جهاد احمد السويداني الذي كان رئيسا لاركان الجيش السوري، وتمكن من الحصول على ثلاثة ايام اضافية خارج المعتقل، ثم التقى وزير الخارجية السوري وتحصل على ثلاثة ايام اخرى، ولم يضع ابو جهاد كعادته لحظة واحدة فيما لا يجب عمله، فوزع جسده ووقته وجهده في تزامن وتوازي على ثلاثة محاور اساسية، بدأ ببذل قصارى جهده لكسر حدة الهجمة المعاكسة وتحشيد القوى الخيرة في سورية وراء الحق الفلسطيني. وعمل على وقف احتمالات التشرذم والتردد والتدهور التي كادت ان تتفشى في خلايا الجسم الفلسطيني، فثبت أوضاع التنظيم، واستنهض قواه واسترجع حيويته واطلق من جديد قدراته ومبادراته.

وركز ابو جهاد على تصعيد العمليات الفدائية لقوات العاصفة تأكيدا للنهج الذي التزمت به حركة فتح وكشفا لعجز وقصور الآخرين.

ويذكر ابو جهاد واقعة مهمة جرت في ١٩٦٦/٧/٢٢ عندما اصطدمت مجموعة فدائية من قوات العاصفة كانت في طريق عودتها من تنفيذ عملية عسكرية داخل فلسطين المحتلة مع وحدات من أجهزة المخابرات الاردنية، التي تعقبت المجموعة في قرية القليعات وحاصرتها في جبل عرابي، ومن ثم قتلت الشهيد تركي عبد الله كنعان الذي قاد معركة مستعمرة بيت يوسف داخل فلسطين المحتلة واعترفت فيها سلطات الاحتلال بعنف المعركة وفداحة خسائرها فيها.

كما جرح الفدائيون الثلاثة الآخرون: حسن خليل ابو جويد، ومحمد، حيان كنعان، ومحمود ابو الهيجا، ثم جرى اعتقالهم.

كان التوتر لا يزال يخيم على العلاقات السورية ـ الاردنية في تلك الايام، وكان لهذا الحادث الى جانب التصعيد الحاصل في العمليات العسكرية لقوات العاصفة دوره وتأثيره الملموس على الوضع السياسي لحركة فتح وعلى قضية القيادة المعتقلة في السجون السورية.

● كان تكثيف التحرك في الخارج يجري في تزامن مع تصعيد ارادة التحدي للضغوطات داخل السجن. كان الشهيد ابو صبري قد رفض بشكل قاطع قرار ادارة السجن بفرض حلاقة شعر الرأس على نحو مهين وبشكل مذل.

وكان ياسر عرفات قد أصر على مواصلة اضرابه الطويل عن الطعام متحديا قرارات ادارة السجن وضغوطاتها فساء وضعه الصحي بعد ان تجاوز العشرين يوما كاملة وهو مصر على اضرابه عن الطعام، وفي اليوم الثالث والعشرين للاضراب عن الطعام كان ابو عمار يؤدي فريضة الصلاة فسقط مغشيا عليه من فرط الاعياء، ونقل الى المستشفى العسكري حيث جرت تغذيته هناك بطريقة طبية عن طريق التحاليل والحقن.

وحرر من هناك رسالة سياسية حادة وشاملة وجهها الى حافظ الاسد الذي كان وزيرا للدفاع وقائدا للقوات الجوية السورية في تلك الفترة.

وفي اعقاب تلك الاحداث شهدت الازمة كلها بداية الانفراج الذي انعكس ايجابيا على اوضاع حركة فتح على الساحة السورية، وعلى أوضاع القيادة الفلسطينية المعتقلة في زنازين سجن المزة.

وبعد انقضاء حوالي ثلاثة أشهر من تاريخ الاعتقال جرى اطلاق سراح الاخوة ياسر عرفات، والشهيدين ابو صبري، وابو علي اياد ومختار بعباع، بينما ابقي على الاخوة عبد الكريم العكلوك، وزكريا عبد الرحيم وعبد المجيد زغموط قيد الاعتقال. وبعد مرور خمسة شهور صدرت لائحة اتهام خطية نسبت لهؤلاء الاخوة تهمة التحريض على

القتل مع سبق الاصرار.

وتشكلت في تلك الفترة محكمة عسكرية عرفية خاصة ترأسها في ذلك الوقت العميد مصطفى طلاس، وضمت في عضويتها: العقيد محمد عزام، والعقيد رئيف علواني، والمقدم ناجي جميل.

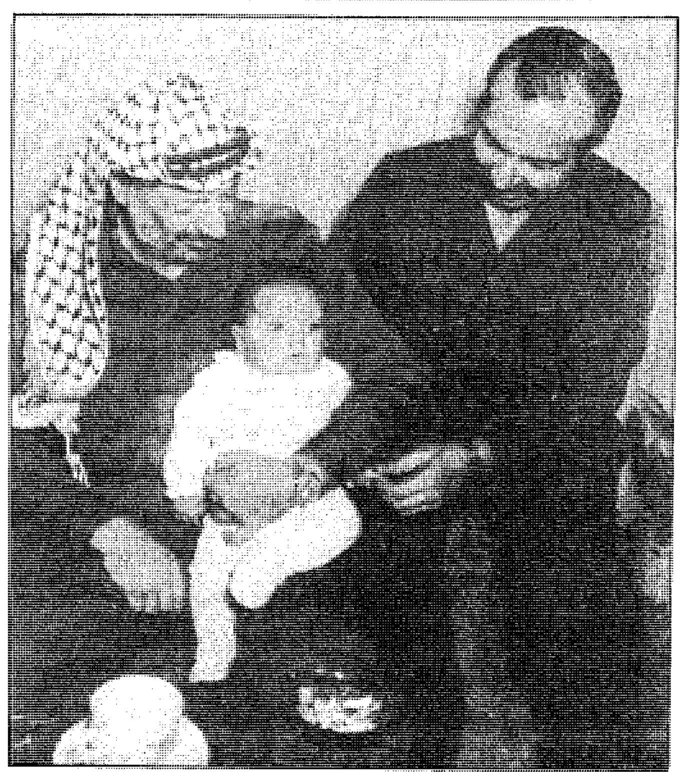
ويذكر ابو جهاد انه حضر في الجلسة الاولى امام المحكمة كشاهد نفي، وقدم امام تلك المحكمة مرافعته ودفاعه السياسي ليس عن الاخوة الثلاثة فقط، ولكن عن حركة فتح نفسها وعن خطها ونهجها السياسي والعسكري. وكانت فتح قد كلفت المحامي السوري منير العبد الله للدفاع القانوني امام هذه المحكمة.

وبعد اسبوع من الجلسات اصدرت المحكمة حكمها في ٢٩/١١/١٩٦٦ والذي جاء فيه: «باسم الشعب العربي السوري حكمت المحكمة ببراءة المتهمين عبد الكريم العكلوك، وزكريا عبد الرحيم لعدم ثبوت الادلة والقرائن». بينما اصدرت حكمها بالاعدام على عبد المجيد زعموط.

لكن حكم الاعدام لم ينفذ في عبد المجيد زغموط، وهو لا يزال معتقلا منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا، وتحصل وهو في سجنه على شهادة جامعية، ولا يزال يواصل دراسته العليا، ربما ليعزز بعلمه أمله في الخلاص.. والحرية.

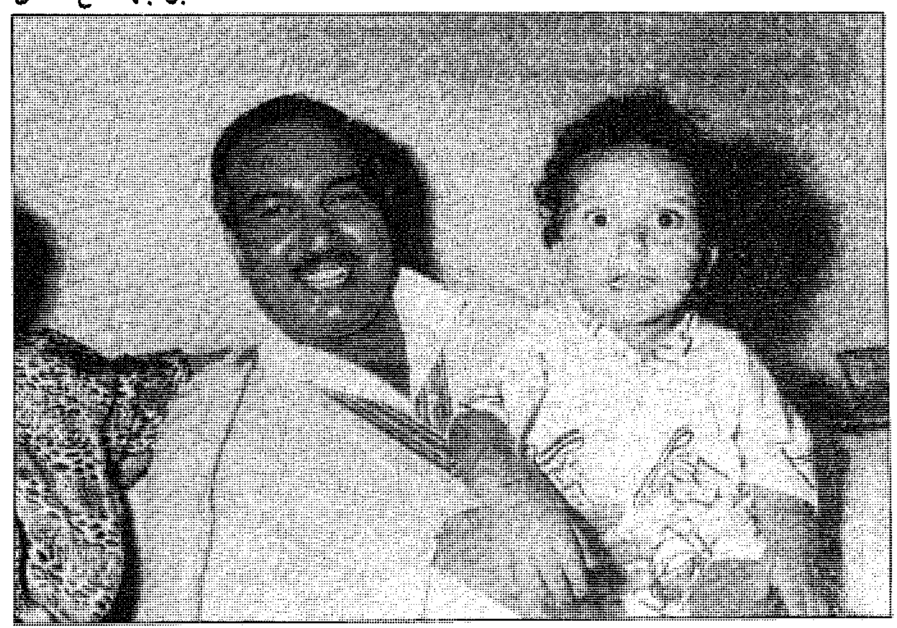
وهكذا أغلق ملف أزمة عام ١٩٦٦، وخرجت منها حركة فتح متعافية وعفية بعد اختبار قاس لارادتها وصلابتها ولقدرتها على التحدي والمواجهة والاستمرار. ومن ثم بدأت القيادة ترتيب أوضاعها الداخلية وتوجهاتها الخارجية مستفيدة من دروس الازمة وعبرها. كان عام ١٩٦٦ يكاد ينصرم باحداثه المروعة مخليا الطريق امام تسارع وتيرة الاحداث على المسرح السياسي للشرق الاوسط استعدادا لرفع الستار عن مرحلة الهزيمة العربية في يونيو (حزيران) من عام ١٩٦٧.

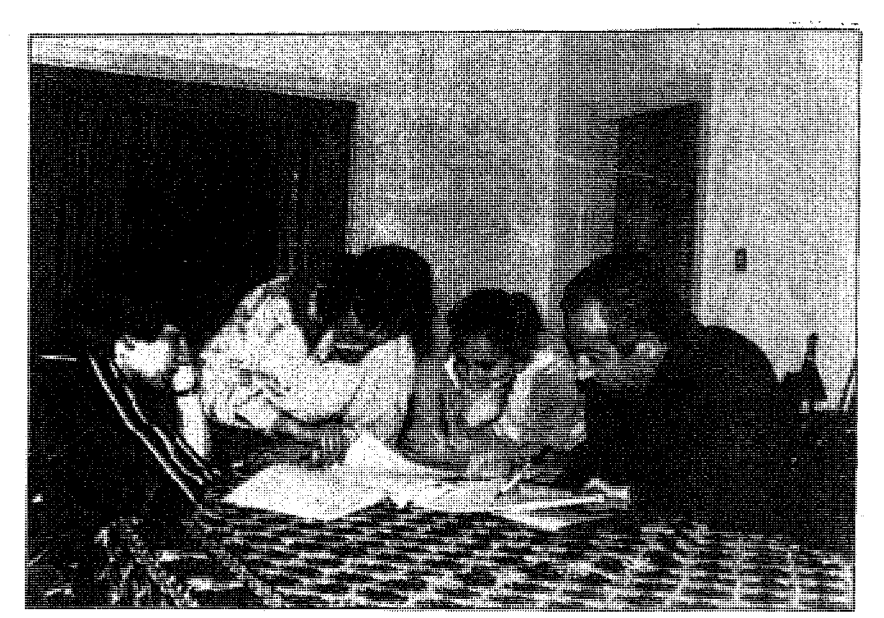




ابو جهاد وابو عمار.. ونضال

ابو جهاد مع نضال





ابو جهاد وام جهاد وايمان وحنان - منزل فتح وقانون المحبة



ابو جهاد مع نضال الثاني ١٤/١/١٩٨٧

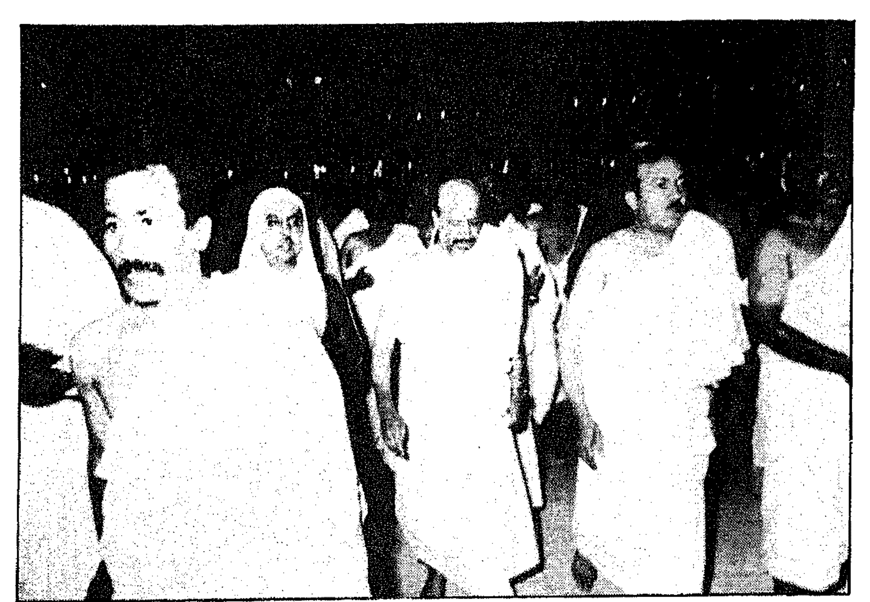




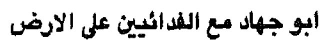
ابو جهاد مع ابو عمار اثناء زيارتهما للزعيم الراحل سلطان باشا الاطرش

ابو جهاد بين الشهيدين علي ابو طوق قائد مخيم شاتيلا
ومروان الكيالي الذي استشهد مع اخويه ابو حسن وحمدي في قبرص في ١٢/٢/١٩٨٨





ابو جهاد وابو عمار بين يدي الرحمن في بيت الله



ابو جهاد مع الفدائيين على الارض



١٠ أحاديث الانطلاقة ومنطق العاصفة

كان ابو جهاد قد اتم حديثه عن فترة بداية البدايات التي امتدت من عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٥٤، ثم واصل حديثه الى فترة البدايات التي امتدت من عام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧، ومن ثم حدثنا عن فترة التأسيس التي بدأت في نهاية عام ١٩٥٧ وامتدت حتى نهايات عام ١٩٦٤.

وها نحن معه الآن على عتبة اللحظة التاريخية الفاصلة، لحظة الانطلاقة التي فجرتها الرصاصة الاولى في ١/١/١٩٦٥ وهكذا تحدث ابو جهاد عن الانطلاقة: «كان الشاغل الرئيسي لنا في لحظة انطلاقة فتح يتمثل بالتساؤل عن كيفية ممارسة عمل ثوري متواصل ومستمر، فلا يكون عبارة عن هبة عاطفية عارضة تطوى مع انطواء لحظات الحماس العاطفي وللاجابة على هذا السؤال المركزي كنا نعمل باتجاهين:

الاول ويقوم على جمع اكثر ما نستطيع من امكانيات بغية شراء السلاح وتجهيز اكثر ما يمكن من الرجال وتدريبهم واعدادهم لممارسة العمل الثوري. والثاني يقوم على المزيد من البناء التنظيمي في الوطن العربي والعالم».

ولم يكن الأمر ميسورا وسهلا، فالظروف كلها كانت تعاكس هذا التيار وتعانده الى الحد الذي ادى الى وجود وجهتي نظر متباينتين داخل قيادة حركة فتح نفسها، وكانت كل منهما تعبر عن موقفها ومنطقها.

وكان ابو جهاد قد تحدث عن هذه المسألة على النحو التالي:

«كان هناك منطقان أو وجهتا نظر في ما يتعلق بالانطلاقة: وترى الاولى ضرورة أن نبدأ العمل بالامكانيات التي نملكها وبما لدينا من طاقات على اساس أن الانطلاقة بذاتها سوف تفتح الابواب المغلقة امامنا وذلك من خلال التجاوب الشعبي مع حركتنا

بعد ان جسدت الحركة الشعارات التي طرحتها، ووجهة النظر هذه كانت تعتقد أن التطور الخاص ببنيتنا الغامة سيكون من خلال الممارسة والتجاوب، ولذلك ليس من الواجب الانتظار حتى حدوث هذا التطور أو حتى توسع الامكانيات.

اما وجهة النظر الثانية فترى عكس ذلك، اذ كان يعتقد اصحابها انه لا بد من توفير الكثير من المال والسلاح والعنصر البشري قبل البدء وقبل اعلان الانطلاقة وذلك حتى نكون قادرين على تحمل نتائج الخطوة اذا ما كان هناك ردود فعل.

ووجهتا النظر في رأيي كانتا سليمتين وتنبعان من الحرص الوطني على الحركة ومسيرتها. وقد جرى نقاش موسع وطويل بين وجهتي النظر الى ان تمكنت وجهة النظر الاولى من التغلب.. والذي دعم هذه الوجهة هو ان الفترة السابقة على الاعلان كانت قد شهدت عملا كثيفا على كافة المستويات العسكرية والسياسية والتنظيمية».

ولا يمكن لنا ان نعبر هكذا على ما قاله ابو جهاد دون أن نشير هنا الى الدرس السياسي الاخلاقي الذي تضمنته عبارته البسيطة السابقة. فابو جهاد لم يخون الاتجاه الذي اجتهد في معارضة توقيت الانطلاقة، بل رد له الاعتبار عندما اكد أن «وجهتي النظر كانتا سليمتين وتنبعان من الحرص الوطني على الحركة ومسيرتها».

وهكذا يبدو الفرق واضحا وجليا ما بين موقف ابو جهاد الذي يحترم نضالات اخوانه، واسهاماتهم التاريخية في التأسيس والبناء وحقهم في الاجتهاد والاختلاف والخطأ، وبين الاخرين الذين يبدأ التاريخ دائما من روايتهم الشخصية لهذا التاريخ.

ولم يتورع بعضهم عن كيل الاتهامات وتصنيف أخوة الامس الى «مجانين وعقلاء» أو «ثوريين وانتهازيين» أو «وطنيين وعملاء». وما الى ذلك من نعوت ممجوجة واوصاف مسيئة. انه على كل حال ابو جهاد.. ولهذا لقبته بيانات القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة.. «بالقائد المعلم».

حديث الوثائق

لشد ما كان ابو جهاد حريصا على ان يتحدث بالوثائق والحقائق والارقام، وفيما يخص الانطلاقة كان قد اطلعنا على عدد كبير من وثائقها وبلاغاتها وبياناتها العسكرية والسياسية. وتكشف واحدة منها، كتبت قبل الانطلاقة في عام ١٩٦٤، عن مرحلة التحضيرات الجدية التي واكبت هذه العملية، وتكشف الوثيقة كذلك عن تشكيل سابق في القيادة العليا لفتح اطلق عليها وقتها اسم «هيئة اركان حرب الثورة» وهو فيما نعتقد الجهاز الذي تحول لاحقاً الى «القيادة العامة لقوات العاصفة».

يقول نص هذه الوثيقة التاريخية:

بسم الله الرحمن الرحيم

تعميم صادر عن لجنة المراقبة العامة

اللجنة المركزية العليا لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح
تحية الثورة والعودة
ترفع قيادة الحركة ما يلي:

أولا: دعت اللجنة المركزية العليا الى اجتماع عسكري سريع لهيئة اركاب حرب الثورة، وقد دام هذا الاجتماع اكثر من ثلاثة ايام وخرج بقرارت هامة جدا بالنسبة لأوضاع الحركة العسكرية، والظروف التي تمر بها قضيتنا في جميع مجالاتها.

ثانيا: تحرك ضابط اتصال على مستوى خاص للاتصال بالزملاء في كل من ليبيا والجزائر وبيروت ودمشق وبغداد وقد جرت محادثات على جانب كبير من الأهمية مع هذه المناطق وتبودلت فيها الآراء حول العمل من جميع جوانبه.

ثالثاً: جرت محادثات ومباحثات بين الحركة والمسؤولين الجزائريين.

رابعاً: جرى اتصال بين الحركة والشقيري في كل من ليبيا وتونس والجزائر تبودلت اثناءها كثير من المسائل الخاصة بقضية فلسطين. وقد اتفق على أن تستمر هذه الاجتماعات في المستقبل إذ اتفق على أن يكون هنالك إجتماع يرتب بين الشقيري والحركة في بلد عربي تم الاتفاق عليه.

خامساً: قامت الحركة بالاتصال بالمسؤولين العراقيين في بغداد، وقد جرت مباحثات على جانب كبير من الخطورة والاهمية حول أوضاع القضية الفلسطينية والحلول التي ترتئيها الحركة لحل القضية.

سادساً: تقدمت لجنة منطقة الكويت باقتراحات مالية وقد دعمتها بحلول عملية. وقد وجدت هذه الاقتراحات صدى طيباً لدى جميع الزملاء في كل المناطق، والحركة تشكر لجنة الكويت على هذه المقترحات العملية.

سابعاً: قامت لجنة ليبيا بنشاطات ضخمة في كثير من مجالات العمل والحركة لتحيي النشاطات الثورية التي تقدمها لجنة منطقة ليبيا عما تقوم به لدفع عملنا الثوري لتحرير وطننا السليب.

ثامناً: جرت اجتماعات على مستويات مختلفة في الكويت بين مندوبي المناطق في كل من سورية وقطر وبيروت وغزة والكويت بحثت فيها امور مهمة. وتبودلت اثناءها الآراء والاقتراحات وقد رفعت نتائج هذه الاجتماعات الى قيادات الحركة. والحركة ترجو أن تتكرر مثل هذه الاجتماعات بصفة دورية ودائمة للفوائد الضخمة التي تترتب عليها والنتائج الطيبة التي نجمت عنها.

تاسعاً: علمت قيادات الحركة بما جرى بين كل من منطقة الكويت ولجنة منطقة قطر والترتيبات الجديدة التي جرت وترحب دوما بمثل هذه الفعاليات التي احدثتها هذه اللقاءات وترحب كثيرا بنتائجها وتطلب من الأخوة في قطر تقديم فعالياتهم الثورية في اقرب فرصة.

وعاشت فلسطين عربية حرة
«فتح».

هذه الوثيقة التاريخية لا تحتاج الى أي تعليق أو تعقيب سوى أنها تكشف عما يسمونه في العلم العسكري الاجراءات الأخيرة لإعداد مسرح العمليات لهذه الحرب التي سوف تشعلها الرصاصة الاولى بعد حين، ثم تستمر في التأجج والتصاعد ولا يغمد اوارها وان طال الزمن.

الاختيار الفلسطيني الجديد.. والبلاغ العسكري الاول للانطلاقة

عندما يؤخذ قرار الحرب لا بد للقيادة من ان تحدد موقفها من اربعة اتجاهات استراتيجية لا خامس لها:

- الامتناع النهائي عن خوض الحرب وقبول ما يترتب على هذا الموقف
- الامتناع المؤقت عن خوض الحرب.
- انتظار العدو وخوض الحرب في مواجهته.
- او الوصول الى العدو لفرض الموقعة عليه.

كانت السياسة العربية الرسمية لا تزال تتأرجح بين واحد من الخيارات الثلاثة الاولى، بينما كان قرار الانطلاقة في جوهره قرارا بفرض استراتيجية جديدة على مجرى الصراع العربي ـ الاسرائيلي. وكانت رصاصة واحدة كافية للاعلان عن هذا القرار ووضعه موضع التنفيذ باختيار فلسطيني جديد وأصيل ومبدئي.

يقول ابو جهاد: «بعد مرحلة التأسيس الكثيف للعمل الشامل، وبعد أن أصبحت مجريات الامور نفسها تحتم الاعلان عن نشوء الاختيار الفلسطيني الجديد، كان لا بد لحركة فتح وقواتها العاصفة ان تعلن عن نفسها كي تفتح امام شعبها الطريق الذي اغلقته سياسات الالحاق والتبعية والالغاء للكيان الفلسطيني والشخصية الفلسطينية وهكذا صدر البيان الاول عن القيادة العامة لقوات العاصفة يوم ١/١/١٩٦٥ وكان نصه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم
بلاغ عسكري رقم (١)
اتكالا منا على الله.
وايمانا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب
وايمانا منا بواجب الجهاد المقدس
وايمانا منا بموقف العربي الثائر من المحيط الى الخليج
وايمانا منا بمؤازرة احرار وشرفاء العالم.

لذلك فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة ١٩٦٤/١٢/٣١، ١٩٦٥/١/١ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الارض المحتلة وعادت جميعها الى معسكراتها سالمة.

واننا لنحذر العدو من القيام بأية اجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب اينما كانوا، لان قواتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة، وستعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب.

كما واننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان لان قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدول للدمار اينما كانت.

عاشت وحدة شعبنا

وعاش نضاله لاستعادة كرامته ووطنه.

القيادة العامة لقوات العاصفة

الشهيد الاول.. والاسير الاول

كان منطق فتح والعاصفة يؤكد ان دائما على مبادىء الفداء والتضحية «ففلسطيننا لن تسترجع الا بالدماء والفداء». و«طريق تحرير فلسطين مفروش بارواح الشهداء ودماء المناضلين».

ولم يكن هذا المنطق مؤسسا على بلاغة لفظية، بل كان تجسيدا حقيقيا لروحية الفداء التي تملكت جيلا كاملا تربى في احضان فتح وتشرب مبادئها، وتمثل مسلكية قياداتها في مرحلة البدايات.

وتعتز فتح دائما بأنها قدمت اكثر من نصف اعضاء لجنتها المركزية العليا شهداء في المواجهة المستمرة مع العدو فضلا عن مئات أخرى من الكوادر القيادية، والآلاف من الفدائيين والمقاتلين وكوادر التنظيم والاعضاء والميليشيا الشعبية الذين غذوا بدمائهم مسيرة هذه الثورة وحافظوا على بقائها وضمنوا لها التطور والاستمرارية.

كان احمد موسى هو الجوهرة الاولى في عقد هؤلاء الشهداء الذي يزدان به صدر فلسطين، ويزهو به ابناء فتح وأخوة ابو جهاد.

كان البلاغ الثاني الصادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة قد اعلن عن قيام قوة ضاربة من المجموعة الاولى من الجناح الثالث لقوات العاصفة بمهاجمة العدو ومنشآت تحويل نهر الأردن، واستطاعت هذه القوات أن تصيب أهدافها المحددة لها في كل من نفق عيلبون وسهل البطوف وقد استشهد في هذه العملية مناضل واحد انضم لاخوانه في قائمة البطولة والشرف.

كانت فتح حريصة على الا تدعي ان احمد موسى هو الشهيد الاول لانها لا تنطلق من

حالة حزبوية ضيقة، بل ترى نفسها في التطابق مع وضع كل الشعب الفلسطيني. وشهيدها احمد موسى كما جاء في البلاغ «ينضم لأخوانه في قائمة الشرف والبطولة».

وكانت فتح يومها حريصة أيضا على ألا تعلن عن حقيقة اليد التي اغتالت احمد موسى الذي اسرته وحدات من جيش احدى الدول العربية اثناء عودته لقواعده بعد ان نفذ عملية عيلبون، ومن ثم جرت تصفيته واغتياله.

كانت «فتح» حريصة على أن تقول ان احمد موسى استشهد على يد اعدائه وليس على يد اخوانه، لكن ابو جهاد قال لنا: «أن ذلك الموقف السياسي كان يجب ان يفهم من قبل الآخرين على انه ينطلق من الوعي لا من الضعف، لكن الاستمرار في هذا المسلك العدائي المشين دفع حركة فتح لأن تقول بكل وضوح في المذكرة التي قدمتها الى مؤتمر القمة العربي الثالث في ١٠/٩/١٩٦٥.. «لقد قررنا منذ اليوم عدم السكوت ولا نقبل من الآن فصاعدا سوى خطوات عملية للتدليل على حسن النوايا تجاه ثورة شعبنا».

واضاف ابو جهاد: «ان هذه الوثيقة طالبت الامة العربية بالسعي الجاد لاتخاذ خطوات عملية حددتها مذكرتنا على النحو التالي:

الكف عن ملاحقة قوات حركة التحرير في مختلف الدول العربية، واطلاق سراح المعتقلين دون تردد، والغاء الحظر المفروض على نشر انباء حركة التحرير، وعدم التعرض لرجالها اثناء قيامهم بعملياتهم الفدائية أو اثناء اضطرار قوات الحركة في الارض المحتلة للالتجاء الى الدول العربية والدفاع عن اسرى الحركة في اسرائيل بمختلف الطرق المعروفة والافراج عن مخزونات الاسلحة المكدسة في الامة العربية ووضعها في متناول أيدي ثوار فلسطين».

ومن المدهش حقاً أن تكون فتح قد طالبت القمة العربية بهذه الخطوات في عام ١٩٦٥ وكأن التاريخ العربي لم يتحرك من ايامها. فلا تزال الخطوات نفسها تقريبا مطلوبة من القمم العربية، ولا تزال المعتقلات في دول مواجهة عربية تضم في زنازينها عشرات المئات من المناضلين الفلسطينيين الذين شارك اغلبهم في القتال الفعلي ضد العدو الاسرائيلي.

وليست السجون والمعتقلات وحدها التي تغلق ابوابها على الفدائيين، فالحدود أيضا لا تزال هي الاخرى مغلقة دونهم، و«مخزونات الأسلحة المكدسة» لا تزال هي أيضا بعيدة عن ايدي الفدائيين كما هي بعيدة في الوقت نفسه عن ايدي الجنود الذين اشتريت هذه الاسلحة باسمهم، وعلى ذمة «حرب التحرير» المؤجلة بقرار رسمي.. وحتى اشعار آخر.

ومثلما كان احمد موسى هو الشهيد الاول، جاء في البلاغ الثاني لقوات العاصفة: «ان قوة من المجموعة الرابعة من الجناح الثالث قد اصطدمت بقوات كبيرة من جنود العدو شمال غربي بيت جبرين يوم ٨/١/١٩٦٥ وبعد معركة عنيفة تمكن العدو من

اسر أحد جريحين لقواتنا».

وحذر بلاغ العاصفة العصابات الصهيونية من استخدام أية وسائل غير مشروعة مع الاسير. وقد أدى وقوع هذا الفدائي في اسر العدو الى اعلان ناطق بلسان الجيش الاسرائيلي في ١٤/١/١٩٦٥ بانه تم الكشف عن «منظمة ارهابية سرية تقوم باعمال تخريبية ضد المنشآت المائية الاسرائيلية».

لم تعلن فتح يومها عن اسم الاسير الاول الذي لم يكن غير المناضل محمود بكر حجاز لكنها مع ذلك لم تتخل أبداً عنه ولم تتركه أبدا وحيدا في اسره في المواجهة مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي.

قال ابو جهاد: «ان من حق المناضلين علينا وعلى حركتهم ان نوفر لهم ثلاثة انواع اساسية من الحماية، أولها حق حماية العضوية في حركة فتح التي لا تعطى لأي فرد مهما كان موقعه القيادي سلطة اتخاذ قرار باسقاط عضوية أي مناضل فلسطيني ينتمي الى الحركة.

وثانيها هو حق الحماية السياسية التي تفرض على الحركة تبني كل معتقل أو أسير من بين اعضائها، وتعمل على الدفاع عنه وتلتزم بالسعي لاطلاق سراحه.

وثالثها هو حق الحماية الاجتماعية التي توفر للمناضل واسرته مستوى لائقا من الحياة وتعليم ابنائه وطبابتهم والوفاء بالالتزامات المادية في حالة الاسر أو الاعتقال أو الاستشهاد».

ويضيف ابو جهاد «منذ اللحظة الاولى كنا ندرك مسؤولية فتح الاجتماعية تجاه شعبنا الفلسطيني، وندرك الحساسية المطلقة لمثل هذه المسألة فتجربة شعبنا كانت حافلة بالمرارات من خلال المصير المر الذي عاشته عائلات شهداء ١٩٤٨.. وكان السؤال المطروح في الشارع الفلسطيني: هل اذا انضويت تحت هذه الراية سيكون مصير عائلتي مشابها لمصير هذه العائلات التي أراها.

أخذنا من هذا الواقع عبرة، فكنا كلما نجمع دينارا نحتفظ بنصفه لتحقيق الرعاية الاجتماعية لعائلات الشهداء والاسرى والمتضررين.

وعلى المدى تحولت هذه الرعاية الى سمة مشرفة من سمات حركة فتح وعنوانا بارزا من عناوينها العظيمة، حيث اصبحت مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية اسر الشهداء والاسرى احد المعالم البارزة في سياق تعزيز انطلاقة ثوارنا بثقة واطمئنان دون الانشغال على مصير من ورائهم».

وكان علينا ان نتابع مع ابو جهاد وقائع الاحداث التي واكبت مصير الاسير الفلسطيني الاول.

قال أبو جهاد: «عندما وقع محمود حجاز في الاسر حركنا العالم كله خلف قضيته، وخلال ستة اشهر كنا قد رفعنا مذكرات الى هيئة الأمم المتحدة، والى كل الهيئات

الدولية والاجنبية التي ترعى حقوق الاسرى والمعتقلين، واتصلنا بعدد من نقابات المحامين الاجانب وجندنا بعضهم للدفاع عن محمود، الذي كان قد صدر عليه الحكم بالاعدام أولا، ثم وضع في سجن عكا، ورفضت سلطات الاحتلال أن يتولى المحامي الفرنسي الشهير جاك فيرجس الدفاع عنه».

وقال لنا ابو جهاد: «ان القيادة العامة لقوات العاصفة أصدرت بيانا الى مؤتمر المحامين العرب بتاريخ ٢٧/٧/١٩٦٥ بخصوص موضوع الاسير الفلسطيني، وكنا قد ختمنا هذا البيان بالعبارة التي جاء فيها.. والآن ينتظر محمود حجاز في سجون العدو يطالب الامة العربية الوقوف بجانبه وبجانب قضية وطنه السليب».

واضاف ابو جهاد: «واذكر ايضا ان بلاغ القيادة العامة لقوات العاصفة رقم ٣٤ الذي صدر في ٢٢/١١/١٩٦٥ كنا قد خصصناه بالكامل لموضوع الاسير محمود بكر، واكدنا من خلاله على ضرورة تحويل محاكمته الى محاكمة لسلطات الاحتلال الاسرائيلي نفسه، واكدنا في الوقت نفسه على أننا نصر على مواكبة الاسير وهو خلف قضبان سجنه يتحدى من عرينه هذا سلطات الاحتلال الصهيوني».

لم يقتصر موقف الثورة الفلسطينية على المواكبة المعنوية والاقتصادية لاسراها، فابو جهاد يذكر: «ان وحدة خاصة من قوات العاصفة صدرت لها التعليمات بتنفيذ حكم الاعدام في المجرم الصهيوني بنيامين خضر في بيته ليلة ٢٩/٧/١٩٦٥ لأنه كان مسؤولا عن التعذيب الوحشي للبطل الأسير محمود حسين الصباغ مما أدى الى استشهاده في سجن عكا في ٨/٦/١٩٦٥».

ونذكر ان ابو جهاد «كان قد توجه بعد خروجه مباشرة من بيروت الى منطقة البقاع اللبناني، حيث عقد اجتماعا لكوادر قطاع الارض المحتلة في احد المواقع هناك، واعطى توجيهاته المشددة بضرورة العمل على أخذ أسرى من الجنود الاسرائيليين حتى نتمكن من توجيه ضربة معنوية كبيرة للعدو، ونحرر الاسرى السبعة آلاف الموجودين في معتقل انصار، ومئات من المعتقلين في سجون العدو بالارض المحتلة.

وتنفيذا لهذه التوجيهات قامت وحدة مؤلفة من اربعة من كوادر قطاع الارض المحتلة الذي كان يقوده ابو جهاد، بعملية عسكرية صامتة في منطقة بحمدون تمكنت خلالها دون اطلاق رصاصة واحدة، من اسر ثمانية من الجنود الاسرائيليين بكامل اسلحتهم ومعداتهم، واذكر كم كانت سعادة «ابو جهاد» بنجاح هذه العملية عندما اعلم بتنفيذها في ٤/٩/١٩٨٢، وكم كان حرصه شديدا على الاحتفاظ بهؤلاء الاسرى رغم ظروف معارك البقاع وطرابلس حتى يتمكن من تحرير آلاف الفلسطينيين واللبنانيين الذين اعتقلتهم قوات الغزو الاسرائيلي عام ١٩٨٢ في معتقلات انصار.

واذكر ايضا كما كان «ابو جهاد» مشحونا بالأمل في نجاح آخر عملية فدائية قام بتوجيهها الى المفاعل النووي الاسرائيلي ديمونا في ٧/٣/١٩٨٨، حتى يتمكن في هذه

المرة من تحرير تسعة آلاف مواطن فلسطيني اعتقلتهم قوات الاحتلال الاسرائيلي منذ اندلاع الانتفاضة في ١٩٨٧/١٢/٩ وحتى تاريخ تنفيذ هذه العملية.

ولم تكن مسؤولية ابو جهاد تنحصر في الدفاع عن اسرى العاصفة وحركة فتح فحسب، فكل مواطن فلسطيني يأسر هو ابن للثورة وللحركة وللعاصفة.

ويذكر ابو جهاد: «ان وحدة فدائية من قوات العاصفة قامت بهجوم جريء على مستعمرة كفار هيس التي تقع على طريق حيفا ـ يافا جنوب شرق ناتانيا، وان المجموعة تمكنت من نسف مخزن للذخيرة في هذه المستعمرة، وقتل القائد العسكري لهذه المنطقة في يوم ١٩٦٥/٢/٢٨. وسرعان ما أقدمت سلطات الاحتلال الصهيوني على اعتقال اربعة عشر مواطنا فلسطينيا أخضعتهم للتعذيب ووجهت لهم تهمة القيام بهذه العملية، لكن حركة فتح سارعت باصدار بلاغها السادس باسم القيادة العامة لقوات العاصفة، واعلنت فيه مسؤوليتها المباشرة عن تنفيذ العملية وحذرت سلطات العدو من التنكيل بالمواطنين الفلسطينيين.

وبعد اقل من ٢٤ ساعة فقط وجه ليفي اشكول رئيس دولة العدو تحذيره الأول الى الدول العربية عامة والى الاردن خاصة التي ستعتبرها حكومته مسؤولة عن نشاط الفدائيين».

علاقة الرصاصة بالسياسة في تجربة قوات العاصفة

كانت حركة فتح قد اعلنت عن نفسها بشكل سياسي علني وواضح منذ عام ١٩٥٩ عندما مهرت بياناتها الاولى التي صدرت في فلسطيننا بتوقيعها الصريح. الا انها مع ذلك كانت قد اختارت، لأسباب عديدة، أن تصدر البيانات الاولى لها بعد الانطلاقة باسم: «القيادة العامة لقوات العاصفة».

وفي المرحلة الاولى لم تعلن فتح ان قوات العاصفة هي جناحها العسكري، لكن مع ذلك اعلنت في بيان صادر عنها «تأييدها الكامل لهذه المنجزات الثورية التي حققتها (قوات العاصفة) وتطلب الى جميع الاعضاء ان يجهروا بتأييدهم لهذه الاعمال الثورية وللاسلوب الثوري المتبع في تحقيقها».

وأضاف البيان: «ان الطريق الذي سلكته (قوات العاصفة) هو الطريق الثوري السليم ولا يسعنا في زحمة هذه الاعمال والاحداث والملابسات الا ان نحي باجلال هؤلاء الابطال ونحيي نضالهم المسلح، ونهيب بجماهيرنا الصامدة ان تقف درعا فولاذيا لحمايتهم ومساندتهم بقوة وصلابة». وقد ادى هذا الموقف الى وقوع التباس في العلاقة ما بين حركة فتح، وبين قوات العاصفة. لكن ذلك الموقف لم يدم طويلا وسرعان ما اكتشف الجميع ان قوات العاصفة هي الجناح العسكري الضارب لحركة فتح.

على أنه لا يمكن بأي حال اجراء فصل ما بين قوات العاصفة وحركة فتح، فهذه التجربة الفلسطينية كانت لا تفصل ما بين نضالها العسكري ونضالها السياسي، وكل فدائي فيها هو مناضل سياسي وكل كادر سياسي مستعد وجاهز دائما لأن يكون مقاتلا في الخندق الأمامي من جبهة المواجهة، وقال ابو جهاد: «ان التدريب على السلاح هو أحد شروط العضوية في حركة فتح».

وبهذا الفهم نبذت هذه الحركة النزعة العسكرتارية، بل انها اعلنت بوضوح خضوع العمل العسكري للتوجهات السياسية العليا ووجهت العمل السياسي لتطوير العمل العسكري، بهذه الروح الجدلية حافظت الثورة الفلسطينية على بندقتها في الاتجاه الصحيح، باستثناء أحداث الاقتتال العابرة التي كانت تقف ورائها دائماً انظمة انقلابية تريد أن تصدر الى جسم الثورة الفلسطينية هذا الداء الانقلابي الذي تغذيه روح العسكرتارية التي ارادت ان تفرض الاقتتال محل الحوار، وتضع الدبابة في مواجهة البرلمان.

ويعترف ابو جهاد بان تتابع صدور البيانات العسكرية باسم القيادة العامة لقوات العاصفة قد اثار عاصفة من التساؤلات والاستفهامات، وهنا كان لا بد من صدور البيان السياسي لكي يجيب على هذه الاسئلة فصدر في يوم ١٩٦٥/١/٢٨ «بيان سياسي هام» صادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة.

وقد حمل هذا البيان ملاحظات ثلاث اساسية لا بد من تثبيتها كي يكون من الممكن ادراك الخطوط الاساسية للبنية العامة التي قامت واستمرت عليها حركة فتح وهي:

١ ـ ان من اطلق الرصاصة الاولى يدرك تماما الابعاد الواسعة لمثل هذه الرصاصة، فهي ليست مجرد رصاصة اطلقت بل ان انعطافا رئيسيا قد حدث الآن في تاريخ الشعب الفلسطيني وفي تاريخ المنطقة العربية.

٢ ـ ان الانطلاقة ليست الا لحظة البدء للحرب التحريرية ذات المنهج المخطط والمدروس، ولذا فالامر لا يحتمل الجدل، بل لا بد من التقدم دوما نحو توسيع الانطلاقة كي تصل الى مستوى الحرب، وبالتالي فان قيادة فتح كانت تدرك منذ التأسيس ومنذ اللحظة الاولى ان الصراع مع العدو ليس حربا خاطفة بل لا بد من تهيئة الذات لحرب طويلة المدى وشاقة ومريرة.

٣ ـ ان من الممكن دائما المزاوجة بين العمل العسكري والتنظيمي الذي قدمت فتح نموذج منه سوف يستمر ويتصاعد وبين العمل الرسمي العربي «لان الكفاح من اجل فلسطين يصب في مجرى واحد يبتدىء وينتهي باجتثاث الخطر الصهيوني من على ارضنا» كما جاء في البيان.

وكان البيان قد ختم موقفه بالقول «واننا لنعاهد شعبنا على الاستمرار في هذا الطريق والا نلقي السلاح حتى يتحقق النصر».

سوف نلاحظ من بيانات الانطلاقة الاولى التي اطلعنا عليها ابو جهاد، تركيزها بشكل واضح على ما يسمى بالاعلام المسلح، حتى انه لم يخلو بيان واحد تقريبا، من مجموعة البلاغات التي وصلت الى نحو اربعين بيانا في العام الاول للانطلاقة، من مقدمة سياسية تعبوية.

والامثلة على ذلك اكثر من ان تحصى، فقد جاء في مقدمة البلاغ العسكري الرابع: «ثباتا منا على العهد الذي قطعناه لنستمر بثورتنا المسلحة حتى النصر وايمانا بان طريق تحرير فلسطين مفروض بارواح الشهداء ودماء المناضلين لذلك تحركت قواتنا في الارض المحتلة لتنفيذ المهام التالية». ثم يعدد البلاغ العمليات العسكرية التي نفذها رجال العاصفة.

وجاء في مقدمة البلاغ السابع: «.. على الدرب النضالي الثوري المسلح تسير افواجنا المكافحة بعزيمة لا تلين وارادة لا تفل لتغسل بدمائها الذكية الطاهرة ارضنا المغتصبة تسير وقد عاهدت شعبنا الابي على الثورة حتى النصر».

وتضمن البلاغ العسكري رقم (١٣) ما يلي: «ايمانا بأن طريق فلسطين مفروش بالدم والشهداء وان الثورة المسلحة طريق الكرامة والحياة والخلود لشعبنا الفلسطيني البطل فاننا باذلون كل التضحية على مذبح وطننا السليب لاسترداده».

وفي يوم ١٩٦٥/٦/٦ صدر البلاغ رقم ١٤ عن القيادة العامة لقوات العاصفة وجاء في مقدمته: «الثورة المسلحة طريقنا الوحيد لاستعادة الوطن السليب والتضحية والبذل والدم والارواح نقدمها في سبيل هذا الهدف السامي المقدس ولنرد اعتبار وشرف امتنا العربية امام تحدي جحافل الاستعمار والصهيونية».

ومع تصاعد العمليات العسكرية ضد العدو الاسرائيلي تصاعدت حدة الهجمة المعاكسة على الثورة الفلسطينية، فصدر لبلاغ رقم (٢٠) عن القيادة العامة لقوات العاصفة في ١٩٦٥/٨/١٠ وهو يحمل هذه المقدمة:

«رغم التخطيط الاستعماري لضرب الثورة العربية الفلسطينية المسلحة ورغم السجون وحملات الارهاب القائمة ضد ابطال العاصفة في الارض العربية، ورغم الدسائس والمؤامرات التي تحاك في الظلام فاننا سائرون على درب الكفاح المسلح لتحرير ارضنا المغتصبة يملؤنا الايمان الصادق بحتمية انتصار ثورتنا وشعارنا ثورة حتى النصر».

قال لنا ابو جهاد تعقيبا على هذه المرحلة. «ان هذه الفترة كانت بالفعل عصيبة وحساسة، وبينما كنا نحاول حشد كل قوانا للتفرغ لتصعيد عملياتنا الفدائية في

الارض المحتلة، كانت بعض الانظمة العربية لا تزال تعمل على سحب وصايتها علينا، وحتى لبنان الذي كان يتمتع بهامش اكبر من الحريات الديمقراطية شارك هو الآخر في هذه الحملة ضدنا، واذكر ان قيادة الجيش اللبناني كانت في تاريخ ١٣/ ٩/ ١٩٦٥ قد اصدرت قرارا بحظر نشر اي انباء عن منظمة العاصفة باعتبارها اخبار عسكرية وبالتالي الامتناع عن نشرها ايا كان مصدرها سواء بلاغات من المنظمة نفسها ام انباء واردة عن نشاطها من اسرائيل».

ورغم ان ذلك كان يعني سد رئة هامة للتنفس واغلاق نافذة حيوية تطل منها حركة فتح على الجماهير العربية والعالم الا ان مثل هذا الاجراء كان يعكس في ذاته مدى التأثير المتصاعد لدور فتح وعمليات قوات العاصفة الذي بدا يشق طريقه بسرعة فائقة الى قلوب وعقول الملايين وفي غضون عام واحد بعد اطلاق الرصاصة الاولى للانطلاقة.

منطق العاصفة وسياسة الامر الواقع

من البيانات المهمة التي اصدرتها القيادة العامة لقوات العاصفة التي اطلعنا عليها ابو جهاد، بيان صدر في ٣/ ٤/ ١٩٦٥ وكان يحمل رقم ٩ في سلسلة البلاغات التي صدرت في العام الاول للانطلاقة.

وقد خصص هذا البيان باكمله لمعارضة الاصوات التي ارتفعت للمطالبة بالاعتراف «بسياسة الامر الواقع».. والتحلي بما اسموه بـ «الواقعية السياسية». وقد تزامن صدور هذا البيان السياسي مع الاعلان عن المقترحات التي حملها الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة والتي عارضها البعض شكلا بينما قبل مضمونها، انطلاقا من الارضية نفسها التي تدعو الى «الواقعية السياسية» والاعتراف بالامر الواقع.

كان بيان العاصفة قد اعتبر ان ما يسمى بالواقعية السياسية هو «نغمة خيانة جديدة»، واضاف البيان «ان القيادة العامة لقوات العاصفة التي كرست فكرة الكفاح المسلح طريقا لاجتثاث الكيان الصهيوني من وطننا السليب والتي باشرت اعمالها الفدائية في ربوع ارضنا الحبيبة وسالت دماء شهدائها في ساحة الشرف لا يسعها امام هذا التهريج الخائن الا ان تعلن ان هذه الدعوة المدروسة كانت طعنة في ظهور جميع العاملين في سبيل تحرير فلسطين وفي طليعتهم فدائيو العاصفة الأشاوس الذين بدأوا يزرعون الرعب في نفوس اعداء الله واعداء امتنا».

ثم اضاف البيان: «لقد آن للشعب العربي أن يرفض مواقف التخاذل كما آن له ان يحتل المكان اللائق به تحت الشمس».

وختم البيان بتوجيه نداء يقول: «يا ابناء شعبنا العظيم ارفعوا اصواتكم في تأييد

قوات العاصفة يا أبناء امتنا العظيمة قولوا كلمتكم بصراحة غير هيابين ولا وجلين، يا أبناء شعبنا العظيم عليكم ان تؤمنوا بانكم اقوى من المؤامرة والمتآمرين، وعاشت فلسطين عربية حرة وعاش نضال الشعب العربي في كل مكان».

من هنا كان حرص ابو جهاد على قوات العاصفة وحبه لها وتمسكه بها، لأنه لم يكن يعتبر أن العاصفة مجرد اداة للكفاح المسلح فحسب، وانما يعتبرها أيضا كضمانة أساسية للتصدي للانحراف والتفريط والتهاون، لأن القرار السياسي لا يمكن له أن يتجاوز شركاء الدم وطلائع التضحية من ابناء العاصفة الفدائيين المقاتلين، وليس الشريك بوعيه ودمه معاً في هذه المسيرة كمن يتخذ قراره على ضوء حسابات الأمر الواقع، وعلى ارضية الواقعية السياسية، وما شابهها من اسماء ومصطلحات.

والجدير بالذكر ان ابو جهاد كان قد اصر في يوم ١٩٨٨/٣/٧ على ان يصدر البيان العسكري عن عملية ديمونا الفدائية باسم القيادة العامة لقوات العاصفة.

وكان هذا البيان آخر ما صدر عن ابو جهاد من بيانات ، واخر ما صدر باسم قوات العاصفة منذ ذلك التاريخ وحتى كتابة هذه السطور.

مرحلة التفرغ للعمل الثوري

بانتهاء مرحلة التأسيس والاعداد والتأهيل والتدريب في قاعدة خلفية آمنة، كان لا بد من الانتقال الى خط التماس المباشر مع العدو للدخول في حالة اشتباك دائم ومستمر معه.

ويقول ابو جهاد: «انه على اثر هذه النقلة النوعية في مسار حركتنا غادرت الجزائر، وبدأت بالتفرغ للعمل الثوري بين دمشق وبيروت وكان الاخ ابو عمار يعود الى الكويت بعد انتهاء اجازته، وبعد عدة أشهر اتصلت بالشهيد ابو صبري والشهيد ابو علي اياد ومنهل شديد الذين كانوا في الجزائر وجاءوا الى بيروت واتصلنا باحمد الاطرش وتفرغ الجميع للعمل الثوري، وسرنا جميعا ننشر شعارات فتح ونعمقها في الشارع الفلسطيني والعربي والقائمة على المناداة بالكفاح المسلح كراية اساسية في المسيرة، وبالكيان الثوري والوحدة الوطنية والتخلي عن الارتباطات الحزبية والاتجاهات الجانبية، ثم رفع الوصاية العربية عن الشعب الفلسطيني ليكون قادرا على التحرك بارادته وبقراره المستقل.. وكان ان وجدت الشعارات صدى واسعا لدى جماهير شعبنا حيث بدأنا نشهد التدفق البشري الواسع نحو فتح».

● وكان ابو جهاد في العديد من المناسبات يذكر الاجيال الجديدة من مقاتلي وفدائيي العاصفة بجيل البناة الاوائل، وبذكرى شهدائها العظام.

● كان الشهيد القائد ابو صبري صيدم احد ابرز اعلام هذه المرحلة الذي حمل على

اكتافه بناء صرح قوات العاصفة وتأسيسها، وبفعل اندفاعه الوطني وبفضل كفاءته العسكرية تقلد موقعه التاريخي في القيادة العامة لقوات العاصفة مع الاخوة ياسر عرفات وخليل الوزير والشهيد القائد ابو علي اياد.

وعرف عن الشهيد ابو صبري جهده الدؤوب في تنظيم وهيكلة قوات العاصفة وفي ادارة عملياتها وفي السهر على النهوض بكفاءتها وبقدراتها العسكرية، وكان رغم موقعه القيادي هذا يصر على ان يعايش الفدائيين في حياتهم الشاقة والصعبة فأوى معهم الى الكهوف وعاش بينهم في مغارات الجبال، وكان بجسده العملاق وطلعته الهيابة عنوانا لفتوة الفدائيين وعنفوانهم.

كانت مآثر الشهيد ابو صبري التي حدثنا عنها ابو جهاد طويلا هي جرأته واندفاعه في قيادة العمليات الفدائية ميدانيا وليس من داخل الغرف المغلقة أو من وراء المكاتب الوثيرة.

وهكذا قاد الشهيد ابو صبري العديد من العمليات الفدائية بنفسه عبر نهر الاردن متوغلا في عمق الارض المحتلة متحديا جيش الاحتلال وقواته، وتشهد على ذلك المعارك الطاحنة التي قادها مع فدائيي العاصفة في بيت فوريك، وبيت جن، وعزون، وعقربة، وفي العديد غيرها من المعارك البطولية التي قادها بنفسه شهيدنا القائد ابو صبري وكانت رداً على الهزيمة العربية في عام ١٩٦٧.

ويذكر ابو جهاد انه عرف الشهيد ابو صبري قائدا للحركة الطلابية في مصر، ثم مناضلا في العمل التنظيمي السري في غزة ثم كادراً اساسيا للعمل التنظيمي والعسكري في الجزائر، ومع الانطلاقة انتقل ابو صبري الى لبنان وسورية ثم الاردن ليقود من اقرب المواقع مع العدو اعنف المعارك معه. وكان الشهيد ابو صبري قد ترأس أول دورة عسكرية لكوادر حركة فتح ذهبت الى الصين، وضمت العديد من القيادات الحالية لحركة فتح ومن بينهم هاني الحسن عضو اللجنة المركزية للحركة، والتقى ابو صبري هناك بالزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونج بصفته عضوا في اللجنة المركزية وفي القيادة العامة لقوات العاصفة. وعندما يكتب تاريخ حركة فتح وتوثق مسيرة قوات العاصفة ستفرد العديد من هذه الصفحات لسيرة هذا القائد الذي اغتاله الموت وهو في أوج عطائه وفي ذروة المجد.

● وعندما كنا نسأل ابو جهاد عن الشهيد القائد ابو علي اياد كان يبتسم ويقول: انظروا الى كل هؤلاء القادة الحاليين لقوات العاصفة، لقد كان اغلبهم اشبالا رباهم ابو علي اياد، ودربهم وكان لهم القائد.. والقدوة، ويكفي الشهيد ابو علي اياد انه ترك لهذه الثورة ولاجيالها المتجددة صرخته التاريخية المدوية «نموت واقفين ولن نركع ابداً».

الفعل النبيل.. وقساوة ردود الفعل

اشرنا من قبل الى بعض ردود الفعل العربية الرسمية التي انتظمت في حملة معادية استخدمت كافة الاساليب من التعتيم الاعلامي والتشويه السياسي الى المطاردة والتضييق والاعتقال والاغتيال والتصفية الجسدية لكن ابو جهاد كان يعتبر دائما: «أن السهم الذي لا يقتلنا.. يقوينا». ورغم الخلل الفادح في موازين القوى فإن فتح تمكنت من البقاء والاستمرار والنمو والتطور.

واذا كان الهجوم العربي الرسمي على فتح في هذه المرحلة يتماشى ومنطق الامور وطبيعتها، فانه لم يكن من المنطقي في شيء أن تنضم القوى السياسية العربية «القومية» و«التقدمية» الى حملة العداء نفسها والكراهية الرسمية نفسها وقد تورطت في الحملة نفسها أطراف فلسطينية وأخرى عربية كان يفترض أن تكون مع فتح في الخندق نفسه الذي يواجه هذه الحملة ويصدها ويردها على اعقابها.

وقد عبر ابو جهاد عن هذه المفارقة السياسية عندما قال: «من الغريب أن تميزت ردود فعل القوى الفلسطينية تحديداً بقساوة غير منطقية على انطلاقة فتح، فقد كالت «حركة القوميين العرب» الاتهامات ذات اليمين وذات الشمال، واذكر على سبيل المثال ان رفعت عودة كتب مقالا في مجلة «الهدف» هاجم فيه مبدأ الكفاح المسلح لمجرد أن فتح رفعته شعارا استراتيجيا لعملها الثوري.

ورغم ان حزب البعث العربي في سورية قد استقبل انطلاقتنا بحفاوة ملموسة الا ان الفرع الفلسطيني في الحزب اثار ضدنا الحملات.. ولكن موقف حزب البعث السوري لم يستمر كما هو اذ سرعان ما تغير بعد حادثة الشهيد يوسف عرابي والشهيد محمد حشمة، وقد شنت ضدنا حينذاك حملة مليئة بالحقد وقد تم اعتقالنا في العام ١٩٦٦.. ولم يكن هذا كله الا بسبب اننا حققنا بعض الخطوات على طريق الكفاح المسلح في حين أنهم كانوا يريدون احتكار الكفاح لانفسهم ومع الاسف انهم لم يفعلوا.

اما حركة «القوميين العرب» فقد تغير موقفها هي الاخرى واذكر هنا ان مؤتمرا لجناحها الفلسطيني عقد عام ١٩٦٦، كانت قضيته الرئيسية هي انطلاقة فتح وتليت تقارير في هذا المؤتمر تعترف أن فتح قد تمكنت من سحب القواعد الشعبية من صفوفنا، فلا بد اذن من تشكيل فريق فلسطيني يمارس الكفاح المسلح كما تمارسه فتح وقبل ان تنهي فتح وجودنا تماما.. وهكذا تم البدء بتنظيم «ابطال العودة» الذي تطور فيما بعد الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

اما نحن فقد تلخصت ردود فعلنا على مثل هذه الحملات بترداد ايماننا الكلي بان الكيان الثوري هو الذي يتجسد في النضال والثورة المسلحة على الارض الفلسطينية او

ايماننا الكلي بان من يفجر العمل المسلح سيقود الساحة الفلسطينية ويتولى زمام القيادة.. والقضية الاخرى المهمة التي شكلت ردود فعلنا هي اعتقادنا بانه حين تكون هناك علاقات مع الانظمة العربية فيجب ان تنطلق هذه العلاقات من القوة الفلسطينية ومن الاستقلالية الفلسطينية وطرحنا شعارنا: لا خاضعة ولا تابعة او موجهة الا من شعبنا.

ونأسف ان نقول الآن أن مثل هذا الجدل استمر سائدا فترة طويلة وربما هو سائد الى اليوم، فنحن ندافع عن منطقنا والبعض لا يجد الا الهجوم وترتيب الحملات على هذا المنطق».

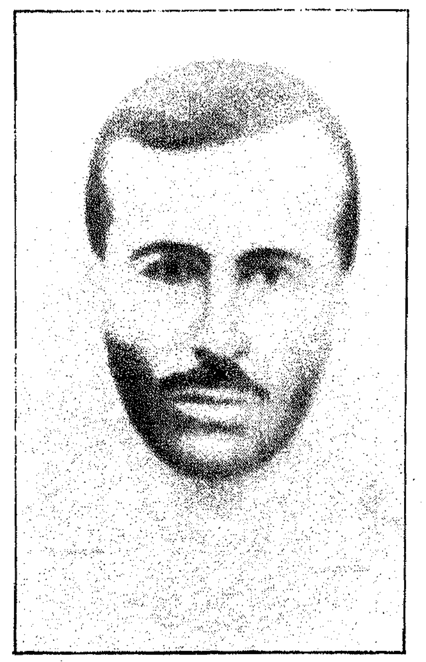
لم يكن ذلك تأريخا ليوميات الانطلاقة، ولا تفصيلا لاحاديثها ومنطقها، انها اضاءة فحسب على جانب من الدور الحيوي الذي لعبته انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة في التأثير على الحياة السياسية العربية التي لا تزال تعيش حالة من الصراع القائم بين منطق العاصفة، ومنطق الواقعية السياسية.

وسوف ينجلي عما قريب غبار المعركة المحتدمة بين المنطقين، لنتبين وقتها لمن منهما الغلبة لنا... أم لجماعة الواقعية السياسية.





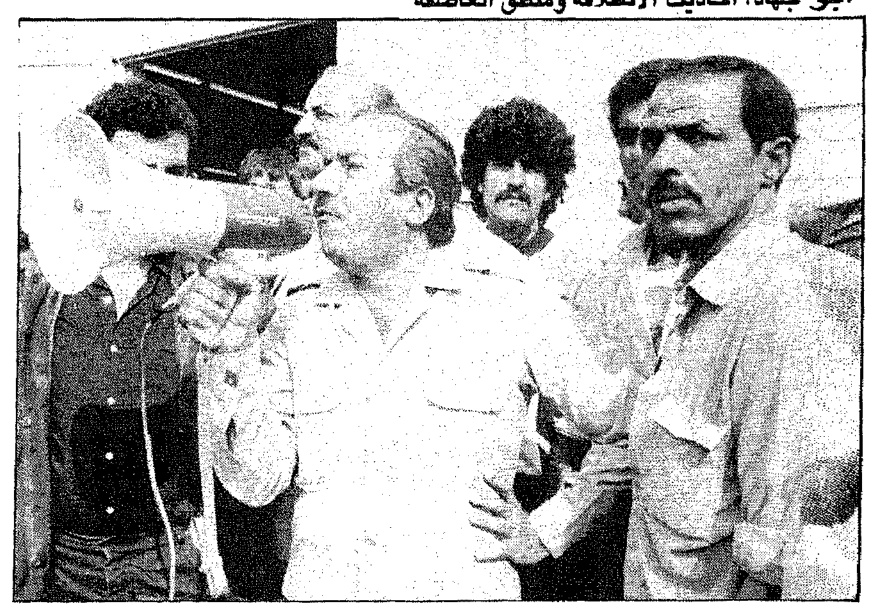
لم يضع لحظة واحدة فيما لا يجب عمله



الشهيد احمد موسى اول شهيد للعاصفة



ابو جهاد، احاديث الانطلاقة ومنطق العاصفة





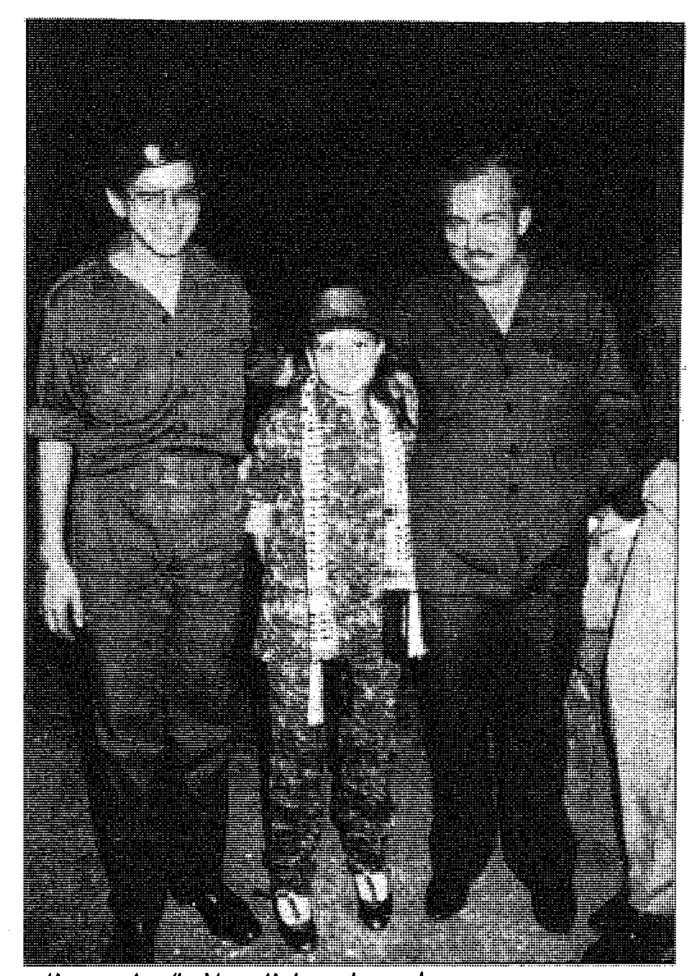
ابو جهاد في زيارة قاعدة عسكرية في الصين

ابو جهاد والشهيد ابو صبري وزهير العلمي فوق سور الصين العظيم

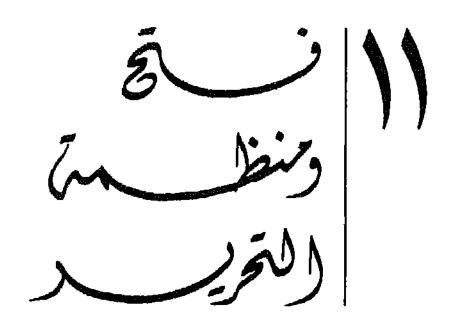




ابو جهاد اول الرصاص واول الحجارة



ابو جهاد مع ابناءه واشباله باسم وحنان



١١ فتح ومنظمة التحرير

الحديث ما قبل الاخير في هذه السلسلة خصصه ابو جهاد لبدايات العلاقة ما بين حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية. وهي فترة محصورة ما بين القرار العربي الرسمي بتشكيل منظمة التحرير في ١٣/١/١٩٦٤، وبين القرار الفلسطيني الذي يطالب بتنحية السيد احمد الشقيري في ١٤/١٢/١٩٦٧. وربما كان على الاحياء الذين عايشوا فصول القصة كلها ان يقدموا في يوم من الأيام شهادتهم التاريخية حتى تكتمل سطور هذه الصفحة المهمة من التاريخ العربي المعاصر. ابو جهاد من جهته كان قد قال: «انه منذ اللحظة الاولى لنشوء منظمة التحرير الفلسطينية على يد الأطراف العربية كنا لا نعتبرها الا محاولة لقطع الطريق على الارهاصات الثورية التي يحبل بها الشارع الفلسطيني بعد سكون وضم والحاق زاد على ستة عشر عاما». وليس صحيحا ما يقال من ان ابو جهاد كان يعكس بكلامه هذا حالة من الحساسية المفرطة او المرضية لدى الفلسطينيين من اي قرار عربي رسمي، حتى ولو كان هذا القرار يلبي جزءا من طموحاتهم الوطنية، لسبب منطقي وبسيط فهذه لم تكن تجربة الفلسطينيين الاولى مع القرار العربي الرسمي.

فجيل ابو جهاد كله تفتح وعيه على مأساة النكبة وعلى حالة الوصاية التي فرضت على الفلسطينيين وعلى قضيتهم.

وجيل ابو جهاد نفسه بعد كل ذلك كان قد تفتح وعيه على كلمات القائد عبد القادر الحسيني وهو يطالب القيادات العربية طوال ١٢ يوما كاملة بالسلاح الضروري لاسترجاع موقع القسطل، والاستمرار في المقاومة والقتال. واستشهد عبد القادر

الحسيني ولم يكن السلاح الذي طلبه قد وصل بعد.

وبعدها شعر جيل ابو جهاد كله بالاهانة الشخصية والوطنية عندما ارسلت مصر ضابط مخابرات صغيرا لترحيل زعيم فلسطين ورئيس المجلس الاعلى لحكومة عموم فلسطين الحاج امين من غزة الى القاهرة.

ومع ان نظام الحكم في مصر تغير بعد ١٩٥٢ الا ان الموقف من الحكومة الفلسطينية المستقلة لم يتغير، ولم يسمح حتى للحاج امين بالعودة ابدا الى غزة. ولم يكن ذلك مجرد سلوك فردي فمنذ تاريخ اعلان الوصاية على الفلسطينيين تغيرت وجوه وطارت رؤوس واهتزت عروش وتبدلت حكومات ولم تتغير ابدا سياسة الوصاية الرسمية.

وقد لخص ابو جهاد موقف الشعب الفلسطيني عندما قال: «كان المزاج السياسي للشارع الفلسطيني يكن حقدا لا نظير له على سياسات الالحاق والتبعية». على ان العلاقة العربية الرسمية بالمسألة الفلسطينية، كانت تشهد بين الفترة والأخرى تراجعات مؤقتة وتكتيكية لم تكن اكثر من انحناءة للعاصفة كي تمر، او محاولة لقطع الطريق، واجهاض حلم فلسطيني جديد، اوكما قال ابو جهاد: «محاولة لقطع الطريق على الارهاصات الثورية التي يحبل بها الشارع الفلسطيني».

الموقف الفلسطيني يجب ان يفهم في هذا الاطار، وعلى هذه الارضية التاريخية، وليس من خلال اتهام الفلسطينيين بالشوفينية الاقليمية او بالحساسية المرضية تجاه الموقف العربي الرسمي.

كانت حركة فتح منذ بياناتها الاولى العلنية المنشورة في مجلة «فلسطيننا» قد تمكنت من شق مجرى جديد لتيار جارف من الوطنية الفلسطينية تعتمل داخله ثلاثة مرتكزات اساسية، الاستقلالية الفلسطينية والاعتماد على الذات، والكيانية، والكفاح الفلسطيني المسلح.

لم تكن فتح وحدها هي التي تدفع بهذا التيار، كانت هناك قوى فلسطينية اخرى تشاركها الرأي والتوجه، وكانت حركة الجماهير ووعيها العفوي بالاساس هي التي ضغطت لفرض هذا التيار على كل الاتجاهات السياسية الفلسطينية، حتى ان الشقيري نفسه عندما كلف بقرار عربي رسمي في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤ «للاتصال بالدول الاعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول الى اقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره» كان كما قال: «ان مهمته من وجهة نظر المواطن الفلسطيني هي كي يبنى الكيان الفلسطيني».

لم يكن بناء هذا «الكيان» بالنسبة لحركة فتح مطلبا في حد ذاته ولم يكن بديلا عن الوطن كله.

فمنذ عام ١٩٦٠ قالت فتح انها «تؤمن بأن الكيان شرط ضروري للعمل في سبيل التخلص من النكبة والوجود اليهودي في وطننا فلسطين، والكيان سيعيد الرابطة المتينة التي تربطنا بأرض الوطن».

وكان الالحاح على فكرة الكيانية الفلسطينية المستقلة قد حولها الى تيار شعبي وسياسي جارف ومع ذلك كانت تصر فتح كما قال ابو جهاد على الربط ما بين بناء هذا الكيان المستقل وبين الدعوة لممارسة السيادة الفلسطينية الكاملة عليه، والتأكيد على طلب السلاح.

لذلك كانت الهتافات تحاصر الشقيري اينما ولى وجهه «يا شقيري بدنا سلاح»، «يا شقيري بدنا سلاح»، لكن قيادة الشقيري احبطت الجماهير، التي علقت في البداية آمالا كبيرة عليها، عندما فرغت المطالب الثلاثة الاساسية للجماهير، الاستقلالية، والكيانية مع السيادة، والسلاح والكفاح المسلح، من اي مضمون حقيقي لها.

ومع ذلك يجب ان يذكر للشقيري انه تجاوز حدود القرار الرسمي العربي، واستجاب للتيار الشعبي الجارف بتشكيل كيان فلسطيني عندما اعلن عن قيام منظمة التحـ _ الفلسطينية. لكنه منذ لحظة التأسيس الاولى في المؤتمر الوطني الفلسطيني الاول كان قد اعلن بوضوح: «ان الكيان الفلسطيني ليس حكومة ولا يمارس سيادة». وأضاف: «نحن لا نريد ولا نقدر ان نمارس سيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة» ولم يكن خطأ الشقيري في ذلك الوقت انه «لا يقدر» لكن خطيئته كانت انه «لا يريد».

وكان واضحا ان الخط السياسي المستقل هو المسافة الفاصلة ما بين الخطأ المقبول من باب الاجتهاد، والخطيئة التي لا تغتفر في العمل الوطني.

والجدير بالذكر هنا ان الجماهير الفلسطينية لم تكن قد التفت بقوة في البداية حول قيادة الشقيري اعجابا منها ببلاغته او ببراعته الخطابية، وما كان لهذه القيادة ان تحوز على هذا الالتفاف ما لم تعلن تمشيها مع نداءات الجماهير «بالسلاح والكفاح». وهكذا دخل الشقيري الى قلوب الجماهير من بوابة «معسكر النصيرات» الذي اعلن عن افتتاحه للتدريب العسكري في اول زيارة له لقطاع غزة قبيل انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الاول في القدس عام ١٩٦٤.

لكن هذه البداية الواعدة، عادت فانتكست بسرعة عندما تصادمت مع القرار العربي الرسمي الذي يصر على منع اقامة ادارة عسكرية فلسطينية مستقلة، حتى ولو كانت مفصلة حسب «الموديل» الرسمي ذاته اي جيش فلسطيني كلاسيكي ونظامي خاضع لنظام وأعراف الجيوش النظامية.

وهكذا سلمت هذه القيادة، دون مقاومة تذكر، للسلطات العربية مقادير جيش

التحرير الفلسطيني وقراره السياسي، فقوات «عين جالوت» في غزة كانت تتبع السلطات السياسية والعسكرية في القاهرة، وقوات «حطين» في سورية كانت تتبع لقرار الحزب الحاكم وقيادة الجيش في دمشق، وقوات «القادسية» كانت تتبع للسلطات ذاتها في بغداد.

ومن ثم اقتصرت وظيفة هذا الجيش على تلقي المزيد من التدريب العسكري ثم المزيد من التدريب والقيام بمناورات وحتى بالذخيرة الحية، والاشتراك في الاستعراضات العسكرية الموسمية، وفي مراسم استقبال كبار الشخصيات والضيوف وما الى ذلك من مهام.

كان الآلاف قد اندفعوا للانتظام في هذا الجيش يحدوهم الامل في ان يكونوا طليعة شعبهم في معركة التحرير، وكانت الجماهير الفلسطينية تتابع ذلك كله بدأب وبلهفة، لكنها كانت تشعر يوما بعد يوم بأن ارادتها تزيف وان الشعارات التي رفعتها تتحول تدريجيا الى مجرد لافتات لا مضمون لها ولا حياة فيها.

لذلك كله كان ابو جهاد محقا عندما قال: «كنا لا نعتبر نشوء منظمة التحرير الفلسطينية على يد الاطراف العربية الا محاولة لقطع الطريق على الارهاصات الثورية التي يحبل بها الشارع الفلسطيني بعد سكون وضم والحاق زاد على ستة عشر عاما».

عودة الى لقاءات ابو جهاد.. الشقيري

الاسرار التي سنكشف النقاب عنها هنا بخصوص اللقاء الاول بين ابو جهاد والشقيري تحمل ابعادا ودلالات سياسية عميقة ابعد بكثير من فحوى الاثارة التي يمكن ان تتضمنها التفاصيل الصغيرة والمهمة لهذه الاسرار.

كان الرئيس جمال عبد الناصر قد دعا الى عقد مؤتمر القمة العربي الاول الذي التأم في القاهرة في شهر يناير ١٩٦٤، والذي تمخض عن القرار الذي استند اليه احمد الشقيري في تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية.

كان الشقيري استباقا لهذه الخطوة وفي اطار التمهيد لها قد قام بزيارة عدد من العواصم العربية للالتقاء بالجماهير الفلسطينية فيها، وقادته هذه الرحلة الى ليبيا.

وكان الدكتور محيي الدين الكيني رئيسا لوزراء ليبيا في ذلك الوقت في عهد الملك السنوسي، وكان على علم بوجود تنظيم سري قوي لحركة فتح في ليبيا وان الاخ كمال الدين سراج هو امين سر هذا التنظيم في ليبيا، وكان يعمل في الوقت نفسه في وظيفة رسمية سامية، وقد اوعز رئيس الوزراء الليبي لأحد مساعديه للتحدث معه بخصوص التحرك من بنغازي الى طرابلس لاستقبال الشقيري، وتقديمه للجالية

الفلسطينية في ليبيا.

وهكذا كان وجرى ترتيب عدة لقاءات له كانت احداها بحضور السفراء العرب المعتمدين في ليبيا وقد حضر هذا اللقاء السفراء: اللواء احمد حسن الفيلي سفير مصر، والسيد احمد الطيب معاش اول سفير للجزائر في ليبيا، والسيد محمود شرشور سفير تونس، وعدد آخر من السفراء العرب.

وأثناء هذه الجلسة عبر الشقيري لأبو نبيل السراج عن رغبته في الالتقاء بعدد من قيادات حركة فتح التي كان قد اطلع على بياناتها وأدبياتها من خلال مجلة «فلسطيننا»، وعلى خطها السياسي وبرنامجها من خلال قريب له يلقب «بأبو ميسرة» وكان احد كوادر حركة فتح العاملين في الكويت.

وأشار الشقيري امام الحضور الى ضرورة الوحدة الوطنية والتكاتف الفلسطيني في هذه المرحلة، وأشاد بتوجهات حركة فتح وجدد طلبه باللقاء مع قياداتها. وتعهد الاخ ابو نبيل السراج بترتيب هذا اللقاء في الجزائر، واشهد السفير الجزائري احمد الطيب معاش على ترتيبات هذا اللقاء.

وقام السفير الجزائري بدوره بابلاغ وزارة خارجيته فحوى هذه الترتيبات خاصة وان الشقيري كان يعتزم زيارة الجزائر.

وعلى الفور ابلغ «ابو نبيل» ابو جهاد في الجزائر برغبة الشقيري، وتلقى ردا ايجابيا من ابو جهاد الذي ابرق الى الكويت في طلب الاخوة ياسر عرفات، وزهير العلمي لحضور هذا اللقاء المرتقب مع الشقيري في الجزائر.

وفي الجزائر كان السفير المصري هناك السيد علي خشبة قد هيأ كل الترتيبات لزيارة الشقيري واستقباله بما في ذلك محاولة الطعن في مكتب فلسطين، وفي قيادة ابو جهاد للعمل الوطني الفلسطيني في الجزائر في ذلك الوقت وكانت هذه المحاولة جزء من الحملة المستمرة المعادية لمكتب فلسطين ولحركة فتح ولأبو جهاد شخصيا. وهكذا جرى تحريض عدد من المدرسين الفلسطينيين من البعثة التعليمية المصرية للجزائر ومن حملة الوثائق المصرية لحضور المهرجان الذي اقيم للشقيري والسعي هناك للتهجم على ابو جهاد والطعن في تمثيله للجماهير الفلسطينية هناك.

ثم جرى بعد ذلك ترتيب اللقاء المرتقب في منزل ابو جهاد الذي كان يقع فوق مكتب فلسطين نفسه، وعندما بدأت مفاتحة الشقيري في الموضوع الذي رتب اللقاء من اجله حاول الانكار والتنصل، واحتد النقاش واحتدم، لكن انكار الشقيري لم يطل لأن الخارجية الجزائرية واجهته بالمعلومات التي ارسلها احمد معاش سفيرها في ليبيا حول طلبه اللقاء والتنسيق مع قيادة حركة فتح في الجزائر.

ويبدو ان الشقيري كان قد بيت النية ايامها لتجاوز حركة فتح والاعتماد في مشروعه الجديد على زعامته الفردية وعلى الوجاهات الفلسطينية التقليدية لذلك

عندما رتب مسألة دعوة واختيار المندوبين الـ ٣٥٠ الذين سيحضروا المؤتمر الفلسطيني الاول في القدس تعهد الا يدعو «فتح» بصفتها السياسية والتنظيمية، والذين حضروا من قيادة فتح الى هذا المؤتمر كانوا قد انتزعوا هذا الحق لكنهم حضروا المؤتمر بصفتهم الشخصية وليس بصفتهم السياسية التمثيلية، اي ليس باعتبارهم قادة في حركة فتح.

وكنا قد اشرنا الى ما قاله ابو جهاد من ان الشقيري تعمد تجاوزه عندما اختار مندوبين عن الجماهير الفلسطينية في الجزائر، واستبدله بأسماء معروفة بارتباطاتها مع السفارات العربية هناك، رغم ان الشقيري كان قد اطلع على دور ونشاطات مكتب فلسطين في الجزائر، ويعرف عن ابو جهاد دوره المؤسس في حركة فتح وفي قيادة اول مكتب علني ورسمي لفلسطين في اي عاصمة عربية، ودوره في انتزاع الطابع الدولي للقضية الفلسطينية عبر حركته ونشاطه الخارجي وخاصة زياراته للصين وفيتنام والمانيا الديمقراطية ويوغسلافيا وكوريا الشمالية والبانيا قبل ان يكون الشقيري نفسه قد وطأ بأقدامه اراضي اي من هذه البلدان.

وكان واضحا ان المسألة لا تخص شخص ابو جهاد بقدر ما تخص حركة فتح نفسها خاصة وان مشروع منظمة التحرير كان في احد جوانبه، او على الاقل في ذهن بعض الذين وقفوا وراءه، محاولة لقطع الطريق على حركة فتح واجهاضها باعتبارها القيادة الاكثر احتمالا للحركة الوطنية الفلسطينية النامية.

وكان ذلك على الاقل هو ما تشير اليه اغلب تقارير الاجهزة الامنية في اكثر من قطر عربي، كانت تتابع حركة هذه القيادة الجديدة وتتبعها، وتحذر من خطورة حركتها وخطها السياسي الذي تطرحه وتدعو اليه.. وتمارسه.

بدايات موقف فتح من منظمة التحرير الفلسطينية

استنادا الى احاديثنا مع «ابو جهاد» والى بعض الوثائق التاريخية التي اطلعنا عليها وعهد ببعضها لنا، يمكن القول ان موقف حركة فتح من منظمة التحرير في البداية كان كما لخصه ابو جهاد بنفسه عندما قال: «لا نخفي على احد القول انه رغم تقييمنا للمنظمة ولدورها الخفي الا اننا اعتبرنا انها اطار رسمي يحوز شرعية عربية ولا بد لنا من الاحتفاظ به والحرص على اقتحامه والسيطرة عليه».

وتطبيقا لهذا الموقف كان ياسر عرفات وابو جهاد قد طلبا من ابو نبيل السراج الموافقة دون تردد على العرض الذي قدمه له الشقيري في المؤتمر الفلسطيني الاول بالقدس عام ١٩٦٤ بتكليفه بفتح اول مكتب لمنظمة التحرير في ليبيا.

ومعروف ان حركة فتح لم تقاطع المؤتمر التأسيسي الاول لمنظمة التحرير، رغم

موقفها السياسي من المشروع نفسه وتحفظاتها المشروعة عليه، وانها اخذت قرارها باقتحام المؤتمر وبالصف الاول من قياداتها التاريخية وبالمقابل كانت قيادة الشقيري تحرص على استبعادهم وتجاوز حركة فتح، ربما لأن الشقيري كان يدرك بفطنته وذكائه ان فتح هي بديله الثوري الذي ينازعه على حق قيادة الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية وخاصة بعد ان اعلنت فتح برصاصاتها الاولى عن انطلاقتها المسلحة في ١/١/١٩٦٥، فاستشعرت وقتها كل الجهات المعنية بالأمر وقع هذا الزلازل العميق.. وآفاق تأثيراته الخطيرة على واقعها.. ومواقعها.

ويقول ابو جهاد عن موقف المنظمة ورد فعلها على انطلاقة فتح: «ذهبت قيادة المنظمة الى حتفها بيدها حين سارعت في اليوم التالي لاعلان انطلاقة فتح وبيان قيادتها العامة لقوات العاصفة الاولى في ١/١/١٩٦٥ لاصدار بيان نفت فيه عن نفسها شرف المشاركة في الكفاح الفلسطيني المسلح الذي شكل الاعلان عن بدئه انعطافة بارزة في التاريخ الفلسطيني والعربي، سقطت قيادة المنظمة من حيث ارادت لنفسها النجاة في وجه سطوع «فتح» وواقعيتها ومنطقها المعبر عن طموحات شعبها».

ويثبت ابو جهاد بعد ذلك نص البيان الذي اعلنته قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ردا على اعلان الانطلاقة فيقول: .. وهكذا اذاعت منظمة التحرير الفلسطينية بيانا في يوم ٢/١/١٩٦٥ اي في اليوم التالي مباشرة على الانطلاقة قالت فيه:

ينفي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ان يكون للمنظمة اي علاقة بالبيان الذي صدر عما سمي «بالقيادة العامة لقوات العاصفة» والذي جاء فيه ان بعض قوات هذه القيادة قد قامت بتنفيذ عمليات معينة في الارض المحتلة وينتهز المكتب هذه الفرصة ليؤكد بان اي عمل عسكري فلسطيني ضد اسرائيل هو من صلاحيات واختصاص جيش التحرير الفلسطيني الذي يتولى وحده مسؤولية التعبئة العسكرية لأبناء الشعب الفلسطيني من اجل تحرير الارض المحتلة».

ويستخلص ابو جهاد من هذا البيان: «ان قيادة المنظمة قد سقطت حين اعتبرت نفسها طرفا يواجه فريقا آخر ولم تعتبر نفسها قيادة الشعب كله.. وسقطت قيادة المنظمة حين اعتبرت ان تحرير الارض مسألة تتعلق بالاختصاص وتوزيع المسؤوليات وهكذا سقطت شرعية قيادة المنظمة حين اسقطت بيدها مصداقيتها وأعلنت رفضها للكفاح ضد العدو».

ويضيف ابو جهاد قوله: «كان خطأ قيادة المنظمة القائل انها لم تجد ما تهاجمنا فيه غير الشعار الثمين العزيز على شعبنا، وهو الاستقلال والذي يحمل على الدوام عنوانا بارزا وأصيلا وثابتا هو الكفاح المسلح، لم تجد ما تهاجمنا قيادة المنظمة غير الكفاح المسلح الخيار الذي لا بديل له، والذي بمجرد طرحه وحوزه على حجم من

المصداقية فلا بد لصاحبه ان يستقطب الشارع الفلسطيني استقطابا شبه مطلق وهو الشارع المزدحم بالحقد والثأر والحنين القاتل الى وطنه وحريته وكرامته واستقراره».

وهكذا كانت المنظمة قد دخلت مبكرا في مرحلة عجزها المستعصية على الحل.

وكانت حركة فتح، على عكس الآخرين، حريصة على الا تعيش الحركة الوطنية الفلسطينية في ظل ازمة «الرجل المريض»، وتحت سقف منظمة يزداد عجزها وعدم قدرتها على تلبية طموحات الجماهير والاضطلاع بمهمات المرحلة يوما بعد يوم بعد ان خالفت توجهاتها.. وتخلفت عن الالتحاق بها.

ويقول ابو جهاد: «وهكذا كان لا بد من بدء العمل الحثيث والكثيف لاعلان السقوط الرسمي لهذه القيادة ولا بد لفتح ان تعيد تنظيم المنظمة فتلغيها كمنهج واسلوب عمل وعلاقات وتحالفات.. ولا بد لفتح ان تعيد الحياة الى هذا الجسد الميت والتابع والملحق بالكيانات القائمة التي لا تكاد هي اصلا ان تملك شرعية وجودها».

ويضيف ابو جهاد: «وقد سهلت قيادة منظمة التحرير مهمتنا حين اخذت بشن الحملات علينا وفي وقت كانت فيه حركة فتح تترسخ رويدا رويدا في الوجدان الشعبي الفلسطيني، واصبح من الواضح انها في طريقها لتكون البديل العملي الامثل لسياسات الالحاق والتبعية التي كانت تشكل حقدا لا نظير له في المزاج السياسي للشارع الفلسطيني».

وكانت ملفات ابو جهاد الخاصة التي اطلعنا عليها تحتوي على كراس خاص يتضمن «برنامج عمل قدمته القيادة العامة لقوات العاصفة» الى المجلس الوطني الفلسطيني الثاني الذي انعقد في شهر ايار ١٩٦٥ ونظرا لأهمية هذه الوثيقة فاننا نثبت هنا اهم ما جاء فيها وعلى الخصوص مقدمة هذا البرنامج وأهم بنوده.

خاطبت قيادة قوات العاصفة الشعب الفلسطيني من خلال المجلس الوطني بصياغات سياسية جديدة بالغة الحدة في جلائها ووضوحها، تقول هذه الوثيقة: «اننا نتطلع الى سير اجتماعاتكم بشكل بعيد عن التخوف والارتجال.. لقد وضح ان اللجنة التنفيذية لم تقدم انجازات على مستوى المرحلة الحساسة.. ان الاعباء الملقاة على عاتق اللجنة التنفيذية تستوجب ان تتألف هذه اللجنة من عناصر قوية منسجمة متماسكة في ظل القيادة الجماعية التي نص عليها الميثاق الوطني». ثم طالبت فتح في برنامجها هذا بأن ترتبط اللجنة التنفيذية وأجهزتها بمفهوم الكفاح المسلح تخطيطا وتنفيذا، قولا.. وعملا».

ومن ثم جرى عرض محتويات البرنامج التفصيلي الذي قدمته «العاصفة» ليغطي كل مجالات العمل الوطني الفلسطيني والذي كانت اهم محتوياته تتضمن ما يلي:

اولا: في المجال الفلسطيني

أ ـ على الصعيد العسكري:

١ـ ان تمارس قيادة الجيش الفلسطيني مسؤولياتها بحرية من خلال الشخصية المستقلة لارادة الشعب العربي الفلسطيني وبالتعاون مع القيادة العربية الموحدة.

٢ـ تخفيض مدة الخدمة العسكرية الى اقصر زمن ممكن لزيادة طاقة شعبنا العسكرية.

٣ـ العمل على الا يطغى الاهتمام باعداد الجيش النظامي على اعداد الكتائب الفدائية التي يقع عليها العبء الأساسي للكفاح المسلح.

٤ـ الاسراع في انشاء فرق الشباب المسلح والمقاومة الشعبية.

٥ـ تحصين القرى الامامية وتعزيزها بما يلزمها من متطلبات الدفاع المدني والمقاومة.

٦ـ تحديد استراتيجية العمل العسكري الفلسطيني زمنيا ومرحليا بحيث يكون منسجما ومتكاملا مع العمل الفدائي الفوري داخل ارضنا المحتلة.

ب ـ على الصعيد السياسي والاعلامي:

١ـ كسر جدار الصمت الرسمي الذي احاط بالعمل الفدائي الفلسطيني في ارضنا المحتلة والافادة من هذه الاعمال الفدائية لتكون رائدا ثوريا لجماهير شعبنا.

٢ـ تنمية استقلال شخصية المنظمة وارادتها الحرة في العمل الفلسطيني.

٣ـ يجب ان يقوم كل عمل اعلامي وسياسي من خلال العمل المسلح وتلبية لحاجاته.

٤ـ يجب اتخاذ العمل الفدائي المسلح منطلقا اساسيا في تحقيق الوحدة الوطنية.

ج ـ على صعيد المجلس الوطني:

لا بد ان يشكل المجلس الوطني القادم من قيادات التنظيم الشعبي الفلسطيني ذي التوجه العسكري المقاتل بنسبة الثلثين على الاقل وعلى الا يزيد عدد اعضاء المجلس الوطني القادم على ٥٠ عضوا.

على الصعيد العربي:

«انهاء مرحلة الوصايا على العمل الفلسطيني وانهاء دور المسؤولين العرب في الانفراد في تقديم الحلول للقضية الفلسطينية».

على الصعيد الدولي:

«ابراز الشخصية الفلسطينية باعتبارها الطرف الاصلي في النزاع واعتبار الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الوحيد في تقرير مصيره واسلوب كفاحه».

ثم ختمت القيادة العامة لقوات العاصفة برنامجها بعبارات تحذيرية حاسمة تقول: «ان جماهير شعبنا تقف مراقبة ومحاسبة وانها لن ترحم اي تقصير وسيكون حسابها مع كل من قصر جد عسير».

كانت هذه المذكرة تعبيرا واضحا عن ظاهرتين احداهما يشتد نهوضها والاخرى

تتحلل وتأفل شمسها.

ولم تكن حركة فتح بالطبع تأمل كثيرا في احداث التغيير المنشود في بنية وبرنامج المنظمة لمجرد طرح مثل هذه المذكرة بكل ما احتوته من بنود ومطالب وبرامج، لأنها كانت تعتمد في الاساس على تجذير الوقائع الجديدة التي توجدها السواعد الفدائية المقاتلة والكوادر السياسية الواعية على اساس وحدة القول والفعل والفكر والممارسة بما يلبي طموحات الشعب، ويجسد آمالها ويفرضها في النهاية كبديل ثوري للمنظمة التي بدأت تنخرها من الداخل عوامل التآكل وآفة الفردية، وأمراض البيروقراطية القاتلة.

خطة «فتح» الكبرى

ومن هنا طرحت حركة فتح على اعضائها برنامج عمل داخلي يحدد استراتيجية وتكتيكات الحركة تجاه منظمة التحرير في تلك المرحلة، وكان هذا البرنامج يحمل عنوان «الحركة والكيان المقترح»، وتضمنت نصوصه ما يلي:

«.. لقد ثبت لنا بعد بحث ودراسة الكيان الفلسطيني ان هذا الكيان بفكرته واقع لا بد من التسليم به وعدم مقاومته واعتباره مرحلة من مراحل العمل الفلسطيني، ومادام الامر كذلك فلا بد من ملء الكيان بعناصر ثورية تؤمن بالخط الفلسطيني وبالثورة المسلحة دون ان يكون الكيان خاضعا او موجها على ان يكون له الهيئة العسكرية المستقلة».

اولا: اعتبار الكيان مرحلة في العمل الفلسطيني «وليس بديلا للثورة المسلحة».

ان الأخذ بهذا المبدأ يفرض علينا ان نقوم بما يلي:

١ـ محاولة السيطرة على اللجنة التحضيرية بنسبة عددية وكيفية، وهذا يعني التأثير على الشقيري بمختلف الوسائل.

٢ـ محاولة السيطرة على المجلس الوطني بأغلبية عددية.

٣ـ محاولة السيطرة على اللجنة التنفيذية المنبثقة عن المجلس الوطني.

٤ـ محاولة ملء شواغر الدوائر والمكاتب الفلسطينية المختلفة على ان تترك لجان الدراسة للكفاءات السياسية والحقوقية. اما لجان التوعية والتنظيم القومي فلا بد ان يكون لنا فيها السيطرة والتوجيه، واستنادا الى ما سبق لا بد من اعداد اشخاص معينين ليكونوا على استعداد لهذا العمل.

٥ـ محاولة السيطرة على جميع دوائر ولجان الكيان في مناطق الخليج العربي.

ثانيا: بديل المجلس الوطني والهيئات واللجان المنبثقة عنه.

اذا لم نتمكن من ضمان توجيه المجلس الوطني واللجنة التنفيذية والدوائر

والمكاتب المنبثقة عنها، فلا بد من العمل على ايجاد بديل يقف دون تسلط المجلس الوطني وانفراد اللجنة التنفيذية بالعمل الفلسطيني، والبديل لهذا هو الاسراع في:

١ـ ايجاد الاتحادات والنقابات المهنية حتى تكون مؤسسات دائمة وتنظيمات شعبية جماهيرية لها وزنها في المعركة.

٢ـ ايجاد اتفاقات ثنائية بيننا وبين الجبهات والتجمعات الفلسطينية الاخرى.

٣ـ ايجاد تيار فلسطيني وعربي يرفع شعارات يطالب الكيان تحقيقها.

أ ـ افتتاح معسكرات التدريب فورا.

ب ـ القيام بأعمال الدفاع المدني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ج ـ المناداة بحرية الحركة والتنقل والاجتماع للفلسطينيين في الاقطار العربية.

د ـ السماح بايجاد صحافة فلسطينية حرة في الاقطار العربية.

٤ـ دعوة المؤسسات الشعبية العربية الى اقامة المهرجانات وانشاء لجان نصرة فلسطين على المستويين الشعبي والحكومي.

ثالثا: على المستوى التنظيمي للحركة:

أ ـ على الاعضاء القيام بعمليات واسعة النطاق لاستقطاب المزيد من الشباب الفلسطيني الصالح للعمل والتعاون معنا على شكل تجمعات.

ب ـ تركيز الجهد على مناطق الحدود وايجاد اجهزة منظمة في جميع مدن وقرى الحدود وخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ج ـ تعميق علاقة العضو بالحركة: بتكليف جميع الاعضاء بالقيام بأعمال مختلفة في جميع الميادين تحت ستار الكيان.

د ـ عمل كادر تنظيمي تسلسلي لتنظيم العمل والمسؤوليات بالنسبة للكيان وتحديدها.

رابعا: المستوى الشقيري:

١ـ ادخال التعديلات والتغييرات في الميثاق القومي والنظام الاساسي ليتلائم مع مبادىء الثورة المسلحة وضمان فلسطينية العمل والتخطيط والقيادة في مختلف المستويات.

٢ـ تحديد الموقف بالنسبة للشقيري والكيان مرهون بتجاوبه معنا على اساس ضمان الاغلبية لنا في العمل الثوري في الكيان، وضمان عدم وجود وصاية على العمل الثوري الفلسطيني من جماعة سياسية مناوئة.

خامسا: استمرار محاولة كسب احدى الدول العربية المجاورة للأرض المحتلة لدعمنا ومساندتنا.

سادسا: على من توجه اليهم هذه النشرة تقديم ارائهم ومقترحاتهم حول ما ذكر

خلال اسبوع من استلامهم النشرة.

وعاشت فلسطين عربية حرة.

«فتح»

كانت هذه الوثيقة بمثابة الخطة الكبرى لحركة فتح التي تعالج بشكل كلي الموقف من منظمة التحرير الفلسطينية.

مذكرات حركة « فتح » لمؤتمرات القمة العربية

وعلى صعيد آخر يذكر ابو جهاد ان حركة فتح حرصت بعد انطلاقها على مخاطبة مؤتمرات القمة العربية وتوضيح خطها السياسي وعرض برنامجها العملي على اوسع الجماهير الفلسطينية والعربية من خلال مؤتمرات القمة.

وعندما عقد مؤتمر القمة العربي الثالث في شهر ٩/ ١٩٦٥ وجهت حركة فتح مذكرة سياسية مهمة لهذا المؤتمر، ونشرتها بشكل علني وعلى اوسع نطاق. بدأت فتح مذكرتها بالقول: «لقد قررنا منذ اليوم عدم السكوت ولا نقبل من الآن فصاعدا سوى خطوات عملية للتدليل على حسن النوايا تجاه ثورة شعبنا».

وقدمت فتح تصورا واضحا ومحددا لهذه الخطوات. تضمن ستة بنود رئيسة وهي تبدأ بالمطالبة بالكف عن ملاحقة الفدائيين لتصل الى طلب الافراج عن مخزونات الاسلحة المكدسة في المخازن العربية وتسليمها للثوار الفلسطينيين.

و عادت فتح فقدمت مذكرة اخرى الى مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الذي انعقد في شهر آذار ١٩٦٦ . ومما جاء في هذه المذكرة «ان حركة فتح يهمها ان تعلن للدول العربية من خلال مؤتمركم الموقر ان جناحها العسكري ـ العاصفة ـ قد مضى عليه قرابة الخمسة عشر شهرا وهو يعمل ضد العدو الاسرائيلي».

وأشارت المذكرة الى حادث اعتقال المناضل جلال كعوش وزملائه وتعذيبهم مما ادى الى استشهاده في احد المعتقلات اللبنانية، وقالت المذكرة: «ان لجلال كعوش رفاق يعانون التعذيب في هذا الوقت في السجون العربية».

ثم عرضت فتح موقفها السياسي ومطالبها على النحو التالي: «ان التيارات المعادية التي كانت تتصارع في المنطقة اثناء اجتماعكم في العام الفائت وبعده مازالت تنشط وتحتفظ بمواقعها الهجومية بل انها تحاول ان تقوم بعملية التفاف ذكية تستهدف الاجهاز على الانطلاقة الفلسطينية الشريفة والسير بخبث وبالتدريج لخنق فكرة القتال المشروع العربي والفلسطيني من اجل تحرير فلسطين المحتلة.

.. ان فتح تؤمن ان المعيار لاحترام الأنظمة العربية لحق الشعب العربي

الفلسطيني في النضال من اجل تحرير وطنه وان الالتزام الجدي بقرار طرح قضية فلسطين على اساس انها قضية تحرير وطن سليب باسلوب ثوري يفرض على اخواننا العرب التسليم بالأمور التالية:

١ـ احترام حق الشعب العربي الفلسطيني في النضال من اجل تحرير وطنه وبناء تنظيمه الثوري.

٢ـ اطلاق حرية العمل لجميع القوى الثورية الفلسطينية التي تؤمن بالكفاح المسلح طريقا للتحرير.

٣ـ تهيئة كل ارض عربية محيطة بفلسطين المحتلة لتكون منطلقا للتحرير وليس سجنا للمناضلين، او مسرحا لملاحقتهم واضطهادهم وتعذيبهم حتى الموت املا في تطمين العدو ودفعا لأذاه».

وختمت فتح مذكرتها بالقول: «وليس هناك ما يحرج قوات العاصفة اذا جددت اليوم اليكم نداءها الذي وجهته الى مؤتمر القمة الثالث بطلب السلاح المكدس في المخازن العربية والغاء الحظر المضروب حول نشر ابناء العاصفة في كثير من الاقطار العربية».

ومع مرور الايام كانت حركة فتح كما قال ابو جهاد: «تترسخ رويدا رويدا في الوجدان الشعبي الفلسطيني» ولما فشلت سياسة التجاوز التي اتبعتها قيادة الشقيري، حاولت تدارك الامر فطرحت سياسة الاحتواء، حتى تتمكن من الاحاطة بالاحداث المتسارعة والمتفجرة التي لم تعد تسيطر عليها فاعلن احمد الشقيري في ١٩٦٦/١٢/٢٦ عن عزمه على تشكيل ما يسمى «مجلس الثورة لمنظمة التحرير» الذي سيأخذ على عاتقه اعداد الشعب لخوض معركة التحرير، حسب تعبير البيان الذي تبنى قضية اسير حركة فتح الاول محمود حجاز، وأدان عمليات ملاحقة الفدائيين ومطاردتهم والاشتباك معهم بالسلاح.

ولم يكن ذلك كله يجدي نفعا اذ ان ساعة التغيير كانت قد ازفت، وفي غضون عام واحد فقط من هذه المحاولة المتأخرة اصدر سبعة من اعضاء اللجنة التنفيذية في ١٩٦٧/١٢/١٧ مذكرة وجهوها الى احمد الشقيري مطالبين فيها بتنحيته.

ومع مطلع عام ١٩٦٨ كانت التحولات الجذرية آخذة في التشكل والاكتمال لعبور المرحلة الانتقالية التي تمر بها منظمة التحرير الفلسطينية.

اللقاء على ارض المعركة

ويذكر ابو جهاد ان حركة فتح كانت وراء الدعوة الى توحيد اداة الثورة الفلسطينية في هذه الفترة التي شهدت بين ١٧ ـ ١٩ يناير ١٩٦٨ انعقاد المؤتمر

الذي انعقد في القاهرة وحضرته ثماني منظمات فلسطينية مقاتلة، واسفرت جلساته عن اصدار وثيقة مهمة تضمنت الدعوة لتشكيل مجلس عسكري موحد للمنظمات الفلسطينية الثماني تكون مهمتها «الاشراف على جميع الشؤون العسكرية تخطيطا وتنسيقا».

وفيما يتعلق بموضوع منظمة التحرير نصت هذه الوثيقة على «ان اللقاء الاصيل الذي تبنى عليه الوحدة الوطنية هو على ارض المعركة ومن خلال العمل المسلح». ثم طرحت الوثيقة رؤيتها لتشكيل اللجنة التحضيرية للمجلس الوطني ومسؤولية هذا المجلس في تلك المرحلة.

.. وأخيرا كان ابو جهاد قد اطلعنا على وثيقة هامة من مجموعة الوثائق الخاصة ببدايات علاقة فتح بمنظمة التحرير الفلسطينية.

هذه الوثيقة هي نص كلمة حركة فتح في الجلسة الختامية لمؤتمر المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في القاهرة في النصف الثاني من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٨. وألقيت هذه الكلمة في يوم ١٩٦٨/٧/١٧ وكان اهم ما جاء فيها: «لقد جئنا الى هذا المجلس تلبية لنداء الجماهير الفلسطينية والعربية، هذه الجماهير التي تنتظر تصعيد الكفاح المسلح وتثبيت دعائم الثورة الفلسطينية وتدعيم اسس الوحدة الوطنية.. ولكن للأسف اصبنا بخيبة امل كبيرة في هذا المجلس سيطرت على جو المزايدات والروح غير المسؤولة.. ضمن تحالف مصلحي على حساب الثورة والفكر والمبدأ، اننا ايها الاخوة لا نؤمن بالصفقات السياسية في قيادة العمل الوطني.. لأننا نعتبر القيادة مسؤولية وتصدي وليست تصدرا ووجاهة فضلا عن ايماننا الذي لا يتزعزع بأن قيادة الشعب بالحقيقة انما تنبع من ارض المعركة ومن خلال المعاناة الصادقة والالتحام النضالي اليومي مع الجماهير التي لها مصلحة في الثورة، لأن فيها حياتها ووجودها.

ايها الاخوة.

اننا رغم الجو القاتم المتشنج الذي سيطر على جوانب بعض المناقشات ورغم محاولات الاحتواء لحركتنا واذابتها بقرارات ظاهرها الوحدة الوطنية وباطنها الصمت والتصفية، رغم كل هذا فنحن معكم بالقرارات والتوصيات الايجابية التي صدرت عن هذا المؤتمر مع التأكيد على تحفظنا الرئيسي خلال مناقشاتنا من ان الوحدة الوطنية لا تتحقق بقرار او توصية.

ايها الاخوة.

اننا نعلن لكم اليوم اننا رأينا عدم ترشيح اي منا لعضوية اللجنة التنفيذية ايمانا منا بان الانسجام شرط ضروري لأي قيادة تريد التصدي لتنفيذ هذه القرارات الصادرة عن مؤتمركم الكريم.. واكثر من هذا فاننا سنترك هذه القائمة الى ان يتم

انتخاب اللجنة التنفيذية الجديدة لنعود اليها مهنئين ومباركين من تكفلون لهذه المهمة الصعبة الشاقة راجين لهم التوفيق في مهمتهم متعاونين معهم ماداموا من الثورة الفلسطينية وفي خط الثورة المسلحة».

كانت هذه على نحو موجز هي بدايات علاقة حركة فتح بمنظمة التحرير الفلسطينية، وعند حدودها الفاصلة كان علينا ان نتوقف لمن يمكن ان يكمل العمل الذي بدأناه ويتممه.



ترتبط منظمة التحرير الفلسطينية واجهزتها بمفهوم الكفاح المسلح تخطيطا وتنفيذا، قولا وعملا.



المرحوم احمد الشقيري
الرئيس السابق للجنة التنفيذية
لمنظمة التحرير الفلسطينية

لجنة التوجيه الخاص

فتح

بحظر التداول

تبلغ للاعضاء شفويا

نشرة خاصة موجهة الى :
الـلـواظـم
المستويات الخاصة
قادة المناطق
قادة الاجنحة

الحركة والكيان المقترح

لقد ثبت لنا بعد بحث ودراسة الكيان الفلسطيني ان هذا الكيان بفكرته وانه لا بد من التسليم به وعدم مقاومته واعتباره مرحلة من مراحل العمل الفلسطيني . وما دام الامر كذلك فلا بد من ملء الكيان بعناصر ثورية تؤمن بالخط الفلسطيني وبالثورة المسلحة دون ان يكون الكيان خاضعا او موجها على ان يكون له الهيئة العسكرية المستقلة .

اولا : اعتبار الكيان مرحلة في العمل الفلسطيني " وليس بديلا للثورة المسلحة " .

ان الاخذ بهذا المبدأ يفرض علينا ان نقوم بما يلي :

١ ــ محاولة السيطرة على اللجنة التحضيرية بنسبة عددية وكيفية . وهذا يعني التأثير على الشقيري بمختلف الوسائل .
٢ ــ محاولة السيطرة على المجلس الوطني بأغلبية عددية .
٣ ــ محاولة السيطرة على اللجنة التنفيذية المنبثقة عن المجلس الوطني .
٤ ــ محاولة ملء شواغر الدوائر والمكاتب الفلسطينية المختلفة . على ان تترك لجان الدراسة للكفاءات السياسية والحقوقية .
اما لجان التوعية والتنظيم القومي فلا بد ان يكون لنا فيها السيطرة والتوجيه .
واستنادا الى ما سبق لا بد من اعداد اشخاص معينين ليكونوا على استعداد لهذا العمل .
٥ ــ محاولة السيطرة على جميع دوائر ولجان الكيان في مناطق الخليج العربي .

ثانيا : بديل المجلس الوطني والهيئات واللجان المنبثقة عنه .

اذا لم نتمكن من ضمان توجيه المجلس الوطني واللجنة التنفيذية والدوائر والمكاتب المنبثقة عنها . فلا بد من العمل على خلق بديل يقف دون تسلط المجلس الوطني وانفراد اللجنة التنفيذية بالعمل الفلسطيني . والبديل لهذا هو الاسراع في :
١ ــ خلق الاتحادات والنقابات المهنية حتى تكون مؤسسات مضادة وتنظيمات شعبية جماهيرية لها وزنها في المعركة .
٢ ــ ايجاد اتفاقات ثنائية بيننا وبين الجبهات والتجمعات الفلسطينية الثورية الاخرى .
٣ ــ خلق تيار فلسطيني وعربي برفع شعارات يطالب الكيان تحقيقها .
ا ــ افتتاح معسكرات التدريب فورا .
ب ــ القيام باعمال الدفاع المدني في الضفة الغربية وقطاع غزة . انشاء الملاجئ واماكن التدريب على الاسعافات الاولية .
جـ ــ تنظيم المقاومة الشعبية في الضفة الغربية وقطاع غزة .
د ــ المناداة بحرية الحركة والتنقل والاجتماع للفلسطينيين في الاقطار العربية .
هـ ــ السماح بايجاد صحافة فلسطينية حرة في الاقطار العربية .

يتبع

وثيقة سرية اصدرتها لجنة التوجيه الخاص في حركة فتح
حول الموقف من منظمة التحرير قبل عام ١٩٦٥



ابو جهاد وابو عمار
في استعراض للفدائيين
وقوات الثورة

ابو جهاد والشهيد ابو الوليد والعلمين اللبناني والفلسطيني في بيروت



ابو جهاد
في زيارته الاولى
للصين ١٩٦٤



الجنرال جياب ومجموعة
من القيادات العسكرية
والسياسية الفيتنامية يؤدون التحية العسكرية للشهيد ابو جهاد في سفارة م.ت.ف. في هانوي



ك م ع

١ / ١١

اللجنة المراقبة السياسية

فتح الثورة سري للغاية

تحية الثورة والعودة ،

ترفع قيادات الحركة ما يلي :

اولا : دعت اللجنة المركزية العليا الى اجتماع عسكري سري لقيادة أركان حرب الثورة ، وقد دام هذا الاجتماع اكثر من ثلاثة ايام وخرج بقرارات هامة جدا بالنسبة لاوضاع الحركة العسكرية ، والظروف التي تمر بها قضيتنا في جميع مجالاتها .

ثانيا : تمركز ضابط اتصال على مستوى خاص للاتصال بالثورة في كل من ليبيا ، الجزائر وبيروت ودمشق وبغداد . وقد جرت محادثات على جانب كبير من الاهمية مع هذه الفصائل وتوحدت فيها الآراء حول الكثير من جوانبه العملية .

ثالثا : جرت محادثات ومباحثات بين الحركة والمسؤولين الجزائريين ، وقد اتفق على ان يتبنى الوفد الجزائري رأي الحركة الى مؤتمر القمة ، هذا وقد ابدى [illegible] الوفد الجزائري [illegible] المؤتمر [illegible] مكتب فلسطين بالجزائر ذات مغزى ودلالة معينة .

رابعا : جرى اتصال بين الحركة والشقيري في كل من ليبيا وتونس والجزائر تم [illegible] اثنائها كثيرا من المسائل الخاصة بقضية فلسطين . وقد اتفق على ان تستمر هذه الاجتماعات في المستقبل وخاصة بعد مؤتمر القمة ، اذ اتفق على ان يكون هنالك اجتماع يرتب بين الشقيري والحركة في بلد عربي تم الاتفاق عليه .

خامسا : قامت الحركة بالاتصال بالمسؤولين العراقيين في بغداد ، وقد جرت محادثات على جانب كبير من الخطورة والاهمية حول اوضاع القضية الفلسطينية والحلول التي ترتأيها الحركة لهذه القضية . وقد اتفق على موعد آخر بعد مؤتمر القمة لانهاء هذه المباحثات .

سادسا : تقدمت لجنة منطقة الكويت باقتراحات مالية وقد وضعت بحلول عملية . وقد وجدت هذه الاقتراحات صدى طيبا لدى جميع الزملاء في كل المناطق . والحركة تشكر لجنة الكويت على هذه الروح الثورية التي تتحلى بها والاشخاص الذين قدموا هذه المقترحات العملية .

سابعا : قامت لجنة ليبيا بنشاطات ضخمة في كثير من مجالات العمل . والحركة لتثني على النشاطات الثورية التي قدمتها لجنة منطقة ليبيا عما تقوم به لدفع عملنا الثوري لتحرير وطننا السليب .

ثامنا : جرت اجتماعات على مستويات مختلفة في الكويت بين عدد من المناطق في كل من سوريا وقطر وبيروت وغزة والكويت بحثت فيها امور هامة . وتبودلت اثنائها الآراء والاقتراحات وقد رفعت نتائج هذه الاجتماعات الى قيادات الحركة . والحركة ترجو ان تتكرر مثل هذه الاجتماعات بصفة دورية ، دائمة للفوائد الضخمة التي تترتب عليها والنتائج الطيبة التي نجمت عنها .

تاسعا : علمت قيادات الحركة بما جرى بين كل من منطقة الكويت ولجنة منطقة قطر والترتيبات الجديدة التي جرت وترحب دوما بمثل هذه الفعاليات التي احدثتها هذه اللقاءات وترحب كثيرا بنتائجها .
وتطلب من الاخوة في قطر تقديم فعالياتهم الثورية في اقرب فرصة .

وعاشت فلسطين عربية حرة

فتح

تعميم «سري للغاية» اصدرته لجنة المراقبة السياسية لحركة فتح قبل الانطلاقة

بســم الله الرحمن الرحيــم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني

« فتــح »

بلاغ عسكري رقم (١)

صادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة

اتكالا منـا على الله . وايمانا منـا بحق شعبنـا في الكفـاح لاسترداد وطنـه المغتصب وايمانا منـا بواجب الجهـاد المقدس ... وايمانا منـا بموقف العربي الثـائر من المحيط الى الخليج وايمانا منـا بمؤازرة أحرار وشرفـاء العـالم ... لذلك فقـد تحركت أجنحة من القوات الضاربـه في ليلة الجمعـة ١٩٦٤/١٢/٣١ وقامت بتنفيـذ العمليـات المطلوبـة منهـا كاملة ضمن الارض المحتلة ... وعادت جميعهـا الى معسكراتها سالمـة ... واننـا لنحـذر العـدو من القيام بأيـة اجراءات ضد المدنيين الامنين العرب أينما كانوا ... لان قواتنـا سترد على الاعتـداء باعتداءات مماثلة ... وسنعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب ... كمـا واننـا نحـذر جميع الـدول من التـدخل لصالح العـدو بأي شكل كان ... لان قواتنـا سترد على هـذا العمل بتعريض مصالح الـدول للـدمار أينما كانت ...

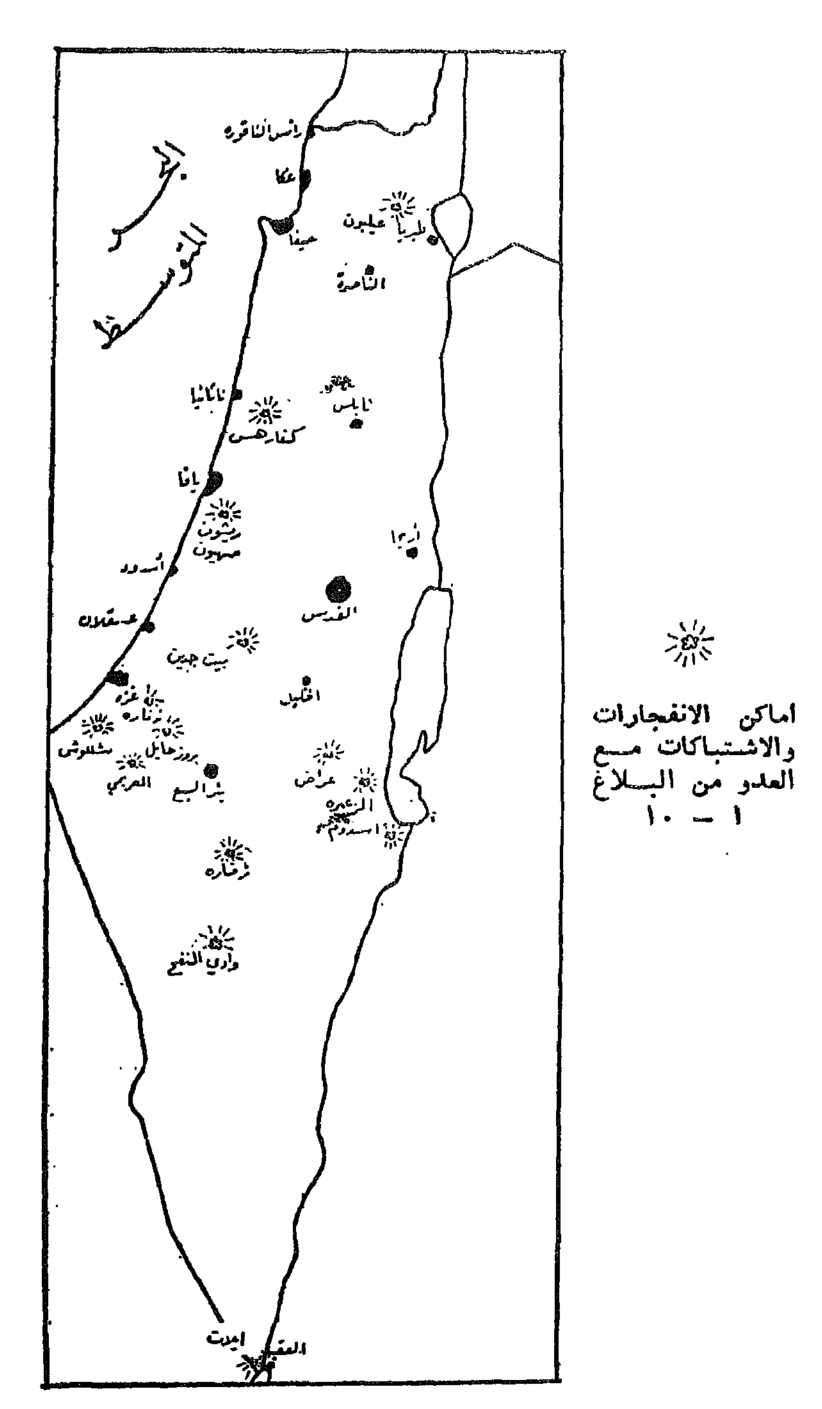
عاشــت وحـدة شعبنـا

وعاش نضاله لاستعادة كرامته ووطنه

التاريخ ١٩٦٥/١/١

القيادة العامة لقوات العاصفة

البلاغ العسكري الاول للانطلاقة وقوات العاصفة



خريطة توضح مواقع الانفجارات والاشتباكات مع العدو من البلاغ ١ ـ ١٠

جـدول العمليـات العسكرية رقم ١

الخمسين بلاغ الاولى في الفترة الواقعة من ٦٥/١/١ الى ٦٦/٦/٥

تجميع البلاغات عشريا ليات	العشرة بلاغات الاولى من ٦٥/١/١ الى ٦٥/٣/٢٢	العشرة بلاغات الثانية من ٦٥/٣/٢٢ الى ٦٥/٨/٨	العشرة بلاغات الثالثة من ٦٥/٨/٨ الى ٦٥/١٠/١١	العشرة بلاغات الرابعة من ٦٥/١٠/١١ الى ٦٦/١/٢	العشرة بلاغات الخامسة من ٦٦/١/٢ الى ٦٦/٦/٥	مجموع الخمسين بلاغ الاولى
العمليات العسكرية	٣٤	٣٨	٣٧	٣٩	٣٥	١٨٣
الاستشهاد	٣	—	١	—	١	٥
الحركة	٢	٢	٢	—	٧	١٣
وجرحى العدو (جنود)	١٠٧	١٤٥	١٠٩	٦٣	١٢٢	٥٤٦
وجرحى العدو (ضباط)	٢	—	٢	١	—	٥
الالغام المتفجرة	٢	٦	١١	١٠	١٥	٤٤
منشآت مياه	٦	٥	٦	٢	٦	٢٥
مواصلات عسكرية	٤	٥	٣	٦	٦	٢٤
آليات عسكرية	٥	١١	٨	١٤	١٢	٥٠
انشاءات بترول ووقود	٥	١	٣	٢	—	١١
مراكز مخافر ـ مهاجع..	٢	٤	١	٧	٩	٢٣
مستودعات ذخيرة	١	٢	١	١	٢	٧
انشاءات كهربائية	—	—	٣	—	—	٣
مصنع	—	—	١	١	—	٢
قطارا عسكريا	—	١	—	—	—	١
محطات لاسلكي	—	١	—	—	—	١
طائرات	—	—	—	—	—	—
كمين	—	—	—	—	—	—
ام خونسة	—	—	—	—	—	—
المستعمرات المهاجمة	١٥	١٠	٨	١٢	٨	٥٣

لا تدخل في هذه الاحصائية اعداد قتلى وجرحى العدو التي لم ترد ارقامها في بلاغات الحركة بشكل محدد .

جدول بالعمليات العسكرية الواردة في الخمسين بلاغ الاولى
في الفترة من ٦٥/١/١ ـ ١٩٦٦/٦/٥

الشهيد القائد
عبد القادر الحسيني



بيان لمنظمة التحرير الفلسطينية

على اثر صدور البلاغ العسكري رقم (١) لمنظمة العاصفة ، اذاعت منظمة التحرير الفلسطينية البيان التالي :

ينفي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ان يكون للمنظمة اية علاقة بالبيان الذي صدر زعما باسم "بالقيادة العامة لقوات العاصفة" والذي جاء فيه ان بعض قوات هذه القيادة قد قامت بتنفيذ عمليات معينة في الارض المحتلة .

وينتهز المكتب هذه الفرصة ليؤكد بأن اي عمل عسكري فلسطيني ضد اسرائيل هو من صلاحيات واختصاص جيش التحرير الفلسطيني الذي يتولى وحده مسؤولية التعبئة العسكرية لابناء الشعب الفلسطيني من اجل تحرير الارض المحتلة

١٩٦٥/١/٢

بيان منظمة التحرير بهيئتها القديمة ردا على بيان انطلاقة فتح

١٢ هزيمة ١٩٦٧ واسرار الانطلاقة الثانية

كان مدخلنا للحديث مع ابو جهاد عن حرب ١٩٦٧ هو ما حدث بعدها في لبنان عام ١٩٨٢. فبعد حوالي ٨٨ يوما من المقاومة والقتال في بيروت تقرر خروج الثورة الفلسطينية من لبنان في نهاية شهر اغسطس (آب) ١٩٨٢.. كان ابو جهاد على رأس الفدائيين الذين غادروا بيروت على ظهر الباخرة الايطالية «سنتوريني» التي حملتهم الى ميناء طرطوس. وما ان وطأت اقدامه اليابسة حتى حملته الجماهير الفلسطينية والسورية الى اعلى على اعناقها في مشهد مشحون بالعواطف الوطنية والحماسية الجياشة.

والمثير في الامر ان علامة النصر التي ودعتهم في بـيروت كانت هي نفسهـا في استقبالهم في طرطوس وفي كل مكان ذهبوا اليه. وبالمقابل كان شارون من جهته يصر على انه حقق انتصارا عسكريا كاملا على منظمة التحرير الفلسطينية.

وعلى خلفية هذه الصورة المتناقضة انفتح النقاش مع ابو جهاد حول مفهومي الهزيمة والنصر. ويبدو انه منذ ان ارسى المفكر الالماني كارل فون كلاوزفيتز القاعدة التي تقول ان الحرب هي امتداد للسياسة ولكن بوسائل اخرى، اصبح من الصعب تماما النظر الى مفهومي النصر والهزيمة من المنظور العسكري وحده. ولم يعد حسم الحرب امرا متوقفا فقط على تحطيم جيش الخصم واحتلال ارضه، وخاصة اذا ما تمكن من المحافظة على صلابة ارادته السياسية ولم يكن مضطراً الى تقديم تنازلات تمس جوهر مبادئه بسبب هزيمته «العسكرية» وحدها في الحرب. ومع ذلك فانه ليس من السهل العثور الان على قائد او زعيم يعترف بالهزيمة وخسارة الحرب حتى وهو يسلم بالتنازلات التي كان يرفضها بنفسه قبل اندلاع المعارك ونشوب الحرب.

كان النقاش نفسه قد اجري مع ابو جهاد عندما كان بصدد اعادة ترتيب الوضع العسكري العام للثورة الفلسطينية في ظروف الشتات الجغرافي التي فرضتها اوضاع الخروج من بيروت، وبعدها من طرابلس، واستمرار الدول العربية المحيطة «باسرائيل» في اغلاق حدودها بوجه العمل الفدائي الفلسطيني. وازداد الامر تعقيدا بعد سقوط الخيار العسكري العربي وبعدصدور اعلان القاهرة القاضي بوقف العمليات الخارجية.

ولم يكن احد ينكر ان هذا الوضع المعاكس كان قد ترتب في اغلبه على اساس نتائج حرب ١٩٨٢، وقد تخوف البعض وقتها من ان يؤدي انسداد الطريق امام الخيارات العسكرية كلها الى فتح المجال امام قبول الشروط السياسية التي رفضتها الثورة الفلسطينية بشكل ثابت ومبدئي.

كانت الثورة الفلسطينية قد مرت بظروف مشابهة بشكل عام لما حدث في اعقاب ١٩٧٢، وخاصة الظروف التي اعقبت احداث ايلول عام ١٩٧٠، والظروف التي اعقبت المواجهة مع القوات السورية التي دخلت الى لبنان عام ١٩٧٦، لكن الثورة الفلسطينية تمكنت في كل مرة، وسط ظروف كان من الصعب معاندتها، من البقاء والاستمرار والمحافظة على ثوابتها الوطنية.

وكان من الضروري ان نقتحم عقل ابو جهاد، لنرتاد الاماكن الخفية فيه ونتعرف منه على مفهومه الخاص للنصر.. والهزيمة.

الذين عايشوه لفترات اطول منا قالوا انه لم يشعر ابدا بالهزيمة ولم ينقل مثل هذا الاحساس مطلقا للآخرين حتى وهو محاصر ومطوق من كل الجهات ولا امل في نجاته وخروجه حيا.

عرفنا من ابو جهاد ان وعيه قد تفتح في بداياته الاولى على دروس معركة احد التي خصها القرآن وحدها بستين آية من آيات سورة آل عمران، لتأكيد مسألة رفض الهزيمة، والاصرار على مواصلة الجهاد حتى النصر او الشهادة. وكانت حركة فتح قد نحتت شعارها «ثورة حتى النصر» على القاعدة الجهادية نفسها.

وفي مطلع شبابه تأثر ابو جهاد كثيرا بالثورة الجزائرية التي كانت قد مرت بظروف عصيبة جدا بعد تسلم الجنرال ديجول لسلطاته الرئاسية في فرنسا، حيث عهد للجنرال شال بتنظيم حملات عسكرية قوية ضد جيش التحرير الوطني الجزائري بدأت في اكتوبر عام ١٩٥٨، وكانت حملات شال قد حققت نجاحات عسكرية بارزة لكنها مع ذلك لم تتمكن من سحق الثورة او اضعاف ارادتها.

ومن الجزائر نفسها كان ابو جهاد قد ذهب الى الصين في عام ١٩٦٤ في اول زيارة له، وهناك قدم الصينيون له، بادبهم المعهود عرضا لتاريخ ثورتهم، ولم يخجل الصينيون من ذكر الهزائم المريرة التي منيت بها الثورة الصينية، وخاصة في فترة حملات الابادة الخمس من عام ١٩٢٨ ـ ١٩٣٤ حيث فقدت الثورة هناك جميع قواعدها في جنوب

الصين، واضطرت للانتقال الى الشمال الغربي للبلاد وقالوا له انها لم تكن الهزيمة الاخيرة ففي عام ١٩٣٧ سقطت معاقل اساسية مثل شنغهاي وتايوان في ايدي قوات الغزو اليابانية ، لكن ارادة القتال والمقاومة هي التي صنعت في النهاية النصر الحاسم لهذه الثورة.

وكان ابو جهاد قد تعلم الدرس نفسه بنفسه ومن تجربته الذاتية وتجربة بدايات العمل الوطني الفلسطيني. كان ذلك مدخلا ضروريا لكي نتابع ما حدث في تلك المرحلة التاريخية التي عاشها ابو جهاد وحركة فتح وواكبت احداث هزيمة او نكسة عام ١٩٦٧.

مقدمات الهزيمة

من الغريب ان اغلب الذين كتبوا عن هزيمة ١٩٦٧، كانوا في الاصل شهودا على اسبابها قبل وقوعها، ربما كان من الظلم ان نحملهم اليوم جريرة صمتهم عن مقدمات الهزيمة التي سكتوا عن مواجهة اسبابها في حينه، فبعضهم كان قد انساق وراء قياداته واخطأ مثلهم في الحسابات والتقدير، وبعضهم حفظ لسانه لكي يحافظ على رأسه في المكان الذي اعتاد ان يتحسسه كل صباح، وبعضهم.. وبعضهم وكلها ظواهر لما يسمونه عادة «بازمة المثقف والسلطة» القائمة في بلدان العالم الثالث.

وبعيدا عن ذلك كله كان علينا ان نتتبع مقدمات هذه النكسة من المنظور الفلسطيني، كانت اوراق ابو جهاد الخاصة تشير الى ان اول اعتراف صدر عن العدو بحركة فتح كان قد ورد على لسان ناطق باسم الجيش الاسرائيلي الذي قال في ١٤/١/١٩٦٥ «انه تم الكشف عن منظمة ارهابية سرية».

كانت العمليات العسكرية التي بدأتها فتح في ١/١/١٩٦٥، ووقوع الاسير الاول محمود بكر حجاز بايدي الجيش الاسرائيلي في ٨/١/١٩٦٥ قد اكدت للعدو ان تحولا خطيرا قد طرأ على مجرى الصراع العربي - الاسرائيلي.

ولم يكن بوسع القيادة الاسرائيلية ان تعترف بسرعة للفلسطينيين بقدرتهم على احداث هذا التحول. فحاولت في البداية ان تقلل من شأن العمليات العسكرية لفتح، واعتبرت انها مجرد محاولات فردية للتسلل. لكن عندما اتسع نطاق هذه العمليات وتضاعفت تأثيراتها العسكرية والمعنوية داخل اسرائيل، عادت القيادة فغيرت لسانها، واصبحت تتهم الدول العربية بالوقوف خلف النشاط الفدائي ، لانها كانت لاتزال تصر حسب ما قالته جولدا مائير (انه لا يوجد شيء اسمه الشعب الفلسطيني).

ربما لم تكن للعمليات الاولى التي نفذتها قوات العاصفة، سوى قيمة عسكرية محدودة ، لكنها مع ذلك كانت كما قال ابو جهاد : «اول هجوم حقيقي على استراتيجية

العدو». لذلك سرعان ما ادرك العدو بنفسه خطورته، وحاول جهده ان يكبحها ويجهضها وهي لاتزال بعد في بداياتها الاولى. لكن التكتيكات الذكية، السياسية والعسكرية لحركة فتح منعت العدو من تحقيق ما يسمى بالحسم العسكري DECISIVE VICTORY وكانت الذاكرة الحصيفة لابو جهاد قد حفظت عن ظهر قلب تطور العمليات العسكرية لحركة فتح وبالارقام.

قال ابو جهاد: «ان عملياتنا العسكرية بلغت في عام ١٩٦٥ ١٤٨ عملية، وفي العام التالي ١٩٦٦، ونظرا للظروف القهرية التي مرت بها الثورة في سورية وصل عدد عملياتنا الى ٥٥ عملية عسكرية، لكنها في العام التالي كانت قد شهدت تطورا نوعيا وكميا مهما وملموسا في الاسلوب والاسلحة المستخدمة، وفي العمق الذي وصلته مجموعاتنا وفي الاتساع الذي غطى اغلب مناطق تجمعات العدو ومستوطناته، ففي عام ١٩٦٧ نفذت قوات العاصفة ١٤٦ عملية عسكرية، ثم ارتفع الرقم بشكل صاروخي بعد نكسة ١٩٦٧ ليصل في عام ١٩٦٨ الى ٦٦٧ عملية عسكرية».

ومع تصاعد العمليات العسكرية لحركة فتح، اعتمدت القيادة الاسرائيلية سياسة العقاب الردعي المضاعف الذي وجهته بشكل خاص الى كل من الاردن وسورية بدعوى سكوتها على العمل الفدائي الذي ينطلق من اراضيهما. ومن الجهة الاخرى، واصلت «اسرائيل» استهتارها بردود الفعل العربية الرسمية على الاجراءات العملية التي تتخذها في الارض المحتلة حتى انها قامت في عام ١٩٦٦ بافتتاح المقر الجديد للكنيست في قلب القدس «تدشينا لاختيار القدس عاصمة لاسرائيل». كما كانت قد اتمت بالفعل الجزء الاكبر من «مشروع المياه القومي» على حساب مجرى نهر الاردن وتحويله الى داخل «اسرائيل».

ومن جديد ادى تصعيد العمليات الفدائية الفلسطينية التي تنفذها قوات العاصفة الى موجه واسعة من ردود الفعل الانتقامية ، تركزت في هذه المرة على سورية. وكانت احداها قد وقعت في يوم ١٠ سبتمبر ١٩٦٦، وصرح اسحق رابين يومها بان «اسرائيل ستخوض المعارك ضد سورية انتقاما للغارات التخريبية». ووصل قلق اسرائيل وانزعاجها من العمليات الفدائية الى الحد الذي اقدمت فيه على تهديد سورية بالقضاء على نظام الحكم فيها.

وكان تصعيد العمليات العسكرية لفتح من جهة والتقارب السوري ـ المصري من جهة ثانية، والغارات الانتقامية والتهديدات الصريحة للعدو من جهة ثالثة قد وقفت جميعها وراء القرار السوري ـ المصري الذي اتخذ في ٤ نوفمبر ١٩٦٦ بعقد اتفاقية دفاع مشترك بينهما تعتبر ان الهجوم على دولة منهما هو هجوم على الاخرى.

كانت القيادة المصرية تعرف انه لا يمكن السيطرة على العمليات العسكرية لحركة فتح، ومن هنا توقعت استمرارها وتصاعدها، وتوقعت بالمقابل استمرار العمليات

الانتقامية الاسرائيلية وردود فعلها في سورية، لذلك سارعت القيادة المصرية بتوضيح موقفها في التصريحات التي قالت ان الاتفاقية لا تلزم القاهرة بالتدخل اتوماتيكيا لصد كل غارة انتقامية على سورية. الا ان الامور كلها كانت في طريقها الى الغليان والتصعيد الذي كان قد تجاوز ايامها نقطة اللاعودة.

التصعيد الفلسطيني

في هذه الفترة كانت قوات العاصفة قد قررت مضاعفة عملياتها العسكرية، وفي ١٩٦٦/٩/٧ توغلت وحدة فدائية من قوات العاصفة الى مستعمرة يوفال بالجليل الاعلى، واشتبكت مع القوات الاسرائيلية في معركة ضارية وكبدته خسائر كبيرة في الارواح ويتذكر ابو جهاد اسماء الشهداء: موسى قاسم جمعة، ومحمد يوسف حسن اللذان استشهدا في هذه المعركة الضارية.

واستمرارا لقرار التصعيد، قامت وحدة فدائية اخرى من قوات العاصفة بالاغارة في ليلة ١٠ نوفمبر ١٩٦٦ على موقع اسرائيلي الى الشمال من مستوطنة «شارياشوف» وتمكنت المجموعة من قتل ثلاثة جنود اسرائيليين وجرح اربعة آخرين.

وقد نظرت القيادة الاسرائيلية بمزيد من القلق الى المستوى الذي وصلت اليه عمليات حركة فتح وقواتها العاصفة. وقررت ان ترد بشكل انتقامي، ولكن على الجبهة الاردنية ففي ١٣/ ١١/ ١٩٦٦ هاجمت قوة اسرائيلية مدرعة مدعومة بالاسناد الجوي القريب، قرية «السموع» فقتلت وجرحت ١٦٢ مواطنا، ودمرت اكثر من ١٢٠ منزلا على مدى ٦ ساعات.

وانفجرت بعدها «حرب الاذاعات» والتشهير السياسي والبيانات والبيانات المضادة بين المحاور العربية التي كان كل منها يتهم الآخر بالتقاعس عن مواجهة اسرائيل.

على هذه الصورة كان عام ١٩٦٦ قد انتهى بعد ان ثبتت العاصفة وجودها العسكري على الارض، وفرضت حركة فتح خطها السياسي ورؤيتها على خريطة الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

كانت بداية ١٩٦٧ تشير الى مزيد من التصعيد على كل المستويات وكانت فتح في الموعد، فقوات العاصفة درجت على الاحتفال السنوي بذكرى انطلاقتها في ١/١ من كل عام، وقد دشنت عام ١٩٦٧ بسلسلة متصاعدة من العمليات النوعية المتميزة. ويتذكر ابو جهاد الفدائي فوزي عطا الله اسماعيل الذي التحق باخوانه بعد ان دشن الموجة الجديدة من شهداء العاصفة الذين قضوا في عام ١٩٦٧. كان الشهيد «فوزي» قد اشترك مع مجموعته الفدائية في عملية عسكرية كبيرة اقتحمت مستعمرة مرجليوت في الجليل الفلسطيني الاعلى، وتكبد العدو خسائر فادحة في هذه العملية التي جرت في

١٩٦٧/٤/١. وتزامن تصعيد العمليات العسكرية لقوات العاصفة في هذه الفترة مع تحول التوتر القائم على الحدود السورية ـ الاسرائيلية الى مناوشات ثم اشتباكات عسكرية بالرشاشات الثقيلة ومدافع الميدان. وكانت المنطقة المحيطة ببحيرة طبريا مسرحا لهذه الاشتباكات، مما دفع القيادة الاسرائيلية لتنفيذ غارة جوية على دمشق نفسها ومحيطها، واستهدفت الغارة نفسها معسكرا خاصا بتدريب قوات العاصفة. وعلى الاثر جرى اشتباك جوي في سماء دمشق بين الطائرات الاسرائيلية المغيرة والطيران السوري الذي خسر في هذا الاشتباك خمس طائرات سقطت ثلاث منها في الاراضي الاردنية. وكان ذلك مؤشرا جديدا نحو الاندفاع السريع من كل الاطراف الى ساحة الصدام الواسع ومسرح الحرب.

ويتذكر ابو جهاد، انه حتى يوم ١٩٦٧/٥/٢٨ اي قبل وقوع حرب ١٩٦٧ باسبوع واحد تقريبا كانت القيادة العامة لقوات العاصفة قد اصدرت ٦٥ بلاغا عسكريا ضمنتها الاعلان عن ٢٦٨ عملية فدائية شملت اهدافا اسرائيلية عديدة ومهمة على امتداد فلسطين المحتلة وفي عمقها، استهدفت تلغيم الطرق واعداد الكمائن للسيارات العسكرية، ونسف محطات المياه والكهرباء ومحطات الوقود والجسور وخطوط السكك الحديدية ومخازن الذخيرة والمصانع والمستعمرات ومراكز الشرطة وثكنات الجيش وغيرها من الاهداف الهامة.

الف كمين اسرائيلي مقابل كل فدائي

كان التصعيد الكبير للعمليات الفدائية قد ادى الى ظهور اعراض متزايدة من الضغط النفسي والعصبي والجسماني على المستوطن الاسرائيلي في الارض المحتلة حتى ان كاتب اسرائيلي اضطر للقول «من المرعب حقا الا تعرف كيف ومتى ومن اين ستأتي الضربة القادمة في الظلام المخيف حتى ان النهار لا يحول دون الرعب عندما تسير على ارض هادئة قد يزلزلها لغم في اية لحظة».

وكانت القيادة الاسرائيلية مضطرة لنصب حوالي الف كمين على امتداد الحدود وحول المستوطنات والاهداف الحيوية انتظارا للفدائي الفلسطيني الذي يحمل رعب العاصفة ووعدها. واضطرت ايضا لاستنفار عدد كبير من الدوريات المتحركة، وطائرات الهليكوبتر وغيرها في مواجهة الحرب اليومية المتصاعدة مع الفدائيين.

وكان لهذه الحرب المستمرة تأثيراتها المادية المكلفة فضلا عن التأثير المعنوي والنفسي الذي استنزف الواقع الاسرائيلي وارهقه بشكل يومي ضاغط ومتزايد ومتعاظم.

وهكذا كانت فلسطين رغم كل محاولات الطمس وسنوات النفي، واجراءات التمويه

والتهويد، تعود من جديد فتنتصب واقفة كحقيقة حية في الوجدان العربي.. وفي الوعي المزيف للخصم الاسرائيلي الذي كابر طويلا لانكارها. ولم يجد شارون بدا في النهاية من ان يصرخ لان فتح تمكنت من تحويل انظار العالم عن ما كان يسمى بالمشكلة اليهودية، وفتحت عيونه على المشكلة الفلسطينية.

حمى التصريحات المعادية

قبل اندلاع حرب ١٩٦٧ باقل من شهر واحد اصيبت القيادة الاسرائيلية بحمى التصريحات العدوانية التي تتصب كلها على فتح وقوات العاصفة. وفي ١١ مايو (ايار) ١٩٦٧ صرح رئيس الوزراء الاسرائيلي بانه «ما لم تكف سورية عن دعمها للفدائيين فقد يصبح من الضروري لاسرائيل ان تقوم بعمل ضدها لا يقل عن اشتباك ٧ ابريل».

وفي اليوم نفسه هدد مصدر عسكري اسرائيلي باستعمال القوة لوقف غارات الفدائيين المنطلقة من سورية، ومع تصاعد لهجة التهديدات العدوانية اقدمت قيادة العدو للمرة الاولى في ١٤/٥/١٩٦٧ على تنظيم عرض عسكري لوحدات من جيشها اخترقت شوارع القدس التي كانت لاتزال تعتبر منطقة منزوعة من السلاح على اساس قرارات الهدنة.

ولم ينس ليفي اشكول وهو في غمرة احتفاله بالذكرى التاسعة عشر لتأسيس الدولة الاسرائيلية ان ينضم بدوره الى الجوقة نفسها التي تطلق تهديداتها العدوانية ضد المقاومة الفلسطينية المسلحة فقال: «من الواضح للحكومة الاسرائيلية ان بؤرة الارهابيين مركزة في سورية، ولكننا وضعنا مبدأ ان نختار الوقت والمكان المناسب لصد المعتدي». ثم اضاف بشكل سافر «من المحتم ان تحدث مواجهة خطيرة بين سورية واسرائيل اذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل».

وكان مراسل نيويورك تايمز في القدس قد قال في ١٢/٥/١٩٦٧: «ان السلطات الاسرائيلية قررت فعلا ان استخدام القوة ضد سورية قد يكون الطريق الوحيد للحد من النشاط الارهابي المتزايد».

.. وهكذا بدأ العد التنازلي للحرب التي لم يعد يفصلنا عنها سوى اسابيع قليلة فحسب.

دخلنا الحرب.. ولم ننضم للمظاهرة

كان ابو جهاد قد اطلعنا على مجموعة البلاغات العسكرية التي اصدرتها القيادة العامة لقوات العاصفة في فترة حرب عام ١٩٦٧، والتي بدأت ايامها باصدار البلاغ

رقم ٦٦ الصادر في ٦/٦/١٩٦٧. وكان واضحا من صياغة البلاغات ان حركة فتح قررت دخول حرب ١٩٦٧ بكل ثقلها. وتأكد ذلك من مقدمة البلاغ ٦٦ نفسه الذي كان نصه: «.. بناء على الاوامر الصادرة تحركت قواتنا العاملة في ارضنا المغتصبة طبقا للخطة المرسومة للعمل خلف خطوط العدو فقد اندفعت مجموعاتنا الى اهدافها في الارض المحتلة من جميع الجهات لتأدية واجبها المقدس في معركة التحرير والثأر». ثم عدد البلاغ العسكري العمليات التي نفذتها قوات العاصفة في اليوم الاول للحرب في منطقتي العفولة وبيت جبرين.

ويبدو للوهلة الاولى ان هناك تعارضا بين مفهوم حرب التحرير الشعبية الذي كانت حركة فتح تدعو اليه، وبين مشاركتها بكل قواها في حرب تخوضها الدول العربية بقواتها النظامية وفق العقائد الكلاسيكية للحرب.

كان ابو جهاد واضحا كعادته في تفسير الالتباسات التي يفرضها احيانا تشابك الامور وتداخل الالوان الى الحد الذي لا يعود فيه من السهل التقاط الخيط الاسود من الخيط الابيض. قال ابو جهاد ما يعني ان حركة فتح دخلت الحرب في عام ١٩٦٧ بكل ثقلها فعلا لانها لا يمكن ان تتخلف عن المعركة مع العدو الاسرائيلي. ولاحظ ابو جهاد ان قوات العاصفة لم تقعد في الخنادق الدفاعية بانتظار قوات العدو، بل بادرت للعمل خلف خطوطه، وكان ذلك يعني استمرار وتصعيد الاسلوب والمنهج نفسيهما اللذين اعتمدتهما حركة فتح منذ انطلاقها في عام ١٩٦٥. وقال: «المعركة بالنسبة لنا لم تبدأ يوم ٥ حزيران ١٩٦٧، كما انها لم تنته بقرار وقف اطلاق النار الذي اعلن يوم ٩/٦/١٩٦٧، نحن في معركة طويلة ومستمرة مع العدو ولسنا في مظاهرة تبدأ بحماسة عفوية عاطفية وتنتهي بقرار رسمي».

ربما كان ابو جهاد يعني بكلامه هذا ما حدث فعلا في عام ١٩٦٧ على المستوى العربي الرسمي. فاغلب الكتابات التي صدرت عن حرب ١٩٦٧ كانت قد اجمعت على ان عبد الناصر «لم تكن لديه رغبة في الانزلاق الى الحرب مع اسرائيل»، وكان تحريك الجيش المصري من شوارع القاهرة الى سيناء اقرب الى المظاهرة العسكرية لممارسة الضغط على اسرائيل لحملها على التراجع عن تهديداتها لسورية. وكان مشهد وداع الرئيس العراقي الراحل عبد الرحمن عارف للقوات العراقية المتوجهة الى الجبهة وخطبته الشهيرة في هذا المشهد يشبه هو الآخر اجواء المظاهرات الاحتفالية الضخمة.

كما لا يمكن ان نقارن الانهيارات الكبيرة على الجبهة السورية خلال ٤٨ ساعة فقط من الحرب بما كانت تردده اذاعة دمشق ايامها من عبارات مضخمة وشعارات طنانة، ووصلت الفوضى الى حد الاعلان عن سقوط القنيطرة في يد العدو بينما لم تكن قد سقطت فعلا.

وكان من الطبيعي ان تلتحق قيادة الشقيري ومنظمة التحرير ايامها بهذه الاجواء،

ومن هنا تحدثت بياناتها بلغة نارية صارخة عن «جحافل الامة العربية التي انطلقت تدق باب التاريخ، وان فجر التحرير يشرق اليوم بعد ليل النكبة الاسود الطويل».

على ان هذه المواقف الرسمية ليست لها علاقة بالجنود العرب الذين خاضوا المعارك التي فرضت عليهم بكل شجاعة وبسالة، وفي ظل ظروف فريدة غابت فيها طائراتهم وقياداتهم في وقت واحد عن المشاركة معهم في هذه المعركة. وهكذا لم يكن لهذه «المظاهرة» الا ان تخسر الحرب التي تمنى الجميع ان نربحها.

وبالمحصلة انتهت هدد الحرب الى نكبة جديدة، فضاعفت الدولة العبرية مساحتها اربع مرات، وفرضت حكمها العسكري على مليون ونصف المليون من المواطنين العرب. وخسرنا في هذه الحرب ٢٥ الف شهيد وحوالي ستة الآف اسير، فضلا عن اغلب ما تمتلكه ثلاث دول عربية من الطائرات الحربية والدبابات وعربات نقل الجنود بانواعها وغيرها من الاسلحة والعتاد العسكري الذي لا يتسع المجال هنا لحصره واحصائه.

وكان من الضروري ان تعيد الثورة الفلسطينية تقدير موقفها على ضوء المتغيرات الجديدة التي افرزتها هزيمة او نكسة ١٩٦٧.

الانطلاقة الثانية لـ«فتح» البرنامج .. والتطبيق

كانت هزيمة ١٩٦٧ قد اصابت الجميع بصدمة قاسية. وتعرضت امة بأكملها لخطر الضياع وانعدام الوزن والانزلاق الى اليأس او الاندفاع للانتحار.

وتفشت ظواهر الانقلاب في القيم، واختلال المعايير، وفقدان الثقة في الحاضر او الامل في المستقبل. وكانت الجماهير العربية التي رفضت التسليم بالهزيمة وبنتائج الحرب قد اعيدت من الشارع الى منازلها بعد ان بحت اصواتها وهي تطلق نداءها الموحد: «حنحارب.. حنحارب» وكان ذلك يعني ان الجماهير العربية قبلت التحدي، وانها مستعدة لمواصلة الحرب والعودة للقتال.. والمقاومة.

كانت حركة فتح قد حللت الوضع في اعقاب هزيمة ١٩٦٧ انطلاقا من ضرورة التعامل مع كل الجوانب التي افرزتها هذه الهزيمة سواء كانت سلبية او ايجابية مهما كان حجم الجوانب السلبية كبيرا، ومهما كان حجم الجوانب الايجابية محدودا وصغيرا.

كانت التقديرات تشير الى ان انهيار الجيوش النظامية العربية على النحو الذي قاد الى هزيمة ١٩٦٧ من شأنه ان يضع حدا لمصادرة هذه الجيوش لحق الفدائيين الفلسطينيين في مقاتلة العدو. كما ان قطاعات واسعة من الجماهير العربية التي كانت قد ربطت احلامها وطموحاتها الوطنية بترس هذه الجيوش ستكون بعد الهزيمة اكثر استعدادا للتخلي عن اوهامها، وتتبنى وجهة النظر التي تدعو لها حركة فتح. وكانت

التقديرات تشير كذلك الى ان الانهيار الذي اصاب المؤسسة العسكرية العربية قد اصاب في الوقت ذاته النظرية السياسية الرسمية. رغم ان المؤسسة السياسية الحاكمة حافظت على تماسكها ومواقعها.

لكن الهزيمة كانت قد اضعفت كثيرا من نظرية «انتظار الزعيم القائد» ، وبددت الرهان على التعلق بالدولة العربية القوية، وحدت من موجة الالتحاق بالاحزاب القومية. ولم تعد هذه الخيارات تمتلك الرصيد القديم ذاته من السحر والاغراء والجاذبية، من جهة اخرى لم تعد الهزيمة تسمح للانظمة باستخدام سياسة القبضة الحديدية نفسها، على الاقل بالقوة والحدة السابقة وان حركة الجماهير يمكن ان تستفيد من مناخ الانفراج النسبي الذي سيترتب على ذلك.

وبما ان منهج فتح لا يسمح لها بالاستغراق الطويل في التحليل والتأمل على حساب المبادرة بالعمل والفعل، فقد باشرت على الفور بدعوة قياداتها وكوادرها المتقدمة لعقد مؤتمر جديد يحدد البرنامج المرحلي للحركة، ويرد على نتائج الهزيمة وذيولها.

وكان واضحا ان القرار الذي سيتخذه المؤتمر في هذه المرة ايضا سيكون بحجم قرار الانطلاقة الاولى، ومن هنا عادت فظهرت من جديد وجهتين للنظر في ما يتعلق بهذا القرار.

كان اجتهاد البعض يرى ضرورة التريث في استئناف المقاومة المسلحة واستمرارها . وتصعيدها على ضوء النتائج التي افرزتها هزيمة ١٩٦٧، وتحسبا لردات فعل العدو القاسية ضد الجماهير الفلسطينية التي باتت في قبضة الاحتلال العسكري الاسرائيلي. وكان اصحاب وجهة النظر هذه يطالبون بالتريث وانتظار نتيجة تفاعلات هزيمة ١٩٦٧ على المستويين العربي والعالمي.

وبالمقابل كانت اغلبية اعضاء مؤتمر فتح مع قرار استئناف القتال واستمرار المقاومة وتصعيدها. وهكذا اتخذت حركة فتح بشكل ديمقراطي على عادتها دائما القرار التاريخي بالانطلاقة الثانية في عام ١٩٦٧.

«فتح» ترد على هزيمة ١٩٦٧

لم يكن قرار الانطلاقة الثاني عام ١٩٦٧ مجرد هبة عاطفية او صرخة دعائية في الهواء. فقد ارتبط هذا القرار التاريخي بخطة شاملة للعمل وببرنامج زمني للتطبيق العملي والمباشر وقد تضمنت خطة فتح بنودا تفصيلية لمجالات الحركة الاساسية ومفاصلها على النحو الذي ورد في نص الوثيقة التالية:

١ ـ مهمات الحركة:

نتيجة للوضع العسكري العربي وللذيول الناتجة عن نكسة ١٩٦٧، فانه لا بد من :

١ـ الانتقال الى المرحلة الثانية من العمل متمثلة بحرب التحرير الشعبية وفق الاسس التي تبثها الحركة منذ قيامها كما يلي:

أ ـ حرب التحرير الشعبية كحل جذري للتحرير.

ب ـ التوسع في التدريب العسكري نوعا وكما ومستوى.

ج ـ تنمية قواعد ومؤسسات الحركة لتغطي كل متطلبات العمل (جغرافيا وموضوعيا) وبشكل التنمية بالنوع لا بالكم الامر الذي يفرض وضع برنامج تربوي حصين يشمل النواحي الفكرية والتدريب العسكري الضروري بشكل اجباري والتدريب العسكري الخاص بشكل تطوعي.

د ـ وضع برنامج ثقافي يشمل جميع كوادر ومؤسسات الحركة يستهدف ايجاد اعلى مستوى ممكن من الايمان بالتنظيم والتضحية بالنسبة للعمل (اي الانسان الفلسطيني الثائر الذي يقاتل عن عقيدة).

هـ ـ نوعية سياسية خاصة لكافة كوادر الحركة لايجاد الوعي السياسي العام بشكل يسير مع الاحداث ولا يختلف عنها.

و ـ العناية الخاصة ببناء العنصر المخطط فكرا وعملا ضمن اطار لكافة الحركة ومؤسساتها وانظمتها.

ز ـ افساح المجال باستمرار لكفاءات عناصر الحركة لتوفير صفوف متلاحقة لاستلام المسؤولية.

٢ ـ الشعب الفلسطيني:

١ ـ ايصال افكار ومبادىء الحركة الى الشعب الفلسطيني.

٢ ـ ايجاد مناخ البطولة والتضحية والارادة المستمرة لدى الشعب الفلسطيني من خلال التوعية والممارسة النضالية.

٣ ـ رصد افكار ومشاعر الشعب الفلسطيني ومعالجة ما لا يتفق منها مع فكر الحركة.

٤ ـ الاستفادة من العناصر الوطنية المؤيدة التي يسمح لها وضعها بالانضمام العقلي الى الحركة.

٥ ـ تحسين فكرة القدرة الشعبية الذاتية على العمل ومقاومة روح الانهزام والاتكال على الغير وخلق روح التحدي والمواجهة.

٣ ـ الجماهير العربية:

ان تحرير فلسطين لا يرتبط بالشعب الفلسطيني وانما يرتبط مصيريا بالامة العربية، وجودا او حضارة كما ان ابعاد المعركة لا بد وان تشمل امكانات وطاقات

الجماهير العربية. لهذا كان لا بد للحركة من توجيه عنايتها على الوجه الاكمل للجماهير العربية لتحقيق الاهداف الواردة بالاضافة الى النقاط التالية:

أ ـ ايجاد جبهات تدعم حرب التحرير الشعبية.

ب ـ ايجاد جبهات تحمي الحركة من اعدائها في المجال الرسمي العربي.

ج ـ العمل على الاتصال المستمر بالحركات والتجمعات العربية الشريفة لدعم العمل في حدود اهداف الحركة ومبادئها.

د ـ ايجاد كوادر الانصار وفق نظام خاص جهازا حركيا خاصا.

هـ ـ العناية الخاصة بالاتحادات العربية الطلابية والنقابية لتكون نصيرا لاهداف وافكار الحركة.

٤ ـ الحكومات العربية:

١ ـ المحاولة المستمرة لافهام كافة المسؤولين العرب والحكومات العربية بمبادىء الحركة ومفاهيمها واستقلاليتها وعدم تدخلها في الشؤون الداخلية لاي بلد عربي.

٢ ـ الاتصال المستمر بالحكومات العربية لاخذ العون الادبي والمادي غير المشروط ضمن اهداف الحركة ومبادئها مع مراعاة فهم الحركة لموقف كل من هذه الدول بالنسبة لحرب التحرير الشعبية والتصرف بالاتصال على ضوء ذلك.

٣ ـ السعي المستمر لدى الحكومات المؤيدة لافكار الحركة لانشاء معسكرات تدريب سرية فيها.

الحكومات الصديقة

الاتصال المستمر بالحكومات الصديقة للقضايا العربية للحصول على اكبر قدر ممكن من الدعم المعنوي والمادي.

الحركات المناهضة للاستعمار في العالم:

١ ـ الاتصال بهذه الحركات لضمان تأييدها لكفاح الشعب الفلسطيني.

٢ ـ الاستفادة من تجارب هذه الحركات.

الشعوب غير العربية

١ ـ الاتصال بالافراد والتجمعات المناهضة للصهيونية العالمية لكسب تأييدها في مجالاتها لكفاح الشعب الفلسطيني.

٢ ـ اعطاء عناية خاصة للشعوب الاسلامية من خلال توضيح خطر الصهيونية العالمية على الاسلام والعمل على اخذ العون المادي والادبي من هذه الشعوب.

٣ ـ العمل على كسب اكبر عدد ممكن من الصحفيين والمفكرين.

المنظمات الفلسطينية

أ ـ نظرا للامكانيات المادية والرسمية المتوفرة للمنظمة وانطلاقا من مبدأ ضرورة وحدة الجهد الفلسطيني وعدم تقوقع حركتنا او انغلاقها على نفسها:

تقوم الحركة بشكل جدي وبناء بالاتصال المستمر بالعناصر الطيبة في جيش التحرير الفلسطيني ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية لايجاد تعاون وثيق معها في مختلف المجالات ضمن نطاق اهداف الحركة وافكارها ومصلحة العمل الفلسطيني ويتم ذلك من لجنة حركية خاصة.

ب ـ التنسيق ما امكن مع المنظمات الفلسطينية المستقلة الارادة وعدم استعداء المنظمات الاخرى.

ج ـ العمل على تسيير كافة الاتحادات الفلسطينية ضمن افكار واهداف حركة «فتح» والتعاون من خلالها في العمل داخل الاتحادات العربية والعالمية.

العمل العسكري:

١ ـ تخزين السلاح في الارض المحتلة.

٢ ـ استطلاع تحركات العدو وتصرفاته داخل الارض المحتلة.

٣ ـ الاتصال بالعناصر الوطنية داخل الارض المحتلة بالنسبة لمقاومة الاحتلال والتوجيه.

٤ ـ التعرف على آراء الجماهير الفلسطينية في الارض المحتلة وفي الاردن بالنسبة لاستئناف المقاومة المسلحة للاحتلال الصهيوني.

٥ ـ تهديد العناصر المتعاونة مع العدو.

٦ ـ استطلاع مواقف العراق وسورية ومصر والجزائر بالنسبة للمقاومة المسلحة للاحتلال الصهيوني ومدى ما ستقدمه من دعم (مال ـ سلاح ـ تدريب ـ وسائل اتصال لاسلكي ـ أعلام).

٧ ـ الاتصال بالعناصر الوطنية التي خرجت من الضفة الغربية لاقناعها بالعودة الى الارض المحتلة.

٨ ـ تهيئة اماكن للاختباء في الارض المحتلة بعيدا عن التجمعات السكنية واعداد العدد الكافي من النوعيات التي تصلح للاعتصام والقتال السريع.

٩ ـ على ضوء ذلك كله يحدد موعد مباشرة المقاومة المسلحة داخل الارض المحتلة مع الاخذ بعين الاعتبار استمرار المقاومة من خلال السعي لتأمين متطلباتها المالية

والمادية.

١٠ ـ امكانية تأمين اذاعة تنطق باسم الحركة تستعمل لاثارة روح المقاومة في الارض المحتلة ولتوجيه عناصر العمل العسكري فيها.

ياسر عرفات يقود القتال من داخل فلسطين المحتلة

ما ان اقرت هذه الخطة حتى دخلت على الفور الى حيز التنفيذ والى مجال التطبيق، واتخذت فتح عددا من القرارات التاريخية. كان القرار الاول منها يقضي بانتقال مجموعة من قيادة فتح الى داخل الارض المحتلة نفسها.

وقد حدثنا ابو جهاد مطولا عن روح الشجاعة الوثابة التي كان يتحلى بها ياسر عرفات الذي قرر ان يقود بنفسه مجموعة كوادر حركة فتح التي انتقلت للعمل كقيادة مباشرة للعمل التنظيمي والعسكري السري داخل فلسطين المحتلة متحديا بذلك قيادة العدو الاسرائيلي التي كانت قد شيدت لنفسها صورة «العملاق الخارق» على انقاض الهزيمة العربية في ١٩٦٧.

وكان ابو عمار قد اقام مقر قيادته في قلب مدينة القدس، ضاربا للآخرين المثل والقدوة في الشجاعة والاقدام والمبادرة التي ميزت حركة فتح وحفظت لها مكانتها في تصدر المسؤولية.. وصدارة القيادة.

وكان القرار الثاني قد صدر لاغلب كوادر حركة فتح في الساحات الخارجية بضرورة التحرك الى داخل الارض المحتلة بعد تلقي دورات مكثفة في التدريب العسكري. وهكذا بدأت «موجات الامل» كما سماها ابو جهاد تزحف الى فلسطين المحتلة لتبدد بعطائها وضيائها عتمة الاحباط .. وظلمة الهزيمة.

وكانت مرحلة الاعداد او اعادة التنظيم قد تمت برمجتها زمنيا في حدود شهرين فقط وهي فترة وجيزة جدا، لكن الجهود المخلصة الجبارة التي بذلت في كل ثانية من ثوانيها جعلت من الحلم المستحيل واقعا ممكنا.

وفي هذه المرحلة تركزت جهود حركة فتح على اربعة محاور اساسية وهي:

اولا: العمل على توفير السلاح وتخزينه داخل الارض المحتلة نفسها، وكانت المصادر المتاحة في تلك الفترة محصورة في الاسلحة العربية نفسها التي كانت الجيوش العربية قد تركتها في مخازنها او في ساحة المعركة، وكان اغلبها سليما وبعضها لم يكن قد استعمل اصلا، وكان عدد من الاخوة البدو من ابناء حركة فتح قد لعبوا دورا مهما في جلب وتأمين هذه الاسلحة.

وكان المصدر الثاني هو الاسلحة التي كانت مخبأة لدى المواطنين الفلسطينيين انفسهم، وكانت قوات الاحتلال الاسرائيلي قد طالبت مخاتير القرى الفلسطينية

بجمعها وتسليمها لكن حركة فتح كانت اسبق للحصول عليها في عدد من هذه القرى بفضل تعاون واستجابة المواطنين الفلسطينيين في الارض المحتلة.

كما حاولت حركة فتح بكل الوسائل ادخال الاسلحة ونقلها من الخارج الى الداخل لتامين احتياجات مرحلة الانطلاقة الثانية.

وتمثل المحور الثاني في العمل الحثيث لبناء قواعد التنظيم في الداخل وزرع الخلايا والوحدات التنظيمية السرية على طول وامتداد خريطة الوطن المحتل.

وكان المحور الثالث هو العمل الدعائي والتحريض الواسع لاستنهاض روح المقاومة والتحدي لدى الجماهير، ومجابهة نزعة الاستكانة والاستسلام التي كان العدو يعمل على بثها وتعميمها بين صفوف المواطنين.

وكان الوضع العام في الضفة الفلسطينية المحتلة اكثر تعقيدا منه في غزة، مما سمح لقيادة العدو برفع حظر التجول عن الضفة بعد شهر واحد من احتلالها لكنه اضطر بعد اقل من عام الى اعادة فرضها بعد ان نهض الوضع الوطني هناك، واشتد ساعد المقاومة، واشتعلت الارض تحت اقدام الاحتلال.

وكان المحور الرابع في مرحلة الاعداد هو بناء قواعد العمل العسكري السرية سواء على صعيد بناء خلايا حرب العصابات في المدن نفسها، او بناء القواعد الارتكازية في جبال فلسطين.

الانطلاقة الثانية

يتذكر ابو جهاد ان قوات العاصفة دشنت انطلاقتها الثانية بعد ١٩٦٧ بعملية فدائية ضد دورية لجيش الاحتلال في مدينة غزة يوم ٢٨/٨/١٩٦٧. وقد تزامن تاريخ تنفيذ هذه العملية مع تاريخ انعقاد مؤتمر القمة العربية الجديد الذي التأم في العاصمة السودانية الخرطوم في ٢٩/٨/١٩٦٧ وكأنها كانت رسالة من فتح ومقاتليها الى قمة الخرطوم التي تمخضت عن برنامج «اللاآت الثلاث الشهيرة: لا صلح لا اعتراف لا مفاوضات».

ويتذكر ابو جهاد كذلك الجهد الهائل الذي بذل في تلك المرحلة لبناء وتثبيت القواعد الارتكازية الاولى للثورة الفلسطينية على الضفة الشرقية لنهر الاردن التي لعبت دوراً اساسيا في هذه الفترة في تطور الثورة الفلسطينية بشكل عام، والكفاح المسلح بشكل خاص.

وهكذا دخل الكفاح الفلسطيني بعد الانطلاقة الثانية في ١٩٦٧ مرحلة جديدة من التصعيد على المستويين الكمي والنوعي، وكانت الجماهير العربية في كل مكان قد بدأت تتابع بكل مشاعرها اخبار حركة فتح، وعمليات فدائيي العاصفة الآخذة في التصاعد

حتى ان شهر اكتوبر ١٩٦٧ وحده كان قد شهد تنفيذ ١٨ عملية عسكرية ضد العدو داخل الارض المحتلة.

ويتذكر ابو جهاد قصص الملاحم البطولية التي نفذها فدائيو العاصفة في هذه الفترة الحرجة بعد الهزيمة، والتي كان لها اعمق الاثر في استنهاض الوضع الفلسطيني والعربي العام. وكان من ابرز هذه الملاحم قصة الفدائي الشهيد البطل سيد حجاب الذي جرح اثناء اشتباك عنيف مع قوات الجيش الاسرائيلي في يوم ١٩٦٧/١٠/٤ بعد ان كبدها عدداً من الخسائر، ثم قام بتفجير جسده الطاهر بحزامه الناسف ليقتل الجنود الاسرائيليين الذين تجمعوا حوله لأخذه بعد جرحه اسيرا.

وبعد اسبوع واحد من تنفيذ هذه العملية البطولية شهدت الارض المحتلة سلسلة اخرى من العمليات الفدائية البطولية التي استشهد في احداها الفدائيان: مازن ابراهيم صالح، وصبحي اسماعيل ابوشرخ، وقبل ان ينصرم عام ١٩٦٧ شهد الشهر الاخير منه مجموعة من الاحداث التاريخية البارزة. كانت قوات العاصفة قد قدمت في شهر ديسمبر ١٩٦٧ وحده تسعة من الشهداء يتذكر ابو جهاد الفدائي البطل احمد شريح الذي استشهد في معركة طوباس في ١٩٦٧/١٢/٢، والشهيدين عبد الله الحسن ، ومحمود كامل اللذين استشهدا في المعركة التي شهدتها القدس يوم ١٩٦٧/١٢/٣ ، وتكبد العدو فيها خسائر جسيمة في صفوف ضباطه وجنوده.

وبعد ايام قليلة حدث تطور نوعي بارز في تاريخ الصراع المسلح مع العدو، ففي يوم ١٩٦٧/١٢/٧ جرت المعركة الكبيرة التي عرفت باسم معركة «بيت فوريك» التي تقع شرقي مدينة نابلس والتي شهدت وقتها اوسع مواجهة بين عدة مجموعات فدائية من قوات العاصفة ووحدات عسكرية كبيرة من الجيش الاسرائيلي. واستمرت المعركة لمدة خمس ساعات متواصلة مما دفع العدو الاسرائيلي للزج بطائراته العمودية في ارض المعركة لانزال القوات المظلية الخاصة لتدارك الوضع، ومطاردة الفدائيين الذين حصدوا بنيران اسلحتهم عددا كبيرا منهم قبل ان يستشهد ستة من الفدائيين في هذه المعركة الضارية.

وكانت القيادة العامة لقوات العاصفة قد اكدت «ان كل شهيد منهم قد نسج ملحمة بطولية خالدة جعلت الاعداء يصبون نار حقدهم على جثث الابطال الستة بالتمثيل فيها وتمزيقها بالرصاص الحاقد».

ويحتفظ ابو جهاد وفي ملفاته ببلاغ القيادة العامة لقوات العاصفة رقم (٨٥) الذي سجل اسماء الشهداء الابطال الستة لمعركة «بيت فوريك» وهم الشهداء : «سعيد عريفة، محمد خير خرطبيل، خالد جميل ابو سويد، مصطفى محمد بخيت، وليد احمد زامل، وغازي نايف غبن» وكانت معركة بيت فوريك التي وقعت في ١٩٦٧/١٢/٧ فاتحة سلسلة جديدة من المعارك العسكرية الكبيرة التي نفذتها قوات العاصفة في

العام التالي مثل معارك: الكرامة، والتياسير، وعملية حراب فتح، وعملية فرحان السعدي، وعملية عبد القادر الحسيني، وعملية الحزام الاخضر.. وغيرها من العمليات الكبيرة.

وقد احتفظ ابو جهاد في ملفاته بنص حديث كانت صحيفة المجاهد الجزائرية قد اجرته في يوم ١٦/١٢/١٩٦٧ مع احد قادة «قوات العاصفة» دون ان تذكر اسمه الحقيقي او الحركي. ومن نص هذا الحديث نقدم الجزء الذي يتعلق بالانطلاقة الثانية بعد ١٩٦٧ والذي كان نصه ما يلي:

حديث احد قواد «قوات العاصفة» الى مجلة «المجاهد» الجزائرية (المجاهد ـ الجزائر ـ ١٧/١٢/١٩٦٧)

س ـ كانت التوقعات السريعة في بعض الاوساط بعد عدوان ٥ يونيو ضد الامة العربية هو ان قوات العاصفة قد انتهى امرها ولكن الاحداث التي تلاحقت في ما بعد اظهرت عكس هذه التوقعات، اذ اشتدت المقاومة واتسع نطاقها. ما هو سر هذا التطور للمقاومة؟

ج ـ بعد نكسة ٥ يونيو (حزيران) اعتبرت العاصفة ان المعركة لم تنته وانها مستمرة، لذلك بدأت فورا بتدريب اعداد ضخمة من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ووصل هذا العدد الى عدة الاف في الوقت الذي دفع كل ما يمكن من الاسلحة الى الاراضي المحتلة، ثم قامت بتنظيم الاهالي والاتصال بكل الاطارات الشعبية في جميع الطبقات والطوائف وذلك لتنظيم المقاومة السلبية اولا ثم الايجابية والمسلحة ثانيا. في ما يخص المقاومة السلبية نجحت الى حد بعيد وظهر اثرها في عمليات الاضراب التي يقوم بها التجار والموظفون وعمال المواصلات واغلاق المدارس ورفض برامج التعليم الاسرائيلية التي حاولت سلطات الاحتلال فرضها على ابناء شعبنا لتدرس في المدارس العربية. اما بالنسبة للمقاومة المسلحة فقد تمثلت في العمليات العسكرية التي قمنا بها ابتداء من ٢٧/٨/١٩٦٧ حتى الان والتي تسير حسب اغراض واهداف المرحلة التي كانت مرسومة لها.

وقد شملت هذه العمليات المسلحة الارض المحتلة القديمة والحديثة، واستطاعت قواتنا ان تتوغل داخل الارض المحتلة القديمة الى مسافات مختلفة فوصلت الى «الخضيرة» و«ناتانيا» و«الناصرة» و«بئر السبع» و«تل ابيب» وغيرها من الاماكن الاخرى. وقد استهدفت عملياتنا العسكرية مصانع تجميع السيارات والمحطات الكهربائية ومصانع التعليب والقطارات والسكك الحديدية وتمكنا من نسف القطارات الخاصة بالعدو في ثلاثة اماكن شمال «ناتانيا» وغرب القدس وشمال بئر السبع.

واستهدفت عملياتنا العسكرية ايضا بعض الاماكن الحيوية داخل القدس المحتلة ردا على عمليات العدو القمعية ضد شعبنا في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وخلال الفترة الاخيرة استطعنا ان نطور عملياتنا العسكرية ونصعدها مستعملين فيها مدافع «المورتر»، هذا بالاضافة الى معارك المواجهة التي خضناها ضد جيش الاحتلال في «طوباس» حيث استمرت المعركة ٤٨ ساعة ومعركة «المغير» التي استمرت ١٠ ساعات و«بني نعيم» في الخليل استمرت ثلاثة ايام و«وادي القف» استمرت يوما كاملا، وخلال هذه المعارك تكبد العدو خسائر فادحة بينما لم نفقد الا قلة من ابطالنا الذين استشهدوا في هذه المعارك.

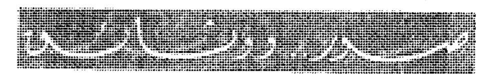
وهذا خلاف لما اذاعته اذاعة العدو وصرح به مسؤولها. ففي معركة «المغير» مثلا خسر العدو ٨٣ قتيلا من الجنود المظليين وطائرتين «هليكوبتر» وثلاث سيارات عسكرية بينما خسرنا نحن شهيدين وعشرة اسرى منهم ثمانية جرحى، هذا في الوقت الذي اذاعت قوات العدو بانها لم تخسر سوى ثلاثة قتلى.

وكمثال اخر على تضاربات تصريحات المسؤولين في جيش العدو فان موشي ديان صرح في بداية العمليات العسكرية بيننا وبينهم بأنهم قضوا على ٩٥ بالمئة من قوات «الفتح» وخلال اسابيع قليلة سيقضي على بقية الثورة ثم عاد وصرح مرة اخرى بعد ذلك بأيام بان المعركة بينهم وبين «الفتح» طويلة وقاسية ومريرة ، وطالب من السكان الاسرائيليين بالتضحية ومساعدتهم في هذه العملية.

وكان هذا «القائد» الفلسطيني قد اختتم حديثه مع صحيفة المجاهد الجزائرية بقوله: «الشيء المهم عندنا هو ان تكون لدينا ارادة الكفاح المستمرة فشعبنا يملك طاقات هائلة كفيلة بان تحقق لنا ولأمتنا النصر النهائي».

وعلى هذه الثقة بالشعب وبطاقاته الهائلة وبانتفاضته المستمرة والمتصاعدة اغمض ابو جهاد عينيه للمرة الاخيرة.. والى الابد يوم ١٦/ ٤/ ١٩٨٨ ليتحول بعدها من قائد حي الى رمز لا يموت ومن اسطورة تعيش بيننا الى امثولة تبقى في وجدان الاجيال المتعاقبة.

انتهى





ابو جهاد شارة النصر



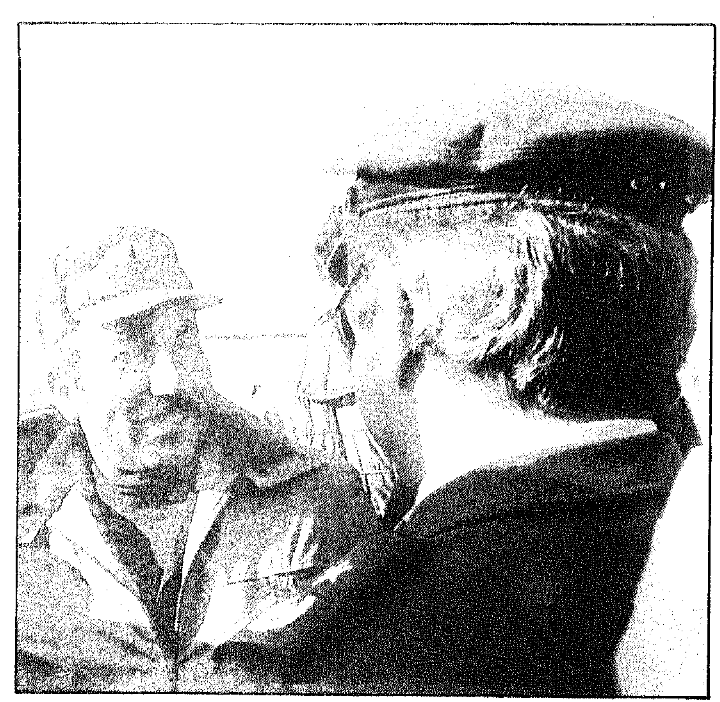
ابو جهاد في بيروت تحت الحصار
يعكس على الجميع ثقته
وايمانه بالنصر



ابو جهاد في صورة نادرة
مع مجموعة من الفدائيين الانتحاريين
يراجع معهم التفاصيل
النهائية للعملية

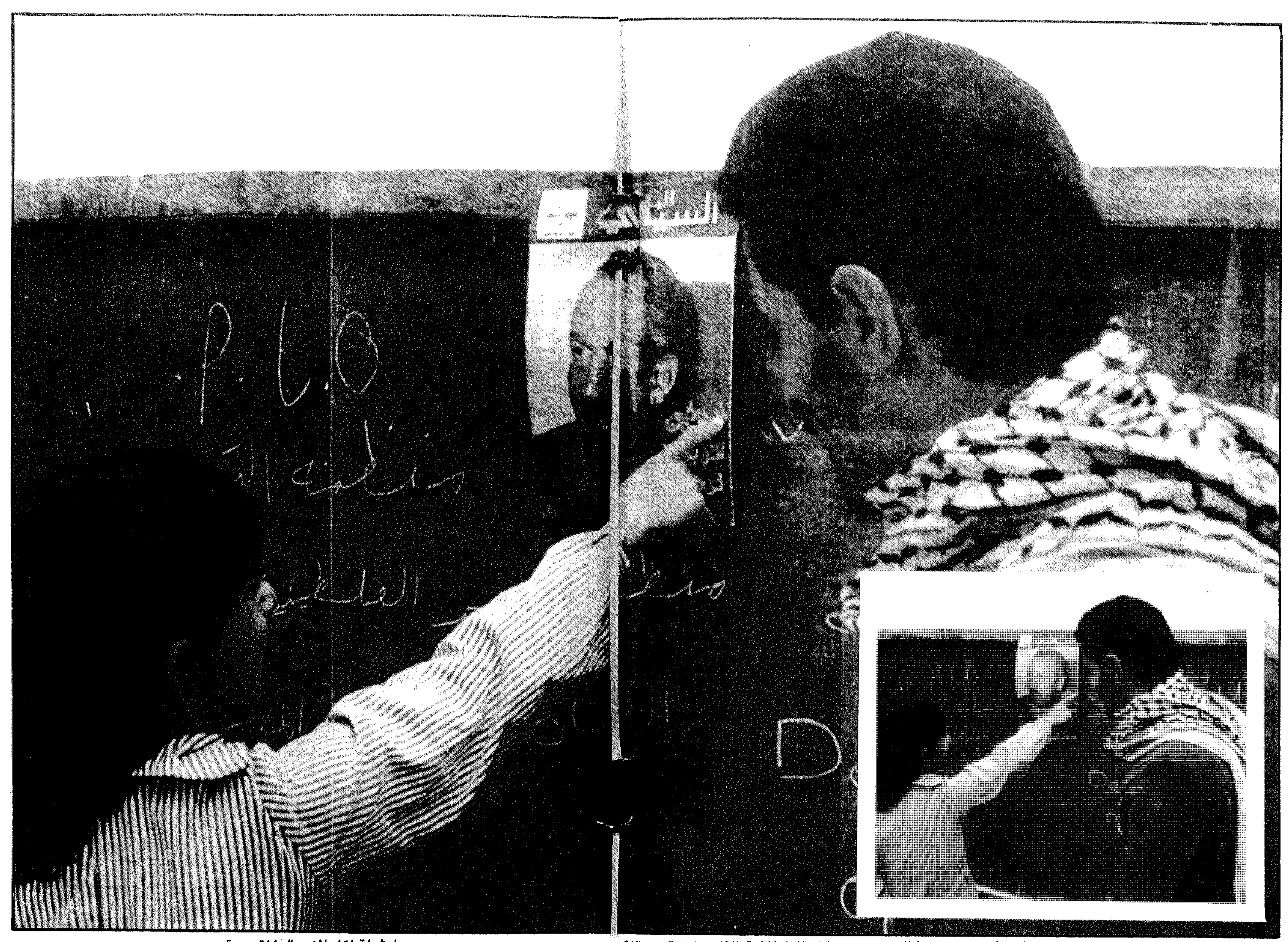


ابو جهاد وابو عمار
والشهيد ابو الوليد
في مناورة عسكرية عام ١٩٨١



ابو جهاد يقلد مقاتل فيتنامي اوسمة النصر





وما ان استشهد حتى بدأ الدرس، وحولته الانتفاضة الفلسطينية من قائد رمز لا يموت، ونهج لا تحيد عنه وامثولة لكل الاجيال المتجددة

جدول رقم ٢ بالعمليات العسكريه للخمسين بلاغ الثانية

للفترة الواقعة من ٦٦/٦/٥ الى ٦٨/٣/٣

العمليات \ تجميع البلاغات عشريا	العشر بلاغات السادسه من ٦٦/٦/٥ الى ٦٧/٤/١٩	العشر بلاغات السابعه من ٦٧/٤/١٩ الى ٦٧/٦/٧	العشر بلاغات الثامنه من ٦٧/٦/٧ الى ٦٧/١١/٨	العشر بلاغات التاسعه من ٦٧/١١/٨ الى ٦٨/١/٨	العشر بلاغات العاشرة من ٦٨/١/٨ الى ٦٨/٣/٣	مجموع الخمسين بلاغ الثانيه
عدد العمليات العسكرية	٣٩	٣٠	٤٩	٤٣	٤٢	٢٠٣
شرف الاستشهاد	٧	٢	١٣	١٣	١٣	٤٨
جرحى الحركة	٦	٥	٢٠	١٢	٦	٤٩
قتلى وجرحى العدو (جنود)	١١ ـ	٦٤ ـ	٢٩٢	٦١	١٩٤	٧٢٣
قتلى وجرحى العدو (ضباط)	—	—	٣	١٤	١	١٨
عدد الالغام المتفجرة	٣٦	٢	١٠	١٥	٦	٦٩
تدمير منشآت مياه	٦	٤	١	٧	٢	٢٠
تدمير مواصلات عسكريه	٤	٧	٢	٢	—	١٥
تدمير آليات عسكرية	٤	١٢	٤٤	٣٣	٣٩	١٣٢
تدمير انشاءات بترول ووقود	١	—	—	٦	٣	١٠
تدمير مراكز محاجر ـ مهاجع ..	—	—	٩	١٠	٨	٢٧
نسف مستودعات ذخيرة	١	—	—	٣	—	٤
تدمير انشاءات كهربائية	١	١	٢	٢	٢	٨
تدمير مصنع	—	١	٢	٣	٤	١٠
نسف قطارات عسكريه	١	—	١	١	—	٣
نسف محطات لاسلكي	—	—	—	—	—	—
تدمير طائرات	—	—	٤	٢	—	٦
تدمير كمين	—	—	٣	٢	٧	١٢
اعدام خونة	—	—	٢	٣	—	٥
عدد المستعمرات المهاجمه	١	٢	٥	٨	٩	٢٥

* لا تدخل في هذه الاحصائيه اعداد قتلى وجرحى العدو التي لم ترد ارقامها في بلاغات الحركة بشكل محدد .

جدول بالعمليات العسكرية للخمسين بلاغا الثانية في الفترة من ٦٦/٥/٥ ـ ١٩٦٨/٣/٣

القيادة العامة لقوات العاصفة
....

بيان سياسي هام

لقد مرت ستة عشر عاما على شعبنا وهو [illegible] التي [illegible]
ادراج الامم المتحدة كقضية لاجئين [illegible] العدو [illegible] على [illegible]
المحلي والدولي الاتاحة طوله الامد في بلادنا متجاهلا شعبنا الفلسطيني البطل .

ومن وحي هذا الواقع [illegible] انطلقت
قوات العاصفة لتؤكد للعدو وللعالم ان هذا الشعب لم يمت وان الثورة المسلحة
هي طريق العودة والنصر .

ان قوات العاصفة المنبثقة من ارادة الجماهير الفلسطينية ، الثائرة لتدرك
ادراكا تاما ابعاد المعركة سياسيا وعسكريا وهي تعمل متحدية كل الظروف والعقبات معتمدة
على نفسها الذاتية وطاقات شعبنا العربي .

يا جماهير شعبنا الصامد المجاهد هذا طريقنا وحده [illegible] لا [illegible]
[illegible] الى مستوى المسؤولية ... مسؤولية
المعركة [illegible] لان هذه الانطلاقة ما هي الا بداية لحرب تحريرية ذات منهج مخطط مدروس .

ويهمنا في هذه المرحلة التاريخية الحرجة ان نعلن بوضوح تام ان مخططنا في الميدانين
العسكري والسياسي لا تتعارض مع المخطط الفلسطيني والعربي الرسمي في المعركة لان
الكفاح من اجل فلسطين يصب في مجرى واحد [illegible] ينتهي بالقضاء على الخطر الصهيوني من
على ارضنا ، واننا نناشد الامة العربية وقادتها ان يتحملوا مسؤولياتهم الى [illegible]
العربي الملتزم معركتنا مع اسرائيل معركة مصيرية لابد لها من الاستعداد والاستنفار ...
اننا نحن [illegible] تحركنا من [illegible] فلسطيني مرتبط بقومية الوطن [illegible] ان هذا
هو الطريق السليم لاخراج شعبنا من الدوامة التي [illegible] على [illegible] العربية
[illegible] المشترك والدول العربية في العالم ولن يوقف هذا الزحف حتى يرفرف علم فلسطين
فوق ارضنا الغالية مهما كانت التضحيات .

واننا نعاهد شعبنا على الاستمرار في هذا الطريق ولا نلقي السلاح حتى يتحقق [illegible]

وبهذه المناسبة تتوجه قوات العاصفة بالشكر لجميع وسائل الاعلام العربية الاذاعات وصحافة
[illegible] الشريفة التي [illegible] في انطلاقتنا المباركة كما [illegible]
بموقف المنظمات والهيئات الفلسطينية والعربية التي قامت بتأييدنا [illegible] الى جانبنا .

وان الشعب العربي مطالب بتأييد هذه الانطلاقة وبذل المزيد من الدعم المادي
والمعنوي حتى تحقق اهدافها في العودة والحرية .

عاشت امتنا العربية المناضلة

عاشت فلسطين عربية حرة

١٩٦٥/١/٢٨ — القيادة العامة لقوات العاصفة

البيان السياسي الصادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة في ١٩٦٥/١/٢٨